



مصر

الجزء الثالث عشر

كتاب من الأعشى للقلقيندي

المقالة السادسة

صفحة

- فيما يكتب في الوصايا الدينية ، والمساحات ، والاطلاقات السلطانية
والطرخانيات ؛ وتحويل الستين والتذاكر ، وفيها أربعة أبواب ... ٢
- الباب الأول — في الوصايا الدينية ، وفيه فصلان ... ٢
- الفصل الأول — فيما لقدماء الكتاب من ذلك ... ٢
- » الثاني — فيما يكتب من ذلك في زماننا ، وهو على ضربين ١١
- الضرب الأول — ما يكتب عن الأبواب السلطانية ... ١٢
- » الثاني — ما يكتب عن ثواب السلطنة بالمالك ... ١٣
- الباب الثاني — فيما يكتب في المساحات والاطلاقات ،
وفيه فصلان ... ٢٣
- الفصل الأول — فيما يكتب في المساحات ، وهي على ضربين ... ٢٣
- الضرب الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ، وهو على مرتبتين ٢٣
- المرتبة الأولى — المساحات العظام ... ٢٣
- » الثانية — من المساحات أن تكتب في قطع العادة الخ ... ٣٨
- الضرب الثاني — ما يكتب عن ثواب السلطنة بالمالك الشامية . ٣٩
- الفصل الثاني — فيما يكتب من الاطلاقات ، وفيه طرفان ... ٤١
- الطرف الأول — فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على
ثلاث مراتب ... ٤١
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع الثلث مفتحا بـ «الحمد لله» ... ٤١
- » الثانية — ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ... ٤٤
- » الثالثة — مما يكتب به في الاطلاقات أن يكتب في قطع
العادة مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف» ... ٤٦

صفحة

الباب الثالث - في الطرخانيات، وفيه فصلان ... ٤٨

الفصل الأول - في طرخانيات أرباب السيوف، وهي على ثلاث

مراتب (لم يذكر إلا مرتبتين) ... ٤٨

المرتبة الأولى - أن يفتح المرسوم المكتتب في ذلك بـ «الحمد لله» ٤٨

» الثانية - أن يفتح مرسوم الطرخانيات بـ «أما بعد» ... ٥١

الفصل الثاني - فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقلام ... ٥٢

الباب الرابع - فيما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية
والقمرية المعبر عنه في زماننا بتحويل السنين

وما يكتب في التذاكر، وفيه فصلان ... ٥٤

الفصل الأول - فيما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان ٥٤

الطرف الأول - في بيان أصل ذلك ... ٥٤

» الثاني - في صورة ما يكتب في تحويل السنين، وهو على

نوعين (لم يذكر إلا نوعاً واحداً) ... ٦٣

النوع الأول - ما كان يكتب في ذلك عرب الخلفاء، وفيه

مذهبان ... ٦٣

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب بـ «أما بعد» ... ٦٣

» الثاني - مما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين

أن يفتح ما يكتب بلفظ «من فلان أمير المؤمنين

إلى أهل الدولة» ونحو ذلك، وفيه ضربان ... ٧١

الضرب الأول - ما كان يكتب في الدولة الأيوبية ... ٧١

» الثاني - ما يكتب به في زماننا ... ٧٤

صفحة

- الفصل الثانى - فيما يكتب فى التذاكر [وفيه ثلاثة أضرب]
 (ولم يذكر الضرب الأول) ٧٩
 الضرب الثانى - ما كان يكتب لتواب السلطنة بالديار المصرية
 عند سفر السلطان عن الديار المصرية ٩١
 » الثالث - ما كان يكتب لتواب القلاع وولاياتها : إما عند
 استقرار النائب بها وإما فى خلال نيابته ٩٩

المقالة السابعة

- فى الاقطاعات والقطائع ، وفيها بابان ١٠٤
 الباب الأول - فى ذكر مقدمات الاقطاعات ، وفيه فصلان ... ١٠٤
 الفصل الأول - فى ذكر مقدمات تتعلق بالاقطاعات ،
 وفيه ثلاثة أطراف ١٠٤
 الطرف الأول - فى بيان معنى الاقطاعات وأصلها فى الشرع ... ١٠٤
 » الثانى - فى بيان أول من وضع ديوان الجيش وكيفية
 ترتيب منازل الجند فيه والمساواة والمفاضلة
 فى الاعطاء ١٠٦
 » الثالث - فى بيان من يستحق إثباته فى الديوان وكيفية
 ترتيبهم فيه ١١٠
 الفصل الثانى - فى بيان حكم الاقطاع ، وهو على ضربين ... ١١٣
 الضرب الأول - إقطاع التملك ١١٣
 » الثانى - إقطاع الاستغلال ١١٥
 الباب الثانى - فيما يكتب فى الاقطاعات فى القديم والحديث ،
 وفيه فصلان ١١٨

صفحة

الفصل الأول — في أصل ذلك ١١٨

» الثاني — في صورة ما يكتب في الاقطاعات، وفيه طرفان ١٢٣
الطرف الأول — فيما كان يكتب من ذلك في الزمن القديم،

وهو على ضربين ١٢٣

الضرب الأول — ما كان يكتب عن الخلفاء، ولم فيه طريقتان ١٢٣

الطريقة الأولى — طريقة كتاب الخلفاء العباسيين ببغداد ... ١٢٣

» الثانية — ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء

الفاطميين بالديار المصرية ١٣١

الضرب الثاني — مما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن المتقدم

ما كان يكتب عن ملوك الشرق القسطنطيني

خلفاء بني العباس، وفيه طريقتان ١٣٩

الطريقة الأولى — أن يكتب في الابتداء « هذا كتاب » كما كان

يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ١٣٩

» الثانية — ما كان يكتب عن الملوك الأيوبيين بالديار

المصرية، ولم فيه أساليب ١٤٤

الأسلوب الأول — أن يفتح التوقيع المكتوب بالاقطاع بخطبة

مفتحة بـ « الحمد لله » ١٤٤

» الثاني — أن يفتح التوقيع بلفظ « أما بعد فان كذا » ... ١٤٨

» الثالث — أن يفتح التوقيع بما فيه معنى الشجاعة والقتال،

وما في معنى ذلك ١٥٠

الطرف الثاني — ما يكتب في الاقطاعات في زماننا، وهو على

ضربين ١٥٣

صفحة

- الضرب الأول — ما يكتب قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء ،
 وفيه جملتان ١٥٣
- الجملة الأولى — في ابتداء ما يكتب في ذلك من ديوان الجيش ١٥٣
- » الثانية — في صورة ما يكتب في المربعة الجيشية ... ١٥٤
- الضرب الثاني — فيما يكتب في الاقطاعات من ديوان الإنشاء ،
 وفيه خمس جمل ١٥٧
- الجملة الأولى — في ذكر أسم ما يكتب في الاقطاعات من ديوان
 الإنشاء ١٥٧
- » الثانية — في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف
 منها من مقادير قطع الورق ١٥٨
- » الثالثة — في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطزوة والمتن ١٥٩
- » الرابعة — في الطفرى التي تكون بين الطزوة المكتبة في أعلى
 المنشور وبين البسملة ١٦٢
- » الخامسة — في ذكر طرف من نسخ المناشير التي يكتب
 في الاقطاعات في زماننا، وهي على ثلاثة أنواع ١٦٧
- النوع الأول — ما يفتح بـ «الحمد لله» وهو على ثلاثة أضرب ... ١٦٧
- الضرب الأول — مناشير أولاد الملوك ١٦٧
- » الثاني — « الأمراء مقدمى الألوف ١٦٩
- » الثالث — « أمراء الطليخاناه ١٨٤
- النوع الثاني — من المناشير ما يفتح بـ «أما بعد» وهو على ضربين ١٩٠
- الضرب الأول — في مناشير العشرات كأننا ذلك الأمير من كان ... ١٩٠
- » الثاني — « أولاد الأمراء ١٩٣
- النوع الثالث — من المناشير ما يفتح بـ «خرج الأمر الشريف» ١٩٨

المقالة الثامنة

صفحة

- في الإيمان ، وفيها بيان ٢٠٠
- الباب الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض
في الإيمان ، وفيه فصلان... .. ٢٠٠
- الفصل الأول - فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان ٢٠٠
- الطرف الأول - في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه
العزیز... .. ٢٠٠
- » الثاني - في الأقسام التي قسم بها الخلق ، وهي على ضربين ٢٠٣
- الضرب الأول - ما كان يُقسم به في الجاهلية... .. ٢٠٣
- » الثاني - الأقسام الشرعية ٢٠٥
- الفصل الثاني - في بيان معنى الإيمان الغموس ولفو الإيمان والتحذير
من الخنث والوقوع في الإيمان الغموس ،
وفيهِ طرفان ٢٠٨
- الطرف الأول - في بيان معنى الإيمان الغموس ولفو الإيمان ٢٠٨
- » الثاني - في التحذير من الوقوع في إيمان الغموس... .. ٢٠٩
- الباب الثاني - في نسخ الإيمان الملوكة ، وفيه فصلان... .. ٢١١
- الفصل الأول - في نسخ الإيمان المتعلقة بالخلفاء ، وهي
على نوعين... .. ٢١١
- النوع الأول - في الأيمان التي يُحلف بها على بيعة الخليفة
عند مبايعته... .. ٢١١
- » الثاني - الإيمان التي يحلف بها الخلفاء (ووقع سهواً :
الضرب الثاني الخ) ٢١٦

صفحة

الفصل الثاني - في نسخ الإيمان المتعلقة بالملك، وفيه خمسة	
مهاج (لم يذكر المهاج الخامس)	٢١٦
المهيض الأول - في بيان الأيمان التي يُخلف بها المسلمون،	
وهي على نوعين	٢١٦
النوع الأول - إيمان أهل السنة	٢١٦
» الثاني - إيمان أهل البدع، وهم ثلاث طوائف ...	٢٢٢
الطائفة الأولى - الخوارج	٢٢٢
» الثانية - الشيعة، وهم خمس فرق	٢٢٦
الثالثة الأولى - الزيدية	٢٢٧
» الثانية - الإمامية	٢٢٩
» الثالثة - الإسماعيلية	٢٣٥
» الرابعة - الدرزية	٢٤٨
» الخامسة - النصيرية	٢٤٩
الطائفة الثالثة - القدرية	٢٥١
المهيض الثاني - في الأيمان التي يُخلف بها أهل الكفر،	
وهي على ضربين	٢٥٣
الضرب الأول - من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء،	
وهي أصحاب ثلاث ملل	٢٥٣
الملل الأولى - اليهود، وهم طائفتان	٢٥٣
الطائفة الأولى - المنتق على يهوديتهم، وهم القزاقون	٢٥٦
» الثانية - من اليهود السامرة	٢٦٨

صفحة	
الملة الثانية - النصرانية (وقع سهوا : الفرقة الثالثة الخ)	
٢٧١	وهم ثلاث فرق
٢٧٦	الفرقة الأولى - الملكانية
٢٧٨	» الثانية - الحقوية
٢٨٠	» الثالثة - النسطورية
٢٩٢	الملة الثالثة - المجوسية ، وهم ثلاث فرق
٢٩٢	الفرقة الأولى - الكيهرتية
٢٩٢	» الثانية - الثنوية
٢٩٣	» الثالثة - الزرادشتية
	المهييع الثالث - في الإيمان التي يُحلف بها الحكماء ، وهم على
٢٩٨	ثلاثة أصناف
٢٩٨	الصفء الأول - البراهمة
٢٩٩	» الثاني - حكام العرب
٢٩٩	» الثالث - حكام الروم ، وهم على ضرين
٢٩٩	الضرب الأول - القدماء منهم
٢٩٩	» الثاني - المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس
	المهييع الرابع - في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ،
	وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف
٣٠٧	مما يناسب وظيفته
	» الخامس - في صورة كتابة نسخ الإيمان التي يُحلف بها ،
٣١٩	وهي على ضرين
	الضرب الأول - الأيمان التي يُحلف بها الأمراء في الديار
٣١٩	المصرية
	» الثاني - الإيمان التي يُحلف بها تواب السلطنة والأمراء
٣٢٠	بالممالك الشامية ، وما أنضم إليها

المقالة التاسعة

مقدمة

في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب ... ٣٢١

الباب الأول — في الأمانات، وفيه فصلان ... ٣٢١

الفصل الأول — في عقد الأمان لأهل الكفر، وفيه طرفان ... ٣٢١

الطرف الأول — في ذكر أصله وشرطه وحكمه ... ٣٢١

» الثاني — في صورة ما يكتب فيه ... ٣٢٣

الفصل الثاني — في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وفيه طرفان ... ٣٢٩

الطرف الأول — في أصله ... ٣٢٩

» الثاني — فيما يكتب في الأمانات، وفيه منهيان ... ٣٣٠

المنهج الأول — أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا كتاب أمان اتخ»

وهو على نوعين ... ٣٣٠

النوع الأول — ما يكتب عن الخلقاء، وفيه منهيان ... ٣٣١

المنهج الأول — أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا» ... ٣٣١

» الثاني — أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد ... ٣٣٢

النوع الثاني — ما يكتب به عن الملوك، وهو على ضربين ... ٣٣٦

الضرب الأول — ما يكتب من هذا النمط مما كان يصدر عن

وزراء الخلقاء والملوك المتولين على الأمر معهم،

ولهم فيه أسلوبيان ... ٣٣٦

الأسلوب الأول — أن يصدر بالتماس المستامن الأمان ... ٣٣٦

» الثاني — ألا يتعرض في الأمان لآتماس المستامن

الأمان ... ٣٣٩

مقدمة

المنهج الثاني — مما يكتب به في الأمانات لأهل الإسلام

٣٣٩ ... أن يفتح الأمان بلفظ: «رسم» ...

الضرب الثاني — من الأمانات التي تكتب لأهل الإسلام ما عليه

٣٤٢ ... مصطلح زماننا، وهي صفتان ...

٣٤٢ ... الصف الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ...

» الثاني — من الأمانات الجارية عليها مصطلح كتاب

٣٥٠ ... الزمان — ما يكتب عن ثواب الممالك الشامية ...

الباب الثاني — من المقالة التاسعة في الدفن (دفن الذنوب)،

٣٥٢ ... وفيه فصلان ...

٣٥٢ ... الفصل الأول — في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب ...

٣٥٣ ... الثاني — فيما يكتب في الدفن عن المملوك ...

٣٥٦ ... الباب الثالث — فيما يكتب في عقد النعمة، وفيه فصلان ...

الفصل الأول — في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد،

٣٥٦ ... وفيه طرفان ...

الطرف الأول — في بيان رتبة هذا العقد، ومعناه وأصله من

٣٥٦ ... الكتاب والسنة ...

٣٦٠ ... الثاني — في ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في عقد النعمة

الفصل الثاني — ما يكتب في متعلقات أهل النعمة عند خروجهم

٣٦٦ ... عن لوازم عقد النعمة ...

(تم فهرس الجزء الثالث عشر من كتاب صبح الأعشى)

دار الكتب السلطانية

كتاب

صبح الأسماء

ناليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقالة السادسة

فيما يُكتب في [الوصايا الدينية^(١)]، والمساحات، والإطلاقات السلطانية والطَرَخانيات، وتحويل السنين والتذاكر؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما تقدماء الكتب من ذلك

اعلم أنه كان تقدماء الكتاب بذلك عناية عظيمة بحسب ما كان للولك : من الإقبال على معالم الدين، ومن أكثرهم عنايةً بذلك أهل الغرب : لم يزالوا يكتبون بمثل ذلك إلى نواحي ممالكهم، وقرأ على منابرهم؛ ولهم في ذلك الباع الطويل والهمة الوافرة. وهذه نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الداراري : أحد كتّاب الأندلس عن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين المنصور : أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، وهي :

(١) الزيادة من ج ١ ص ٢٦ من هذا المطبع.

(٢) ليس في خلفاء بني أمية بالأندلس من اسمه المنصور، وإنما المنصور هو ابن أبي عامر كان قطب على هشام بن الحكم الأموي واسمته بالأمر وقطب من بعده أبوه المنصور ثم أعز المنصور عبد الرحمن المقرب بالناصر لدين الله، ثم أقرضت دولتهم وعادت القرية إلى بني أمية فخلع هشام هذا ويروج أبوه عند المقرب بالمهدي. انظر "فتح البلب" ج ١ و"البر" ج ٤ و"صبح الأعشى" ج ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا المطبع.

الحمد لله الذى جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصليين تنفزع منهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالمعروف والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلوة على سيدنا محمد الكريم المبعث بالشريعة التى طهرت القلوب من الأدناس واستخدمت بوطن القلوب وظواهر الأبدان طَوْرًا بالشَّدة وتارة باللين ، القائل (ولا عُنُوكَ عن قوله عليه السلام) «مَنْ أَتَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» تنبها على ترك الشك لليقين ؛ وعلى آله الكرام أعلام الإسلام المتقين راية الاهتداء فى إظهار السنن وإيضاح السنن باليمين ؛ الذين مكَّتهم الله تعالى فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرُوا بالمعروف ونهى عن المنكر : وفاء بالواجب لذلك التمكن .

والرضا عن الأئمة المُطَهَّرِينَ لِلدِّينِ الْمُتَمِّينِ ، البالغين بالبلاد والعباد نشرًا للعنل وتمامًا للفضل إلى أقصى غاية التمجيد والتأمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! وعن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين !

وإنا كتبناه لكم - كتب الله لكم أتباعا إلى ما ينهى من المصالح إليكم ، واستماتا إلى ما ينهى من الموعظ عليكم - من حضرة إشييلية - كَلَّاهَا الله - .

والذى نُوصِيكُمْ به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والإستعانة به والتوكل عليه ، وأن تعملوا أنما لم تَمُ هذا المقام الذى حَفِظَ الله به نظام الحق من ابتثاره ، وأمدنا بآونه الجليل على إحياء الدين وإفاضة أنواره ، إلا نستوفى كل نظري يعود على الأمة باستقامة أئمرها وأولآها ، ونُهِيبَ بها إلى أسمى رتب السعادة وأعلماها ، ونُوَقِّفَ بصائرنا بنافع الذكرى من كرها . فعلىنا لها بحكم ما تقلدناه من إمامتها ، ومعملنا من أمانتها ، أن نتقوها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونُرِشِدَها إلى المآلج الواضحة والسبل البينة ، ونُضْفِي على خاصتها وعامتها ظل النعمة والأمنة ، وإذا كَا نُوقِيها تمجيد دنيائها ،

ونعني بحماية أقبصاها وأذناها : فالذين أهم وأولى ، والتهتم بأحياء شرائعهم وإقامة شخصائهم أحق أن يُقلم وأخرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ما أمر به وتَدْع ، ونُتَبِّع السنن المشروعة ونُذَرِ البِدْع . ولما أن لا ندخر عنها نصيبه ، ولا نُنبِها إرادة من الأدوية مُريجه . ولنا [عليها] أن نُطِيع ونُسَمِع ، وقد علم الله أننا لم نفعل أمانة الإسلام ، للستكر من الدنيا وزُخْرِها ، ولم نتصد لهذا المقام ، للستكر بنعيمها وتَرْفِها ، ولما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكافة في أوثر قرأها وأوكل كَيْفِها ، وبحسب هذه النية التي طابها العمل ، ولم يتعدا الأمل ، نيلت من الخيرات نيات ، كاتب الخواطر تستعيد متاعها ، وتيسرت إرادات ، كانت الأمة منذ زمان لم ترميها ، وساعدت العناية الربانية فلم تُؤن مقصودا جميلا ، ولا متا جزيلا .

والى هذا - أدام الله كرامتكم - فإننا لم نزل مع طول المباشرة للأحوال كلها ، وتزد المشاهدة لعقد الأمور وحلها ، تَقِف وقوف التأمل على جزئيات الأمور وكلياتها ، ولا يسيب عن تصفحتنا وتعرفنا شيء من مصالح الجهات وكيفيةاتها ، ولم نتم بمائل إلا تولينا إقامته ، وأعدنا إليه أعداله وأستقامته ، ولا آتينا إلى صواب قول أو عمل إلا شدنا منبأه ، وأظهرنا لفظه ومعناه .

والآن حين آستوفى إشارتنا على البلاد قاطبه ، ولزمنا بحكم القيام لله في خلقه بحقه أن نتعهد الكافة دائيةً وثانيةً وشاهدةً وظائيه ، ورجونا أن يتخلص من التيسم الأول في قوله عليه السلام : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقَ بِهِمْ فَارِقُ بِهِ » بأعمال على الرقن دائيه ، وعلى الحق مواظبه - صرفنا أئنة الاعتناء بجوامع المصالح فإينا الذين ينظم تبتكها ، ويستوعب تعلقها ، لا تشد مصلحة عن قوانينه ، ولا سأل بركة إلا مع تحصينه وتخصينه . والله تعالى يُعِيننا وإياكم على إقامة حُدُودِهِ ، وإدامة

عُهوده . وأول ما يتناول به الأمر كافة المسلمين الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على
أكل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعاتها ، فقد قال عليه السلام :
« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ ، فَنَحْفِظْهَا وَنَحْفِظْ عَلَيْهَا حِفْظَ دِينِهِ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا
فَهُوَ لَيْسَ بِسَوَاءٍ أَضْيَعُ » . وقال عمر رضى الله عنه : « وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ » . فهى الركن الأعظم من أركان الإيمان ، والأُسُّ الأوثق لأعمال الإنسان ،
والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإشارتها بالصلاة الجماعية من المزية على صلاة
الواحد ، أمر لا يُضَيِّعُهُ الْمُفْلِحُونَ ، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود
رضى الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَغَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُتَأَفِّقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّحْلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ » . وشهود الصبح والعشاء
الآخرة شاهدٌ بتحصيل الإيمان ، وقد جاء : « إِنَّ شُحُودَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ يَبْدِلُ
قِيَامَ لَيْلَةٍ » . وحسبكم بهذا الرُّخْصَانِ . والواجب أن يُعْنَى بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْكُبْرَى مِنْ
قَوَاعِدِ الدِّينِ ، وَتُؤَخَذَ بِهَا فِي كَافَةِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُحَفَظَ
فِي التَّزَامِهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَعِ وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لَعْنَتِ
مَسْنِينِ » . وبحسب ذلكم رأينا أن نُزَيِّمَ جَارَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَأَمِيرَ كُلِّ سُوقٍ وَشَيْخَ
كُلِّ زُقَاقٍ وَمُعَلِّمَ كُلِّ جِهَةِ الْإِتْسَادِ لِهَذَا السُّبْحِ الْكَرِيمِ ، وَالْيَدَارِ لَهَا فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ ، وَأَنْ يَخْصَّ كُلُّ مَنْ فِي جِهَتِهِ أَوْ سُوقِهِ أَوْ حَوْمَةِ مَسْجِدِهِ أَوْ مَوْضِعِ صُنْعِهِ
أَوْ تِجَارَتِهِ أَوْ تَعْلِيمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَحُضُورِهَا ، وَالْإِعْتِنَاءِ بِأَحْكَامِ طُهُورِهَا ، وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ
عَنِ الْجَمَاعَةِ إِلَّا لِمُنْذَرٍ ، أَوْ أَمْرٍ يَكُونُ مَعَهُ الشُّهُودُ غَيْرَ مُمْكِنٍ . وعليهم أن يلتزموا
هذه الوظيفة أتم التزام ، ويقوموا بها مؤتمرين أحسن قيام ، ويُسمِّروا عن سَاعِدِ
كُلِّ جِدٍّ وَأَعْتَرَامٍ ، وَيَتَعَرَّفُوا كُلُّ مَنْ تَحْتَوَى عَلَيْهِ الْمَنَازِلُ مِنْ بَلَّغِ حَدِّ التَّكْلِيفِ مِنَ
الرِّجَالِ ، وَيَتَعَهَّدُوهُمُ الْحِينَ بَعْدَ الْحِينِ وَالْحَالِ إِثْرَ الْحَالِ ، وَيَطْلُبُوهُمْ بِالذِّكْرِ بِمَلَازِمَةِ

هذا العمل الذي قلّمه الله على سائر الأعمال . ويحذر المسلم أن يواقع بإضاعة المكتوبة أمرا أمرا ، ويترك من فرائض الإسلام ما يقتل متعمدا تركه حدا أو كفرا . وعلى معلّمي كتاب الله أن يأخذوا الصبيان بتعلّم الصلاة والطهارة والإدانة لإقامتها والموالاة وحفظ ما نهم به وأقل ذلك سورة فاتحة الكتاب . وعلى كل إنسان في خاصته أن يأخذ صغار بنيته ويكرّمهم وسائر أهله ومن إلى نظره بذلك ويأمرهم به ، قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « كُلُّكُمْ رَايَ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

ثم أعلموا أنّ الصلاة بما آتاه الله به من وظائفها الشريفة ، وخصائصها المنيغة ، تنظّم من أعمال البر ضروريا لا تختصر ، وتخصم من مواضع ما يستأن ويُنكر ، وتُحطى من الخيرات العبيدة الجسيمة بالقسم الأوفى الأوفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . ونحن لا نوسع تاريخها بحال ضرا ، ولا نُؤثره عقابا وزجرا ، ولا نزال تجبّه على إقامتها قسرا ، وإذا استمرّ التجهّد لها مع الأخيانت ، وعمل الناس بما جندناه من إيجاب التذكير بها بين القرابة والصحابة والحسبان ، وتواصوا بالمحافظة عليها حسب الإمكان ، لم تزل بيوتُ الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه معمورة بجلالة القرمان ، ولم تنفك إلا للإقامة عن الأذان .

ومما يزيد هذه الوظيفة تأكيداً ويؤيّد قواعدها تشبيها ، درس كتاب الصلاة والطهارة حتى يستكوه ويبا وحفظا ، ويؤدّوا مضّمته لفظا لفظا ، ففى ذلك من الإشراف على أحكام العبادتين ما يتبين مزيته وفضله ، ولا يسع المؤمنين بحال جهله ، ثم إذا أحكوه انتقلوا إلى درس كتاب الجهاد ، وعمرّوا الآباء بتعرف ما أعدّ الله للجهاديين من الخير المستفاد ، فالجهاد في سبيل الله فرض على الأعيان ، وقد تأكد

تعيته لهذه البلاد المجاورة لعبدة الأصنام والصُّلبان ، وزجروا أن يخرجوا الله ما وعد به من الفسخ القريب لأهل الإيمان ، ولیطلبوا الناس بمرض ما يتدارسون شديداً لمحفوظاتهم ، واستراة لقسمهم من الأجر وحظوظهم .

ومن مقدمات الجهاد ، وأقوى أسباب الاعتداد ، تعلم الرماية التي ورد الحضي عليها ، وتدب الشرج إليها ، قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ « ألا إن القوة الرمي » قالها ثلاثاً : فَأَطَفِرُوا النَّاسَ بِتَعْلَمِهِمْ ، وَأَقَرَّبْتَهُمْ طَبَقَاتٍ عَلَى قَدَرِاجَاتِهِمْ وَهَدَمْتَهُمْ ، قال عليه السلام : « مَنْ تَرَكَ الرَّمِيَّ بَدَّ مَا عَلَيْهِ رِزْقُهُ عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا » . وقال عليه السلام : « مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْتَ الْمَدُونُ لَمْ يَبْلُغْ كَانَ لَهُ كَعَتِي رَقِيَّةٌ » .

وليعلموا أنهم يطلبون في وقت الحاجة بما يُثَرِّه هذا التأكيد من بذلهم ، ويرتّب عليه من آثمتهم ، وليحرضوا على أن يلقى عددهم وافراً في حالي إرادهم وإصدايرهم .

وما فيه مصلحة كريمة الأثر ، واضح الجول والفرد ، يكون ذكراً جليلاً ، وأجرها جزيلاً ، تشهد الضمفاء والفقراء ، وإسناهم من الكثير كثيراً ومن القليل قليلاً بحسب الإصابة والرخاء ، ووضع الصدقات في أهل التعفف الذين لا يسألون الناس الخافاً أوّل ما ينبغي حين العطاء ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَائِفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ قَرْدُهُ الثَّمَرَةُ وَالْمَرْتَانِ وَإِنَّمَا الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى يُغْنِيهِ وَلَا يَقْطُنْ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومَ فَيَسْأَلَ النَّاسَ » فتفقّدوا هذا الصنف فهو أولى بالإيثار ، وأحق أهل الإيثار ، والمؤمنون إخوة ويصني الجار بالجار ، ولين النفي الفقير فذلك من مكارم الآثار .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة تعيّن إقامتها على المساميين جميعاً فمن رأى منكراً فلينبه اليكم وعليكم تغييره وتغيّبه أثره على ما يوجب به الدين ويقتضيه ، وليأخذوا الحق من كل من تعين عليه سواء في ذلك القوي والضعيف ، والمشرّوف والشريف . وكل من ارتكب منكراً كائناً من كان ، عزّ قدره أو هان ، فليبالغ في عقابه ، وينكّل على قدر ما ارتكب من المنكر وأتى به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَتَيْتِي وَالَّذِي يَقْبِي يَدَهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَرَ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقال لأسامة في الحديث نفسه « أَتَشَقُّعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » وقد حدّ عمر رضي الله عنه ولده ، وحدّ عثمان رضي الله عنه أخاه . فتشكّن هذه الوظيفة منكم بمرأى ومسمع ، وتسلّكوا في إقامتها على الخامل والنبيل أَوْضَحَ مَهِج ، ووفّوا المعروف حقّه من الإظهار ، وتقوّوا المنكر بأنهم وجّهوا الإنكار ، ثم عليكم أجمعين بالتواصي بالخير والتعاون على البر والتقوى (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) . وقال عليه السلام : « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يستفيد ونسعه في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، ولم ينشأ ما نشأ من الأحوال ، ولا طراً في هذه الأمة ما طرأ من الاختلال ، إلا بفارقة الاقتداء الذي هو للدين رأس المال ، ورضى الله عن عمر حيث قال : « فُرِضَتِ الْفَرَائِضُ وَسُتِّ السُّنَنُ وَتُرِكَتُمْ عَلَى الْوَاصِعَةِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا » .

ومن أشدّ المنكرات تغيير نكير وجوب تغيير المنكر التي هي أئس الإثم والفجور ، وأم الخبايا والشُرور ، وأئس كلّ خطيئة ورأس كلّ محذور ، فليشدّ أئس الاقتداء

في أمرها ، ويبحث غاية البحث عن مكان عَصْرَها ، ويتفقد الأماكن المُنْهَمَة بِعَمَها ، ويتسبب بكل وجه وكل طريق إلى قطعها . وليأيد حيث كانت إلى إراقة دِنَانِها ، وليبالغ إلى أقصى غايات الاجتهاد في شَانِها ، وإنَّ الله لَمَنَ الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ؛ فليتيق الله مُدِينُ شُرْبِها فلنْها رجس من عمل الشيطان ، وليحذر ما في قوله عليه السلام : « لَا يَشْرَبُ الْمُؤْمِنُ الخمر حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ » : من إخراجِه عن أهل الإيمان ؛ وشُرْبُ الخمر بلْجَاحُ في الطَّعْمِ ، فلا خير فيها مع الإحتناء المبني على الشرع ، ولو نُهِىَ النَّاسُ عَنْ قَتِّ البعر لَقَتُّوه حرصاً غالباً على ما يَهْتَمُّ فيه من الزَّجَرِ والمَنَعِ ؛ فمن عَثَرَ عليه بعدُ من شارب لها أو طاصر ، مستعيرها أو مجاهر ، فليضرب الضرب المبرح ، ويسجن السجن الطويل ، وليُقِىَ إلى أَنْ يَصِحَّ تَوْبَتُهُ محمَّةً لا تخمَلُ التأويل ؛ ثم إن عاد فالحَسَامُ المَصْمَمُ يَحْسِمُ دَاهٍ إِنْ أَعْضَلَ ، ويَصِفُ به سواء عما آسَمَلَ من هذا الحرام وآسَمَلَ .

ومن أشدَّ ماحلٍّ منه ، وأكَّدَ النهي عنه ، كُتِبَ الفَلَسَفَةُ لَمَنَ الله وأضبعها ! فإنهم بنوها على الكُفْرِ والتعطيل ، وأخلوها من البرهان واللبيل ، وعدلوا بها ضللاً وإضلالاً عن سواء السبيل ، وجعلوها نكاةً لمقاتلهم ومقاصدهم الخبيثة ركوزاً إلى الباطل وتمسكاً بالمستحيل . وقد كان سيدنا الإمام المنصور رضى الله عنه قد جدَّ فيها بالتحريق والتمزيق ، وسدَّ بامضاء عَزَمَه المسدود ورأيه المؤيد وجوه طُلَّابها بكل طريق ، لحسبنا أن تفتدى في ذلك بآثره الجليل ، وأنجد في إخراجها حيث وجبت وإهانت كاتبيها وطالبيها وقاريها ومقرريها ، ولا يمدل عن السيف في عقاب من آتخاها وآستوها وإن السيف في حقه قليل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تَرَكْتُ فيكم أَمْرَيْنِ لَنْ يَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا كَلَبَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّه » وبمَحَسَبِ الماقل كَلَبَ الله وَسُنَّةَ الرسول .

ويتعلق بهذا المنهى عنه ما استرسل فيه مرّدة أهل الأهواء ، والمتنكبون فيها تلبّسوا به من الأدران عن سنن الأعتداء ، أولئك قوم اعتقدوا إباحة المخطورات كلّها ، وعدّوا بإيادياتهم السخيفة ، وتخيّلهم الضعيفة ، كلّ واحدٍ العقْد منحلّها ، وأدعّوا أنهم من الملة وأعمالهم هيضي بأنهم ليسوا من أهلها ، فليبحث عن ذلك الصنف الأول وهذا الثان ، فذهبت أن تظهر دين الله مما لصق به من الأدران ، وأن تُعيده إلها ما كان عليه قبل والله المستعان .

ومن الوظائف التي يجب أن نعتنوا بها غاية الأعتناء ، وأن نُقدّموا النظر فيها على سائر الأشياء ، أمر أسواق المسلمين فقد اتّصل بنا ما تطرّق للتجارات من مُساعجات تعفّى عليها الخدع ، ولا يثورها إلا الحرص والطمع ، ولا توافق الشرع ولا يطابقها الورع ، حتى شاب أكثر المعاملات الفساد ، ولا يجري على القانون الشرعي في كثير من المبيعات الانعقاد ، وتصدى المتنكبون فيها لجيل يهصدونها ، وأنواع لاجتلاب السحت يرضونها ، وربما ورد التاجر من القطر الشاسع ، وحسن الظنّ بالمشتري منه أو البائع ، فيتلخّ في خدعته ، والإضرار به في ميلته ، أسوأ المبالغ ، ويرتكب من محرم الخلافة ما ليس بالسائغ ، ويصحّ من ذلك أن من لا يتقّى الله تعالى يلايس الرّيا في تجارته ، ويبنى عليه جميع إدارته ، ويحفظ المكاسب من الخباياث أوجب الواجبات ، والحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ، ويحقّ الله الرّيا ويربي الصدقات ، فلتلزموا الأمانة المعروفين بالديانة ، المشهورين بالأمانه ، تفقد هذه الأسواق ، ويخصّ كلّ أمين من تشتمل عليه سوقه من التجار ، ويعرف المختار منهم من غير المختار ، ومن لا يصلح للتجارة في سوق المسلمين يُقام منها على أسوأ حال ، ومن مُر منهم على ربا في معاملته حاجتهمو بأشدّ العقاب وأسوأ التكال ، فخلصوا التاجر من الشوائب ، ومروهم بأن يسيروا في بيعهم وشراتهم وأقتضائهم على

أجل المذهب، وأن يحذروا النش فقد قال عليه السلام : «مَنْ حَشَا فَلَيْسَ مِنَّا»
والإتقاه من الإيمان من أعظم المصائب ، وإذا اعتبرت في المبايعات الوجوه
الشرعية ولحظت الأحكام زكى الله عمل التاجر، وبورك له فيما يدير من المتاجر .
ثم تلوّصوا كل من تهمونه لشغل من الأشغال أن يبدأ بصلاح نفسه قبل سواها ،
وأن يلتم الأعمال التي يؤثرها الله تعالى ورضاها، وحذروهم كل الحذر أن تهفوا لهم
على ما يمشين، أو تسمعوا لهم قبيحا يفتى أو يبين، فمن سمعتم عنه أدنى سبب من هذا
فاجلوه بالعقاب الشديد ، والنكال المبدى ، إن شاء الله تعالى والسلام .

قلت : وعلى هذه المعاني والأمور المأمور بها في هذا الكتاب قد كانت الخلفاء
تكتب بها في المكتبات على أنحاء متفرقة على ما تهتم في مقاصد المكتبات من
المقالة الرابعة، وكانوا يؤلون على الصلاة والمساجد من يقوم بأمرها على ما تهتم،
وإن أكثر هذه الأمور الآن مقبنة في مواقع أصحاب الحسبة على ما تهتم ذكره
في الكلام على الولايات في المقالة الخامسة وبالله التوفيق .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السادسة

(فيما يكتب من ذلك في زماننا)

وهو قليل : قلّة الاختناء بأمر الدين والاكتفاء في ذلك بالتفويض إلى متولى
الحسبة، إلا أنه ربما كُتب في ذلك في الأمور المهمة عند تعدى الطور في أمر
من الأمور الدينية، والخروج فيه عن الحد .

ثم هو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ عن الأبواب السلطانية)

وهذه نسخة توقيع شريف من هذا النوع كُتِبَ به في الأيام . أن لا يباع
 على أهل الذمة رقيقٌ حين كثر شراء أهل الذمة من اليهود والنصارى المسيء والجواري
 (١) وتهويلهم وتصييرهم .

(١) لم يذكر نسخة التوقيع بل كُتِبَ بياض غير نسخة ماقصه "بياض مقدار رقيقة" .

الضرب الثاني

(مما يُكتب في الأوامر والنواهي الدينية - ما يُكتب

عن ثواب السلطنة بالمال)

وهذه نسخة توفيق كريم بمنع أهل صيدا ويروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة
والشيعة وردعهم، والرجوع إلى السنة والجماعة، واعتقاد مذنب أهل الحق، ومنع
أكابرهم من العقود الفاسدة والألتكجة الباطلة، والتعرض إلى أحد من الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين، وأن لا يدعوا سلوكك [طريق] أهل السنة الواضحة،
ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال، وأن كل من تظاهر بشيء من بدعهم قويل
بأشد عذاب وأتم نكال، وليُخذم نيران بدعهم المُنقِطِمة، وليبادر إلى حسم فسادهم
بكل همه، وتصريفهم عن ^(١) اعتبره، وتطهير بواطنهم من رذالة اعتقادهم
الباطل إلى أن يُعلنوا جميعهم بالترضى عن العشرة. وليُحفظ أنسابهم بالعقود
الصحيحة، وليُداووا على اعتقاد الحق والعمل بالسنة الصريحة. في خامس عشرين ^(٢)
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

الحمد لله الذي شرع الحُدُودَ والأحكام، وجَدَعَ بالحق لا تُوفِّ العوامَّ الأعْتامَ
الطُّغامَ، وجمع الصِّلاحَ والنَّجَاحَ والفلاحَ في الأخذ بسُنَّةِ خير الخلق وسيد الأنام،
وقَمَّ الزَّانِغِينَ عَمَّا عَلَيْهِ أَهْلُ السَّنة من الحق في كُلِّ قَبْضٍ وإِبْرَامَ .

نَحْمَدُه عَلَى نِعْمَةِ الْجِسَامِ، وَمِنْتَهُ الَّتِي تُؤَمِّضُ بَرُوقَهَا وَتُشَامُ، وَالْآلِيَةِ الَّتِي لَا تُشَامُ
وَلَا تُشَامُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَيْسَ لِمَنْ تَمَسَّكَ

(١) ياض في الأصل مله «عن التوك في مهالك أروايم إلى ماض طيه الشرع واعتبره» .

(٢) كذا في الأصل بآيات النون ونقل العبدان من أين هشام ظهين الكتاب فيه .

بمروئتها الوثني أَفْصَالَ وَلَا أَنْفِصَامَ؛ ونشهد أَنَّ عَمَادَ عَيْدِهِ وَرَسُولَهُ الدَّاعِيَ إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِوَاضِحِ الْإِرْشَادِ وَالْإِعْلَامِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، وَهُدَاهُ الْخَلْقَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛ خُصُوصًا أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ بِمَا وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ لَا بِمَزِيَّةٍ صِلَاةٍ وَلَا بِمَزِيدٍ صِيَامٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ أَعْظَمُ مَقَامٍ، وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ أَنْتَقَاءً وَأَنْتِقَامٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ لِحَصَلِ لَشَعْلِ سُورِهِ وَأَيَّاتِهِ بِمَا فَعَلَ أَحْسَنُ الْبِرِّ، وَأَتَقَى مَالَهُ مُحْتَسِبًا اللَّهُ تَعَالَى خَازِنَ مِنَ الثَّوَابِ رِثَةً لِأَتْرَامٍ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَانَ صَهْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَوَارِثَ عِلْمِهِ اللَّهُمَّ، وَالْمُجَاهِدَ عَنْ دِينِهِ بِالْعِلْمِ وَالْمُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحُسَامِ، وَالْبَاقِينَ مِنَ الْعَشِيرَةِ الْكِرَامِ، صَلَاةً تُسْتَمَدُّ بِرُكَّتِهَا وَتُسْتَدَامُ، وَيُتِمُّوْا فَضْلَهَا بِغَيْرِ أَنْفِصَاءٍ وَلَا أَنْفِصَامٍ .

وبعد، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ عَمَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرْعِهِ الَّذِي أَرْتَضَاهُ، وَدِينِهِ الَّذِي قَضَاهُ، وَحُكْمَهُ الَّذِي أَمَرَهُ وَأَمْرُضَاهُ؛ فَيُلْغِ الرِّسَالَةَ، وَأَوْضِحِ الدَّلَالَهَ، وَأَفْصَحِ الْمَقَالَةَ؛ وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ طَوَائِفَ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعَتَايَةُ مِنَ الْأَوْدَاءِ؛ وَقَصَّرَهُ عَلَى مُخَالَفِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْحَاسِدِينَ حَتَّى مَاتَ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الدَّاءِ؛ وَبَيَّنَّ الطَّرِيقَ، وَبَرَّهَنَ عَلَى التَّحْقِيقِ، فَأَعْلَنَ النَّذْرَةَ وَالْإِشَارَةَ، وَمَهَّدَ قَوَاعِدَ الدِّينِ تَارَةً بِالنَّصِّ وَتَارَةً بِالْإِشَارَةِ؛ وَتَمَّ الدِّينُ بِإِحْكَامِ أَحْكَامِهِ، وَثَبَّتَتْ قَوَاعِدُهُ بِإِزْلَاءِ أَعْلَامِهِ؛ وَعَمَّتِ الدَّعْوَةُ وَتَمَّتْ، وَفُشَّتِ الْهُدَايَةُ وَتَمَّتْ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ أَرْسَالًا، وَبَلَقَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِعْلَالِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ آمَنَاءَ، وَأَصْبَحَتْ الْخَلِيَرَاتُ وَالْبِرَكَاتُ تُتَوَارَرُ وَتَتَوَالَى، وَتَعَدَّتْ نَارُ الشَّرِّكَ وَطُفِفَتْ مَصَابِيحُ الضَّلَالَةِ وَوُحِدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فلما تكلم ما أراد الله تعالى إظهاره في زمانه، وتم ماشاء إبرازه في إبانة، وأعلنت الهداية، ونجيت النوايا، وقام عمود الدين، ودحضت حجة الملحدين؛ واستوسق أمر الإسلام، وأستتب، وثبت يدا مؤانديه وتب - أختار الله تعالى لنيبه صلى الله عليه وسلم جواره وقربه، فقضى تحبه ولقي ربه؛ فقام خلفاؤه بعده بأثاره يقتلون، ويهدونه وإرشاده يمتنون؛ ولاحكامه يطيعون، ولاوأمره يستمعون؛ ولعماني ما جاء به يعون، وإلى قضاياه يرجعون، لا يغيرون ولا يبدلون، ولا يتعرضون ولا يتأولون؛ فقضى على ذلك الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديون؛ لم يتبع أحد منهم في زمانهم عقيدة فاسدة، ولم يظهر أحد مقالة عن سواء السبيل حاكته؛ ثم هزقت الآراء، وتعددت الأهواء؛ واختلفت البقائد، وتباينت المقاصد، ووهت القواعد، ونضاعت الشواهد، وهزقت الناس إلى مقر بالحق وجاحد، وظهرت البدع في المقاتلات، وضل كثير من كثير من الحالات، وتهاقت غاليهم في الضلالات، وقال كل قوم مقالة تضمنت أنواعا من الجهالات؛ وكان من أخصفهم عقلا، وأضعفهم نقلا، وأوقعهم حجة، وأبعدهم من الرشد محجة، طائفة الراضية والشيعه، لارتكابهم أمورا شنيعة، وإظهارهم كل مقالة فظيعة؛ ونزفهم الإجماع، وجميعهم قبيح الاختلاع؛ فتبدلوا فرقا، وسلخوا من فواحش الاعتقادات طرقا؛ وتوقع نائمهم، وتصدت أجنادهم، وتجرعوا على تبديل قواعد الدين، وأقدموا على نبذ أقوال الأئمة المرشدين، وقالوا مالم يسبقوا إليه، وأعظموا الفرية فيما حملوا كلام الله ورسوله عليه السلام عليه، وأبوا بإثم كبير ووزير عظيم، وعرجوا عن سواء السبيل نفرجوا عن الصراط المستقيم؛ وفاهروا بما لم يقه به قبلهم عاقل، وأتخلوا مذاهب لا يساعدهم عليها نقل ناقل، وتخيّلوا أشياء فاسدة ظلم فيها تحيلها أسوأ من حال باقل، وتمسكوا بأثار

موضوعه، وحكايات إلى غير النكات مرفوعة؛ يُثقل عن أحدهم ما يُثقله عن مجهول غير معروف، أو عن هو بالكذب والتدليس مشهور وموصوف؛ فأقام ذلك إلى القول بأشياء - منها ما يُوجب الكفر الصراح، ويُبيح القتل الذي لا حرج على فاعله ولا جناح - ومنها ما يقتضي الفسق إجماعاً، ويقطع من المتصيف به عن العدالة أطلاماً - ومنها ما يُوجب عظيم الزبر والنكال - ومنها ما يُغضى بقائه إلى الويل والويل. لعب الشيطان بقولهم فأغواهم، وضمهم إلى حزبه وآواهم، ووعدهم غرورا ومناهم، وتمنوا مغالبة أهل الحق فلم يتلقوا منهاهم؛ مرقوا من الدين، وخرقوا إجماع المسلمين، واستحلوا المحارم، وأرتكبوا العظائم، واكتسبوا الجرائم، وصلوا عن سواء السبيل، وتبوءوا من غضب الله شرّ مَقِيل. منهمهم أضعف المذاهب، وعقيدتهم مخالفة للحق القالب، وآراؤهم فاسدة، وقرائحهم جامدة، والثقل والعقول بتكذيب دواعيهم شاهدة؛ لا يرجعون في مقاتلتهم إلى أدلة سليمة، ولا يرجعون في استدلالهم على طريق مستقيمة؛ يعارضون النصوص القاطعة، ويطلقون القواعد لجبريد المنازعة والمدافعة، ويفترون كلام الله تعالى بخلاف مراده منه، ويقترعون على تأويله بما لم يرده الله ولم يرده عنه؛ فهم أعظم الأمة جهالة، وأشدّهم غواية وضلالة؛ ليس لهم فيما يدعونه مستند صحيح، ولا فيما يتقولونه ثقل صريح.

فلذلك كانوا أقل رتبة في المناظره، وأسوأ الأمة حالاً في الدنيا والآخرة، وأحقر قدرنا من الاحتجاج عليهم، وأقل وضعا من توجيه البحث إليهم؛ أكابرهم محطون، وأصاغرهم مثلهم ومعظمهم محطون؛ بل كلهم ليس لأحد منهم حظ في الحلال، ولا قدم في صحة الاستدلال؛ ولو طوّل أحد منهم بصحة دعواه لم يجد عليها دليلاً؛ ولو حقق عليه بحث لم يلق إلى الخلاص سبيلاً؛ غاية تنكّلهم أن يروى عن منكر من الرجال مجهول، ونهاية متعلمهم أن يورد حديثاً هو عند العلماء موضوع أو مقول؛ يطعنون

في أئمة الإسلام، ويسبون أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويدعون
أنهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يرى منهم، متهمة
عما يصدر عنهم، قد قدره أرفع عند الله والناس، وعمله أعلى بالنص والقياس، ويحرم
أن ينسب إليه الرضا بهذه العقائد، أو التقرير لهذه المفاسد، فإن طريقته هي المثلى،
وسيرته هي العليا، فلا أخذ بالحق إليه يشول، والصواب معه حيث يفعل أو يقول،
ولا يصح قول شيء من هذا عنه، ولا يحل نسبة شيء إليه منه، ومنصبه أجل من
ذلك، ومكانه أعز مما هنالك، غير أن هؤلاء يعرض لأحلم في دينه شبهه، يقلد
فيها مثله في الضلالة وشبهه، ويردد في نفسه من التمس بهمة لا يجد لخلاصه منها
وجهه، ولا يوجه قلبه إلى طلب النجاة منها وجهه، ولا يقع نظر بصيرته على طريق
الصواب ولا يحقق كنهه، فيرتكب خطرا يوجب توبيخه في القيامة وجهه، وتسود
في الموقف ناصية منه وجهه، ويسلم لصحيره في الضلال عقله وفهمه وفقهه،
قد صرفوا إلى الطعن في العباد، ومخالفة رب الأرض والسماء، همهم وهمتهم،
واقترأوا على الله كذبا فتمهم وأباح دمهم، وقال لسان حال أمرهم أرا قدمهم أراق
دمهم، وهان دمهم فما تلمهم.

وقد بلغنا أن جماعة من أهل يروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها
المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعتها، وأصقاعها
وبقاعها، قد اتفقوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرروه، وشؤه
في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يستقلونه، وشرطاً يستملونه، وسلكوا منهاجهم،
وخاضوا لحاجه، وأصلوه وفرعوه، وتدينوا به وشرعوه، وحصلوه وفصلوه، ولبقوه
إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظموا أحكامه، وقدموا حكامه، وتعموا تيجيله
ولعظامه، فهم باطله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولا سلام طبعه حاملون، وللفساد

قائلون، وبغير السداد قائلون، وبحرم حرامه طائفون، وبحجى حمايته لايتفون، وبكثرة ضلاله طائفون، وبسنة شدته عاكفون . وإنهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المنة ويرتكبونه، وياكلون مال مخالفهم ويتبؤونه، ويجمعون بين الأخين في النكاح، ويتبئنون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذى ساءى فى البطلان مذهب الثلاث . فأنكرنا ذلك غاية الإنكار، وأكبرنا وقوفه أشد إكبار، وعضبنا لله تعالى أن يكون فى هذه الدولة للكفر إذاعة، وللعصية إشادة وإشاعة، والطاعة إخافة وإضاعة، وللإيمان أزجى بضاعة؛ وأردنا أن تجهز طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جند الإمام، تستأصل شأفة هذه العصبة الملعونة، وتظهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن تقدم الإنذار، ونسبق اليهم بالإعذار، فكثرت هذا الكلام، ووجهنا هذا الخطاب، ليقرأ على كآفتهم، ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم، يعلمهم أن هذه الأمور التى فعلوها، والمذاهب التى اتبعوها، تبيح دماءهم وأموالهم، وتقتضى تعميمهم باللعنات واستئصالهم، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر، وقد قال الله تعالى : **(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)** عطفًا على ما حكم بحريمه، وأطلق اللص فتبع حملته على تعميمه، وقد أنهى على ذلك الإجماع، وأقطعت عن مخالفته الأطماع، وخالفه الإجماع حرام بقول من لم يزل سميعا بصيرا **(وَمَنْ يُسَاقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)** . ونكاح المنة مذسوخ، وعقده فى نفس الأمر منسوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بحريمه واشتباره، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله ان لم يلب فهو مقتول، وعلمه فيما يأتيه من ذلك غير مقبول . وسب الصحابة رضوان الله عليهم

مُخَالِفَ لِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ ، وَمُنَابِذَ لِنُصْرِهِمْ
بِاحْتِرَامِهِمْ وَتَجْبِيلِهِمْ ، وَمُخَالَفَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي شَرِّهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، مُوجِبَةً لِلْكَفْرِ
عِنْدَ كُلِّ قَائِلٍ وَإِمَامٍ ، وَمُرْتَكِبٌ ذَلِكَ عَلَى الْعُقُوبَةِ سَائِرٍ ، وَإِلَى الْجَحِيمِ صَائِرٍ . وَمَنْ
قَدَفَ عَائِشَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا بَرَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ خَالَفَ كِتَابَهُ الْعَظِيمَ ،
وَأَسْتَحَقَّ مِنْ اللَّهِ التَّكَاثُفَ الْبَلِيغَ وَالْمَذَابَ الْأَكْرَمَ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَامَتْ وَاجْتُمَعَتِ الدَّلَائِلُ ،
وَبِهِ أَخَذَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَائِلُ ، وَهُوَ الْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ ، وَالضَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَمَا صَدَا ذَلِكَ
فَهُوَ مُرْدُودٌ ، وَمِنْ الْمِلَّةِ غَيْرُ مُعْتَدٍ ، وَحَادِثٌ فِي الدِّينِ ، وَبَاعَثَ مِنَ الْمُحْدِثِينَ ،
وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ فِي كُلِّ مَقَالَةٍ ، وَالْمَوْثِقُ فِي كُلِّ دَلَالَةٍ ، « كُلُّ مُحَدِّثَةٍ بِذِمَّةٍ وَكُلُّ بِذِمَّةٍ
ضَلَالَةٌ » . فَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ، وَغُودُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ سَرِيعًا ، وَفَارِقُوا مَذْهَبَ أَهْلِ
الضَّلَالَةِ ، وَجَانِبُوا عُصْبَةَ الْجَهْلَالَةِ ، وَاسْتَمُوا مَقَالَةَ النَّاصِحِ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَدَعَا ، وَعَنِ
الَّذِي أَرَجَعُوا ، وَإِلَى الرَّشَادِ رَاجِعُوا ، وَإِلَى مَغْفِرَةِ مَنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ يَادِرُوا وَسَارِعُوا . وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ بِنِكَاحٍ مُتَعَةٍ فَلَا يَقْرُبُهَا ،
وَيُحَذِّرُ مِنْ غَشْيَانِهَا وَلَيْتَجَنَّبَهَا . وَمَنْ نَكَحَ أُخْتَيْنِ فِي عَقْدَيْنِ فَلْيُفَارِقِ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا فَإِنَّ
عَقْدَهُمَا هُوَ الْبَاطِلُ ، وَإِنْ كَانَتْمَا فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ فَلْيُخْرِجْهُمَا مِمَّا عَنْ حِبَالِهِ وَلَا يُتِمَّا طُلَّ ،
فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَنَكَالَ الْمُجْرِمِ فِي الْحَمِيمِ كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ ، وَدَارُ غَضَبِ اللَّهِ تُنَادِي
بِأَعْدَائِهِ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِمَذَابِهِ ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى أَلِيمِ عِقَابِهِ ، وَلَا مَقَرَّ
لِلظَّالِمِ مِنْهُ وَلَا خَلَاصَ ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَتَاصَ . فَرِحَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ ،
وَاسْتَعَدَّ لِمَنْسَةِ ، وَمَهَّدَ لِمَصْرَعِهِ ، وَوَعَدَ لِمَضْجَعِهِ ، قَبْلَ قَوَاتِ الْقَوَاتِ ، وَهَجُومِ
الْمَوْتِ ، وَاقْطَاعِ الصُّوْتِ ، وَاعْتِقَالِ اللِّسَانِ ، وَانْتِقَالِ الْإِنْسَانِ . قَبْلَ أَنْ تُبْذَلَ
التَّوْبَةُ وَلَا تُقْبَلَ ، وَتُذَرَى الدُّمُوعُ وَتُسَبَّلَ ، وَتَقْضَى الْأَجَالُ وَيَقْطَعَ الْأَمَلُ ،
وَيَنْتَبِغَ الْعَمَلُ ، وَتَرْهَقَ مِنَ الْعَبْدِ نَفْسُهُ ، وَيَضُمَّهُ رَمْسُهُ ، وَيَرِدَ عَلَى رَبِّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ .

غَضَبَانِ ، وَإِنْ تُخْطِطْ عَلَيْهِ بِغَالَةِ أَمْرِهِ قَدْ بَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ حَيْثُ الدَّم ، وَلَا تُهَالِ
عَثْرَتُهُ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ ، وَقَدْ أَعْدَرَ مِنْ أَنْذَرٍ ، وَأَنْصَفَ مِنْ حَذَرٍ ، فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ
هُمْ الْغَالِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُفْلَبُونَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ،
أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَلِأَيِّكُمْ رُشْدُنَا ، وَوَقَّى إِلَى مَرَاذِيهِ قَصْدُنَا ، وَجَمَعْنَا وَلِأَيِّكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ،
وَأَعَانَا جَمِيعًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ ! .



وهذه نسخة مرسومة كُتِبَ به عن نائب الملكة الطرابلسية إلى نائب حصن
الأكراد ، بإبطال ما أُخْدِتَ بالحصن : من الخسائر ، والفواحش ، وإلزام أهل
الدَّيْمَةِ بما أُجْرِيَ عليهم أحكامه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه -
في أوامر جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة ، وهو :

المرسومُ بالأمر العالى - لازال قصده الشريفُ الماثرة على تغيير المنكر ، وشدَّ أزد
المنكر ، مشعرا في إراحة القلوب بإزاحة مواطن الفواحش : من سَفَاحٍ وعُدْرٍ
ومُسِيرٍ ومُسْكِرٍ - أَنْ يَتَقَدَّمَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ بِاسْتِمْرَارِ مَا وَقَفْنَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ وَرَمَنَّا بِهِ ،
وَأَعْطَيْنَاهُ دُسْتُورًا يَجِدُهُ مِنْ عَمَلٍ بِهِ يَوْمَ حِسَابِهِ : من إبطال الخمار ، وهنم مبانها
بمِثْ لِيَقْبَلُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةَ عَلَيْهَا أَمَّارَهُ ، وَإِخْفَاءَ مَعَالِمِهَا الَّتِي تَوَلَّيْنَاهُ الشَّيْطَانُ
فَقَعْنُ ، وَإِزَالَةَ مَا بَيْنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا أَقْلُ مَا بَلَّغْنُ ، وَإِخْلَاءِ تِلْكَ
الْبِلَادِ مِنْ هَذَا الْقَسَادِ الْمَوْجِبِ لِكَثْرَةِ الْحَنِّ وَالْإِخْتِلَافِ وَإِرَاقَةِ مَا بَيْنَهَا مِنَ الْخُورِ ،
الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْإِثْمِ وَالشُّرُورِ ، وَإِحْرَاقِ كُلِّ عُدْرٍ مَذْمُومٍ فِي الشَّرْعِ مَعْدُورٍ ، وَإِنْجَابِ
اسْمِ الْحَانَةِ بِالْكَلْبَةِ بِمِثْ لَا يَنْقَلِبُ بِهِ مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ ، وَلَا يُطْلِعُ نَفْسَهُ فِي التَّرْتِيبِ
عَلَيْهَا مَنْ هُوَ عَلَى خَيْرِهِ وَبَيْتِهِ مُطَافِرٌ . وَقَدْ غَيَّرْنَا هَذَا الْمُنْكَرَ بِأَطَالِ اللَّهِ بِفَضْلِهِ
فِي الْخَيْرِ بِأَعْمَارِهِ ، وَغَيَّرْنَا إِزَالَةَ هَذِهِ الْمُقْسَدَةِ فَاحْرَزْنَا بِرَّهَا وَأَصْبَحْنَا بِهَا ، خَوْفًا مِنْ وَجْدِ

قوله تعالى : (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ورجاء أن تكون من المراد بقوله تعالى : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعملاً بقوله عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » . ولعلنا بأن أمير الرعية إذا لم يُزل المنكر من بينهم فكيف يُفْلَح في يومه وسال السؤال عنهم في غده .

وقد صار حصن الأكراد بهذه الحسنة في الحصن المتين ، وأهلُه المتمسكون بالعمرة الوثقى في صريح خصب صريح ، وضواحيه مطهرة من خبث السفاح ونجاسة الخمر ، وفواحيه كثيرة السرور قليلة الشرور ، قد أعل الله تعالى به كلمته ، وأجاب لصغيره وكبيره في هذا الأمر دعوته ، وما ذلك إلا بتوفيق من أهلكنا لذلك ، وأهلكنا رؤسنا وطغرتنا من هذه المفاسد تلك المسالك ، وله الحمد على ما وفق إليه ، وأعان عبده في ولاجه عليه ، فإن المنكر إذا فشا ولم يُنكر آن تَرَابُ الدِّيار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيُنَارٌ » ، فعند ذلك تمتع السماء دهرها ، وتبسك الأرض بذرها ، ويخف الضرع ، ويس الزرع ، وتعتش الأجداد ، وتهلك البلاد .

فليسط الخناب الكريم يده في إزالة ما بقي من منكر ، متفقدا لجليله وحقيقه بالنقص الشديد وما على ذلك يُحمد بكل لسان ويُشكر ، متقرباً من يُخل البلد ذلك ليقابله بالضرب بالسياط ، آخذاً في تتبع سلاله بالخزم والتحرى والاحتياط ، إلى أن تصل بنا أخباره ، ويعلموا لدينا في سياسته وتهضته مناره ، ونحمد عندنا لإيائته وآثاره ، وهو بجد الله كما نهده شديد على كل مُفسد ومعايد ، سيد الآثار والآثار والمقاصد .

وأما أهل الذمة فارتفع عنهم السيوف إلا باعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل التقض والإبرام .

فليقدم الجَنَابُ الكريمُ بِإِذَائِمِهِمْ بِمَا أَرْزَمَهُمْ بِهِ الْفَارُوقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلِيُجِبَهُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ إِلَى مَا أَلْهَمَهُمْ إِلَيْهِ : مِنْ إِظْهَارِ الذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ ، وَتَغْيِيرِ النُّعْلِ وَشَدِّ الزُّنَّارِ ، وَتَعْرِيفِ الْمَرْأَةِ بِصَبْغِ الْإِزَارِ ، وَلِيُحْمَنُوا مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ وَالْمُخْرِ وَالنَّاقُوسِ وَلِيُجْعَلَ الْخَلَامُ أَوْ الْحَمْدُ فِي وَقَائِهِمْ عِنْدَ التَّجَرُّدِ فِي الْحَمَامِ ، وَلِيُزَمُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ مِنْ مُتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ لَمْ يَلْقَمْ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَامْتَنَعَ ، وَأَعْلَنَ بِكُفْرِهِ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ وَرَفَعَ ، فَالَهُ حَكَمٌ إِلَّا السَّيْفُ ، وَغُثُّ أَمْوَالِهِ وَسَيِّ ذُرَارِيهِ وَمَا فِي ذَلِكَ حِلٌّ مِثْلَهُ حَيْفٌ ، فَهَاتَانِ مَقْسَدَتَانِ أَمَرْنَا بِالزَّامِهِمَا فِرَارًا مِنْ مَخْطِئِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِدَارًا ، إِحْدَاهُمَا إِبْطَالُ الْحَانَةِ وَالْأُخْرَى إِخْفَاءُ كَلِمَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

فليقدم الجَنَابُ المشارُ إِلَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ مَا رَمَتْنَا بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، وَالتَّوَهُدُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْمُؤْمِنُ وَيُحْكِيهِ ، وَزُجُوحُ مَنْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى اسْتِمْرَارَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ مَدَى الْأَزْمَانِ ، وَأَسْتِثْنَاءُ بَعْضِهَا الْمَائِدِ الْأَخْصَانِ ، وَإِبْطَالُ هَذَا الْحُزْنِ الْمُسَمَّى ظُلُمًا بِالْفَرَجِ ، وَإِعْمَالُ السَّيْفِ فِي حَقِّ مَنْ أَرْتَضَاهُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمَسَامِينِ فَانْهَكَ سِرَّهُ وَأَقْتَضَحَ .

وَلِيَقْتَمَعَ أَهْلُ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ ، بِمَا يُكْرِمُ الصَّغَارَ عَلَيْهِمْ وَالْإِدْلَالَ ، إِلَى أَنْ لَا يَرْتَفِعَ لِمَنْ رَأَسَ ، وَلَا يُنْشِدُوا كِبَادًا إِلَّا عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، وَلِيَسْتَجْلِبَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ لِهَذِهِ الدُّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ وَلِنَا الدُّعَاءَ مِنَ الْمَسَامِينِ ، وَالْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلِيُطَبَّ قُلُوبُهُمْ بِاسْتِمْرَارِ مَا أَرْزَأَهُ ، وَغَوَا آثَارُهُ وَأَبْطَلَنَاهُ ، وَقَصَدْنَا بِإِبْطَالِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مَسَاعِدَ مِنَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْمَرْضِ ، وَمَنْ أَعَادَ مَا أَبْطَلْنَاهُ أَوْ أَعَانَ عَلَى إِعَادَتِهِ ، أَوْ أَمَرَ بِتَشْيِيدِهِ وَبِنَاءِ حِجَارَتِهِ ، أَوْ رَتَّبَ حَرَّتِيًّا عَلَى خَنْدَرِ بَنِي وَمَوَّهٍ وَدَلَّسَ بِالْأَفْرَاحِ ، أَوْ أَطْلَقَ أَنْ يَبَاعَ مُنْكَرٌ أَوْ سَوْلٌ لَهُ شَيْطَانُهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَرْبَاحِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَاكِه . وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَهَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

الباب الثاني

فيما يكتب في المسامح والإطلاقات، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يكتب في المسامح

والمسامح جمع مُسَامَحة، وهي [الجود والمواقفة ^(١) على ما أُريد منه] . والمراد بالمسامحة بما جرت به عادة الدواوين السلطانية : من المقررات واللوازم السلطانية، وهي على ضربين :

الضرب الأول

(ما يكتب من الأبواب السلطانية)

وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمع بترك شيء من ذلك عُيِّن به مرسومٌ شريف وشملت العلامة الشريفة، وهو على مرتبتين :

المرتبة الأولى — المسامح العظام .

وقد جرت العادة أن تُكتب في قطع الثلث مفتوحة بـ « الحمد لله » .

وصورتها أن يكتب في أعلى الترتج يوسطه الاسم الشريف كما في مراسيم الولايات، ثم يكتب من أول عرض الورق إلى آخره « مرسومٌ شريفٌ أن يُسمح بالجهة الفلانية وإبطال المكوس بها، أو أن يسمح بالباقي بالجهة الفلانية، أو أن يُسمح أهل الناحية الفلانية بكذا وكذا، ابتغاء لوجه الله تعالى، ورجاء لنواله الجسيم

(١) يباح في الأصل والتصحيح من المصباح .

على ما تشرح فيه ثم يترك وصلانين بياضاً غير وصل الطرة، ويكتب في أول الوصل الثالث السبعة، ثم الخطبة بالحمد لله إلى آخرها، ثم يقال : وبعد، ويؤتى بمقدمة المساعدة : من شكر النعمة، والتوفية بحقوقها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق، وعمل مصالح الرعية وعمار البلاد، وما يخطر في هذا السلك، ثم يقال : ولذلك لما كان كذا وكذا انقضت آراؤنا الشريفة أن يسأخ بكذا، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف أن يكون الأمر على كذا وكذا، ثم يقال : فلتستقر هذه المساعدة ويؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال : وسيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف العمل بمضمونه أو بمقتضاه، ويحتم الدعاء بما يناسب .



وهذه نسخة مرسوم بمساعدة بيواقي دمشق وأعمالها، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى، وهي :

الحمد لله الرؤوف بخلقه، المتجاوز لعباده عما قصروا فيه من حقه، المسامح لبريئته بما أهلوه من شكر ما بسط لهم من رزقه، جاعل دولتنا القاهرة مطلع كرم، تفتل أنوار البرقي البرايا من أفقه، ومنشأ ديم، تفتل أنوار الرقي بالرايا من برقه، ومضمار جود يحتوى على المعروف من جميع جهاته ويشتمل على الإحسان من سائر طرقه، فلا يرتتهى إليه الآمال إلا ولكرمتنا إليه مزية سبقه، ولا أجز يتوجه إليه وجه الأمانى إلا تلقته نعمنا بمثل وجه الإحسان طلقه، ولا معروف تجذب منه أرجاء الرجا إلا واستبلت عليه الآؤنا من صوب برنا المألوف لآلى ودقه .

نحمد على نعمه التي حمت الرايا بتوالي الإحسان إليهم، وأنتمهم في مياد الأمن بما وضعت عنهم مساعدتنا من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وأنالهم ما لم

طَلَعَ آمَالُهُ إِلَيْهِ : مَنْ رَفَعَ الطَّلَبَ عَنْ بَوَاقِ أَمْوَالِ أَنْرُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَكَانَتْ كَالْأَعْمَالِ الْمُقْتَمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبث على نشر رحمته ، التي وسعت كل شيء في عبادته ، ونحث على بث نعمته ، التي غمرت كل شيء على اجتباؤه وسعت إلى كل شيء على إفرادِهِ ، ونحض على ما أطمنا من رافة بمن نابله بتوحيده وشدة على من جاهره بعباده .

ونشهد أن عَمَّا عبده ورسوله الذي أسكت ألسنة الشرك وأنرسها ، وعفى معالم العدوان وطمسها ، وأثل قواعد الدين على أركان الهدى وأسسها ، وأوضح مسبل انظيرت لسايلها فلذا سعت بالملوك رعاياها فلما أسعدت الملوك بذلك في نفس الأمر أقمها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين شفقوا العتل بالإحسان ، وجمعوا بين ملك الدنيا والآخرة بإحياء السنن الحسان ، وزرعوا الجهاد بالإيمان في كل قلب فأنمى بالتوحيد من كل لسان ، صلاة جامعة أشات المراد ، سامعة نداء أربابها يوم يقوم الأشهاد ، قامعة أرباب الشك فيها والإحساد ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنتا ليا آتانا الله من ملك الإسلام ، وخصنا به من الحكم العالم ، في أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأيدنا به من النصر على أعداء دينه ، وأمدنا به من تأييد تأييده وبنوام تمكينه ، وجعل دولتنا مكررا مدار ملك الأمة الإسلامية طيه ، وقلكا مأل أمور الأمة المحمدية في سائر الممالك على اختلافها إليه ، وورقنا من النصر على أعدائه ما أعز المسلمين وأدائم ، وأذل المشركين وأدائم ، وكف بالربح أطاعهم ، وأعمى بما شاهدوه أبصارهم وأصم بما سمعوه أسماعهم ،

وحَصَرهم بِالْمَهَابَةِ فِي بِلَادِهِمْ ، وَأَيَّاسَهُمْ بِالْمَخَافَةِ مِنْ قُوَّسِهِمْ قَبْلَ طَارِفِهِمْ وَيَتَلَدِّعُ - لَمْ تَزَلْ رُزْبٌ فِي حَسَنَاتِ تَحْمِلُ بِهَا أَيَّامُنَا ، وَقُرَيَّاتٍ تَجْرِي بِهَا أَقْلَامُنَا ، وَمَكْرُمَاتٍ تَحْمِلُ بِهَا عَوَارِفُنَا وَإِضَامُنَا ، وَمَا تَرِيحُلُهُ بِهَا فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ذِكْرُنَا ، وَمَوَاهِبَ تَحْمِلُ بِهَا بَيْنَ سَيْرِ الْمَصُورِ الْذَاهِبَةِ سِيرَتَنَا الشَّرِيفَةَ وَعَصْرُنَا ، وَمَصَالِحَ يُصَرِّفُ بِهَا إِلَى مَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ نَظَرُنَا الْجَمِيلِ وَفِكَرُنَا ، نُهُوضًا بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْنَا ، وَأَدَاءَ لَشُكْرِهِ فِيهَا أُنِّمَ بِهِ نِعْمَةِ الْعَمِيمَةِ عَلَيْنَا ، وَاكْتِسَابًا لثَوَابِهِ فِيهَا قَدَّمَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الطَّاعَاتِ بَيْنَ يَدَيْنَا ، وَنَظَرًا فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ بِهَيْفَةِ ظُهُورِ مَا كُنْهِيَهَا ، وَإِطَابَةً لِقُلُوبِ الْعِبَادِ مِنْ تَبَعَاتِ الْبَوَاقِي الَّتِي كَانَتْ تَمْتَحِنُهُمْ مِنْ عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ وَيُقَرِّمُهُمُ مِنَ التَّوْطُنِ فِيهَا ، وَرَغْبَةً فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ، وَتَحَرُّيًا لِإِصَابَةِ وَجْهِهِ الْمَصْلُحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

وَلِذَلِكَ لَمْ أَتَّصِلْ بِنَا [أَنْ] بَاقِيَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ مِنَ الْبَوَاقِي الَّتِي يُتَسَبَّبُ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ ، لِاحْصَاؤِهَا ، وَيُثْقِلُ كَوَاهِلَ الْأَفْهَامِ ، تَعْدَادُ وَجُوهِهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا ، بِمَا لَا يُسَمَّحُ بِمِثْلِهِ فِي سَالِفِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَسْتَحْوِجُهُ إِلَّا مَنْ يَرْغَبُ مِثْلُنَا فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَجُورٍ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ مَصَالِحِ الْجُمْهُورِ - اقْتَضَتْ آرَافُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُغْنِيَ مِنْهَا ذِمَّتَنَا كَانَتْ فِي أَغْلَالِ إِسَارِهَا ، وَأَهْمَالِ انْكِسَارِهَا ، وَرَوْعَةِ اخْتِصَابِهَا ، وَلَوْعَةِ التَّرْتُّدِ بَيْنَ انْظَارِ الْمَطَالِبَةِ وَإِمضَاتِهَا ، وَأَنْ نَتَّقِيَ مِنْهَا هُوسًا كَانَتْ فِي سِيَاقِ تَسَاقُفِهَا ، وَجِبَالِ إِزْمَاقِهَا وَإِرْهَاقِهَا ، لِتَتَوَقَّرَ الْهَيْمَةُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ ، بِالْأَمْنِ عَلَى الطَّارِفِ وَالْأَلَدِ ، وَتُجْمَعَ انْخَوَاطُهَا عَلَى حُسْنِ الْخَلْفِ ، بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْمُسَاعَدَةِ عَمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ مُسَلِّقٌ ، بِذِمِّ بَرِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَهْمَالِ ، عَرِيَّةٍ عَنْ عَقَرَاتِ تِلْكَ الْبَوَاقِي الَّتِي مَا كَانَ يُقَالُ إِنَّهَا تَهَالُ .

فُرِيم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علواً وقسماً، وأمضاه بما يُم الآمال
 رفقاً بالرعايا وتخفيفاً، وأجره من العدل والإحسان بما يُم البلاد، ويجبر العباد،
 فإن الأرض يحبسها العدل ويعمرها الاقتصاد على الاقتصاد - أن يسامح
 فليستقر حكم هذه المساحة استقراراً يتي رتمها، ويحو من تلك البواقي المسافة
 رتمها وأتمها، ويضع من كواهل الرعايا أعباءها، ويسير بين البرايا أخبارها الحسنة
 وأنبأها، ويسقط من جرائد الحساب تفاصيلها وجملها، ويحقق بتفنيته آثارها رجاء
 رعية بلادنا المحروسة وأملها .

فقد آتينا بالمساحة هذه الجمل الوافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى،
 واعتقنا بها ذمم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطلب
 واستقراره مستقراً، تقرباً إلى الله تعالى لما فيه من إثارة التخفيف، ووضع أضر
 التكليف، وتقوية حال العاجز فإن غالب الأموال إنما تُساق على الضعيف،
 وتوفر هم الرعايا على عمارة البلاد وذلك من أكد المصالح وأهمها، وتغريخ خواطيرهم
 لأداء ما عليهم من الحقوق المستقبلية وذلك من أخص المنافع وأعمها، فليقابلوا هذه
 النعم بشكر الله على ما خص دولتنا به من هذه الخاسن، ويوالوا حمده على ما منعمهم
 به من مواد عظمى التي ماء إحسانها غير أسن، ويتهللوا لأيماننا الزاهرة بالأذعية
 التي تمكدها سلطانتها، وتشد أركانها، وتعلي منار الدين باعلائها، وتؤيدها بالملك
 العزيزين على أعداء الله وأعدائنا . وسيل كل واقف على مرسومنا هذا : من ولادة
 الأمر أجمعين العمل بضمونه، والالتقاء إلى مكنونه، والمبادرة إلى إثبات هذه
 الحسنة، والمصارعة إلى العمل بهذه المساحة التي تستدعي مسار القلوب وتناه
 الأنسنة، وتفعية آثار تلك البواقي التي عفونا عن ذكرها، ويحو ذكر تلك الأموال
 التي تموضنا عن استيفائها بأجرها .



وهذه نسخة مرسوم شريف بالمساحة بالبراق في ذمّ الجند والرعايا بالشام ،
 كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في شهر سنة اثنتين وسبعائة بخط
 العلامة كمال الدين محمد الزملي^(١) من إنشائه ، وقُرئ على المنبر بالجامع الأموي
 بدمشق المحروسة ، وهي :

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً ، وسَمِعَ نداء كلِّ حيٍّ رافةً وحِلماً ،
 وخصَّ أياماً الزاهرة بالإحسان فأنجى فيها مَنْ عُدلَ وخابَ مَنْ حَمَلَ ظُلماً ،
 وزانَ دولتنا بالقوِّ والتجاوزِ فهي تمتدُّ المساحة بالأموال الجسيمةُ هُنا إذا اعتدَّتْها
 النُّولُ غُرماً .

نَحْمَدُه على نعمه التي عَمَرَتْ رعايانا بإدَامَةِ الإحسان إليهم ، وعَمَرَتْ ممالكنا بما
 تتعاهدُ به أهلها من تَشْرِجَتِ الرافة عليهم ، وخَفَّفَتْ عن أهل بلادنا أَثْقَالَ بواقِ
 الأموال التي كانوا مَطْلُوبِينَ بها من خَلْقِهِمْ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛ ونَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً لَمْ تَزَلْ تَسْتَفِيعُ لِأَهْلِهَا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وتَجْمَعُ لِأَرْبَابِهَا
 بِالرَّافَةِ وَالرِّفْقِ أَشْجَاتُ النِّعَمِ الْإِحْسَانِ ؛ ونَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَلَّ
 النُّعْمُ ، وَهَدَى الْأُمَمَ ، وَسَنَّ الرِّفْقَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَالرَّحْمَةَ ، وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى
 ذَوِي الْعُسْرَةِ لما في ذَلِكَ مِنْ بَرَاءَةٍ كُلِّ مَشْغُولِ النُّعْمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْيُسْرِ ، وَأَقْتَنَوْا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ ، وَأَوْصَحُوا طُرُقَ الْإِحْسَانِ لِسَالِكِيهَا
 فَصَلِّ عَلَى الْمُقْتَدِي بِهِمْ فِي الْحُثِّ عَلَى الْأُمَةِ الصَّعْبُ وَيُسِّرِ الْعُسْرَ ، صَلَاةً تَنْتَرِلُ يَوْمَ
 الْحِسَابِ ، وَتُتَمَدُّ لَوَقْتُ الَّذِي إِنَّا نُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً .

(١) نسبة إلى زمكان وقد ضبطها صاحب القاموس بالدمر وضبطها ياقوت في صحيحه بالفتح قل
 فيها روايتين .

وبعدُ ، فإن الله تعالى لما خَصَّ أياَمنا الزاهرة بالقُتُوح التي أنامت الرِيايا ،
 في مهادِ أمنها ، وأنالت البرايا ، موافقَ يُمِينها ومَنّا ، وكفّت أكثف الحوادث عن
 البلاد وأهلها ، ونشرت عليهم أجندة البشار في حزن الأرض ومهلها ، وأعذبت
 من الطمانينة مواردهم ، وعمت بالدعة والسكون قاطنهم وراحلهم ، وبلّتهم من بعد
 خوفهم أمنًا ، وقوتهم بإجابة داعي اللبّ عنهم مِنّا ، رأينا أن نُفَسِّح لهم مجالَ
 الدعة والسكون ، وأن لا تفتق لهم بما كان من أسباب المسار حتى تُنفعها بما يكون ،
 وأن نُصنّف بالإعفاء من شوائب الأكدار شرهم ، ونؤمن بالإعفاء عن طلب البواقي
 التي هي على ظهورهم كالأوزارِ شرهم ، وأن نُشَقِّع السدلَ فيهم كما أمر الله تعالى
 بالإحسان إليهم ، ونضع عنهم بوضيح هذه الأتقالِ إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ،
 وأن نُوفرَ على عساة البلاد همهم ، ونُبرِّئ من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم
 ذمتهم ، ونُريحَ من ذلك أسرهم ، ونُطلقَ من رِبقة الطلب المستمِرِّ إسرهم ،
 ونُساعدَهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونُفقيهم من الطلب
 باليَواق التي نسوها كالأجال وهي مقبلة بين يديهم ، لتكون بُشرهم بالنصر كامله ،
 ومسرهم بالأمن من كل سبيل شامله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يرّه عميا ، وفضله لحسن النظر في مصالح
 رعاياه مُديما - أن تُساعَ مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها
 من البواقي المُساقفة في النواوين المعمورة إلى المُلد المعينة في التذكُر الكريمة المتوّجة
 بالخط الشريف ، وجملة ذلك من الدراهم ^(١) ألف ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون
 ألفا ومائة ألف وخمسة وأربعون درهما ، ومن الغلال المتنوعة تسعة آلاف وأربعمائة
 وأثنان وأربعون غرارة ، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن القنم

(١) له « من الفائز » ويحفظ بفتح الكلام .

نحسبته رأس ، ومن القولاذِ ستمائة وثمانية أروال ، ومن الزيت ألفان وثلاثمائة رطل ، ومن حبّ الرمان ألف وستمائة رطل .

فليتقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد ، ويستقبلوا هذه المنّة بحمد الله تعالى فإنّ الحمد يستدعى المزيد ؛ ويرثقوا في أيامنا الزاهرة ، في حلّ الأمن الصافي ، ويردّوا من نعمنا الباهرة ، مناهل السعد الصافي ؛ ويقبلوا على مصالحهم بقلوب أزال الأمن قلقها ، وأذهبت هذه المساحة المبرودة فرقها ؛ وهويس أمنت المواخنة من تلك التبعات ببصاها ، ووثقت بالنعمة في تلك الأموال من شسنة طالب يأبى أن يفارق إلا بها ، وليتوقروا على رفع الأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة ، ويقيموا بها قلوبهم من الأمن والمثل في دولتنا القاهرة ؛ فقد تصبّغنا بهذه البواق التي أبقت لنا أجرها وهي أكمل ما يُعتنى ، وخففت أقال رعايانا وذلك أجل ما به يُعتنى . وسيدل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه ، والوقوف عند حدّه ورسمه ؛ ويعنى آثار هذا الباقي المذكور بخورشيم واسميه ، بحيث لا يترك لهذه البواق المذكورة في أموالنا أن تساب ، ولا يبقى لها إلى يوم العرض عرض نُورده ولا حساب ؛ وانلط الشريف شرفه الله تعالى أعلاه حجة بقتضاه .



وهذه نسخة مساعية بمكوس على جهات مستقيمة بالملكة الطرابلسية ، وإبطال المنكرات ، تُكتب بها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أيضا في شهر سنة سبع عشرة وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الدين المحمديّ في أيامنا الشريفة على أثبت عماد ، وأصطفانا لإشادة أركانه وتفسير أحكامه بين العباد ؛ وسهل علينا من إظهار شعائره ما رام

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا تَسْبِيحَهُ فَكَانَ عَلَيْهِ صَعْبَ الْإِقْيَادِ ، وَأَذْنَرْنَا مِنْ أَجُورِ نَصَرِهِ أَجَلَ
مَا يَذْنُرُ لِيَوْمٍ يَفْتَقَرُ فِيهِ لِصَالِحِ الْإِسْتِغَادِ .

نَحْمَدُ عَلَى نِعَمٍ بَلَّتْ مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْحَقِّ الْمُرَادِ ، وَأَحْمَدُ نَارَ الْبَاطِلِ بِمُطَافِرَتِنَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْإِقْقَادِ ، وَتَكْسَتْ رُيُوسَ النَّحْشَاءِ فَعَلَدَتْ عَلَى اسْتِحْيَاءِ
إِلَى مُسْتَسْتَهِنَاتِهَا أَقْبَحَ مَمَادٍ ، وَتَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَطَرَ فِي صَحَافَتِنَا مِنْ غُرَرِ السَّيْرِ مَا تَبَقَى
بِهَجْتِهِ لِيَوْمِ الْمَمَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَجْعَلُهَا الْعَبْدُ
يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَتُسْرَى أَنْوَارُ هَدْيِهَا فِي الْبَرَايَا فَلَا تَرَالِ آخِذَةً فِي الْإِزْدِيَادِ ،
وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْإِنْفَارِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ، وَالْإِمْدَارِ إِلَى
مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكِينَ فَأَوْفَّقَ لَهُ سَبِيلَ الرُّشَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ
وَتَحَبَّبَهُ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ أَحْسَنَ تَرَدَادٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمَّ
بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ سَائِرَ الْعِبَادِ وَالْإِلَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ
لِلْجَاهِدِينَ وَنَفْسَهُ لِلْجِهَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَافَعَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَرِجُ فِي جِدَالٍ عَنْهُ وَفِي جِلْدَادِ ،
صَلَاةٌ تَهْدِي إِلَى السَّنَادِ ، وَتَهْزُمُ الْمُعُوجَ وَتُخَفِّفُ الْمِيَادَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْذُ مَلَكَا أُمُورَ خَلْقِهِ ، وَبَسَطَ قُدْرَتَنَا فِي التَّصَرُّفِ فِي عِبَادِهِ
وَالْمُطَالَبَةِ بِحَقِّهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا الْقِيَامَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، وَفَهَّمَنَا أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضَ قَبْلِ خَلْقِ
الْخَلَائِقِ قَبْضَيْنِ فَرَعَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ قَبْضَةِ يَمِينِهِ ، وَالْقِيَامَ إِلَيْنَا مِنْ مَقَالِيدِ الْمَالِكِ ،
وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا بِتَمْكِينِ الْهَسْطَةِ وَعَدَمِ الْمُشَاقِقِ فِي ذَلِكَ ، وَمَهَّدَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا هُوَ
غَيْرُنَا تَوَعَّرَ ، وَأَعَدَّ لَنَا مِنَ النَّصْرِ مَا أَجْرَانَا فِيهِ عَلَى جَوَائِدِ لُطْفِهِ لِأَعْنَ مَرَحٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا عَنْ خَدِّ مُصْعَرٍّ - أَلْهَمْنَا إِعْلَالَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازَ الْحَلَالِ وَإِذْلَالَ الْحَرَامِ ،
وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا ، وَأَنْ لَا تَخْتَارَ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارُ الدُّنْيَا ، فَلَمْ تَزَلْ تُهَيِّمُ

لِلَّذِينَ شِعَارًا ، وَنُصِّي لِلشُّرَكَ آثَارًا ؛ وَتَمُنْ فِي النِّصِيحَةِ لِهَ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْرًا وَسِرًّا ؛ وَتَقِمْ أَثَرَ كَرَمِ تَهْتِفِهِ ، وَمَعْمُولِ بَحْقِهِ تَوْفِيهِ ؛ وَتَعْلَمْ حَقَّ قُرْبَةِ نُسَيْدِهِ ، وَتَحْدُولَا أَسْتَظْهَرِ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ تَوْبَهُ ؛ وَذَا كُرْبَةِ تَفْرِجِهَا ، وَغَيْرِيَّةَ بَحْشَاءِ أَسْتَطَرَدْتُ مِنْ أَدْوَارِ الْحَقِّ تُخْرِجِهَا ؛ وَمَسْنَةَ سَيْفَةِ تَسْتَعِظِمُ الْفُؤُوسَ زَوَالَهَا فَتُجَلِّلُهَا هَبَاءَ مَنُوثَوَا ، وَجَمَلَةَ عَظِيمَةِ أُسُسْتُ عَلَى خَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا فَيَحِطِّمُهَا كَرَمُنَا فَتُؤَدَى الْجِزَاءُ عَنْهَا مَوْفُورًا ؛ فَاسْتَقْصِمْنَا ذَلِكَ فِي مِمَالِكَا الشَّرِيفَةِ مَمْلَكَةً مَمْلَكَةً ، وَأَسْتَطَرَدْنَا فِي إِطَالِ كُلِّ فَاحِشَةٍ مُؤَيَّةٍ مُهْلِكَةٍ ؛ فَعَقَّبْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ مَا شَاعَ خَبْرُهُ ، وَظَهَرَ بَيْنَ الْأُمَمِ أَثَرُهُ ؛ وَطُبِّقَتْ بِحَاسِنِهِ الْإِفَاقُ ، وَفُتِحَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الدُّمَاءِ وَالرِّفَاقُ : مِنْ مَكُوسِ أَبْلُغْنَاهَا ، وَجِهَاتِ سُوءِ عَطْلَانَا ، وَمَظَالِمِ رَدْدِنَاهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَزَجْرَانَا عَنْ غِيْبِهَا وَجَهْلَانَا ، وَبَوَاقِ سَاعَتِنَا بِهَا وَتَمَحُّنَا ، وَطَلِيَّاتِ خَفَقَتِنَا عَنْ الْعِبَادِ بِتَرْكِهَا وَأَرْحَانَا ؛ وَمَعْرُوفِ أَلْمَنَا دَعَائِمِهِ ، وَبُيُوتِ اللَّهِ عِزِّهِ وَجَلَّ أَثَرُنَا مِنْهَا كُلِّ نَائِمَةٍ ؛ ثُمَّ بَشَّنَا ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَعَلْنَا ثِمَارَ النَّصْرِ مِنْ تَجَبُّرَاتِ الْعُدُلِ الَّتِي هِيَ بَيْدٌ يَقْطَعُنَا مَقْرُوسَةٌ .

وَلَمَّا اتَّصَلَ بِعِلْمِنَا الشَّرِيفَةِ أَنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ آثَارَ سُوءِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا ، وَمَوَاطِنُ فِسْقٍ لَا يَهْدِرُ غَيْرُنَا عَلَى دَفْعِ ضَرَرِهَا وَضَرِيرِهَا ؛ وَمَقَانِ آثَامِ يَمِيدِ الشَّيْطَانِ فِيهَا بَجَالًا فَصِيحًا ، وَقَرَى لَا يُوجِدُ بِهَا مِنْ [كَان] إِسْلَامُهُ مَقْبُولًا وَلَا مَنْ [كَان] دِينُهُ صَحِيحًا ؛ وَخَمُورًا يُنْظَاهِرُ بِهَا ، وَيَتَصَلَّ سَبَبَ الْكَثَرِ بِسَبَبِهَا ؛ وَشَاعَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مُجَهَّرًا ، وَتَبَاعَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَا يُوجِدُ لِهَذَا الْمُنْكَرِ مُنْكَرًا ؛ وَتُخْجَعُ فِي ذَلِكَ بِمَقَرَّاتٍ نُصِفَتْ لَا تُجِيدِي نَعْمًا ، وَتُنْفِي فِي يَدِ أَخْنَعَا كَانَهَا حَيَّةً تَسْعَى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانةٌ عبر عنها بالأفراح قد تطاير شررها، وتفاقم ضررها، وجوهر فيها المعاصي، وأذنت لولا حلم الله وإمهاله بزلزلة الصياصي، وفدت لأهل الأهوية مجمعا، ولذوى الفساد مرميا ومرتما، يتظاهر فيها بما أمر بسنعه من القاتورات، ويؤتى بما يجب تجنبه من المخدورات، ويُستعمل في الأفراح بها بما يؤدى إلى غضب الجبار، وتهاقت النفوس فيها كالقراش على الاقتحام في النار.

ومنها - أن المسجون إذا نُهيئ بها أخذ جميع ما عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه ألقب إلى أهله في الحسارة بشر منقلب، فهو لا يجد سرورا بفرجه، ولا يمتدح عقي مخرجه .

ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكنتها يعرفون بالتصيرية لم يلج الإسلام لم قلبا، ولا خالط لم لبًا، ولا أظهروا له بينهم شعارا، ولا أقاموا له متارا، بل يخالطون أحكامه، ويمهلون حلاله وحرامه، ويخالطون ذبايحهم بذبايح المسلمين، ومقابرهم بمقابر أهل الدين، وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعا، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وفرقا، فعند ذلك رغبنا أن نفعل في هذه الأمور ما سبق ذكره مفضرة على عز الأيام، ونقوم بهجته بدوام دولة الإسلام، ونحو منه في إيامنا الشريفة ما كان على غيرها به عارا، ونسترجع للحق من الباطل توبا طالما كان لديه شعارا، وتثبت في سيرة دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تدرك، وتتلو على الأسماع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال بالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا وزاجرا، ولا تمتثل أوامر الله تعالى مسارطا ومبادرا - انب يُطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية بما يأتي ذكره :

<p>ميجن الأقباص المُحَثَّ بأمر أقباص الديوان المعمور التي كانت فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أُعْفُوا عن العمل وقُزِرَ عليه في السنة ل</p>	<p>السجون بالمملكة الطرابلسية خارجا عن ميجن طرابلس بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتهدرها عالم</p>	<p>جهات الأفراح المندورة بالفتوحات خارجا عما لعله يستقر من ضمان الفرح الخ . وتهدرها مع</p>
<p>حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عن كان مما في حصنها وتقدير متحصل ذلك للم</p>	<p>عفاية الشام بكور طرابلس واقفة والسرون وما معه بحكم أن المذكورين كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة تقرر على ذلك في السنة عالم</p>	<p>أقباص للأمرء بحكم أن بعض الأمرء كان لهم جهات زرع أقباص وقُزِرُوا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل . وتقدير ذلك للم</p>
<p>المستحدث إقطاعا من بعض الأمرء على الفلاحين مما لم تجر به عادة : من حشيش وبلح وضيافة . وتقديره للم</p>	<p>ضمان المُشغل بطرابلس مما كان أولا بد يوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة ومبعاثة وتقديره للم</p>	<p>هبة الشاذ بنواحي الكهف تُسَدَّ فيها كان يستأدى من كل مدير وتقدير متحصله للم</p>

فليُظَلَّ هذا على مَترِ الأَزمِنة والنُّحور، إبطالاً باقياً إلى يوم النُّشور، لا يُطَلَّب ولا يُستادى، ولا يَسْلُجُ الشَّيْطَانُ في بَقائِهِ مُراداً .

وَقُرْأَ مرسومُنَا هذا على المنابرِ وَشُباع، وَتُسْتَجَلَبُ لنا منهم الأَدعيةُ الصَّالحةُ فإنَّها نِعمُ المَناع .

وأما التَّصْبيرُ فَلْيُعمَروا في بلادهم بكلِّ قَرْيَةٍ مَسْجِداً، وَيُطْلَقْ لَهُ من أرضِ القَريَةِ رُقْعَةٌ أرضٌ تَحمُومُ بِهِ وبِهِنَّ يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّقْوَامِ بِمِصَالِحِهِ على حَسَبِ الكِفايَةِ، بحيثُ يَسْتَفِزُّ الجَنابَ الفَلاَنِي نائِبُ السُّلْطَنَةِ بِالمُلكَةِ الطَّرايُسيَّةِ والحِصُونِ المَحرُوسَةِ ضاعِفُ الله تَعَالَى نِعْمَتَهُ مِنْ جِهةٍ مِنْ يَمِينِهِ إلَيهِ لِإِفرادِ الأَرْضِ وتَعمِيدِهَا وتَسليمِهَا لِأَئِمَّةِ المَساجِدِ المَذْكُورَةِ، وَفَصْلِهَا عَنِ أَرْضِ المَقْطُوعِينَ وأهلِ البلادِ المَذْكُورَةِ وَيَسْمَلُ بِذلكِ أوراقاً وَتُخَلَّدُ بِالدِّيوَانِ المَعمُورِ حَتَّى لا يَبْقَى لِأَحَدٍ مِنَ المَقْطُوعِينَ فِيهَا كَلامٌ، وَيُنَادَى فِي المَقْطُوعِينَ وأهلِ البلادِ المَذْكُورَةِ بِصُورَةٍ ما رَسَمْنَا بِهِ مِنْ ذَلكَ :

وكَذلكَ رَسَمْنَا أيضاً بِمَنحِ التَّصْبيرِ المَذْكُورِينَ مِنَ الخُطابِ وَأَن لا يَمَكِّنُوا بَعْدَ وَرُودِ هَذَا مِنَ الخُطابِ جَمَلَةً كافِيَةً، وَتُؤَخَذَ الشَّهادَةُ على أَكابرِهِم ومُشاخِ قُرَافِهِم لثَلَا يَؤُودَ أَحَدُهُم إِلَيهِم بِالتَّظَاهَرِ بِالخُطابِ وَمَنْ تَظَاهَرَ بِهِ قُوبِلَ أَشدَّ مُقابَلَةٍ .

فَتُعْتَمَدُ مَراسِمُنا الشَّرِيفةُ ولا يُعْدَلُ عَن شَيْءٍ مِنْها، وَتُجَرِّدُ المُلْكَةُ الطَّرايُسيَّةُ تَجَرِّدُ بَقِيَّةِ المَمالِكِ المَحرُوسَةِ فِي عِلْمِ التَّظَاهَرِ بِالمُنكَرَاتِ، وَتَغْفِيهِ أَثامُ القَواعِشِ وإِقامَةُ شَمايِرِ الدِّينِ القَويمِ : (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِي يَدُلُّونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وَالإِعتِقادُ على الخُطِّ الشَّرِيفِ أَصلُهُ .



وهذه نسخة توقيع بالمساحة في جميع المراكز بما يُستأدى على الأغنام الدغلى الداخلة إلى حلب ، وأن يكون ما يُستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، مما كُتب به في شهر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله ذي المواهب العظيمة ، والطايا التي لا تُجودُ بها يد كرمه ، والمِنن التي عوّضنا منها عن كل شيء بخير منه قيمة ، والمساحة التي أذنرلنا بها عن كل مال حسن مآل ويكُلّ غنم غنيمه .

نحمد على نعمه التي غدت على كثرة الإتيان مقيم ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم من تمتع وسامح في أمور عظيمه . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة مستديمه ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فنذ ملكا الله لم نزل نرغب إليه ، ونعالمه بما نهبه له وزرع عليه ، ولم يُبق مملكة من ممالك الشريعة حتى ساحتها فيها بأموال ، وساميتها فيها بنفع أرضها الشحُب الثقال ، وكانت جهة العِداد بالملكة الحليّة المحروسة مُقلّة الأوزار بما عليها ، مشدودة التعلق بما ينزل من الطلب يئسها ، مما هو على التركان بها محسوب ، وإلى عديد من عده منسوب ، ونحن نُقلنه في جملة ما أسقطته مساحتنا الشريفة وهو منهم مطلوب ، وهو المعروف بالدغلى زائدا على الرموس الكبار ، ومعدودا عند الله من الكبار وهو في حساب الدواوين من الصغار ، فلما اتصل بنا أن هذه المظالم ما أُتجل عنهم ظلمها ، ولا رُفِع من الحساب عنهم قلمها - أكبرنا موقع بقائها ، وعلمنا أنها مئة مكتوبة لم يكن بد من المصير إلى آهضاتها ، واستحياتنا قلوب

طوائف التُّركان بها ، وأوتقنا أسبابهم في البلاد بسببها ، لأمرين كلاهما عظيم :
 رُضِيتا فيما عند الله ولياً لهم من حقٍّ ولأئِ قديم ، كم صاروا مع الجيوش المنصورة
 جيوشاً ، وكم ساروا إلى بلاد ملوك الأعداء قتلوا لهم عُروشا ، وكم كانوا على أعقاب
 السَّاكر المؤيِّدة الإسلامية رِذاً ومقدّمتهم في محاصرة جاليشا ، وكم قتلوا بسببهم
 كافراً وقدموا لهم رِماحهم نُموشا ، ومنهم أمراءٌ وجُنود ، وُزُلُّوا ووُقُود ، وهم وإن
 لم يكونوا أهل خِياء فهم أهل عُمود ، ودُّوا أنساب عريقه ، وأحساب حقيقه ،
 إلى التَّبجاق الخُلص مرجعهم ، والفُرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمّعهم - فاقضى
 رأيتنا الشرف أن نرعى لهم هذه الحقوق بإبطال تلك الزيادة المراده ، وإن نناسى
 منها ما هو في العَدَد كالنسيء في الكُفْرِ زيادته .

فرسم بالأمر الشريف - لازلّت مواهبه تشمّل الاتفاق ، وتزيد على الإنفاق ،
 وتُهدم ما ينفذ إلى ما هو عند الله باق - أن يُساع جميع التُّراكين الدَّاخلِ مِداًهم
 في صَمان عِداد التُّركان بالملَكة الحليّة المحروسة بما يُستأدى منهم على الأغنام الدغلى ،
 وأن يكون ما يُستخرج منهم من العَدَد على الجِكار خاصّة : وهو عن كل مائة رأس
 جِكار ثلاثة أُرؤس جِكار خاصّة لأفِر من غير زيادة على ذلك ، مساعمةً مستمّرةً دائمةً
 مستغزّة ، باقيةً بقاء البالي والأيام ، لا تُبدّل لها أحكام ، ولا تتغيّر بتغيّر حاكم من
 الحُكّام ؛ نرجو أن تُسرّبها في صحائف أعمالنا يوم العَرَض ، لا يتأوّل فيها حِساب ،
 ولا تمتد إلينا [بِد] حُساب ، ولا يبقى عليها سبيل للدواوين والحُكّاب ، ولا يُنسب
 أغنامهم ليرعاها منهم أولئك الذّئاب ؛ كلّنا مرّ على هذه المساعمة زماناً أكّد أسبابها ،
 وبِعض في صحائف الدفاتر حِسابها ، لا تُعارض ولا تُناقض ولا يتأوّل فيها متأوّل
 في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ، ولا يدخل حُكْمها في النسيان ، ولا يُنقص
 أجرها المضْمُون ، ولا تُطلَب أصحاب هذه الدغلى عليها بِمداد في قرن من القرون ،

ولا يُستَحَقَّر بما يُستَأدَّى منها جليلاً ولا حقيرة، ولا تَسْمَح لنفسه من قال إنها صغيرة
وهي عند الله كبيرة: لطيب لأهلها ومن تَسَامَع بما شملهم من إحساننا الشريف
القُوس، ولا تُصدِّع لهم بسبب هذا الطَلَب رُؤوس، فَن تَمْرُض في زماننا أمدنا
اللهُ بالبقاء أو كَشَف في هذه الصلقة البخارية وجه تأويل، أو سكن فيها إلى مُلاومة
بقليل، أو طَلَب من ظالم بِعَيْنه مُداواة قوله العليل، فسيجد ما يُصْبِح به مثله،
ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عِيَّة بمن قَدِم قبله، ونحن نَرا إلى الله من يَمْرُض
بدنا إلى قضاها، وهذه المساحة عليه حجتنا التي لا يَقْدِر عند الله على دَحْضها.

ولتُقَرَأ على المتأبر وتَمَلَّ كلَّ شئها، وتَمَكَّد في أقطار الأرض كما أمتد السحابُ تَرَحُّمُها،
وسيلُ كل واقف عليها من أرباب الأحكام: أصحاب السيوف والأقلام، ومن
يَقْتَابُوبُ منهم على اللوام، العملُ بما رسمنا به واعتادُ ما حكم بموجبه، بعد الخط
الشريف شرفه الله تعالى أعلاه. إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثانية — من المساعات أن تُكْتَب في قطع العادة مفتحة برسم
بالأمر الشريف.

وطلب ما يُكْتَب ذلك للتجار الخواجية بالمساحة بما يلزمهم من المُكُوس
والمقررات السلطانية عن نظير مَن ما يُتَّاع منهم من الممالك.
والعادة أن يكتب في طُرُتها «توقيع شريف بمساحة فلان بما يجب عليه من
الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية» بحسب ما يُرسم له به.

وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهي:

رُسم بالأمر الشريف — لا زال يُتَّبِع السَّماح بمثله، ويشمل الرأيا كل وقت
في ممالك الشريعة بمثله، ويواصل إليهم رِقَقه ورقفه فلا يَرحُون في مهاد من

نِعْمِهِ وإسعادٍ من فضله - أن يُسَاعِدَ المجلسَ السامى (إلى آخر ألقابه) أدام الله تعالى
رفعتَه بما يَجِبُ عليه من الحقوقِ الدِّيوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية، وسائر
الممالك الإسلامية، فيما يبيعه ويتعوضه من سائر الأصناف خلا المنوعات:
صادراً لاغيراً أو صادراً ووارداً، بنظير الممالك الذين ابتاعهم برسم الأبواب الشرقة
بكذا وكذا ألف درهم .

فلْيَعْتَمِدْ هذا المرسومُ الشريف كل واقف عليه ويسئل بحسبه ومقتضاه ، من
غير علول عنه ولا تُخرج عن حكمه ومعناه، والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه
حجة بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة دعاء آخر يفتح به توقيع مسامحة، وهو: لازالت نِعْمُهُ عِمِيهِ، وبِحَبَابِهِ
كرمه، ومواهبه في الآفاق سائرة وفي الأقطار مقيمة، أن يُسَاعِدَ فلان بكنا وكذا .
آخسر: لا زالت صدقاته الشريفة تحقّق ومائل طالبيها ، وأوامره المطاعة
نافذة في مشارق الأرض ومقاربها، أن يساعِدَ فلان بكنا وكذا .

قلت : والعادة في مستند ذلك أنه مُحَضَّر به قائمة من ديوان الخصاص الشريف
يُكْتَبُ عليها كاتبُ السربالعين ، ويخلّدها كاتبُ الإنشاء عنده شاهداً له بذلك كما
في غيره من سائر المستندات .

الضرب الثاني

(ما يُكْتَبُ عن ثواب السلطنة بالممالك الشامية)

وغالب ما يكون في مساعات التجار بمقرر ما يتاعونه أو يشترونه، أو بقدر معين
يحصل الوقوف عنده ، ويعبر عما يُكْتَبُ فيه بالتواقيع كما في الولايات عندهم ،
وأكثر ما يُفْتَحُ برسم بالأمر .

وهذه نسخة مرسوم شريف بمساحة كُتِبَ بها عن نائب الشام في الدولة الناصرية
«فرج» لخواجه محمد بن المَرْزُوق، وهي :

رسم بالأمر العالي - لا زال قصْدُ ذَوِي الحقوق عنده ناهجا، وإحسانه للقُرب
إليه مساعدا - أن يُسَاحَ الجَناب العالي، الصِّدْرِي، الكَبِيرِي، المحْتَرَمِي، المؤْتَمَنِي،
الأَوْحَدِي، الأَكَلِي، الرَّئِيسِي، العَارِفِي، المَقْرَبِي، الخَوَاجِكِي، الشَّمِيسِي، مُحَمَّدُ
الإِسْلَام والمُسلمين، شَرُفُ الأَكابر في العالمين، أَوْحُدُ الأَمناء المَقْرَبين، صَدْرُ
الرُّؤساء، رَأْسُ الصُّدُور، عَيْنُ الأَعْيَان، كَبِيرُ الخَوَاجِكِيه، سَفِيرُ الدَّولَه، مَوْثِقُ
المُلُوك والسُّلاطين: مُحَمَّدُ بن المَرْزُوق، عَيْنُ الخَوَاجِكِيه بالْمَمْلَكَة الشَّرِيفَة الشَّامِيَة المَحْرُوسَة
- أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - بِمَا يَجِبُ طِيه من الحقوق الدِّيوانِيَة بالطَّرَافَتِ المِصْرِيَة،
وجَمِيعِ البلاد الشَّامِيَة المَحْرُوسَة والرِّكَاة بِدَمَشْق، وَحَلَب، وَطَرَابُلُس، وَحِمَاة،
وَصَفَد، وَغَزَّة، وَحَمَص، وَبَلْبَك المَحْرُوسَات، وَالبُرُوك، وَالمَقْطَعين، وَقَطَا،
بِمَا يَبِيعُهُ وَيَتَاعَهُ وَيَتَوَضُّعُهُ من جَمِيعِ الأصْنَاف خِلا المُنَوَّعَات صَادِرًا وَوَارِدًا،
وَيُتَمَنُّ طِيه بِقِيَمَةِ مَا يَشْتَرِيهِ بِمَا مَبْلَغُهُ من الدَّرَاهِمِ الثَّقَرَة الجَيِّدَة مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ،
وَلَا يُطَالَبُ عَنْ ذَلِكَ بِحَقٍّ من الحقوق وَلَا بِمَقْتَرٍ من المَقْتَرَات، مَسَاعِدَة بَاقِيَة
مُسْتَمَرَّة، دَائِمَة أَبَدًا مُسْتَقِرَّة، لَا يَنْقُصُ حُكْمُهَا، وَلَا يَغْيَرُ رَحْمَتُهَا، لِحُدُوثِ الدُّوَلِ
عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَلِبَالِغَتِهَا فِي التَّقَرُّبِ بِمَا يُرِضِي الخَوَاطِرَ الكَرِيمَة وَيَنْفَعُ النَّاسَ بِمَا
يُحْضِرُهُ من أُنْوَاعِ المُتَاجِرِ وَأَصْنَافِهَا، وَلَا مُسْتَحَاقَّهُ لِهَذَا الإِنْعَام، وَلَا مُخْتَصِمَهُ بِهِ
دُونَ الخَاصِّ والعَامِ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْحَدِّ وَالْإِهْتِمَالِ، وَاقِهِ تَعَالَى يُلْغِيهِ من مَزِيدِ إِنْعَامِنَا أَلَمَالٍ، وَالْإِعْتِنَادِ
فِي مَسْنَاهُ، عَلَى الخَطِّ الكَرِيمِ أَعْلَاهُ . إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة السادسة

(فيما يكتب من الإطلاقات : إما تقريراً لما قرره غيره من الملوك السابقة ، وإما ابتداءً لتقرير ما لم يكن مقرراً قبلاً ، وإما زيادةً على ما هو مقرّر ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب فى قطع التثنية مفتتحاً بالحمد لله ، وهو أعلاها)

وهذه نسخة توقيع شريف باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالديار المصرية للعمريين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتبت به فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله الذى أبدأ الجميل وأعاده ، وأجرى تكريمنا على أجل طاعه ، وقضى بنا آثار الذين أحسنوا الحسنى وزادته .

نحمده على أن جعل جودنا المقتم وإن تأثر أياما ، والمطيب لذكر من تقيم حتى كأنما حاله مثل الميك ختاماً ، والصيب الذى تقيم من بواخر النيت قطر ثم استهل هو تحاماً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرفع أعلامها ونمنع أن تطمس الليالى لمن جاهد عليها من ملوك الزمان أعلاماً ، ونشهد أن سيدنا محمداً

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي هَدَىٰ بِهِ إِلَىٰ أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَتَحَبَّهِ
الَّذِينَ تَحُفُّوا مِنَ الْأَرْضِ مَا وَعَدَ أَنَّهُ سَيُلَاحِظُكَ أُمَّتُهُ إِلَىٰ مَا زُوِيَ مِنْ ذَلِكَ ، وَاسْلَمَ .
وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّعَمِ مَا قُرِنَ بِالْإِدَامَةِ ، وَأَعْظَمَ الْأَجُورِ [أَجْرٌ] مِنْ مَنِّ سَنَةٍ
[حَسَنَةٍ] فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَحْسَنَ الْحَسَنَاتِ مَا رَغِبْتَ
السَّلَفَ الصَّالِحَ فِي خَلْفِهِمْ ، وَأَسْرَتْ بِأَيْلِهِمْ مَا حَازُوهُ مِنْ مِيرَاثِ سَلَفِهِمْ ، وَكَانَ الْمَوْلَى
الشَّهِيدَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلاَحَ الدِّينِ ، مَقْعَدُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، أَبُو الْمُنْظَرِ
يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ - قُدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ قُرَاعِدِ الْمُعَرِّثِينَ بَانِيَا ،
وَالْفَاتِحِ لِكَثِيرٍ مِنْ فُتُوحَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَوْنًا ثَانِيًا ؛
وَلَمَّا أَمَلَ اللَّهُ بِمَصْرَدِ لِقَائِهِ الْمُتَّيَّهِ ، وَحَا بِه مِنْ الْبَدْعِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ عَظَائِمَ كَثِيرَةً ،
حَقَّسَ نَاحِيَةَ « شَبَاسِ الْمَلْعِ » وَمَا مَعَهَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِجَدِّهِ وَحُدُودِهِ وَقَرِيْبِهِ وَبَعِيدِهِ ،
وَوَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ ، وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، عَلَى الْمُقِيمِينَ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنَ الذَّرِّيَةِ الْعُمَرِيَّةِ ،
كَأَنَّ قَالَهُ فِي تَوْقِيْعِهِ الشَّرِيفِ الْمَكْتُوبِ بِالْخَطِّ الْقَاضِلِ عَمَرُ الْأَوَّلِ ، وَأَقْنَىٰ بِهِدَاهُ بَعْدَهُ
مِنْ إِخْوَانِنَا الصَّالِحِينَ مَلُوكِ الْإِسْلَامِ ، بِخُذْنَاهَا لَمْ هَذَا التَّوْقِيْعَ الشَّرِيفَ تَبَرُّكًا بِالشَّارِكَةِ
وَأَسْتَدْرَاكِ مَا فَتَا مَعَ سَلَفِهِمْ الْكَرِيمِ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ أَعْقَابِهِمْ . وَمَرَسُونَا أَنْ يُحْمَلُوا
عَلَىٰ حَكْمِ التَّوْقِيْعِ الشَّرِيفِ الصَّالِحِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ تَوَاقِيْعِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ ، وَلَا يُغَيَّرَ
عَلَيْهِمْ فِيهِ مُغَيَّرٌ مِنْ عَوَائِدِ الْإِكْرَامِ ، وَلَا يُقْبَلُ فِيهِمْ قَوْلٌ مُعْتَرِضٌ وَلَا تَتَوَضَّعُ إِلَيْهِمْ يَدٌ
مُنْتَرِضٌ ، وَلَا يُنْفَسَحُ فِيهِمْ لِمُسْتَعِصٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ رَافِضًا فَإِنَّهُ يَرْفُضُ حَقَّهُمْ مُتَرَفِّضٌ ،
وَلِيُعَامِلَ اللَّهُ فِيهِمْ بِمَا يَزِيدُ جَلَّتْهُمْ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ رِضًا ، وَيُحَسِّسُ تَحِيَّسًا ثَانِيًا أَوْلَانَا
لِقَبْلِ لِمَنْ يُطَالِبُ بِهَا كَيْفَ تُطَالَبُ بِشَيْءٍ مَضَىٰ مَعَ مَنْ مَضَىٰ ، وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ
مِمَّنْ سَعَىٰ فِي قَفْضِهَا بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ مَدَّ فِيهَا إِلَىٰ تَحْبِ بَابٍ ، أَوْ تَأَوَّلَ فِي حَكْمِ
هَذَا الْكَلْبِ عَلَيْهِمْ وَقَدْ وَافَقَ حُكْمُ جَلَّتْهُمْ حَكْمَ الْكِتَابِ ، وَأَنْ لَا يُقَسَّمُ شَيْءٌ مِنْ رَنِغِ

هذه الناحية على غير المقيمين منهم بالحرمين الشريفين . ومن خاف على نفسه في المقام فيهما من كان في أحدهما ثم فارقته على عزيم السوء إلى مكانه ، وأقام وله حنين إلى أوطانه ، ولم يُلْهِهِ استبدال أرض بأرض وجيران بجيران عن أرضه وجيرانه ، إتباعا لشرطها الأول بمثله ، وأتباعا فيها (٩) فاز مع السابقين الأولين بمزيد فضله .

وليكن النظر فيه لأمثل هذا البيت من المستحقين لهذا الخُص كإبراهيم عن كابر ، ناظرا بعد ناظر ، أتباعا للراد الكريم الصلّاحي في مرسومه المقدم ، وتفسيراً لمن لا يفهم ، من غير مشاركة معهم لأحد من الحكام ، لا أرباب السيوف ولا أرباب الأقلام : لنكون نحن ومحبتنا - أثابه الله على هذه الحسنة - متناصرين ، ولتجد البقية التي قد ناصرها ناصرين الناصر الأول منهما بناصرين ، وليحذر من تتبع عليهم تأويل ، ومن وجد في قلبه مرضاً فاعلمهم به تعليلاً ، فإكتبناه لتأويل حصل عليهم ، ولا لتعليل المراسيم المملوكية التي هي في يديهم ، وإنما هو بمثابة إيجال أقصّل من حاكم إلى حاكم ، وسيف جندنا تقليده ليضرب به على يد الظالم ، وجُود أصلنا من يبيء أنه على مدى الليالي والأيام ضرب لازم ، وفضل إن تهتسا إليه من المملوك الكرام حاتم ، فإن كرمنا عليه خاتم ، فقد نهوا رحمهم الله مكافأة على إحسانهم إلى الذرية العمرية عمرًا ، ثم ماتوا وأحالوا على جُودنا الحمدي فلهم بركات من تُميّنا باسمه صلى الله عليه وسلم لأنواع الحسنات أسرا . فكان توقعتنا هذا لم بمقالة الخاتمة الصالحة ، والرحمة التي أربّت أوائلها على التيوث السالفة ، فقد تداركنا رفق ربهم المثل ، ولحقنا سابق معروفهم فلم نتمهل ، وأعنا ما بدأوا به من الجليل فكل ، وقرنا مراسمتنا المطامة بعضها ببعض وربما زاد الآخر على الأول ، فامتدناها منه بما لو لم يكن مدله أعز من سواد القلب والبصر لما كان قوة عين لمن يتأمل : ليرفع عن هذه الناحية وعمر فيها كل كارث كارث ، ويُرَال عنهم إلا ما يكون من مجتذات

الخير خيرٌ حادث، ويعلم الملكان المتقدمان أماناً أن تُعزَّز بثالث . وجميع الثواب والولاية والمتصرفين، والمسارعين إلى الخيرات ونعوذُ بالله من المتوقِّفين، ومن يدخلُ في دائرة الأعمال، وينضمُّ إلى راية الثَّعال، فانا نُحذِّره أن يتعرَّض فيها إلى سوء مآل، أو يردَّ منها يَدَه إلى جيبه ببال، أو يُسَوِّش على أهلها ما استقاموا على أحسن حال، وإن يحمِّد الله من هتَمَّتْنا من الملوك وأتبعوا فيه التوفيق في علاماتهم لئلا نحمده وهو أَمَلُّنا ولنا في القُيُبِ آمال، واقه تعالى يجعل هذه الحسنة خالصة لوجهه الكريم، معوضةً منه بالثواب العظيم، واصله بالرحمة لريم هذا البيت القديم، إن شاء الله تعالى، والاعتقاد

المرتبة الثانية

(ما يُفتتح به ما بعد حمد الله)

وهو على نحو ما تقدَّم في الولايات : إما في قطع الثلث أو في العادة المنصورية .
وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أماناً مطلقاً للسَّعادة، وجعل لأوليائها، من إحساننا الحُسنى وزيادته، وأُضنى حُلَّ بهائِها، على من لم يجتمع لغيره ما اجتمع له من أوصاف السَّيَّادة، والصلاة والسلام على سينا عبدِ رسوله الذي شَهِدَ اللهُ به مَبْنَى الدين الحنيفي ورفَّعَ عِمادَه، ونَصَرَ جِيشَ الإسلام ومَهَّدَ مِهادَه، وحلَّ آله وصحبه الذين مامتهم إلا من جعل طاعته ونصرتَه عمدته وأَعْيادَه، واتَّخَذَ مُظَافِرَه ومُؤَاوِزَه في كلِّ أمرٍ عاكده، صلاةً مستمرةً على نَرِّ الحديدِ إلى يومِ الشَّهادَةِ - فإنَّ أَوَّلَى من تَلَحَّظَه دولتنا الشريفة في أقبالها بزيد إقبالها، وتعلَّي قدره إلى غاية

تَقْصُرُ الْأَفْلاكُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنَارِهَا وَبَعْدَ مَنَاطِلِهَا ، وَتَضَاعِفُ لَهُ أَسْبَابَ الْإِحْسَانِ
 مِنْ حُسْنِ نَظَرِهَا وَاشْتِمَائِهَا ، وَتُسَيِّدُ مَبَانِي عِزِّهِ فَلَا تَصِلُ بِذَلِكَ الزَّمَنُ إِلَى بَعْضِ
 تَصَرُّفِهَا ، وَتُسَيِّغُ مَلَابِسَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَيَخْتَلُ فِي أَضْفَاها وَمُعَلِّمِهَا ، وَتُجَنِّدُ مِنْ مَزَايَا
 جُودِهَا مَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَزْأَ عَمَّا أَسْلَفَهُ مِنْ خِدْمِهَا - مَنْ نَظَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهَا
 الْمَنْصُورَةِ فَاحْسَنَ النَّظَرَ ، وَعَضَّدَ أَنْصَارَهَا بِآرَائِهِ الَّتِي تُثْرِقُ بِهَا وَجُوهُ الْأَيَّامِ إِشْرَاقَ
 الدَّرَارِيِّ وَالذَّرَرِ ، وَأَسْمَى وَلَهُ فِي الْعِلْيَاءِ الْمَحَلَّ الْأَيْمِلَ ، وَالْمُنَاقِبُ الَّتِي هِيَ كَالنَّهَارِ
 لَا تَخْتَلِجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَالسِّيَادَةُ الَّتِي تَكُونُ الزَّمَنَ حُلَّ الْبَهَاءِ فَيَجْرُ مِنْهَا عَلَى الْحَجَرَةِ ذِيلاً
 ضَافِياً ، وَالْمَآثِرُ الَّتِي لَوْلَا مَا أَحْيَيْتَهُ مِنْ مَعَالِمِ الرِّيَاسَةِ كَانَ طَلَلًا مَا فَيَا ، مَعَ مَا لَهُ مِنْ
 الْحَقُوقِ الَّتِي تَسْكُوها الْأَيَّامُ وَالنُّوَلُ ، وَالْخَلْدُ الَّتِي كَمْ بَلَغَ بِخَالِصَتِهِ فِيهَا مِنْ قَصْدٍ وَأَمَلٍ ،
 وَالسَّجَايَا الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ عَلَيْهَا حُلَّالًا مِنَ الثَّوْبِ وَجَنَّتْهَا مِنْهُ فِي أَهْمِ الْحُلَّالِ .

وَلِمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي تَحُلِّيَ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ بِدَرَةِ الثَّمِينِ ، وَتَلْقَى رَايَةَ هَذَا الْمَجْدِ
 كَمَا تَلْقَاهَا عَرَابُهُ بِالْيَمِينِ ، وَتَتَضَعُ كَوَاكِبُ هَذَا الْمَدْحِ لِنَتِظَمِ سِلْكَ الْمَآثِرِ ،
 وَأَتَسَقِّتُ فَرَائِدَ هَذَا الشُّكْرِ لَتُرْصَعَ عَقُودًا لِمَفَاحِرِهِ - وَجِبَ طِينًا أَنْ تُجَدِّدَ لَهُ فِي إِيْمَانَا
 مَا تَضَاعَفَ بِهِ أَسْبَابُ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَتَحَقِّقَ مِنْهُ إِقْبَالَنا بِوَجْهِهِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ .

فَلْيَلِكْ رِسْمُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِلْمِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ
 حُلَّ آيَاتِهِ ، وَأَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ بِوُجُودِهِ رَوَاقِي بَهَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ فِي الشَّهْرِ
 كَذَا وَكَذَا مُضَافًا إِلَى ضَرْبِ ذَلِكَ مِنْ لَحْمٍ وَتَوَائِلٍ وَعَلِيقٍ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدُّيُونُ الْمَعْمُورُ
 إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، فَلْيَتَأَقَّ إِحْسَانُنَا بِيَدِ اسْتِحْقَاقِهَا فِي الْفَضْلِ بَاعٍ شَدِيدٍ ، وَرَبِّقْ
 مِنَّا بِالْإِقْبَالِ الَّذِي لَا يَزَالُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ ثَابِتٌ وَزَيْدٌ ، وَيَتَأَوَّلُ مَا قُرِّرَ بِاسْمِهِ
 فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ تَارِيخِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(مما يكتب به في الاطلاقات) .

أن يكتب في قطع العادة مفتحا برسم بالأمر الشريف ، والرسم فيه على نحو ما تقدم في الولايات ، وهو أن يقال : « رسم بالأمر لا زال أن يستقر باسم فلان كذا وكذا : لأنه كذا وكذا » ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع شريف بموتب على الفرج الجرجان الواردين لزيارة القدس أنشأه لشرف الدين قاسم ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال عدله الشريف لئال الله بين ذوي الاستحقاق قاسما ، وفضله العميم لأولى الفضل في سلك الصلوات فاعلا ، ومعروفه المعروف لمواقع البر يؤتم علما وسيت غانما - أن يستقر مجلس القاضي فلان الدين على الفرج الجرجان الواردين لزيارة رئاسة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما اشتعل عليه : من مئين العلم ومئين العمل وبجمل السيرة ، واجتمع لديه : من طيب الذكر وبجمل الآخر وصفو السيرة ، وإقامته بالمسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها ، وإحدى القبتين المعول في أول الإسلام عليها ، ومجاورة الصخرة المعظمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرمة ، وقيامه بما يجب من الطاعة لنفوسنا القاهرة ، والابتهاال إلى الله تعالى بدوام أيماننا الزاهره .

فلتتناول هذا المعلوم مهتأ مبسرا ، وليرجع من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهرها ، وليشتهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويرميهم بسهام الليل التي لا تحصى إن شاء الله تعالى الطغاة المتمردين ، فبذلك يستحق هذا السهم من الله حقا ، ويمد من المقاتلة النائيين عن الإسلام صدقا ، وليتم على جادة

الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك برياً ، وضايف هو ومثله إنساناً بالشكر
يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنيئاً مريئاً ، وانلطف الشريف أعلامه



وهذه نسخة توقيع شريف أيضاً أنشأته باسم بهاء الدين أبي بكر بن غانم كاتب
الذمت الشريف بالشام المحروس باستمرار مرتبه على القرنج الجرحان الواردين الى
نقر الرملة المحروس ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسان كرمه يزين بهاء حسنه المكارم ، وكرم
إحسانه تراكم محائبه الهاميه قترى بالسيول وتهزأ بالفتائم ، وقء نواله يقيم
في أولياتنا خلفاً بعد سلف فهم من فضله بين غانم وأبن غانم - أن يستقر مرتب
المجلس السامى (١)

(١) لم يذكر الطرف الثاني وهو ما يكتب عن التراب فتهب .

الباب الثالث

من المقالة السادسة في الطرخانيات

والمرادُ بها أن يصيرَ الشخصُ مسموحاً له بالخدمِ السلطانية : يُقيم حيثُ شاء ،
ويرتَحِل متى شاء : تارةً بمعلوم يتناولُه جَنَاناً، وتارةً بغير معلوم، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في طَرخانيَّات أربابِ السُّيوف

وأعلمُ أنَّ الطرخانية تُكتبُ للأمرءِ تارةً وللأجنادِ أُخرى، وأكثرُ ما يُكتبُ
لمن كَثُرَتْ سِنُهُ وضَعُفَتْ قُدْرَتُهُ وَتَجَزَّعَ عنِ الخدمةِ السلطانية .
وقد جرتِ العادةُ أن يسمَّى ما يكتبُ فيها مراسيمٌ، وهى على ثلاثِ مراتبٍ :

المرتبة الأولى

(أن يُفتَحَ المرسومُ المكتتبُ في ذلك بالحمد لله)

والرسمُ فيه على نحوِ من الولاياتِ : وهو أن تُستوفى الخطبةُ إلى آخرها، ثم يقالُ :
وبسَّ، ثم يقالُ : ولما كان فلانٌ ونحو ذلك، ثم يقالُ : أفتضى رأينا الشريفُ،
ثم يقالُ : فلذلك رُسمَ بالأمر الشريف أن يستقرَّ فلانٌ طرخاناً يتصرفُ على اختياره
يسيرُ ويقيمُ في أىِّ مكان اختاره من بلاد المملكة، وما يجرى مجرى ذلك .

وهذه نسخة مرسوم شريف بطرخانيةٍ لأبيهم، وهى :

الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقهِ، المانِّ بفضله الغامرِ بِجوده الجائِدِ بِرِزقه،
المتفضلِ على العبدِ : في الصَّبَا بِصَفْحِهِ وفي الكُهولةِ بِعَفْوِهِ وفي الشَيْخُوخةِ بِمَنْقِهِ .

نحمدُه على أن جَلَبْنَا على أصطناع الصنائع، وَخَصَّنَا برَفْعِ العوائق وَقَطْعِ القَوَاطِعِ،
وَأَلَمَّنَا عَطْفَ النَّسَقِ وَإِنْ كَثُرَتْ بِمَا سِوَاهِ التَّوَابِعِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةُ تُسَكِّنُ الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِ قَائِلِهَا، وَتَرْفَعُ سَطْوَةَ النَّضَبِ عَنْ مَتَابِعِهَا
فِي أَوَائِرِ السَّطْوَةِ وَأَوَائِلِهَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عِمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ أَوَمَدٍ
فَعَقًا، وَأَكْرَمُ رَسُولٍ وَعَدَ فَوْقَ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا
فِي الْمَعْرُوفِ سَنَنَهُ، وَنَهَجُوا فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ نَهْجَهُ فَكَانَ لَهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ
حَسَنَةً، صَلَاحٌ يُحِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَتَتَلَوِي لِسَانُ قَبُولِهِ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ)
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنْ أَوَّلَى مَنْ رَمَقَتْهُ المَراحِمُ الشَّرِيفَةُ، بَيْنَ عَيْنَيْهَا، وَلِحَفْظَةِ الْعَوَاطِفِ
الْمُنِيفَةِ، يَلْعَظُ رِطَابَهَا، ^(١) مَا لَا يُخَارِقُهُ وَلَا يُبَايِنُ، وَأَنْ لَا يُحِطَّ مِنْ قَدَرِهِ الْعَالِي
بَسَبِّ مَا أَتَقَى إِذْ كُلُّ مُقَدَّرٍ كَائِنٌ، وَأَنْ يُصَرَّفَ اخْتِيَارُهُ فِي الْإِقَامَةِ حَيْثُ شَاءَ مِنْ
الْمَمَالِكِ الْمَهْرُومَةِ وَالْمَلَأَنِ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مِنْ شَيْمِهِ السَّاحِجِ ، وَمَنْ كَرِهَ بُلُوغُ النِّجَا
وَالنَّجَاحِ، وَمَنْ نَعِمَ الصَّفْحُ عَنِ الذَّنْبِ الْمُتَسَاحِ ، حَتَّى يَحْفَظَ عَلَى الْأَقْبَسِ النَفِيسَةِ
الْأَمْوَالَ وَيُرِيحَ لَهَا الْأَرْوَاحَ، [وَلَا يَرْجُو] ^(٢) مِنْ قِسْمَةِ الْمَكْرَمَاتِ مَا يُعْلَى بِهِ الذَّنْبُ
فَكَأَنَّهُ كَانَ بَرَقًا أَوْ مِضَ وَلَجَ وَرَاحَ - أَنْ يَكُونَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ طَرَحًا يُقِيمُ حَيْثُ شَاءَ
وَأَيْنَ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَةِ الْمَهْرُومَةِ مُعَامَلًا بِمَزِيدِ الْإِكْرَامِ وَالْإِحْقَامِ ، وَأَوْقَرَ
الْعَنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ حَسَبَ مَا أَتَقَضَتْهُ الْمَرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَا شِئِلَتْهُ الصَّدَقَاتُ
الْعَمِيمَةُ وَالْمَرَاحِمُ الشَّامِلَةُ بِالْعَفْوِ الشَّرِيفِ ، وَالْحُكْمُ الْمُنِيفِ ، وَالْإِحْقَالُ وَالرِّضَا ،

(١) يابض في الأصل ولله «من أهله اخلاصه في الخدم لأن يقوم مقام الخ» .

(٢) زدنا هذه الجملة ليعنى الكلام .

والصّبح عَمَّا مَضَى، لما رأيناه من تَرْفِيفِ خاطره، وقرّار قلبه برفع التكليف عنه وقرّة ناضره . ولما تخلّقت به أخلاقنا، من التّيمّن الذي ألّهسه أنواب الأمان، وجبّلت عليه طباعنا، من الرّأفة والرحمة والراحون يرحمهم الرّحمن؛ ولما مهّده له عندنا اعترافه الذي هو له في الحقيقة أقوى شفاعه، ولما تحقّقناه من أنه لم يفعل ذلك الا لوفور الطاعة التي أوجبّت له الإرهاب إذ المّرب من الملوك طاعه، وكيف لا وقد تيقّن تحفّظنا الشريف وعلم، وخشيّ مهايبتنا الشريفة ومنّ خاف سلّم .

فابتغى صدود هذه المنّ التي طوّقت جيده الجود، وليشكرّ مواقع هذا الحلم الذي سرّ وسار كالمثل السائر في الوجود، وليقايّل هذا الإقبال بالدعاء لأيماننا الزاهره، وليحفظ بمواهبنا العميمة وصّدقاتنا الباهره، وليحفظ علما بأن إحساننا العميم قد أعاد إليه ما ألّفه من الإسعاد والإصعاد، وأنّ صفحتنا الشريف قد أضرب عمّا مضى والماضى لأبعاد، فليقيم حيث شاء من البلاد المحروسة، متقيّاً ظلال مواهبنا التي يقدو ومراثره بها مأنوسه، وارداً بحار عطايانا الزاهره، ممتعاً بلباس رضانا الفاهره، طيب القلب منهبط الأمل، منشّرح الصدر بما عمّه من الإنعام وتتملّ، مريعي الجناب في كل مكان، معظّم القدر على توالي الأزمان، متهبجا بعمد ما عرّض من ذلك التقطيب، مستبشرا بإقبالنا الذي يلدّه به عيشه وطيب، والله تعالى يُديم له عوارفتنا المطلقة، وغمائم كرمنا المُسدّقه، ومواهبنا التي انتشرت له في كلّ قطر فهي لأنواع المطايا مستغريقه، ومنّتنا التي تسير معه حيناً ساروهم لذيّه أنى أقام فلا تزالّ عنده نجمة في الأماكن المتفرّقه، والاعتداد على الخط الشريف أعلامه الله تعالى أعلامه .

المرتبة الثانية

(أن يفتح مرسوم الطرخانية به «أما بعد»)

والرسم فيه كما في الولايات أيضا يقال فيه [أما بعد] فإن كذا وكذا؛ ثم يقال :
ولما كانت كذا وكذا ، اقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : وللك رسم بالامر
الشريف ، ويكمل عليه .

وهذه نسخة مرسوم من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي أوزعنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، والآية
التي ألهمتنا بالتخفيف عن برئته أقرآن محامده بذكرها ، ومِنَنِهِ التي وفق بها دولتنا
الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجزته بفكرها ، وأحق ما أمرته
بذكرها . والصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح سُبُلَ المعروف ، وشرح سَنَنَ
السُّلُوكِ المألوف ، ووصفه الله تعالى بالرأفة والرحمة فيه يقتدى كل رحيم وبه ياتم كل
رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكه ، وقربوا مآل الفضل
لأخذه ، وابتوا الحيف والإسقاط لتاركه . فإن الله تعالى خص أياما الزاهرة
بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان ، وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد
النعم الحسان ، فلا تزال تُنمِ النظم في أمورهم ، ويُفيض طم إحساننا على خاصهم
ومُهمومهم ، ليناموا من عدلنا في مهاد الدعة ، ويبيت ضيعتهم من مراحنا الشريفة
في أتم رأفة وفقيرهم في أوفر سعة .

ولما كان فلان ممن توفّر في الخلد الشريفة قسمه ، وكثّر في الطاعة سنّه ووعنه
عظمه ، وعجزت عن الركوب والتروك حركته ؛ وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن
تلتبس بركته . اقتضى حسن الرأي الشريف أن يُضاعف إليه الإحسان ، ويُعامل
بوافر البرّ وجزيل الأمتنان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُوالى المنّ، ويُولى الأولياء من المعروف كلّ جميل حسن - أن يستقرّ المذكور طرخاناً لا يُطلب لخدمة في نهار ولا ليل ، ولا يُلزم بالقيام بترك^(١) ولا خيل ، فليُمنَصّ حكم هذه الطرخانية لاسأؤل السنة الأقالام في نفسه ، ولا تتطرق أوهام الإفهام إلى أعراض ما ثبت من إعفائه بتقصيه ولا تقصيه ، وسيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه ، والالتناء إلى حله وأتباع رثمه ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة السادسة

(فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقالام)

وهو قليل نادر قل أن يكتب ، وإذا كتب فنائب ما يفتح برسم ، ويسمى ما يكتب فيه تواقع .

وهذه نسخة طرخانية كُتبت بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضي قطب الدين بن المكرم أحد كتّاب الدرج الشريف بالأبواب الشريفة ، عند إقامته بالبحار الشريف ، بأن يستقرّ طرخاناً ينصف معلومه الذي كان له على كتابة الدرج الشريف وأن يقيم حيث شاء ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يأمر قِطاع ، ويصل فيعين على الاقتطاع ، ويرى على اقتراح الآمل جوده المكر المكرم فالآمل يقترح ما أستطاع - أن يستقر للجلس السامى القضائى فلان بن المكرم تقع الله به من معلومه عن كتابة الدرج

(١) الترك العطن بالترك وهو ربح صغير .

(٢) لم يذكر المرتبة الثالثة ولعلها ما يفتح برسم بالأمر الشريف .

الشریف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر، على
الأدعية الصالحة لهذه العولة القاهرة، ويُقيم حيث شاء، ثم يستقر ذلك لأولاده
من بعده، ثم لأولاد أولاده بالسوية إمانة له على بلوغ قصده ورضائه، وأستأنه
بمحاضر الجود دون غائبه، وإكراماً لبلانيه، وطالب وجه الله تعالى [يعان] على الفوز
بكنوز مطالبه .

وما كالتسريح بعده عن أبوابنا الشريفة، ولا تجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفه،
لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره منه ولا تصيفه، ولديوان إنشائها جمال بقود
كاتبه العظيمة ومعاين ألفاظه اللطيفة، وإنما لإقباله على الآجله، وإعراضه عن
العاجله، وأستيعاب أوقاته بأداء القريضة والنافله، أسعفتا سؤاله بالإجابة، وأعاد
على الإنابة، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابه، ومن أحسن سبيل من
أخذ لنفسه قبل الحين، ونقص يديه من الدنيا فراخ بالخير مملوء اليدين، فنظر إلى
معاده فأقبل على الله قريراً العين، وما نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المترايدة، والصلوات المائدة، والإحسان إليه وإلى
بنيه جملة واحدة، وليدع لولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً، وحين يقول ناطقاً
وحيث همكر صامتا، وعند فطره من صومه، وفي أعقاب الصلوات في ليلته ويومه،
وليواصل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر موره بتأخير، ويصرف إليه منها لا يشأن
طوله بتقصير، ولا يتوَجَّع إلى عناه وطلب، ولا يلجأ في تناوله إلى كد وتعب، بل
يرفه خاطره عما فاز به من حسن المقلب، والله تعالى يمدّه بتمه وفضله، ويوجب
فرقه ببركة أصله، والخط الشريف أعلاه حجة فيه، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع

من المقالة السادسة

(فما يُكْتَبُ في التوفيق بين السنين الشمسية [والقمرية] المعبر عنه في زماننا
بتحويل السنين، وما يُكْتَبُ في التذاكر، وفيه فصلان)

الفصل الأول

[فَمَا يُكْتَبُ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ السَّنِينَ ، وَفِيهِ طَرَفَانِ]

الطرف الأول^(١)

(في بيان أصل ذلك)

اعلم أنَّ استحقاق الخراج [و] جبايته منوطان بالزروع والتَّار من حيث إن الخراج
من متحصِّل ذلك يُؤخَذ، والزروع والتَّار منوطة بالشهور والسنين الشمسية من
حيث إن كل نوع منها يظهر في وقت من أوقاتها ملازم له لا يتحوَّل عنه ولا يتقلَّل
للزوم كل شهر منها وقتاً يعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع، واستخراج
الخراج في المِلَّة الإسلامية منوطٌ بتاريخ الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام، وشهوهُ وسنُوهُ عربية . والشهور العربية تتقلَّل من وقت إلى وقت،
فربما كان استحقاق الخراج في أوَّل سنة من السنين العربية، ثم تراخى الحال فيه
إلى أن صار استحقاقه في أواخرها، ثم تراخى حتَّى صار في السنة الثانية فيصير الخراج
منسوباً للسنة السابقة، واستحقاقه في السنة اللاحقة، فيحتاج حينئذ إلى تحويل
السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها على ما سيأتي ذكره .

(١) الزيادة مأخوذة مما ساقى له من النسخ .

قال في "موادّ اليان" : والسبب في استخراج ما بين السنين الشمسية والملاية أن أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة ، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما ودُج يوم بالتقريب حسب ما تُوجبه حركتها ، وأيام السنة الملاية هي المدة التي يقطع القمر الفلك فيها اثنتي عشرة دفعة ، وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما ومُدس يوم ، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوما ومُدس يوم ، فتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الملاية في كل ثلاث سنين شهرا واحدا وثلاثة أيام ونصف يوم تقريبا . وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة بالتقريب ، فلذا مادت الزمان تفاوت ما بين السنين غلوتا قبيحا ، فيرى السلطان عند ذلك أن ثقل السنة الشمسية إلى السنة الملاية بالاسم دون الحقيقة توفيقا بينهما ، وإزالة للشبهة في أمرها ، ومتى أوعز بذلك لم يقف على القرض فيه إلا الخاصة دون العامة ، وأسرع إلى طرد المعلمين وأرباب الخراج والأُملاك أن ذلك عائد عليهم بظلم وحيف ، وإلى ظن مسيحي الإقطاع أنه متقص لهم ، ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك وشتموا عليه ، فرسم بلفاء الكتاب في هذا المعنى رؤسوا تعود بتفهيم الغبي ، وتبصير العمي ، وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالا يساوون في تصديقه وتيقنه ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه .

قلت : وقد ذكر أبو هلال العسكري في الأوائل : أن أول من أضر التوروز المتوكل على الله أحد خلفاء بني العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف في متعبه له إذ رأى زُرعا أخضر ، فقال : قد استأذني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر ، فقيل له : إن جباية الخراج الآن قد تضر بالناس إذ تلجئهم إلى أنهم يقرضون ما يؤثرون في الخراج ، فقال : لهذا شيء حدث أو لم يزل كذا ، فقيل له : بل حدث ، وعرف أن الشمس تهبط الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوما ودُج يوم ،

وَأَنَّ الرُّومَ تَكُونُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ سِنِينَ يَوْمًا يَطْرَحُونَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيَجْعَلُونَ شَبَاطَ ثَلَاثِ سِنِينَ مُتَوَالِيَاتٍ ثَمَانِيَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَتَّخِذُونَ مِنْ ذَلِكَ الرَّبْعِ الْيَوْمَ يَوْمًا تَامًا ، فَيَصِيرُ شَبَاطُ ثَمَانِيَةٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ، وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ السَّنَةَ الْكَيْسَةَ . وَكَانَتِ الْفَرَسُ تَكُونُ لِلْفُضْلِ الَّذِي بَيْنَ سِنِيهَا وَبَيْنَ سَنَةِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مِائَةٍ وَبِئْسَ عَشْرَةٌ سَنَةً شَهْرًا ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ عَطَّلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَاضِرٌ بِالنَّاسِ ذَلِكَ ؛ وَجَاءَ زَيْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَ الدَّهَاقَةُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَشَرَحُوا لَهُ ذَلِكَ (وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَاضِرٌ بِالنَّاسِ ذَلِكَ) ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَنِّسَ إِلَيْهِ [فَارِسًا] الْكُتُبِ إِلَى هِشَامٍ مَرًّا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّشِيدِ اجْتَمَعُوا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي تَأْخِيرِ التَّيْرُوزِ نَحْوَ شَهْرٍ فَنَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ وَقَالُوا : تَعَصَّبَ لِلْمَجُوسِيَّةِ ، فَاضْرَبْ عَنْهُ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ؛ فَاحْضَرِ الْمُتَوَكِّلُ حِينَئِذٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا فِي تَأْخِيرِ التَّيْرُوزِ بَعْدَ أَنْ تُحْسَبَ الْأَيَّامُ ، فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنْ يُؤَنِّسَ إِلَى سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ حَزِيرَانَ ، فَكُتِبَ الْكِتَابُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي رِسَالَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قِيلَ الْمُتَوَكِّلُ قَبْلَ دُخُولِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَوَلَّى الْمُتَنَصِّرُ وَاحْتِجَّ إِلَى الْمَالِ فَطُلُوبُ بِهِ النَّاسِ عَلَى الرِّمِّ الْأَوَّلِ ، وَانْتَقَضَ مَارِسَتُهُ الْمُتَوَكِّلَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَتَّى وَلَّى الْمُعْتَصِدُ ، فَقَالَ لِعَلَى بْنِ يَحْيَى الْمُنَجِّمِ : نَدُّكَ خَبِيرٌ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الْخِرَاجِ فَكَيْفَ جَعَلْتَ الْفَرَسَ مَعَ حِكْمَتِهَا وَحُسْنِ سِيرَتِهَا أَفْتَتَاحَ الْخِرَاجِ فِي وَقْتٍ مَالًا يَتِمَّكُنُ النَّاسُ مِنْ أَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَجَرَحَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَقَالَ :

(١) لعل ما بين القوسين مكرور من ظم الناصح .

(٢) يياض في الأصل بقدر كلمة .

يُنْبِئُ أَنْ يُرَدَّ إِلَى وَقْتِهِ، وَيَكُونُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الرُّومِ فَلَا يَقَعُ فِيهِ تَغْيِيرٌ، فَقَالَ لَهُ الْمُتَضَدُّ
سِرًّا إِلَى عِيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَصُرَتْ إِلَيْهِ وَوَاقَعَتْهُ، وَحَسَبْنَا حَسَابَهُ
فَوَقَعَ فِي الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ حَزْرِيَّانَ، فَأُحْكِمَ أَمْرَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَأُثْبِتَ فِي الدَّوَابِّ،
وَكَانَ التَّيْرُورُ الْفَارِسِيُّ إِذْ ذَاكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاحِدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةً
أَثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَمِنْ شَهْرِ الرُّومِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ .

وقد قال أبو الحسين علي بن الحسين الكاتب رحمه الله : عَهْدْتُ جَابِيَةَ الْخُرَاجِ
فِي سِتِّينَ قَبْلَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ تَجَرُّى لِكُلِّ سَنَةٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي بَسَلَهَا بِسَبَبِ تَأَثُّرِ الشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ عَنِ الشُّهُورِ
الْقَمَرِيَّةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا وَرُبْعَ يَوْمٍ وَزِيَادَةُ الْكُسْرِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ
سَنَةُ أَثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، كَانَ قَدْ أَقْضَى مِنَ السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ
سَنَةً، أَوَّلَهَا سَنَةُ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ،
وَأَجْتَمَعَ مِنْ هَذَا الْمُتَأَثَّرِ فِيهَا أَيَّامُ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ كَامِلَةٍ : وَهِيَ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ يَوْمًا
وَرُبْعَ يَوْمٍ وَزِيَادَةُ الْكُسْرِ، وَتَبَيَّنَ إِدْرَاكُ غَلَاتِ ثَمَانِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ
فِي صَدْرِ سَنَةِ أَثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ [وَمِائَتَيْنِ] ، فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
بِإِلْغَاءِ ذِكْرِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، إِذْ كَانَتْ قَدْ أَقْضَتْ وَنُسِبَ الْخُرَاجُ إِلَى
سَنَةِ أَثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : وَلَمَّا قُتِلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ أَثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، جَاءَ أَصْحَابُ الدَّوَابِّ الْجَوَالِي وَالصَّدَقَاتِ لِسُقَى
إِحْدَى وَأَثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّ الْجَوَالِي بَسُرَ مَنْ رَأَى وَمَدِينَةُ
السَّلَامِ وَمُضَافَاتُهَا كَانَتْ تُجْبَى عَلَى شُهُورِ الْأَهْلَةِ ، وَمَا كَانَ عَنْ جَمَاعِمِ أَهْلِ الْقُرَى

والضِّياع والمستغلات كانت تُجْبَى على شهور الشمس، فَأُزِمَ أَهْلُ الْجَوْلَى خَاصَّةً في مدة الثلاثِ وثلاثين سنةً، ورفَعها الْعَمَالُ في حُصْبَانَتِهِمْ فَاجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ أَلُوفٌ أَلُوفٌ دَرَاهِمٌ، فَخَرَّتِ الْأَعْمَالُ بَعْدَ هَلِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، إِلَى أَنْ انْقَضَتْ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً آخِرَتُهُنَّ أَهْضَاءُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ؛ فَلَمْ يُبْنِهُ كُكَّابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ كَانَ رُؤُسَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ بَلَّالٍ وَبَنِي الْفُرَاتِ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا فِي دِيْوَانِ الْخُرَاجِ وَالضِّيَاعِ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَا كَانَتْ أَسْنَانُهُمْ أَسْنَانًا بَلَفَتْ مَعْرِفَتُهُمْ مَعَهَا هَذَا الْقَلَّ، بَلْ كَانَ مَوْلَدُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ قَبْلَ هَذِهِ السَّنَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَمَوْلَدُ عَلَى أَخِيهِ فِيهَا، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَتَعَلَّمُ فِي جَلِيسٍ لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَنْسَخَ، فَلَمَّا تَقَلَّدَتْ لِنَاصِرِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ الضِّيَاعِ بَقَرَوِينَ وَنَوَاحِيهَا لِسَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ، وَكَانَ مَقِيماً بِأَنْدَرْبِجَانَ، وَخَلِيفَتُهُ بِالْجَبَلِ وَالْقَرَى جَرَادَةَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَتَبَتْهُ، وَاحْتَجَّتْ إِلَى رَفْعِ جَمَاعَتِي إِلَيْهِ - تَرْجُمَتُهَا بِجَمَاعَةٍ [سَنَةِ] سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ [الَّتِي أَدْرَكَتْ غَلَاظَهَا وَغَمَارَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ]، وَوَجِبَ الْإِفَاءُ ذِكْرَ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ؛ فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى هَذِهِ التَّرْجُمَةِ أَنْكَرَاهَا وَسَالَفَا عَنْ السَّبَبِ فِيهَا فَشَرَحْتُهُ لَهَا، وَوَصَّكْتُ ذَلِكَ بِأَنْ عَرَّفَتْهُمَا أَنِّي قَدْ اسْتَخْرَجْتُ حِسَابَ السِّنِّ الشَّمْسِيَّةِ وَالسِّنِّ الْقَمَرِيَّةِ مِنَ الْفَرْدَانِ [بَعْدَ] مَا عَرَضْتُهُ عَلَى أَصْحَابِ التَّفْسِيرِ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَثَرِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ

(١) عبارة القرطبي ج ١ ص ٢٧٦ « وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فأنتم أهل الدنيا خاصة بالجول والرفها الخ » وهي أوضح .

(٢) الزيادة من "المواظظ والاحبار" للقرطبي ج ١ ص ٢٧٦ وقد اعتمدناها في كثير من التصحيح في هذا الموضع .

فُلُطَف استخراجه : وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ شِئِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾ . فلم يجد أحدا من المفسرين عَرَفَ ما معنى 'وازدادوا تسعا' ، وإنما خاطب الله جل وعز نبيه بكلام العرب وما تفرقه من الحساب ؛ فعنى هذه التسع أن الثلاثة كانت شمسية بحساب الحِجَم ومن كان لا يعرف السنين القمرية ، فإذا أُضيف إلى الثلاثة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية [صحيفة] فاستحسنه ؛ فلما انصرف جردة مع الناصر رحمة الله عليه إلى مدينة السلام وتوفي الناصر رضوان الله عليه وتقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان رحمه الله كتابة أمير المؤمنين : المعتضد بالله صلوات الله عليه ، أجرى له جردة ذكر هذا النقل ، وشرح له سببه : تحرياً إليه ، وطعنا على أبي القاسم عبيد الله رحمه الله في تأخير إياه .

فلما وقف المعتضد بالله رحمه الله على ذلك تقدم إلى أبي القاسم بإنشاء الكتاب بنقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، فكتب ، وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ، ثم مضت السنوات سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها : وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن آهضاء سنة سبع وثلاثمائة ، فوافق ذلك خلافة المطيع لله في وزارة أبي محمد المهلبى ، فأمر بنقل سنة ست وثلاثمائة إلى سنة سبع وثلاثمائة ، ونسبة الخراج إليها فتقلت ، وأمر بالكتابة بذلك من ديوان الانشاء فكتب به .

وقد حكى أبو الحسين هلال بن الحسن بن أبي إسحق إبراهيم الصابى عن أبيه أنه قال : لما أراد الوزير أبو محمد المهلبى نقل السنة أمر أبا إسحق والذى وغيّره من كتابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله رحمه الله عليه في هذا المعنى ، وكلّ منهم كتب ، وعرضت النسخ على الوزير أبي محمد فاختر منها كتاب والذى

وَقَدَّمُ بَانَ يُكْتَبُ إِلَى أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ . وَقَالَ لِأَبِي الْفَرَجِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ خَلِيفَتِهِ :
 اكْتُبْ إِلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ كُتُبًا خَفِيفَةً ، وَأَنْسَخْ فِي أَوَّلِهَا [هَا] هَذَا الْكُتَابُ السُّلْطَانِي
 فَحَافِظُ أَبِي الْفَرَجِ وَقَوَّعُ التَّضْوِيلِ وَالْإِخْتِيَارِ لِكُتَابِ الْوَلَدِيِّ ، وَقَدْ كَانَ عَمِلَ نَسْخَةَ
 أَطْرَحَتْ فِي جُمْلَةٍ مَا أَطْرَحَ ، وَكَتَبَ : « قَدْ رَأَيْنَا قَوْلَ سَنَةِ نَحْسِينَ [إِلَى إِحْدَى
 وَنَحْسِينَ] فَاعْمَلْ عَلَى ذَلِكَ » وَلَمْ يَنْسَخِ الْكُتَابُ السُّلْطَانِي ، وَعَرَفَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ
 مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ ، قَالَ لَهُ : لِمَاذَا أَغْفَلْتَ نَسْخَ الْكُتَابِ السُّلْطَانِي فِي آخِرِ الْكُتَابِ
 إِلَى الْعَمَلِ وَإِسْبَاطِهِ فِي الدِّيَوَانِ ؟ فَأَجَابَ جَوَابًا طَوَّلَ فِيهِ ، قَالَ لَهُ يَا أَبَا الْفَرَجِ : مَا تَرَكْتُ
 ذَلِكَ إِلَّا حَسَدًا لِأَبِي إِسْحَاقَ عَلَى كِتَابِهِ ، وَهُوَ وَافِقٌ فِي هَذَا الْقَوْلِ أَكْتُبُ أَهْلَ زَمَانِهِ .

قَالَ صَاحِبُ "الْمَنَاهِجِ فِي صُنْعَةِ الْخِرَاجِ" : وَقَدْ كَانَ قَوْلُ السَّنِينَ فِي الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ
 [أَغْفِلْ]^(٣) حَتَّى كَانَتْ سَنَةٌ تَسَعُ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ الْهَلَالِيَّةُ فَتُكَلِّتُ سَنَةً تَسَعُ وَتَسْعِينَ
 الْخِرَاجِيَّةَ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَنَحْمِئِمِائَةٍ فَيَأْتِيهِ فِي تَعْلِيقَاتِ أَبِي . قَالَ : وَآخِرُ مَا تَكَلَّمْتُ
 السَّنَةَ وَفَقْنَا هَذَا أَنَّ قَوْلَ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَنَحْمِئِمِائَةٍ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ
 وَنَحْمِئِمِائَةٍ الْهَلَالِيَّةِ ، فَتَطَابَقَتِ السَّنَتَانِ . وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا قُلْتُ لِلْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
 الْيَسَّاسِيِّ : إِنَّهُ قَدْ آتَى قَوْلُ السَّنَةِ ، أَنْشَأَ بِحِيلَةٍ بِنَقْلِهَا تُسَبِّخُ فِي الدَّوَاوِينِ ، وَحِيلَ
 الْأَمْرُ عَلَى حُكْمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا يَرِجُ الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ يُنَوِّنُونَ بِنَقْلِ السَّنِينَ فِي أَحْيَانِهَا ،
 وَمُطَابَقَةِ الْعَامِينَ فِي أَوَّلِ زَمَانِ اخْتِلَافِهِمَا بِالْبُعْدِ وَتَقَارُبِ انْتِفَاقِهِمَا بِالْقُرْبِ .

قُلْتُ : وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ إِذَا مَضَى ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً مِنْ آخِرِ السَّنَةِ ، حُوِّلَتْ
 السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ إِلَى تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا ، وَهِيَ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ ، وَتَكُنَى

(١) فِي الْمَقْرِزِيِّ «هَتَام» .

(٢) الزَّيَادَةُ مِنَ الْمَقْرِزِيِّ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) مِنَ الْمَقْرِزِيِّ ص ٢٧٦ - ج ١ .

الرابعة والثلاثون ؛ ومقتضى البناء على التحويل الذى كان فى خلاية المطبع فى سنة سبع وثلاثمائة المقدم ذكره أن تحوّل سنة سبع وثلاثمائة إلى سنة تسع وثلاثمائة ؛ ثم تحوّل سنة أربعين وثلاثمائة إلى أربعين وثلاثمائة ، وتُلفى سنة إحدى وأربعين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتُلفى سنة أربع وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة ست وأربعمائة إلى سنة ثمان وأربعمائة ، وتُلفى سنة سبع ؛ ثم تحوّل سنة سبع وثلاثين وأربعمائة إلى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وتُلفى سنة أربعين ؛ ثم تحوّل سنة أربعين وسبعين وأربعمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتُلفى سنة ثلاث وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة خمس ونعمسمائة إلى سنة سبع ونعمسمائة ، وتُلفى سنة ست ؛ لكن قد هُدم من كلام صاحب "النهاج فى صنعة الخراج" أن التحويل كان تأخر بالديار المصرية إلى آخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، فحوّل سنة تسع وتسعين الخراجية إلى سنة إحدى ونعمسمائة ؛ فيكون التحويل بالديار المصرية قد وقع قبل استحقاقه بمقتضى الترتيب المقدم ذكره بست سنين من حيث إنه كان المستحق مغلّ سنة خمس ونعمسمائة إلى سنة سبع ونعمسمائة كما هُدم ، فنقلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى ونعمسمائة . والأمر فى ذلك قريبٌ إذ التحويل على التقريب دون التحليل .

ثم مقتضى ترتيب التحويل الرابع فى الديار المصرية بعد تحويل سنة تسع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى ونعمسمائة أن تحوّل بعد ذلك سنة اثنين وثلاثين ونعمسمائة إلى سنة أربع وثلاثين ونعمسمائة ، وتُلفى سنة ثلاث وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وستين ونعمسمائة إلى سنة سبع وستين ونعمسمائة ، وتُلفى سنة ست وستين ؛ ثم تحوّل سنة ثمان وتسعين ونعمسمائة إلى سنة ستائة ، وتُلفى سنة تسع وتسعين ونعمسمائة ؛ ثم تحوّل سنة إحدى وثلاثين وستمائة إلى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتُلفى سنة

أثنتين وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة أربع وستين ومائة إلى سنة ست وستين ومائة ،
وتلغى سنة خمس وستين ؛ ثم تحوّل سنة سبع وتسعين ومائة إلى سنة تسع وتسعين
ومائة ، وتلغى سنة ثمان وتسعين ؛ ثم تحوّل سنة سبعائة وثلاثين إلى سنة سبعائة
وأثنتين وثلاثين ، وتلغى سنة إحدى وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وستين وسبعائة
إلى سنة خمس وستين وسبعائة ، وتلغى سنة أربع وستين وسبعائة ؛ وتحوّل سنة
ست وتسعين وسبعائة إلى سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، وتلغى سنة سبع وتسعين ؛
ثم لا يكون تحويل إلى سنة تسع وعشرين ومائة ، فتحوّل إلى سنة إحدى وثلاثين
ومائة ، لكن قد حوّل كُتّاب الدواوين بالديار المصرية وأرباب الدولة بها سنة
تسع وأربعين وسبعائة : (وهي سنة الطاعون الجارف العام) إلى سنة إحدى وخمسين
وسبعائة ، وألفوا سنة خمسين . وكان يقال : مات في تلك السنة كل شيء حتى
السنة ، وسيأتي ذكر المرسوم المكتتب بها في تحويل الستين في هذه المقالة ،
إن شاء الله تعالى .

وقيل ذلك لتأخير وقع من إغفال تحويل سنة سبعائة وثلاثين المتقدمة الذكر ،
(١)
وآخر سنة حوّلت في زماننا سنة

الطرف الثاني

(في صورة ما يُكْتَب في تحويل السنين ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء ، وفيه منهن)

المنهج الأول

(أن يُقْتَح ما يكتب به أولاً بعده)

وعلى ذلك كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد .

وهذه نسخة ما ذكر أبو الحسين بن علي الكاتب الملقم ذكره أنه كتب به في ذلك في قبل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد بالله أمير المؤمنين ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويته ، وشغل به تفقده ورعايته ، أمر النبي الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوقيفه ، وحفاظته وتكثيره ، وجعله عماد الدين ، وقوام أمر المسلمين ، وفيما يصرف منه إلى إعطيات الأولياء والجنود ، ومن يستعان به لتحصيل البيضة واللب عن الحريم ، وحج البيت ، وجهاد العدو ، وسد الثغور ، وأمن السبل ، وحقق الدماء ، وإصلاح ذات البين . وأمير المؤمنين يسأل الله راغباً إليه ، ومتوكلاً عليه ، أن يحسن عونه على ما حمله منه ، ويديم توقيفه لما أرضاه ، وإرشاده إلى ما يقضي عنه وله .

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا القىء في خلافة آباءه الراشدين فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة أولاً

أَوَّلًا عَلَى جَارِي شُهور سِنِي الشَّمْسِ فِي التَّجْوِمِ الَّتِي يَحِلُّ مَالُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا فِيهَا ،
وَوَجَدَ شُهور السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ تَتَأَخَّرُ عَنْ شُهور السَّنَةِ الْهِلَالِيَّةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا وَرُبَّمَا
وَزِيَادَةً عَلَيْهِ ، وَيَكُونُ إِدْرَاكُ الْغَلَاتِ وَالْأَثْمَارِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَسَبِ تَأَخُّرِهَا .

فَلَا تَزَالُ السَّنَوْنَ تَمُضِي عَلَى ذَلِكَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ حَتَّى تَقْضِيَ مِنْهَا ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ
سَنَةً وَتَكُونُ عِلَّةُ الْأَيَّامِ الْمَتَأَخِّرَةِ مِنْهَا أَيَّامَ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ كَامِلَةٍ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسَةٌ
وَسِتُونَ يَوْمًا وَرُبْعُ يَوْمٍ وَزِيَادَةٌ عَلَيْهِ ، فَيُعْتَذِرُ نَبِيًّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ إِدْرَاكُ الْغَلَاتِ
الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهَا الضَّرَائِبُ وَالطُّسُوقُ فِي أَسْتِقْبَالِ الْحَرَمِ مِنْ سِنِي الْأَهْلِ . وَيَجِبُ مَعَ
ذَلِكَ الْإِفَاءُ ذِكْرَ السَّنَةِ الْخَارِجَةِ إِذْ كَانَتْ قَدْ أَهْقَضَتْ وَنَسَبَتْهَا إِلَى السَّنَةِ الَّتِي أَدْرَكَتِ
الْغَلَاتِ وَالْأَثْمَارَ فِيهَا . وَإِنَّهُ وَجَدَ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَقَعَ فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ -
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْقَاضِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، أَنْتَرْتُهُنَّ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ،
فَاسْتَفْتَيْتَنِي عَنْ ذِكْرِهَا بِالْفَائِدَةِ وَنَسَبَتْهَا إِلَى سَنَةِ أَلْفَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، بِجُفْرَتِ
الْمَكَلَبَاتِ وَالْحُسْبَانَاتِ وَمِائَةِ الْأَعْمَالِ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ إِلَى أَنْ مَضَتْ ثَلَاثٌ
وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، أَنْتَرْتُهُنَّ أَهْقَاضَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، [وَوَجِبَ إِفْئَاءُ الْكُتُبِ
بِالْإِفَاءِ ذِكْرَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ] وَنَسَبَتْهَا إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

فَنَهَبَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ وَتَأَخَّرِ الْأَمْرُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى
أَنْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ] الْمُتَضَعِدُ بِأَمْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِنَقْلِ
خُرَاجِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، بِجُفْرِ الْأَمْرِ عَلَى
ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَهْقَضَتْ فِي هَذَا الْوَقْتُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً : أَوَّلَاهُنَّ السَّنَةَ الَّتِي كَانَ
يَجِبُ تَقْلُهَا فِيهَا ، وَهِيَ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَنْتَرْتُهُنَّ أَهْقَاضَ شُهور خُرَاجِ
سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَوَجِبَ افْتِتَاحُ خُرَاجِ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ وَالطُّسُوقُ فِي أَوَّلِهَا

(١) الزيادة من القرطبي ص ٢٧٧ ج ١ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

[ولأن] من صواب التدبير واستقامة الأعمال، واستعمال ما ينجف على الرجعة معاملتها به
 قل سنة الخروج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة، فرأى أمير المؤمنين (لما)
 يلزمه نفسه ويؤاخذها به، من العناية بهذا الشيء وحياطة أسبابه، وإجرائها بجاريها،
 وسلك سبيل آياته الراشدين رحمة الله عليهم فيها، أن يكتب إليك وإلى سائر الملوك
 في النواحي بالعمل على ذلك، وأن يكون ما يصدر [إليك] من الكتب وتصدرونه
 عنكم ويجرى عليه أعمالكم ورفوعكم وحُباناتكم وسائر مناظراتكم على هذا القل .
 فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل ما تُضفيه تهوى
 الله وطاعته، ومستعملا [عليه] هات الأعوان وكفائهم، مُشرفا عليهم ومقومًا لهم ،
 واكتب بما يكون منك في ذلك، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة ما كتب به أبو إسحق الصابي عن المطيع لله بنقل سنة ست وثلاثمائة^(١)
 إلى سنة سبع وثلاثمائة، وهي :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لا يزال مجتهدا في مصالح المسلمين ، وابعث لهم على
 مرأشيد الدنيا والدين، ومهيئا لهم إلى أحسن الاختيار فيما يوردون ويُصدرون،
 وأصوب الرأي فيما يرمون وينقضون، فلا تلوح له خلة داخلية على أمورهم إلا سدا
 وتلافها [ولا حال عاكسة يحفظ عليهم إلا اعتمادها وأنها]^(٢) ولا سنة عادلة إلا أختمهم
 بقائمة رمتها، وإمضاء حكيها، والاقتصاد بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع
 لها ، وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها ، وتجهله العامة بقصور
 أفهامها، وكانت أوامره فيه خارجة إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله ، وأما

(١) صوابه « بنقل سنة تسعين وثلاثمائة إلى إحدى وتسعين وثلاثمائة » كما يفيد نص الكتاب بعد له .

(٢) الزيادة من « رسائل الصابي » ص ٢٠٩ ومن القرظي ص ٢٧٨ ج ١ .

عُملَه ، الذين يَكْتُمُونَ بالإشارة ، ويَجْتَرِئُونَ بِسِرِّ الإِبانَةِ والعبارة ، لم يَدْعُ أَنْ يُلْغَ من تَلْخِيسِ اللَّفْظِ وإيضاحِ المعنى إلى الحسدِ الذي يُلْحِقُ المُنَافِقَ بِالمُتَّقِمِ ، ويَجْعَلُ بينَ العالمِ والمُتَعَلِّمِ ؛ ولا سِيَّما إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَيَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَامِلَاتِ الرِّجْعِ ، ومن لا يَعْرِفُ إِلَّا الظُّلُومَ الجَلِيَّةَ دُونَ الْبُؤَاطِنِ الخَفِيَّةِ ، ولا يَسْتَهْلُ عَلَيْهِ الانتقالَ عن العادات المتكررة ، إلى الرُّسُومِ المتغيرة ، ليكونَ القَوْلُ بِالمُشْرُوحِ لمن بَرَّزَ في المعرفة مَذْكُراً ، ولَمَنْ تَأَثَّرَ فيها مبصِّراً ؛ ولأنه ليس من الحق أن تُنْعَمَ هذه الطبقةُ من بَرِّ الباقين في مُسْئِرِها ، ولا أن يُقْتَصَرَ على الأُمَّةِ الدَّالَّةِ في مخاطبةِ جُمْهُورِها ، حتَّى إِذَا اسْتَوَتْ الأَقْدَامُ بِطوائفِ النَّاسِ في فَهْمِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَفَقِهِ مَا دُعُوا إِلَيْهِ وصَارُوا فِيهِ على كَلِمَةٍ سواءٍ لا يَتَرَضُّهُمْ شَكُّ الشَّاكِّينَ ولا اسْتِرَابَةُ الْمُسْتَرِيبِينَ ، أَطْمَأْنَنَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَأَشْرَحَتْ صُدُورُهُمْ ، وَسَقَطَ الخِلَافُ بَيْنَهُمْ ، وَاسْتَمَرَ الْإِتِّفَاقُ فِيهِمْ ، وَاسْتَقْبَلُوا أَنَّهُمْ مُسَوِّوْنَ على استقامَةِ مِنَ الْمُنْهَاجِ ، وَمَعْرُوسُونَ مِنْ جَرَائِرِ الزَّيْغِ وَالْأَعْوِجَاجِ ؛ فَكَانَ الْإِقْنَادُ مِنْهُمْ وَهُمْ دَارُونَ طُلُونِ ، لَا مَقْلُدُونَ مُسَلِّمُونَ ، وَطَائِفُونَ غَضَارُونَ ، لَا مُكْرَهُونَ وَلَا مُجْبَرُونَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَمْعِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَغْرَاضِهِ وَمَرَامِيهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَنَازِلِهِ ، مَادَّةً مِنْ مُسْتَعْمَلِهِ تَقِفُ بِهِ عَلَى سَنَنِ الصَّلَاحِ ، وَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ النَّجَاحِ ، وَتُنْهَضُهُ بِمَا أَهْلُهُ لِحْمَلِهِ مِنَ الْأَعْيَالِ الَّتِي لَا يَدْعَى الْإِسْتِقْلَالَ بِهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ [وَمُعَوْنَتِهِ] ، وَلَا يَتَوَجَّهُ فِيهَا إِلَّا بِدَلَالَتِهِ وَهِدَايَتِهِ ، وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رِئَا أَنْ أَوَّلَى الْأَهْوَالِ أَنْ يَكُونَ سَدَادًا ، وَأَحْرَى الْأَفْعَالِ أَنْ يَكُونَ رَشَادًا ، مَا وَجَدَ لَهُ فِي السَّابِقِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ أَصُولٌ وَقَوَاعِدُ ، وَفِي النَّصِّ مِنْ كِتَابِهِ آيَاتٌ وَشَوَاهِدُ ؛ وَكَانَ مُقْضِيًّا بِالْأَمَةِ إِلَى قَوَامِ مِنْ دِينِهِ وَدُنْيَا ، وَوَقَافٍ فِي آخِرِهِ وَأَوَّلَى ،

فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو، والفرس الذى يثبت ويركو، والسعى الذى تتجج مبادئه وهواياه، وتبهج عواقبه وتواليه، وتستبهر سبله لسالكها، وتوردهم موارد السمود فى مقاصدهم فيها، غير ضالين ولا حادين، ولا منحرفين ولا زائلين .

وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الأفلاك الباثية، والنجوم الساتية، فيما تتقلب عليه من اتصال واقتران، ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق، منافع تظهر فى كرور الشهور والأعوام، ومُرور الليالي والأيام، وتتأوب الضياء والظلام، واعتدال المساكن والأوطان، وتناير الفصول والأزمان، ونشء النبات والحيوان، فإنا فى نظام ذلك خال، ولا فى صفة صانعه زلل، بل هو منوط بمضه ببعض، ومخوط من كل ثمة ونقص، قال الله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَتَعَابَوْا عِنْدَ السُّنَنِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْتَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مَا ذَلِكَ تَحْدِيدُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ . وقال عزرت قدرته : ﴿ وَالْقَمَرَ قَلْبَرًا مَنَازِلَ حَتَّىٰ مَادَّ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ . ففضل الله تعالى فى هذه الآيات بين الشمس والقمر، وأنبأنا فى الباهر من حكمه، والمعجز من كتابه، أن لكل منهما طريقًا مخترعًا فيها وطبيعة جليل عليها، وأن كل تلك المباشرة والمخالفة فى المسير، تؤدى إلى موافقة وملازمة فى التدبير، فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يومًا وربعًا بالتقريب المعمول عليه، وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة، ونقصت السنة الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين يومًا وكسرا، وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنتى عشرة

مرة، واحتيج إذا أنساق هذا الفضل إلى استعمال القل الذي يطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا اتفقا، ويُداني بينهما إذا تهاوتا .

وما زالت الأمم السابقة تكس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها، وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف : ﴿ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب .

فاما الفرس فلهم أجروا معاملتهم على السنة المعتدلة التي شهروها اثنا عشر شهرا، وأيامها ثلثمائة وستون يوما، ولقبوا الشهور اثني عشر لقبا، وسموا أيام الشهر منها ثلاثين اسما، وأفردوا الأيام الخمسة الزائدة، وسموها المسترقة وكسوها الرُبع في كل مائة وعشرين سنة شهرا .

فلما أحضر ملوكهم ، بطل في كبس هذا الرجب تديروهم ، وزال نور وروهم عن منته ، وأخرج ما بينه وبين حقيقة وقته ، أخرجها هو زائد لا يقف ، ودائر لا ينقطع ، حتى إن موضوعهم فيه أن يقع في مدخل الصيف وسيتمى إلى أن يقع في مدخل الشتاء [ويتجاوز ذلك ، وكذلك موضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء ^(١) وسيتمى إلى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوزه .

وأما الروم فكانوا آهن منهم حكمة وأبعد نظرا في طاقية : لأنهم ربّوا شهور السنة على أرباع رصدها ، وأنواع مرّفوها ، وقضوا الخمسة الأيام الزائدة على الشهور ، وساقوها معها على الشهور ، وكسوها الرُبع في كل أربع سنين يوما ، وسمّوا أن يكون إلى شباط مضافا قترىوا ما بعده غيرهم ، وسهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم ، لاجرم

(١) الزيادة من "القرنيزي" من ٢٧٩ ج ١ ومن الرسائل وهي من مقتات الناصح .

أن [المعتمد بالله صلوات الله عليه على أصولهم بنى] ، ولما لم أحتذى [في تصديره
نوروزة اليوم الحادى عشر من حزيران، حتى سلم مما لحق النواير في مالف
الأزمان، وتلاقوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس، بأن جبروها بالكس،
فكلما اجتمع من فضول سني الشمس ما يقى بتمام شهر جعلوا السنة الهلالية التي
يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين
وربما تم في سنتين بحسب ما يوجه الحساب، فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم
متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما .

وأما العرب فإن الله جل وعز فضلها على الأمم الماضية، وورثها ثمرات مساعيها
التيبة، وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل متها، وجزية أهل
ذمتها، على السنة الهلالية، وتبديها فيها برؤية الأهلة، إرادة منه أن تكون منافعها
واضح، وأعلامها لائح، فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص منهم
والعام، والتأقص الفقه والتام، والأشئ والدكر، وذو الصغر والكبر، فصاروا حينئذ
يحبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ونراج الأرض المسوحة، ويحبون
في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرباء والمقاطعات والمستغلات، وسائر^(١)
ما يجري على المشاهرات، وحدث من التاعطل والتداخل بين السنين ما لو استمر
لقبح جدا، وازداد بعدا، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي تنهى إليها تنسب
في التسمية إلى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلقى، ويجاوز إلى
ما بعدها ويخطى، ولم يجوز لهم أن يقتلوا بفهمهم في كس سنة الهلال بشهر ثالث
عشر، لأنهم لو فعلوا ذلك لترحلت الأشهر الحرم عن مواقعها، وانحرفت المناسك

(١) الزائد من "رسائل الصابي" و"القرى".

(٢) كلا في القرى أيضا ما في الرسائل الخلية «والأرقام» .

عن حقايقها ، وقصبت الجباية عن سني الأهلة القبطية يَمِطُ ما استغرقه النكس منها ، فانظروا بذلك الفضل إلى أن تتم السنة ، وأوجب الحساب المقرَّب أن يكون كل اثنين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة هلالية ، فقلوا المتقدمة إلى المتأخرة قليلا لا يتجاوزُ الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دُنياهم مستهيلة مع تلك النعمة في دينهم .

وقد رأى أمير المؤمنين قتلَ سنة خمسين وثلاثمائة انجراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعاً بينهما ، ولزوماً لتلك السنة فيهما .

فاعمل بما ورد به أمرُ أمير المؤمنين طيّبك ، وما تضمنته كتابه هذا إليك ، ومُرِ الكُتابَ قَبْلَكَ أن يحتدوا رسمه فيما يكتبون به إلى عمّال نواحيك ، ويخلدونه في الدواوين من ذُكُورهم ورفُوصهم ، ويقرِّرونه في دُرُوج الأموال ، وينظِّمونه في الدفاتر والأعمال ، وينتَوْنَ عليه الجساحات والحسابات ، ويُوْعِزون بكتبه من الروزنامات والبركات ، ولكن المنسوبُ كان من ذلك إلى سنة خمسين وثلاثمائة التي وقعَ التَقْلُ [عنها معلولاً به إلى سنة إحدى وخمسين التي وقعَ التَقْلُ^(١) إليها ، وأقيم في نفوس من بحضرتك من أصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة أن هذا التَقْلُ لا يَنبَرِّلم رَسْمًا ، ولا يُلْحَق بهم تَلْمًا ، ولا يَمُودُ على قايضِ العطاء بِنقصان ما استحقُّوا قبضه ، ولا على مؤدَى حقِّ بيتِ المال بإغضاء عما وجب أدائُه ، فإن قرائعَ أكثرهم قبيحة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي يُؤثّر أن تَرَّاح فيه الملة ، وتُسَدَّ به مِنهم الخلة ، إذ كان هذا الشأن لا يَجْدُ إلا في المُنَدِّ الطوال التي في مثلها يُحتاجُ إلى تعريف الناس ، وإذ كار التامى ، وأجِبَ بما يكون منك جواباً يحسن موقعه لك ، إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة من رسائل الصابي الخليفة .

المذهب الثاني

(مما كان يُكتب عن الخلفاء في تحويل السنين أن يفتح ما يكتب بلفظ :

« من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة » ونحو ذلك)

ثم يُروى بالتحديد وهو المعبر عنه بالتصدير، وعليه كان يكتب خلفاء الفاطميين بالديار المصرية .

فال في «مواد البيان» : والطريق في ذلك أن يفتح بعد التصدير والتحديد ...
... ..

الضرب الأول

(ما كان يكتب في الدولة الأيوبية)

وكانت السادة فيه أن يفتح بخرجت الأوامر ونحو ذلك ، ثم يذكر فيه نحو ما تقدم .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية [إلى السنة العربية] ، من إنشاء القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » تَعَمَّده الله برحمته ، وهي :

خرجت الأوامر الصلاحية بكتب هذا المشور وتلاوة مودعه بحيث يستمر ، وتسبغه في الدواوين بحيث يستقر ، ومضمونه .

إن نظرنا لم يزل نتجلى له الجلائل والدقائق ، ويتوشى من الحسنات ما تسيب به الحفائب والحقائق ، ويُجلد من الأخبار المشروعة ، كل عذب الطرائق رائق ، ويحمد

(١) هنا يباين في الاصل بتدركات ولعل بعدها دوجلن ضربين» الضرب الخ .

من الآثار الثبوتية، ما هو بقاء الخلائق لائق، ولا يُغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير إلا جهداً أن نكتسبها، ولا يُثوب بنا الداعي إلى مثوبة إلا رأينا أن نحسبها، لا سيما ما يكون للسنين الماضية مُضَيًّا، وإلى القضايا العادلة مُضَيًّا، ولتأمين الشريعة مُجَلِّيا، ولعوارض الشبهة رافعا، ولتتأقُض الخبر دافعا، ولأبواب المعاملات حافِظا، ولأسباب المغالطات لافِظا، ولتحوط من أمراض الشكوك مصحِّحا، وعن حقائق اليقين مُفَصِّحا، وللأسماع من طيف الاختلاف مُعَيِّيا، ولغاية الإشكال من طُرُق الأفهام مُعَيِّيا .

ولما استهلَّت سنة كذا الهلالية، وقد تباعد ما بينها وبين السنة الخراجية إلى أن صارت غَلَّاطها منسوبة إلى ما قبلها، وفي ذلك ما فيه: من أخذ الدرهم المنقود، عن غير الوقت المنقود، وتسمية بيت المال مُطْطَلا وقد أُنْجِز، ووَصَف الحق المُتَلَف بأنه دينٌ وقد أُعْجِز، وأُكُل رِزْق اليوم وتسميته منسوباً إلى أمسه، وإخراج المعتد لسنة هلاله إلى حساب المعتد إلى سنة شمسه .

وكان الله تعالى قد أجرى أمر هذه الأئمة على تاريخ متّزه عن الكس، موقر عن الكس، وصرّح كتابه العزيز بتعريمه، وذكر ما فيه من تأخير وقت النسيء وتقدّمه، والأئمة الحمديّة لا ينبغي أن يُدركها الكسر، كما أنّ الشمس لا ينبغي أن تُدرك القمر، وسُنَّتْها بين الحق والباطل فارقته، وسُنَّتْها أبداً ما جُفِّد، والسُنُون بعدها لاحقة، يتعاورها الكسر الذي يُزحج أوقات السبادات عن مواضعها، ولا يُدرك عملها إلا ما دقّ نظره، واستغرقت في الحساب فكره، والسنة العربية تُقَطِّع بِحُجْر أهلها الاشتباه، وتردّ شهرها حاليةً بمقودها مؤسومة الجباه، وإذا تقاعست السنة الشمسية عن أن تطلّ أعقابها، وتواطى حسابها، اجتنبت قراها قسراً، وأوجبّت

لحَقَّهَا ذِكْرًا، وَتَرَوَّجَتْ سَنَةُ الشَّمْسِ سَنَةَ الْهِلَالِ وَكَانَ الْهِلَالُ بَيْنَهُمَا مَهْرًا، فَسُتِّمَ
 الْمُؤَيَّةُ وَصُنَّتَا الْمَذْكُورَ، وَأَيَّةُ الْهِلَالِ هُنَا كَوْنُ آيَةِ اللَّيْلِ هِيَ الْمُبْصَرَةُ، وَفِي السَّنَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ عَرَبِيَّةِ الْإِفْصَاحِ، وَرَاحَةِ الْإِيضَاحِ، الزَّيَادَةُ الَّتِي تَظْهَرُ
 فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً تُؤَوِّي عَلَى مَدَدِ الْأُمَمِ قَطْعًا، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ :
 ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كُفْرِهِمَ ثَلَاثِينَ سِنِينَ وَازْدَادُوا كُفْرًا﴾ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الزَّائِمَةُ زِيَادَةَ،
 مِنْ لَطَائِفِ السَّعَادَةِ، وَوِظَائِفِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ يَمْتَنِزُونَ عَلَى كُلِّ
 مِلَّةٍ بِسَنَةِ فِي نَظِيرِ تِلْكَ الْمِلَّةِ فَصَدُّوا صَلَاتَهَا، وَأَدَّوْا زَكَاتَهَا، وَحُجَّجُوا فِيهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ
 الْكَرِيمَ، وَصَامُوا فِيهَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهَا الْأَجُورَ الْجَلِيلَةَ، وَأُتِسَّتْ فِيهَا
 أَسْمَاعُهُمُ بِالْأَعْمَارِ الطَّوِيلَةِ، وَخَالَفُوهُمْ فِيهَا قَدْ عَطَلَتْ صَحَابَتُهُمْ فِي عُدُولَانِهِمْ، وَإِنْ
 كَانَتْ حَاطِلُهُ، وَخَلَّتْ مُوَافِقُهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أَهْلُهُ .

وَقَدْ رَأَيْنَا بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ مَسْبُوحَاتِهِ وَالتَّيَمُّنِ بِاتِّبَاعِ الْعَوَائِدِ الَّتِي سَلَكَهَا السَّلَفُ،
 وَلَمْ تَسْلُكْ فِيهَا السَّرَفَ، أَنَّ يَنْسَحُورُوا أَسْمَاعُهَا مِنْ انْخِرَاجِ، وَيَنْهَبَ مَا بَيْنَ السَّنِينَ
 مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْإِعْوجَاجِ، لَا سِمَا وَالشُّهُورُ الْخُرَاجِيَّةُ قَدْ وَاظَمَتْ فِي هَذِهِ الشُّهُورِ
 الشُّهُورَ الْهَلَالِيَّةِ، وَاللَّيَّ اللهُ فِي أَيْمَانِ الْوِفَاقِ بَيْنَ الْأَيَّامِ، كَمَا أَلْفَى بِاعْتِلَاقِنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ
 الْأَنَامِ، وَأَسَكَّنَ بَنَظَرَنَا مَا فِي الْأَوْقَاتِ مِنْ أَضْطِرَابٍ وَفِي الْقُلُوبِ مِنْ أَضْطِرَامٍ .

فَلْيَسْتَأْنِفِ التَّارِخُ فِي الدَّوَابِّ الْمَعْمُورَةِ، لَا سِقْبَالِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، بِأَنَّ تَوَرَّمِ
 بِالْهَلَالِيَّةِ الْخُرَاجِيَّةِ لِإِزَالَةِ الْإِثْبَاسِ، وَإِلَاقَةِ التَّسْطَاسِ، وَابْضَا [ح] لِمَنْ أَمَرَهُ عَلَيْهِ
 عُثْمٌ مِنَ النَّاسِ، وَطَلَى هَذَا التَّغْرِيرَ، تُكْتَبُ بِحِجَالِ التَّحْضِيرِ، وَتُنْظِمُ الْحُسْبَانَاتِ
 الْمَرْقُوعَةِ، وَالْمَآشَارُغُ الْمَوْشُوعَةِ، وَتَقْرَأُ الْقَوَائِدُ الْمَشْرُوعَةِ، وَتُثَبَّتُ الْمَكَلَّفَاتِ
 الْمَقْطُوعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ دَوَاعِي قُلُوبِهَا، وَعَوَارِضِ زَلَّلِهَا وَزَوَالِهَا، إِلَّا أَنَّ الْأَجْنَادَ

إذا قَبَضُوا وإِجَابَتِهِمْ عَنْ مَشْوَري إِلَى سَنَةِ نَحْمَسَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سَبْعَ وَسَقَطَ سَاقِطُهُمْ بِالْوَفَاةِ ، وَجَرَى بِحُكْمِ السَّمْعِ لَا بِالشَّرْعِ إِلَى أَنْ يَرِثَ وَارَثُهُ دُونَ بَيْتِ الْمَالِ مُسْتَقِلَّ السَّنَةِ الْخَرَجِيَّةِ الَّتِي يَلْتَقِي فِيهَا تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنَ السَّنَةِ الْهَلَالِيَّةِ وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ ، مِمَّا يَبَيِّنُ الْإِنْصَافَ وَيُنَافِيهِ [لِكُنْفَى] .

وَإِذَا كَانَ الْعَدْلُ وَضَعَ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا فَلَسْنَا نَحْرِمُ أَيَّامَنَا الْمُحَرَّمَةَ بِذِمَامِنَا ، مَا رُفِّقَتْهُ أَبْنَاؤُهَا مِنْ عَدْلِ أَحْكَامِنَا ، بَلْ نَحْتَلِعْ عَنْ جَدِيدِهَا الْمَسَّ كُلِّ مَسٍّ ، وَ[نَمْتَحِ] تَبَعَةَ الضَّلَالِ أَنْ تُسْنَدَ مَهَادَتُهُ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ ، وَلَا نَجْعَلَ أَيَّامَنَا مَعْمُورَةً بِالْأَسْقَاطِ الَّتِي تَجْمَعُهَا ، بَلْ مَعْمُورَةً بِالْأَهْطَاسِ الَّتِي تَتَفَعَّلُهَا ، فَلْيَبَيِّنِ التَّارِيخُ عَلَى بُقَايَاهِ وَلْيُحْصِمِ الْخُلُفَ الْوَاقِعَ فِي السَّنِينَ ، بِهَذَا الْحَقِّ الْعَادِيْعِ الْمَبِينِ ، وَلْيُسَخِّشِ الْمَشْهُودُ بِهِ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، وَلْيُكْتَبَ بِحُكْمِهِ مِنَ الْخَرَاجِ إِلَى مَنْ يَمَكِّنُهُ مِنَ الْمُسْتَفْعِلِينَ - وَمِنْهَا أَنْ الْمُسْتَحِجَّ مِنَ الْأَجْنَادِ لَوْ جُهِلَ عَلَى السَّنَةِ الْخَرَجِيَّةِ فِي اسْتِغْلَالِهِ ، وَعَلَى الْهَلَالِيَّةِ فِي اسْتِغْبَالِهِ ، لَكَانَ عُجَالًا عَلَى مَا يَكُونُ عُجَالًا ، وَكَانَ يَتَعَجَّلُ اسْتِغْبَالًا ، وَيُطَايِنُ اسْتِعْلَالًا ، وَفِي ذَلِكَ مَا يَنَافِرُ أَوْصَافَ الْإِنْصَافِ وَيَصُونُ الْفَلَاحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(مَا يُكْتَبُ بِهِ فِي زَمَانَا)

وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يُكْتَبَ فِي قِطْعِ الثَّلَثِ وَأَنَّهُ يَفْتَحُ بِخُطْبَةٍ مُفْتَتِحَةٍ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثُمَّ يَقَالُ : وَبَعْدُ فَإِنَّا لِمَا اخْتَصَّنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ النَّظَرِ فِي أَمْرِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَيَذْكُرُ مَا سَمِعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَقَالُ : وَلَمَّا كَانَ ، وَيَذْكُرُ قِصَّةَ السَّنِينَ : الشَّمْسِيَّةِ وَالْقَمَرِيَّةِ ، وَمَا يَطْرَأُ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَاعُدِ الْمَوْجِبِ لِنَقْلِ الشَّمْسِيَّةِ إِلَى الْقَمَرِيَّةِ ،

ثم يقال : أفضى الرأي الشريف أن يحول مُبْل سنة كذا إلى سنة كذا وتذكر نسخة ذلك ، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف القلاني لا زال أن تحول سنة كذا إلى سنة كذا .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار آيتين ، وصير الشهور والأعوام لا ابتداء المبدأ وأتباتها آيتين ، ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل برئته على توفية الأوقات حقها من الأعمال التي يحصل بها الاعتماد ويحسن بها الاحتساب .

نحمد على ما خص أيماننا الزاهرة من إنعام النظر في مصالح خلقه ، وإيمان الفكر في تشييد ما بسط لهم من رزقه ، وإزالة الضرر في تيسير القيام بما أوجب عليهم من حقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاصمة من الزيف ذا هوى ، معتصمة من التوفيق بأقوى أسباب التوثيق وأوثق أسباب القوى ، شائعة حسن العمل في مصالح العباد بحسن النية ، فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة على العالمين ، ونشر دعوته في الآفاق فأبده لإقامتها بنصره وبالمؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا فاطمحو ، ونهوا فاجتنبوا ما نهوا عنه ما استطاعوا ، صلاة تبي تمام البُذور ، وتبقى بقاء الشهور ، وتطوى بنشرها مراحل الأيام إلى يوم النشور .

وبعد ، فإننا اختصنا الله تعالى به من التوفيق على مصالح الإسلام ، والتناول لما تتشريح به في مواقف الجهاد ، صدور السيوف وتطوق به في مصالح العباد ، السنة الأخلاق ، تنبع كل أمر ففسد خلقه ، وتثقف مياله ، وتقيم أوده ، وتظفر ليومه

بما يصلح به يومه ولغده بما يصلح غده ، إصلاحاً لكل حال بحسبه ، وتحريراً لكل شيء على ما هو أليق بشأنه وإقراراً لكل أمر على ما هو الأحسن به .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سيتين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل به ميقات القوت الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وقرية لا يؤول في أحكام الدين إلا عليها ، ولا يرجع في تواريخ الإسلام إلا إليها ، ولا تُعتبر العبادة الزمانية إلا بأهليتها ، ولا يُتبدى إلى يوم الحج الأكبر إلا بأدلتها ، ولا يتبدى في العدد التي تحفظ بها الأنساب إلا بأحكامها ، ولا تُسلم الأشهر الحرم إلا بوجوبها في الأوقات المخصوصة من عامها . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام في المدة ، واختلاف الشهور الحلالية في العدد ، ما يلزم منه تدخل مغل في مغل ، ونسبة شيء راح وأقضى إلى ما أدرك الآن وحصل ، ويؤدى ذلك إلى إبقاء سنة بغير حراج ، وهدر ما يجب تركه فليس الوقت إليه محتاج ، وإلغاء ما يتعين إفاؤه ، وإسقاط ما تنفدت إليه الأذهان وهو لا يمكن رجأؤه ، وإن كان ذلك الإسقاط لا ضرر فيه على العباد والبلاد ، ولا نقص ينتج منه للأمرء والأجناد ، ولا حقيقة له ولا معنى ، ولا إهمال شيء أقر تركه ولا إفاؤه أغنى ، ولكن صار ذلك من هوائد الزمن القديمه ، ومُصطلحات لا تزال العقول بالاحتياج إلى فضله عليه ، وأمرها لا يبدل لذلك منه ، وحالا لا مندوحة للقول عنه ، لتغذوا التصرفات على الاستقامة ماشية ، وللعاملات من الحق ناشية ، ويُسمى رسم ما لم يكن في الحقيقة رابط ، ويزال أسم ما لو توهمه الفضل لأغنى كأنه يغالط .

أقتضى حسن الرأي الشريف أن تحوّل هذه السنة التي يحصل بها الكسب ، وأن يتحصنها يقين النفس ، وأن يُرفع ما بها من أشكال الإشكال ، ويُرذل هذا السبب الذي نشأ عنه دخول الأكثر باستدراج الأقل فلا يكون للأذهان عليه أتكال .

نظراً بذلك في مصالح الأئمة ، ودفعاً لما يحلونه من أوهام مُدَّخِلِهِ ، وعملاً يطابق به الدليل حكمة ، ويوافق فيه اللفظ معناه والفعل أسمه ، وتخفيفاً عن الرعية من لزوم ما لا يلزم في الحقيقة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

فلذلك رُمِيَ بالأمر الشريف - لا زال عنده سائراً في الأيام والأئام ، وفضله [سائداً] بالرَّفْقِ الذي تغلّوه العقول والعيون كأنها من الأمن في منام - أن يُحوَّلَ مُغْلٌ سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية المحروسة ، لَمُغْلٌ سنة خمسين وسبعمائة ، ويُغْلَى أَسْمُ مُغْلٍ السنة المذكورة ، من الدواوين المعمورة ، ولا يُنسَبُ إليها مُغْلٌ بل يكون مُغْلٌ سنة خمسين وسبعمائة تالياً لَمُغْلٍ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتستقرّ السنة حينئذٍ هلاليةً تَرَاجِيَةً بِحَكْمِ دَوْرَانِ السنين ، واستحقاقُ هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث أختافُ مبدأ السنين الشمسية والقمرية ، ووقوع الإغفال عن هذا المهم في الدول الماضية ، لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما أقد عنه من مَضَى من الدول ، مُقَوِّمةً بِمَوْنِ الله لكل متأوِّدٍ من الزيف والخلل ، لما في ذلك من المصلحة العامة ، والمنحة التامة ، والحق الواضح ، والقصد الناجح ، والمنهج القويم ، والصرار المستقيم ، والاعتماد على الشهور القمرية قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ .

فليُتَمَدَّ حَكْمُ مَقَرِّزَاهُ ، ويُتَبَلَّ أَمْرُ مَا مَرَّاهُ ، وليُثَبَّتْ ذَلِكَ في الدواوين ، وليُشَرَّهَ نَبْؤُهُ المبين ، وليُسَقَطَ مَا تَخَلَّلَ بين هاتين السنتين من المَغْلِ الذي لاحقيقة له ، وليُتْرَكْ ما بينهما من التناوُتِ الذي لا تَعْرِفُ الحُسْبَانَاتُ مَعْلَهُ ، وليُجَّحَ أَسْمُ هذه الأيام من الدفاتر ، وليُتَسَّ حَكْمُهَا فلَهَا أَوَّلَىٰ بِذَلِكَ في الزمن الآتي والعارف ؛ فليس المَغْلُ سوى العام الذي وُجِدَ فيه سببه ، وظهر فيه حصوله وتعيّن طلبه ، وأدرك في إبانته وجاء

في زمانه ، وأنبأ به عمر غرسه ، وأستحق في وقته لا كما يلزم أن يكون اليوم في أمسه ؛ وفي ذلك من الأسباب الباعثة على مارتئنا به ، والدواعي اللازمة لذهابها ، والبراهين القاطعة بقطعها ، والدلائل الواضحة على دفعها ، ما قدمناه : من المصالح المعينة ، والطرق المينة ، وإزالة الأوهام ، وتأكيد الأفهام ، وإراحة الخواطر ، وإزاحة ما تشوق إليه الظنون في الظاهر ؛ وليبطل ذلك من الارتفاعات بالكلفة ، ويسقط من الجرائد لتخلو الحسابات منه خليه ، ولا يذكر مثل السنة المدحوضة في سجل ولا مشروح ، ولا مشهود يندو حكمه ويروح ، ولا مكلفات تؤدعها الأقلام شيئاً على التجاز وهو في الحقيقة مطروح ، تثبت الحسنات لأيماننا الزاهرة في هذا المحو ، ويكشف ما يتجبع بهاء العقل من غيم الجهالة بما وضع من هذا الصحو ، ويسلك في حجة العبادات والمعاملات بالسيئتين العربية من غير خروج عن ذلك النحو ، والله تعالى بين بنا طرق الصواب ، ويحسن ببقاء ملكا الشريف المال والمآب ، ويحمل دولتنا توهم الأحكام على اختلاف الجديدين : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الأبصار ﴾ .

والاعتناء فيه على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

حادى عشرين جمادى الأولى سنة خمسین وسبعائة ^(١) .

بحسب المرسوم الشريف ، بالإشارة الكافية السيفية ، كافل المالك الشريفة الإسلامية ، أمر الله تعالى نصرته ، ثم الحمدلة والتصلة والحسبة .

قلت : وهذه النسخة صدرها إلى قوله : والشهور الهلالية أجنبي عما بدأ ذلك من نعمة الكلام . وذلك أني ظفرت بسجز النسخة ، وهو المكتتب في تحويل

(١) كما في الأصل بآيات النون وهو كثير في كتابات الكتاب وهو لحظ .

سنة تسع وأربعين في نفس المرسوم الشريف الذي شملته العلامة الشريفة ،
وقد قُطِعَ أوله فركَّبها على هذا الصنذر .

ومن عجيب ما يُذكر في ذلك أن سنة تسع وأربعين التي حُوِّلَتْ إلى سنة خمسين
هي السنة التي وَقَعَ فيها الطاعونُ الجارفُ الذي عمَّ الأقطارَ خلا المدينة النبوية ،
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخلها
الطاعون ، وكثر فيها الموتُ حتى آتته إلى عشرين ألفاً في اليوم الواحد ، وكان يُقال
في هذه السنة لما حُوِّلَتْ : [مات كلُّ شيء حتى السنة] لإلغائها . وجعل مُعَلِّ
سنة خمسين تالياً لمُعَلِّ سنة ثمانٍ وأربعين كما تقدم .

الفصل الثاني

من الباب الرابع من المقالة السادسة

(فيما يُكْتَبُ في التذكرة)

والتذكرة جمع تذكرة .

قال "في مواد البيان" : وقد جرت العادة أن تُضَمَّنَ جملُ الأموال التي يُسَافِرُ
بها الرسولُ ليعودَ إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكونَ هبةً له فيها يُوردها
ويُصِدره ، قال : ولا غنى بالكاتب عن العلمُ بعنواناتها وترتيبها .

فأما عنوانُ التذكرة فيكون في صدرها تلوُّ البسملة ، فإن كانت للرسول يعمل
عليها ، قيل : تذكرة مُنْجِحة صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ،
ويُتَبَرَّى بِشَيْئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَا نُصِّ فِيهَا . وإن كانت هبةً له يُعْرِضُهَا لِتَشْهَدَ بِصَلْقِ

ما يورده، قيل : تذكرة مُنِيحة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عَرْضه على فلان .

وأما الترتيبُ فيختلف أيضا بحسب اختلاف العُنوان : فإن كانت على الرسم الأول ، كانَ بصدرها « قد أسعَخرنا الله عزَّ وجل ونَدَبناك ، أو عَزَّلنا عليك ، أو نَفَذناك ، أو وَجَّهناك إلى فلان : لإيصال ما أودَعناك وشافَهاك به من كذا وكذا » ويُقَصُّ جميع الأغراض التي أُلقيت إليه مجَملة . وإن كانت محمولة على يده كالْحُجة له فيما يَعرِضه ، قيل : « قد أسعَخرنا الله عزَّ وجل وعَزَّلنا عليك في ثَمَلِ تَذَكُّرتنا هذه والشُّخُوص بها إلى فلان ، أو التَّفُوذ ، أو التَّوجُّه ، أو المَصير ، أو القصد بها وإيصالها إليه ، وعَرَض ماضِمتَه عليه ، من كذا وكذا » ويُقَصُّ جميع أغراضها .

ثم قال : وهذه التذاكرُ أَحكامُها أَحكامُ الكتب في التَّفُوذ عن الأهل إلى الأدنى ، وعن الأدنى إلى الأهل ، فينبغي أن تُبَيَّنَ على ما يَحْفَظ رَبُّ الكُتُب والمكتوب إليه : فإن كانت صادرة عن الوزير إلى الخليفة مثلا فتَصَدَّر بِما مثاله « قد أسعَخرتُ الله تعالى ، وعَزَّلْتُ عليك في الشُّخُوص إلى حضرة أمير المؤمنين - صلواتُ الله عليه - متَحَمِّلا هذه التَّذِكرة ، فإذا مَثَلَت بالمواقف المَطْهَرة ، فوقَّها حقُّها من الإِعظام والإِجَار ، والإِجْلال والوَقار ، وقَدِّمَ هَمِيلَ الأرض والمطالعة بما أشاء مواصَلته من شُكْرِهم أمير المؤمنين الضَّافية على - المتابعة لَدَي ، وإخلاصِي لِعَاطته ، وأتَعَباني في خدمته ، وتوفيري على اللُطاء بِنَّات دولته ، وحُلُود مملكتيه ، وطالِيع بَكْدا وكذا » وعلى هذا النظام إلى آخر المراتب يعني مراتب المكاتبات .

قلت : والذي جرى عليه اصطلاحُ كُتَّاب الزمان في التذاكر أنْ التَّذِكرة تكتب في قطع الشامي ، تُكَمَّر فيها الفَرخة الكاملةُ نصفين ، وتجعل دَقْرًا وورقةً إلى جنب

أخرى لا كُرَّاسةً بعضها داخلُ بعض ، وتكون كتابتها بقلم الرِّقاع ، وتكون البسملة في أعلى باطن الورقة الأولى بياض قليل من أعلاها وهامش عن يمينها ؛ ثم يُكتب السطر التالي من التذكرة على تمت البسملة ملاصقاً لها ، ثم يُحلى قدر عرض إصبعين بياضاً ويكتب السطر التالي ، ثم يُحلى قدر إصبع بياضاً ويكتب السطر التالي ، ويمر في باقي الأسطر على ذلك حتى يأتى على آخر الورقة ، ثم يكتب باطن الورقة التي تليها كذلك ، ثم ظاهرها كذلك ، ثم الورقة الثانية فـا بملء على هذا الترتيب إلى آخر التذكرة ، ثم يكتب « إن شاء الله تعالى » ثم التاريخ ، ثم الحمدلة والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسيلة ، على نحو ما تقدم في المكتبات والولايات وغيرها على ما تقدم بيانه في المقالة الثالثة في الكلام على الخواص .



وهذه نسخة تذكرة أنشأها القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، سيرها محبة الأمير شمس الدين الخطيب : أحد أمراء الدولة الصلاحية إلى أبواب الخلافة ببغداد في خلافة الناصر لدين الله ، وهي :

تذكرة مباركة ولم تزل الذكرى للؤمنين نافعه ، ولعواريض الشك دافعه ؛ فتمت أغراضاً يقبدها الكتاب ، إلى أن يُطلقها الخطاب . على أن السائر سيار البيان ، والرسول يضي على رسل التبيان ؛ والله سبحانه يستنده قايلاً وقاعلاً ، ويحفظه بادرًا وطامًا ومقيماً وراحلاً .

الأمير الفقيه شمس الدين خطيب الخطباء - أدام الله نعمته ، وكتب سلامته ، وأحسن صحابته - يتوجه بعد الاستخارة وقصد دار السلام ، والخطبة التي هي عرش بيضة الإسلام ؛ ويجتمع رجاء الرجال ، وتمتع رحاب الرجال ؛ فإذا نظر تلك الدار

الدار سجّابها ، وشأنه بالنظر ممّال ذلك الحرم المحترم على الخطوب خطّابها ، ووقف أمام تلك المواقف التي تحسد الأرجل عليها الرؤوس ، وقام بتلك المنازير التي تنافس الأجسام فيها النفوس ، فلو استطاعت لزارت الأرواح محرمة من أجسادها ، وطافت بكعبتها متجوّدة من أعماقها ، فليطير الأرض هناك عنا قبلا تحضّنها ، بأعداد لا تحصى لها ، وليسلم عليها سلا . فتتدّ من شعائر الدين اللازمه ، وسنن الإسلام القائمة ، وليورد عنا تحية يستزلمها من عند الله تحية مباركة طيبة ، وصلاة تحترق أنوارها الأستار المحجّبة ، وليصاغ عنا بوجهه صفحة الثرى ، وليستشرف عنا بنظره فقد ظفر بصباح السرى ، وليستلم الأركان الشرفة ، فإن الدين إليها مستند ، وليستد الملاحظات اللطيفة ، فإن الثور منها مستمد ، وإذا قضى التسليم وحق اللقاء ، وأستدعى الإخلاص جهده الدماء ، فليعد وليعد حوادث ما كانت حديثا يفترى ، وجواري أمور إن قال منها كثيرا فأكثر منه ما جرى ، وليشرح صدرها منها لعله بشرح منا صدرا ، وليوضح الأحوال المستمرة فإن الله لا يعبد مرّا :

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبُ * فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ

كأنيس أقل ما يكون لها الظل * والماء فوق ظهورها محمول

فإنّا كما هتيس النار بأيلينا ، وضربنا يستبر ، ونستيط الماء بأيدنا ، وضربنا يستمر ، ونلقى السهام بنحورنا ، وضربنا ينير التصوير ، ونصاغ الصفاح بصُدورنا ، وضربنا يدعى التصدير ، ولا بد أن نسترد بضاعتنا ، بموقف العدل الذي تُردّ به النصوص ، وتظهر طاعتنا ، فنأخذ بحظ الألسنة كما أخذنا بحظ القلوب ، وما كان المائق إلا أنا كما ننظر ابتداء من الجانب الشريف بالنعمة ، يضاهي ابتداءنا بالخسمة ، وإيجابنا للفق ، بنا كل إيجابنا للسبق ، إلى أن يكون صحابها بنير يد مستزلا ، وروضها بنير غرس مطفلا .

كان أول أمرنا أنا نكثنا في الشام فتح التوحات مبشرين بأهنا ونجاهد الكفار متقدمين لساكره نحن والدنا وعمنا، فأى مدينة فُتحت، أو معقل مُلك، أو عسكر للعدوكبر، أو مَصَاف للإسلام معه ضرب، فما يجهل أحد، ولا يصحّد عدو، أنا نصطلي الجمره، ونملك الكسره، ونتقدم الجماعة، ونرتب المقاتلة، وندير التعبئة، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أبرها، ولا يضربنا أن يكون لنفينا ذِكْرُها .

وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء التدبير، وما دولتها عليه من غلبة صغير على كبير، وأن النظام قد قسد، والإسلام بها قد ضعف عن إقامته كل قائم بها وقعد، والفرنج قد احتاج من يديرها إلى أن يقاطعهم بأموال كثيرة، لها مقادير خطيرة، وأن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعها، فإنها مقموعة، وأحكام الشريعة وإن كانت مسياه، فإنها متعاماه، وتلك البدع بها على ما يعلم، وتلك الضلالات فيها على ما يفتي منها فراق الإسلام ويحكم، وذلك المنهب قد خالط من أهله القم والدم، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تتخذ من دون الله تعظم وتُفخم، فعلى الله عن شبه العباد، وويل لمن غره قلب الذين كفروا في البلاد .

فسمت هممتا دون همم ملوك الأرض إلى أن نستفتح مقلها ونستريح للإسلام شاربها ونعيد على الدين ضائته منها فيرنا إليها بساكر خضمه، وجموع جمه، وبأموال انتهكت الموجود، وبلغت منا اليهود، وأفقناها من خالص ذمتنا وكسب أيدينا، ومن أسارى الفرنج الواقعين في قبضتنا، فعرضت عوارض منعت، وتوجهت المصريين حيل باستنجد الفرنج ثم : ((ولكل أجل كتاب)) . ولكل أمل باب .

وكان في تهدير الله سبحانه أنا تملكها على الوجه الأحسن، وتأخذها بالحكم الأقوى الأمكن، فسد الفرنج بالمصريين غيرة في هذنية عظم خطبها وتجبها،

وَعَلِمَ أَنَّ اسْتِثْبَالَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ مَحْطُهَا، وَكَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ،
 كَمَا كَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ فِي هَذَا الْأَوَّانِ، يَأْتَانَا إِنْ لَمْ نُذَكِّرْ الْأَمْرَ وَالْإِخْرَاجَ
 مِنَ الْبَيْدِ، وَإِنْ لَمْ نَذْفَعْ غُرَيْبَ الْيَوْمِ لَمْ يُبْهِلْ إِلَى الْقَدِّ، فَيَسْرَتْنَا بِالْعَاكِرِ الْمَوْجُودَةِ
 وَالْأَمْرَاءِ الْأَهْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى بِلَادٍ قَدْ تَمَهَّدَ لَنَا بِهَا أُمْرَانِ، وَتَهَرَّرْنَا فِيهَا فِي الْقُلُوبِ
 وَذُنُوبِ الْأَوَّلِ لِمَا عَلَّمَهُ مِنْ إِثَارِنَا الْمَذْمُومِ الْأَقْوَمِ، وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ الْأَقْدَمِ، وَالْآخِرِ
 لِمَا يَرْجُوهُ مِنْ فَكِّ إِسَارِهِمْ، وَإِقَالَةِ عَتَاكِهِمْ، فَفَعَلَ اللَّهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى
 الْمَدِينَةِ فَاقْطَعَ حَبْلُهُ، وَضَاقَتْ بِهِ سُبُلُهُ، وَأَرْجَحَ عَنِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ضِيَاعُهَا
 وَرَسَائِقُهَا وَبِلَادُهَا وَإِقْلِيمُهَا قَدْ تَقَدَّتْ فِيهَا أَوَائِرُهُ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا صُلبَانُهُ، وَأَمِنَ
 مِنْ أَنْ يُسْتَرْجَعَ مَا كَانَ بَأْيَدِهِمْ حَاصِلًا، وَأَنْ يُسْتَفْذَ مَا صَارَ فِي مِلْكِهِمْ دَاخِلًا، وَوَصَلْنَا
 الْبِلَادَ وَبِهَا أَجْنَادٌ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ، وَسَوَاقُهُمْ كَبِيرٌ، وَأَمْوَالُهُمْ وَاسِعَةٌ، وَكُتُبُهُمْ جَامِعَةٌ،
 وَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ أَقْدَرُ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفْرِ، وَالْحِيلَةُ فِي السَّرِّ مِنْهُمْ أَفْقَدُ مِنَ
 الْعَزِيمَةِ فِي الْجَهْرِ. وَبِهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَغْنَاءُ
 أَعْنَامٍ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، لَا يَمُرُّونَ رِبًّا إِلَّا سَاكِنَ قَصْرِهِ، وَلَا قَبْلَةً إِلَّا مَابِتْرُجُوهُونَ
 إِلَيْهِ مِنْ رُكْنِهِ. وَبِهَا عَسْكَرٌ مِنَ الْأَرَمَنِ بَاقُونَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ مُوضَعَةٌ عَنْهُمْ الْخِزْيَةُ
 كَانَتْ لَهُمْ شَوْكَةً وَشَبْكَةً، وَحِمِيَّةً وَحُجَّةً، وَلَهُمْ حَوَائِشُ لِقَصْرِهِمْ مِنْ بَيْنِ دَائِجٍ تَلَطَّفَ
 فِي الْقَبْلِ مَدَاخِلُهُ، وَتُضَيَّبُ الْعُقُولَ غَمَاتُهُ، وَمِنْ بَيْنِ كُتُبٍ أَفْلَامُهُمْ فَعَلِ أَعْمَالُ
 الْأَسَلِ، وَخُدَّامٌ يَجْمَعُونَ إِلَى سَوَادِ الْوُجُوهِ سَوَادَ النَّحْلِ، وَدَوْلَةٌ قَدْ كَبَّرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ،
 وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا الْكَبِيرُ، وَمَهَابَةٌ تَمْنَعُ خَطَرَاتِ الضَّعِيرِ، فَكَيْفَ لِحَفَظَاتِ التَّدِيرِ.

هذا إِلَى اسْتِبَاحَةِ الْخَارِمِ ظَاهِرَةً، وَتَعْطِيلِ الْفَرَائِضِ عَلَى عَادَةٍ جَارِيَةٍ، وَتَحْرِيفِ
 لِلشَّرِيعَةِ بِالتَّأْوِيلِ، وَتَعْلُولِ إِلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ، وَكُفْرٍ يُسَمَّى بِغَيْرِ اسْمِهِ،
 وَشُرْعٍ يُسْتَدْرَكُ بِهِ وَيُحْكَمُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ.

فما زلنا نَسَحَتُهُمْ مَحْتِ الْمَبَارِدِ لِلشَّفَارِ ، وَتَحْفَفُهُمْ تَحْفِيفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِلْأَعْمَارِ ،
بِجَنَائِبِ تَدْيِيرِ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْمَسَاطِيرُ ، وَغَرَائِبِ تَهْرِيرِ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْأَسَاطِيرُ ، وَلَطِيفِ
تَوْصُلِ مَا كَانَ فِي حِيلَةِ الْبَشِيرِ وَلَا قُدْرَتِهِمْ إِلَّا إِيَّاهُ الْمَقَادِيرُ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَعْجَلُوا
عَلَيْكَ الْفَرَجِ دَفْعَةً إِلَى بُلَيْسَ ، وَدَفْعَةً إِلَى دِمْيَاطَ ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا وَصَلُوا بِالْعَدُوِّ الْمُجْهَرِ ،
وَالْحَشْدِ الْأَوْفَرِ ، وَخُصُوصًا فِي نَوْبَةِ دِمْيَاطَ فَلَنَّهُمْ نَازَلُوهَا بِحَرًّا فِي أَلْفِ مَرَكِبٍ مُقَاتِلِ
وَحَامِلِ ، وَبَرًّا فِي مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ وَرَاجِلِ ، وَحَصَرُوهَا شَهْرَيْنِ بِيَاكُوهَا وَبِرَاوُحُوهَا ،
وَيُمَاسُونَهَا وَيُصَابِحُونَهَا ، الْقِتَالُ الَّذِي يُصَلِّيه الصَّلِيبُ ، وَالْفِرَاقُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ مِنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَنَحْنُ مُقَاتِلُ الْمُذَوِّينَ : الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، وَنُصَابِرُ الضُّبَّتَيْنِ : الْمُنَافِقِ
وَالْكَافِرِ ، حَتَّى أَتَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ ، وَخَابَتِ الْمَطَامِعُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَمِنْ
الْقَرْجِ وَمِنْ مَلِكِ الرُّومِ وَمِنْ الْجَنْتَوِيِّينَ وَأَجْناسِ الرُّومِ لِأَنَّ أُنْفَارَهُمْ تَنَافَرَتْ ، وَنُصَابِرَاهُمْ
تَنَاصَرَتْ ، وَأَنَابِلُ طَوَائِفِهِمْ رُفِعَتْ ، وَصَلَبَ صَلَبُوتِهِمْ أُخْرِجَتْ ، وَشَرَعْنَا فِي ذَلِكَ
الطَّوَائِفِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالسُّودَانِ وَالْأَرْمَنِ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ تَارَةً بِالْأَوَامِرِ
الْمُرْهِقَةِ لَهُمْ ، وَبِالذُّنُوبِ الْفَاضِحَةِ مِنْهُمْ ، وَبِالسُّيُوفِ الْمَجْرَدَةِ وَالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ ، حَتَّى بَقِيَ
الْقَصْرُ وَمِنْ بِهِ مَنْ خَدَمَهُ قَدْ خَفَزَتْ شِيعَتُهُ ، وَخَزَقَتْ يَدُهُ ، وَخَفَقَتْ دُخُونُهُ ،
وَخَفِيتْ ضَلَالَتُهُ . فَهَذَاكَ نَمَتْ لَنَا إِقَامَةُ الْكَلِمَةِ وَالْجَهْرُ بِالْحَقِيقَةِ وَالرُّفْعُ لِلِوَاءِ السَّوَادِ
الْأَعْظَمِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَطَاجِلُ اللَّهِ الطَّاعِيَةِ الْإِكْبَرِ بَقَانَهُ ، وَبَرَّانَا
مِنْ عَهْدِهِ بَيْنَ كَانَ حَتَّى أَسْرَمَ مِنْ لَيْثِهِ إِبْقَانَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ حُوِجِلَ لِقَرُطِ رَوْعَتِهِ ، وَوَاقَقَ
هَلَاكَ شَخْصَهُ هَلَاكَ دَوْلَتِهِ .

وَلَمَّا خَلَا دَرْعُنَا ، وَرَحَّبَ وَسْعُنَا ، نَظَرْنَا فِي التَّزَوَاتِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، فَلَمْ
تُخْرِجْ سَنَةً إِلَّا عَنْ سُتْنَةٍ أُقِيمَتْ فِيهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَرْجَا وَظَهْرًا ، إِلَى أَنْ أَوْسَعْنَاهُمْ
قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَمَلَكًا وَقَاهِمَ قَهْرًا وَقَسْرًا ، وَفَتَحْنَا لَهُمْ مَعَاقِلَ مَا خَطَرَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا

منذ أخذت من أيديهم ، وما أوجعت فيها خيلهم ولا ركبتهم منذ ملكها أعاديهم ،
 فيها ما حكت فيه يد الخراب ، ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ، ومنها قلعة
 بشر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند ، وهو السلوك منه إلى الحرمين واليمن ،
 وغزا ساحل الحرم فسبى منه خلقا ، وترق الكفر في هذا الجانب شرقا ، فكادت
 القبلة أن يستولوا على أصلها ، ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها ، ومقام الخليل
 صلوات الله عليه أن يقوم به من تارة غير يرد وسلام ، ومضجع الرسول شرفه الله أن
 يتطرقه من لا يدين بما جاء به من الإسلام ، ففتح الله هذه القلعة وصارت معقلا
 للجهاد ، وموقعا لسفار البلاد ، وضيهم من مباد العباد ، فلو شريح ما تم بها المسلمين
 من الأثر الجليل ، وما استند من غلاتهم ، وأحرق من زروع المشركين ورعى من
 غلاتهم ، إلى أن ضعفت قنورهم ، وأختلت أمورهم ، لاحتجج فيه إلى زمن يشغل
 من المهمات الشريفة لسماع مؤرده ، وإيضاح مقصده .

وكان بايتم ما علم من أين مهدى الضال وله آثار في الإسلام ، وثار طالبيه النبي
 عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالتمن البخس ،
 واستباح منهن كل ما لا تقتر عليه نفس ، وكان يبيعه دعا إلى قبر أبيه وسماء كعبه ،
 وأخذ أموال الرجايا المعصومة وأجاحها ، وأحل الفروج المحترمة وأباحها ، فأنهضنا
 إليه أخانا بسكرنا بعد أن تكلفنا له نفقات واسعة ، وأسلحة رابحة ، وسار فأخذناه
 والله الحمد ، وأنجح الله فيه القصد ، ووردتنا كتب عاكرنا وأمراتنا بما نقذ في ابن
 مهدى وبلاده المفتحة ومعاقله المستضافة ، والكلمة هنالك بشيعة الله إلى الهند
 سارية ، وإلى مالم يقتض الإسلام عذرتة منذ أقام الله كلمته محمدية .

ولنا في المقرب ، اثر أعرب ، وفي أعماله أعمال دون مطلبها كما يكون المهلك
 دون المطلب ، وذلك أن نبى عبد المؤمن قد أشتهر أن أمرهم أمر ، ومثلهم

قد عَمِرَ ، وجُيُوشُهُم لا تُطَاق ، وأوامِرُهُم لا تُسَاق ، ونحن والحمد لله قد ملكنا بما
يُحَاوِرُنَا مِنْهُ بِلَادًا تَزِيدُ مَسَافَتَهَا عَلَيَّ شَهْرًا ، وَسِيرَتَا عَسْكَرًا بَعْدَ عَسْكَرٍ رَجَعَ بَنَصِيرٍ بَعْدَ
نَصِيرٍ ، وَمِنَ الْبِلَادِ الْمَشَاهِيرِ ، وَالْأَقَالِمِ الْجَاهِرِ — لُكْ — بَرْقَةٌ — قَفْصَةٌ — قَسْطَلِيَّةٌ —
تَوَزَّرَ ، كُلُّ هَذِهِ تُهَامُ فِيهَا الْخَطْبَةُ لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمُسْتَضَى بِاللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَلَا عَهْدَ لِلْإِسْلَامِ بِاقَامَتِهَا ، وَتَقْدُّ فِيهَا الْأَحْكَامَ بِعَدَمِهَا الْمَنْصُورِ وَعِلَامَتِهَا . وَفِي هَذِهِ
السَّنَةِ كَانَ عِنْدَنَا وَقْدٌ قَدْ شَاهَدَهُ وَفُودُ الْأَمْصَارِ ، مِقْدَارُهُ سَبْعُونَ رَاكِبًا كُلُّهُمْ يَطْلُبُ
سُلْطَانُ بِلَادِهِ تَهْلِيْدًا ، وَيَرْجُو مَنَّا وَعْدًا وَيَخَافُ وَصِيْدًا .

وَقَدْ صَدَرَتْ عَنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ تَهَالِيْدُهَا ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْنَا مَقَالِيْدُهَا ، وَسِيرَتَا الْخَلْعِ
وَالْأَلْوِيَةِ ، وَالْمُنَاشِيرِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَوَامِرِ وَالْإِقْضِيَةِ .

وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ يُحَدِّقُونَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَالْكَفَّارُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَنَا بِالْمَالِكِ الْعِظَامِ
وَالْعَزَائِمِ الشَّدَادِ ، فَهُمْ صَاحِبُ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ وَهُوَ الطَّاغِيَةُ الْأَكْبَرُ ، وَالْجَبَّارُ الْأَكْثَرُ ،
وَصَاحِبُ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي أَكَلَتْ عَلَى النُّهْرِ وَشَرِيتْ ، وَقَامَتِ النُّصْرَانِيَّةُ الَّتِي حَكَمَتْ دَوْلَتُهُ
عَلَى مَمَالِكِهَا وَغَلَبَتْ ، وَجَرَتْ لَنَا مَعَهُ غَزَوَاتٌ بَحْرِيَّةٌ ، وَمُنَاقَلَاتٌ ظَاهِرِيَّةٌ وَسُرِّيَّةٌ ،
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْبِلَادِ مَطَامِعُ مِنْهَا أَنْ يَجِيَّ خِرَاجًا ، وَمِنْهَا أَنْ يَمْلِكَ مِنْهَا فِجَاجًا ، وَكَانَتْ
غُصَّةً لَا يُبَسِّغُهَا الْمَاءُ ، وَدَاهِيَةً لَا تُرْجَى لَهَا الْأَرْضُ بِلِ الْمَاءِ ، فَاحْذَرْنَا وَفِيهِ الْحَمْدُ
بِكَفْلِهِ ، وَأَقْنَاهُ عَلَى قَلْعِهِ ، وَلَمْ نُخْرِجْ مِنْ مِصْرَ ، إِلَى أَنْ وَصَلْتَنَارُفُهُ لِي جَمْعَةٍ وَاحِدَةٍ
فِي نَوْبَتَيْنِ بَكَايَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُظْهِرُ فِيهِ خَفَضَ الْجَنَاحِ ، وَلِقَاءَ السَّلَاحِ ،
وَالِاتِّقَالَ مِنْ مُعَادَاهُ ، إِلَى مُعَادَاهُ ، وَمِنْ مَنَاصِحِهِ ، إِلَى مَنَاصِحِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ أَتَنَدَرُ
بِصَاحِبِ صَقْلِيَّةٍ وَأَسَاطِيلِهِ الَّتِي يَرِدُ ذِكْرُهَا ، وَصَاكِرِهِ الَّتِي لَمْ يَخَفْ أَمْرُهَا .

ومن هؤلاء الكفار صاحبُ صِقليةَ هذا كان حينَ علم أن صاحبَ الشام وصاحبَ قسطنطينية قد اجتمعَا في نوبة دِمياط فغلبا وهزَمَا وكسرا، أراد أن يُظهر قوته المستقلة بمفردها، وعزمته القائمة بمجردها، فصرَّ أسطولا استوعب فيه ماله وزماته: فإنه إلى الآن منذُ خمسِ سنين يكثرُ عدته، وينتخبُ عدته، ويختلبُ مقاتلته إلى أن وصل منها في السنة الخالية إلى اسكندرية أمرُّ رائج، وخطب هائل، ما أهمل ظهر البحر مثل حمله، ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله، ما هو إقليم بل أقاليم نقله، وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله؛ ولو ذهبنا نصف ما ذهب، فيه من ذهب؛ وما أخذ منه من سلاح وخيل وعدد وجمانيق، ومن أمر منه من خيالة كبار، ومقدمين قوى أقدار، وملوك يُقاطعون بالجل التي لها مقدار، وكيف أخذوه وهو في العدد الأكثر بالعدد الأقل من رجالنا، وكيف نصر الله عليه مع الأصعب من قتاله بالأسهل من قتالنا، لئلم أن عناية الله بالإسلام تُغنيه عن السلاح، وكفاية الله لهذا الدين تكفيه مشونة الكفاح؛ ومن هؤلاء الجنود الذين يُسرون الجيوش - البنادق - الباشنة الجنوية كل هؤلاء تارة لا تُطاق ضراوة ضرهم، ولا تُطفأ شرارة شرهم؛ وتارة يُجهزون سفارا يحتكون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الأحكام المرهوبة؛ وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وإبلاده؛ وكلهم قد قررت معه المواقفة، وانتظمت معه المسالمة؛ على ما نريد ويكرهون، وتؤثروا ولا يؤثرون.

ولما قضى الله بالوفاة الثورية، وكأ في تلك السنة على نية الغزو، والعساكر قد ظهرت، والمضارب قد برزت، ونزل الفرنج بانياس وأشرقوا على أحجازها، وراوها فرصة متوا إليها يد أتهازها، استصرخ بنا صاحبها للمانعة، واستنهضنا لنفرج الكرب الواقعة؛ فسرنا مراحل اتصل بالعدو أمرها، وعوجل بالهذنة الدمشقية

التي أولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قيل كثيرها ولا قليلها ؛ ثم عدنا إلى البلاد فتوافت إلينا الأخبار بما الدولة التورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشقت الأمور وقطعها ؛ وأن كل قلمة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمع إليه طالب ؛ والفرنج قد بنوا بلادا يخيفون بها الأطراف الإسلامية ، ويضايقون بها البلاد الشامية ؛ وأمراء الدولة قد سجنوا كبارهم وعوقبوا وصودروا ، والممالك الذين التوفى أغرار خلقوا للأطراف لا للصُدور ، وجعلوا للقيام لا للجُلوس في المخيل المحصور ؛ وقد أموا الأعين والأيدى والسيوف ، وساعت سيرتهم في الأمر بالمتكر والنهي عن المعروف ؛ وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ، ويحملهم لظهور سننا ؛ ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويخرج لهم عن أسير من أكابر الكفار كان مقامه ما يدفع شرا ، ولا يزيد نار الكفر جبرا ، وإطلاقه يحلب قطعة تقوى إسلاما وتضعيف كفرا ؛ فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا وبلاد الإسلام في العاقبة ؛ وعرفنا أن البيت المقدس إن لم تنسر الأسباب لفتحها ، وأمر الكفر إن لم يجرّد العزم في قلبه ؛ وإلا ثبتت عروقها ، وآسعت على أهل الدين شروقه ؛ وكانت الهجة قادمة ، وهم القادرين بالعمود آثمه ؛ وإذا لا تتمكن بمصرته مع بُعد المسافة ، وأقطاع العارة وكلال الدواب ، وإذا جاوزناه كانت المصلحة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والنزوة ممكنة ؛ والميرة متسعة والخيل مستريحة ، والعساكر كثيرة ، والجنود متيسرة ، والأوقات مساعدة ؛ وأصلحتنا ما في الشام من عقائد معتلة ، وأمور غثلة وآراء فاسدة ، وأمراء متحاسده ؛ وأطاع غالبه ، وعقول غائبه ؛ وحفظنا الولد القائم بعد أبيه ، وكفنا كفالة من قضى الحق ويوفيه ؛ فلنا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء بخدمته وهم عاملون بظلمه ؛ والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ،

وإِذْ كَدَّ الدُّعْوَى، وَجَمَعَ الْأُمَمَ، وَحَفَظَ الْأَكْفَهَ، وَبَضَعَ الزَّلْفَةَ، وَفَتَحَ بَقِيَّةَ الْبِلَادِ، وَطَبَّقَ بِالْأَمْرِ السَّامِيَّ كُلَّ مَا تَحْتَطُّهُ الْعَهَادُ - وَبَعَثَ قَهْرَ عَلَى الْأَحْكَامِ الْمَهُودَةِ، وَنَظَرَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِتْمَامُ عَلَى الْغَايَاتِ الْمَرْبُودَةِ، وَهُوَ تَهْلِيدُ جَامِعٍ لِمَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْبَحْرِ وَالشَّامِ، وَكُلِّ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ النُّورِيَّةُ، وَكُلِّ مَا يَفْضَحُهُ اللَّهُ لِلدَّوْلَةِ بِسُيُوفِنَا وَسُيُوفِ عَسَاكِرِنَا، وَلَنْ نُقِيمَهُ مِنْ أَحَدٍ وَوَلَدٍ مِنْ بَعْدِنَا، تَهْلِيدًا يَضْمَنُ النُّعْمَةَ تَهْلِيدًا، وَلِلدَّعْوَةِ تَجْلِيدًا، مَعَ مَا نَبْتَغِي بِهِ مِنَ السَّمَاتِ الَّتِي يَفْتَضِيهَا الْمُلْكُ، فَإِنَّ الْإِمَارَةَ الْيَوْمَ نَحْسُنُ نَيْتِنَا فِي الْخَلْقَةِ نَصْرَفُ بِأَقْلَامِنَا، وَنُسْتَفَادُ مِنْ تَحْتَ أَعْلَامِنَا، وَبَيْنَ أَنْ أَمْرَاءَ الدَّوْلَةِ النُّورِيَّةِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ فِي فَتْحِ الْبِلَادِ الْفُنُوسِيَّةِ ضَرُورَةً: لِأَنَّهَا مَنَازِلُ الْعَسَاكِرِ، وَجَمْعُ الْأَقْفَارِ وَالْعَشَائِرِ؛ فَتَقَى لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ يَدٌ حَاكِمَةٌ، وَفِيهِمْ كَلِمَةٌ نَافِلَةٌ؛ مِنْهُمْ وَلَاءُ الْبِلَادِ، وَبُعَاةُ الْعَنَادِ .

وَبِالْجَمْلَةِ فَالشَّامُ لَا يَنْتَظِمُ أَمْرُهُ بَيْنَ فِيهِ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْسَ لَهُ قِرْنٌ يَقُومُ بِهِ وَيَكْفِيهِ، وَالْقَرْنُجُ فَنَهْمُ يَمْرُقُونَ مِنْ خَصْمٍ لَا يَمْلَأُ الشَّرَّ حَتَّى يَمْلَأُوا، وَقِرْنَا لَا يَزَالُ يَحْرِمُ السِّيفُ حَتَّى يَحْلُوا؛ حَتَّى إِنَّا لَمَّا جَاوَزْنَاهُمْ فِي هَذَا الْأَمْدِ الْقَرِيبِ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْمُصْحَفَ قَدْ جَاءَ بِأَيْدِينَا يُحَاصِمُ الصَّلِيبَ؛ اسْتَشْعَرُوا بِفِرَاقِ بِلَادِهِمْ، وَتَهَادَدُوا التَّعَاوِيَ لِأَرْوَاحِهِمْ بِأَجْسَادِهِمْ، وَإِذَا سَدَّ رَأْيُنَا حَسَنُ الرَّأْيِ ضَرْبَنَا بِسَيْفٍ يَقْطَعُ فِي غَمْدِهِ، وَبَلَنَّا الْمُنَى بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَيَدُ كُلِّ مُسْلِمٍ تَحْتَ بُرْدِهِ، وَاسْتَنْقَذْنَا أَسِيرًا مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِي أَسْرَى اللَّهُ إِلَيْهِ بَنِيهِ .

هَذَا مَا لَاحَ طَلَبُهُ عَلَى قَدَرِ الزَّمَانِ، وَالْأَنْفُسُ تَطْلُبُ عَلَى مِقْدَارِ الْإِحْسَانِ؛ فَإِنَّ فِي اسْتِنَاضِ نِيَّاتِ الْخُلْدَامِ بِالْإِتْمَامِ مَا يُعُودُ عَلَى الدَّوْلَةِ مَنَافِعُهُ، وَتَشْكُو الْأَعْدَاءُ مَوَاقِعُهُ، وَتَبْعُثُ الْعَزَائِمَ مِنْ مَوْتِ مَنَاسِبِهَا، وَتَنْقُصُ عَنِ الْبَصَائِرِ غُبَارَ ظُلُمَاتِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَبِّدُ لِإِرَادَتِنَا فِي الْخَلْمَةِ بِمُضَاعَفَةِ الْاِقْتِدَارِ، وَمُسَاعَدَةِ الْاِقْتِدَارِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما كان يُكتب لثواب السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان
عن الديار المصرية)

والعادة أن يكتب فيما يتعلق بمهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ،
وما يترتب فيها ، وما يمتحن على حكمه بمصر والقاهرة المحروستين ، وسائر أعمال الديار
المصرية ، وما تبرز به المراسيم الشريفة في أمورها وقضاياها ، وأستخراج أموالها
ومحومها ، وعمل جسورها وحفائرها ، وما يتجدد في ذلك ، وما يجري هذا المجرى
من سائر التعاقبات ، وتصدر بذلك التذكرة .

وهذه نسخة تذكرة سلطانية كتب بها عن السلطان الملك الصالح على ، ابن الملك
المنصور قلاوون الصالح ، لكافل السلطنة بالديار المصرية ، الأمير زين الدين كتبغا ،
عند سفر السلطان الملك الصالح الى الشام ، وأستقرار كتبغا المذكور نائباً عنه في سنة
تسع وتسعين وسبعمائة ، من إنشاء أحمد بن المكرم بن أبي الحسن الأنصاري ، أحد
مكاتب الدرج يومئذ ومن خطه نقلت ، وهي :

تذكرة نافية ، لخيرات جامعته ، بتمد عليها المجلس العالي ، الأمير ، الزينى ،
كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - في مهمات الديار
المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب بها ، وما يلى ويُفصل في القاهرة ومصر
المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية ، صانها الله تعالى ، وما أخرج به المراسيم
الشريفة ، المألوية ، السلطانية ، الملكية ، الصالحية ، الغلانية - أنفذها الله تعالى -
في أمورها وقضاياها ، ولاياتها وولاياتها ، ومحومها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على
ماشرح فيه :

فصل الشرع الشريف :

يُشَدُّ مِنْ حُكْمِهِ وَقُضَائِهِ فِي تَنْفِذِ قَضَائِهِ وَتَصْرِيفِ أَحْكَامِهِ ، وَالشَّدُّ مِنْهُ فِي قَضَائِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فصل العدل والانصاف والحق :

يَتِمَّدُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ : مُدُنِهَا وَقُرَاهَا وَأَعْمَالِهَا وَوِلَايَاتِهَا : بِحَيْثُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الرِّعَايَا مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَبَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَائِبٍ وَحَاضِرٍ ، وَوَارِدٍ وَمَصَادِرٍ ، وَيَسْتَجْلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَلْسَنَةَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ حِجَّةُ اللَّهِ وَحُجَّةُ الْخَلْقِ ، فَيُلْغِ كُلَّ ضَرَرٍ وَيَرْفَعِ كُلَّ ضَيْرٍ .

فصل الدماء :

يَتِمَّدُ فِيهَا حَكْمُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . وَمِنْ وَجِبٍ عَلَيْهِ قِصَاصٌ يَسْمُ لِفَرِيحِهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَمِنْ وَجِبٍ عَلَيْهِ الْقَطْعُ يُقَطَّعُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فصل الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروستين حرهما الله تعالى :

لَا يَجْتَوِيهِ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَقْوَى قَوْيٌّ عَلَى ضَعِيفٍ ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ جَمْلَةً كَافِيَةً .

فصل

يَتَقَدَّمُ بَأَن لَّا يَمْنَحِي أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا ضَوَاحِيهَا فِي الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ لِمُضْرُورَةٍ مَأْسِيَةٍ ، وَالنِّسَاءُ لَا يَنْصَرِفْنَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يَخْرُجْنَ وَلَا يَمْنَحْنَ جَمْلَةً كَافِيَةً .

فصل الجيوس :

تُحْرَسُ وَتُحْفَظُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَحْلُقُ لِحَى الْأَسَارَى كُلِّهِمْ : مِنْ فَرْجٍ وَأَنْطَاكِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ، وَيُتَعَهَّدُ ذَلِكَ فِيهِمْ كُلِّهَا تَبَهُتٌ ، وَيُحْتَرَزُ فِي أَمْرِ الدَّاخِلِ إِلَى الْجُبُوسِ ، وَيُحْتَرَزُ عَلَى الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ ، وَالرِّجَالُ الَّذِينَ يُخْرَجُونَ مَعَهُمْ ، وَتَقَامُ الشَّمَانُ الثَّقَاتُ عَلَى الْجَانْدَارِيَّةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ ، وَلَا يُسْتَخْدَمُ فِي ذَلِكَ غَرِيبٌ ، وَلَا مَنْ فِيهِ رِيَّةٌ ، وَلَا تَبَتِ الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ إِلَّا فِي الْجُبُوسِ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِحَاجَةٍ تَخْتَصُّ بِهِ وَلَا لِحَامٍ وَلَا كَنِيسَةٍ وَلَا فُرْجَةٍ ، وَتُقَدِّمُ قِيودُهُمْ وَتُوثَقُ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

وَيُضَاعَفُ الْحَرَسُ فِي اللَّيْلِ عَلَى نِزَانَةِ الْبُنُودِ بِإِظْهَارِ ظَاهِرِهَا وَعَلَوُهَا وَحَوَلَتِهَا وَكَذَلِكَ نِزَانَةُ الشَّمَالِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجُبُوسِ .

فصل

يُرَبَّبُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَنْدِ مَعَ الطُّوُوفِ فِي الْمَدِينَةِ لِكَشْفِ الْأَزَقَّةِ وَغَلَقِ الدُّرُوبِ وَتَقَدُّدِ أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَأْدِيبِ مَنْ يُحْبَلُ بِمَرْكُوهٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَكُونُ الدُّرُوبُ مُنْقَلَقَةً . وَكَذَلِكَ تَجُودُ جَمَاعَةُ الْحُسَيْبَةِ وَالْأَحْكَارِ وَجَمِيعُ الْمُرَاكِرِ ، وَيَعْتَمِدُ فِيهَا هَذَا الْأَعْتَادُ ؛ وَمَنْ وَجِدَ فِي اللَّيْلِ قَدْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ وَبِمِثْلِي لغير عُدُرٍ يُسَكِّ وَيُؤَدِّبُ .

فصل

يَحْتَرَزُ عَلَى الْأَبْوَابِ غَايَةَ الْأَحْقَازِ ، وَيَتَقَدَّدُ فِي اللَّيْلِ خَارِجَهَا وَبَاطِنَهَا وَصَنْدُ قَتْحِهَا وَغَلَقُهَا .

فصل

الْأَمَاكُنُ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا الشَّبَابُ وَأَوَّلُو الدَّطَارَةِ وَمَنْ يَتِمَّعَانِ الْبَيْتَ وَالزُّنَطَةَ ، لَا يُفْسَحُ لِأَحَدٍ فِي الْاجْتِمَاعِ بِهَا فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَيَكْفُونَ الْأَكْفُفَ اللَّغَامَ بِحَيْثُ تَقُومُ الْمَهَابَةُ وَتَعْظُمُ الْحَرَمَةُ ، وَيَتَرَجَّرُ أَهْلُ الْغَى وَالْبَيْتِ وَالْبَيْتِ .

فصل

يُرتَّبُ المَجْرُودُونَ حَوْلَ المَدِينَتَيْنِ بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة، وكذلك جهة القرافة وخلف القلعة وجهة البحر، وخارج الحسينية، ولا يهملُ ذلك ليلة واحدة، ولا يفارقُ المَجْرُودُونَ مراكبهم إلا عند السُّفُور وتكامل الضوء .

فصل

يُنْتَقَمُ بأن لا يجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع بالقراطين، ويمنع النساء من ذلك .

فصل

مِهْمَاتُ الغائبين في البيكار المنصور تُحَفَظُ وَيُسَدُّ مِنْ تَوَابِهِمْ في أمورهم ومصالحهم ، وَيَسْتَخْلَصُ حقوقهم لتوابعهم وعُلمَانِهِمْ وكَلَامِهِمْ ؛ ومن كانت له جهة يستخلص حقّه منها ولا يترصّض إلى جهاتهم المستحقة فيما يستحقونه، ويُقَوِّ أَيْلِيَهُمْ، ويُؤَخِّذُ المُجْبِجَ على وكلامهم بما يقبضونه حتى لا يقولوا موكلوهم في البيكار : إنَّ كُتُبَ وكَلَامَنَا وردت بأنهم لم يقبضوا لنا شيئا ، فيكون ذلك سببا لرد شكواهم .

فصل

خَلِيجُ القاهرة ومصر المحروستين يُرَسَّمُ بِعَمَلِهِ وَحَفَرِهِ وإِقَامَتِهِ في وقته : بحيث يكون عملا جيّدا مُتَقَنًا من غير حيف على أحد، بل كلُّ أحدٍ يعمل ما يلزمه عملا جيّدا .

فصل

جُسُورُ ضواحي القاهرة يُسْرَعُ في إيقانها وتعميرها ، ويمتد في حُسْنِ رصفها وفتح مشاربها ، ويحفظها من الطارق طليها ، وتبقى متينة مكلّة إلى وقت النيل المبارك ؛ ولا يخرجُ في أمرها عن العادة، ولا يحتمى أحدٌ عن العمل فيها بما

يُزِمُهُ ، وَيَحْمِلُ الْأَمْرُ فِي جَرَارِهَا وَمُقْلَاتِهَا عَلَى مَا تَهَمَّسَتْ بِهِ الْمَرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ فِي أَمْرِ الْجُسُورِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ .

فصل في الأعمال والولايات .

تُنْتَجِزُ الْأُمُثْلَةُ الشَّرِيفَةُ السُّلْطَانِيَّةُ ، الْمَوْلُويَّةُ ، الْمَلِكِيَّةُ ، الصَّالِحِيَّةُ ، الْقَلَانِيَّةُ ، شَرَفُهَا اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِقْتَانِ عَمَلِ الْجُسُورِ وَتَجْوِيدِهَا وَتَعْرِيفِهَا وَتَقَدُّدِ الْقَنَاطِرِ وَالْتِزَاعِ ، وَعَمَلِ مَاهِدَمِهَا وَمَرْيَمِ مَاهِيٍّ ، وَإِصْلَاحِ مَا تَسَعَّتْ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَتَحْصِيلِ أَصْنَافِهَا الَّتِي تَدْمُو الْحَاجَّةَ إِلَيْهَا فِي وَقْتِ النَّيْلِ ، وَتَعْتَمِدُ الْمَرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْمَلُ بِالْجَاهِ ، وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ فِيهَا الْعَمَلُ يَعْمَلُ عَلَى الْعَادَةِ فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْوَلَاةِ فِي مِبَاشَرَتِهَا بِنَفْسِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا عَلَى الْمُشْدِينَ ، وَأَيُّ جِهَةٍ حَصَلَ مِنْهَا قَصَصٌ أَوْ خَلَّلَ كَانَ قُبَالَةَ ذَلِكَ رُوحٌ وَإِلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ وَمِثَالُهُ ؛ وَيُسَدَّدُ عَلَى الْوَلَاةِ فِي ذَلِكَ غَايَةُ التَّشْدِيدِ ، وَيَحْلُزُّ أَتَمَّ التَّحْذِيرِ ، وَيُؤَخِّدُ خَطُوطَ الْوَلَاةِ بِأَنَّ الْجُسُورَ قَدْ أُتْمِنَ عَمَلُهَا عَلَى الْوُضْعِ الْمَرْسُومِ بِهِ ، وَأَنَّهَا أُتْمِنَتْ وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا خَلَلٌ ، وَلَا مَا يَحْشُونَ دَاقِبَتَهُ ، وَلَا مَا يَحْتَاقُونَ دَرَكَهُ ، وَأَنَّهَا عُمِلَتْ عَلَى مَا رُسِمَ .

فصل

يَتَقَدَّمُ إِلَى الْوَلَاةِ وَيَسْتَخْرِجُ الْأُمُثْلَةَ الشَّرِيفَةَ السُّلْطَانِيَّةَ بِتَرْتِيبِ انْخِلَاقِهَا عَلَى مَا كَانَ الْحَالُ رُتَّبَ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ : أَنْ يُرْتَّبَ مِنَ الْبِلَدِ إِلَى الْبِلَدِ خُفَرَاءُ يَتَلَوْنَ بَيُوتَ شَعَرٍ عَلَى الطَّرِيقَاتِ عَلَى الْبَلَدِينَ ، يَحْفَرُونَ الرَّائِغَ وَالْقَادِيَّ ، وَأَيُّ مَنْ عَدِمَ لَهُ شَيْءٌ يُلْزِمُهُ دَرَكُهُ ، وَيُنَادِي فِي الْبِلَادِ أَنْ لَا يَسَافِرَ أَحَدٌ فِي اللَّيْلِ وَلَا يُغَرَّرَ ، وَلَا يَسَافِرُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا ، وَيُؤَكِّدُ فِي ذَلِكَ التَّأَكِيدَ التَّامَّ .

فصل الثور المحروسة :

يلاحظ أمورهما ومهماتهما ، ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية في مهماتهما وأحوالهما وحفظهما ، والاحتراز على المعتقلين بها ، والاستظهار في حفظهم ، والتيقظ لمهمات الثغر ، وأسجلاب قلوب التجار ، وأسئلة خواطيرهم ، ومعاملتهم بالرفق والمعدل حتى تتواصل التجار وتعمر الثغور ، ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال ، وأصناف التخائر ، وأصناف الخزائن المعمورة والحوامج خاناه ، ويؤمن إليهم بأن هذا وقت افتتاح البحر وحضور التجار وترجيبة الأموال ، وصلاح الأحوال ، والنهضة في تكتير الحمول ، ويؤكد عليهم في المواصلة بها ، وأن تكون حمولا متوفرة ، وأنه لا يفرط في مستخرج حقوق المراكب الواصلة ، ولا يقلل متحصلها ، ولا ينقص حملها ، ويسير بجملها حملا إلى بيت المال المعمور على العادة ، ويؤكد عليهم في الاستعمالات ، وتحصيل الأقمشة والأمتعة على اختلاف أصنافها وإزالة الأعذار فيها : بحيث لا يتوقف أمر الاستعمالات ولا يؤثر مهمتها عن وقته ، ومهما وصل من الممالك والحواري والحرير والوبر والأطلس والفضة الحجر ، وأقصاب الذهب المنزول يعتمد في تحصيله العادة .

فصل

يؤكد على ولادة الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها ، والمواصلة بالحمول في أوقاتها ، ومباشرة أحوال الأقصاب ومماصيرها في أوقاتها ، وأعتاد مصلحة كل عمل على ما يناسبه ويقتضيه مصلحته : من مستخرج ومستقل ، وحمول ومزدرع ، ومستعمل ومثقف ، ويحذرهم عن حصول خلل ، أو ظهور عجز ، أو قنور عزم ، أو قصير رأى ، أو ما يقتضي الإنكار ويوجب المؤاخذه ، ويسدّد في ذلك ما تقتضيه فرص الأوقات التي ينبغي آتئازها على ما يطالبون به .

فصل [أموال] الخراج الديوانية :

يُعتبر عليها وَرَبِّي وَتَمَّى، ولا يَطْلُقُ منها شيءٌ إلا بمرسوم شريف منّا، ويُطالِعُ بأنَّ المرسوم ورد بكنا وكذا ويعود الجواب بما يَتَمَدُّ في ذلك .

فصل حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يُستخلصُ أموالهم ووكلائهم، ويُوجدُ الشهادات بما عليهم من غلة ودراهم، وغير ذلك، ولا يَحُوجُّ الوكلاء إلى شكوى منهم تصل بمن هو في اليكبار، ويَحْجِمُ هذه المائدة، وَيَسُدُّ أبواب المبالطة عنهم .

فصل

يَتَقَدَّمُ إلى الولاية والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يَحْصُلُ لِقَطْعين الأصلية (؟) في كل بلد، ولِقَطْع الجبهة، ولن أفرّد له طابيع بيضة، وإن جهته على الرسوم : لِيُعلمَ حالُ المَقْطَعين في هذه السنة الجبشية والجهاتية وما يَحْصُلُ لكل منهم، ولا يَحْصُلُ من أحد من الولاية مكاشرة ولا إسمال، ولا يَطْمَعُ في الوكلاء لأجل غيبة الأمراء والمَقْطَعين في اليكبار، ولا يَحُوجُّ أحد من المَقْطَعين إلى شكوى بسبب متأخر ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل

إذا خرج جانتار من مصر إلى الأعمال لأيعطى في العمل أكثر من درهين مُقرّة، ويوصل الحق الذي جاء فيه لِمُسْتَحَقّه، فإن حصل منه قال وقيل أوجيف أوتعتت يُرمم عليه، ويُستَر الحق مع صاحبه معه، ويُطالِعُ بأن فلانا الجانتار حضر وجرى منه كذا وكذا، وَيُسْرَحُ الصورة لِيَحْجَمُ للمواد بذلك .

فصل

إذا سَيرَ أحدٌ من الولاة رسولا بسبب خلاص حقٍّ من بعض قوَى أعماله فيكون ما يُعطى الجاندار عن مسافة سفر يوم نصف تُقَرَّة ، وعن يومين درهم واحد لا غير ، وأى جاندار تمضى وأخذ غير ذلك يؤدَّب ويُصرف من تلك الولاية .

فصل :

تُكتبُ الحجج على كل وكيل يقيض لخدمته شيئا من مُغَلَّة أو جِهته : من الديوان أو القلاحين ؛ ولا يسلم له شيء إلا بشهادة مُحجَّج مكتوبة عليه ، تُخلد منها حجة الديوان المعمور بما قبضه من جِهته أو إقطاعه ، وتبقى الحججُ حاصلة حتى إذا شك أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بن يسكوي نأثر حقه ، يُطالبوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه ، ويسير الشهادة عليه على مطالته ، (وَيُحْتَرَز من الشهادات) بما وصل لكل مُقطع ، حتى إذا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصل المُقطعين من البلاد والجهات مُفصلا وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلّة وما تأثر لكل منهم ، ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمُقطعين وأحوالهم ، ويُزِيلُ شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الجليّة .

فصل

تقرأ هذه التناكر على المنابر فصلا فصلا ، ليسمعا القريب والبعيد ، ويسألها الحاضر والغائب ، ويعمل بمضمونها كل أحد . ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخير بما يقاه من سطواتنا وشدة بأسنا ، والسلام .

الضرب الثالث

(ما كان يُكتب لثواب القلاع وولائها : إما عند استقراي الثائب بها ، وإما في خلال نيابته)

والعادة فيها أن يكتب فيها باعتماد الكُشف عن أحوال القلعة وأسوارها وعرض حواصليها ، ومقدّمى رجالها ، وترتيب الرجال في مراكزهم ، وكشف مظالم الرعايا ، والنظر في الاحتراز على القلعة وعلى أبوابها ، والاحتفاظ بما فيها على العادة ، وتحصيل ما يحتاج إليه فيها من الزاد والحطب والمئعة وغير ذلك . والمطالعة بمتجددات الأخبار .



وهذه نسخة تذكرة كتب بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون بسبب قلعة صرخند من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسلى نائباً بها ، والأمير عز الدين والياً بها في سنة تسع وسبعين وستمائة ، من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية ، وهى :
تذكرة مباركة نافعة ، لكثير من المصالح جامعته ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين وعز الدين عند توجهيهما إلى قلعة صرخند المحروسة .

يتمدن العدل في الرعية ، وبأولئك منتهج الحق في كل قضيه ، وأعتاد ما يرضى الله تعالى ويَرْضينا ، وليكن الإنصاف لما عقيدة والتقوى ديناً ، ولا يتطلع أحدهما إلى ما في يد أحد من مال ولا نَسَب ، ولا يمارض أحد أحداً بلا سبب ، وليتقوا الله ويخشوه ، ويتجنبوا الباطل ولا يَشْوَه ، ولا يظن أحد منهم أن قد بُدّ عنا فيطمع إلى الظلم أو يطمع ، فإننا منهم بمراءى ومسمع ، وليكونوا على المصالح متفقين ، وبأذيال الحق متعلقين ، وعلى الرعية مشفقين .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بَكْشَفِ أسوار القلعة المنصورة وأبراجها وبَنَاتِهَا وأبوابها ، وما يحتاجُ إلى إصلاح وترميم وعمارة ، ويحُرِّرانَ أَمْرَ ذلكَ تحريراً ، ويَتَهَيِّدانِ في إصلاح ما يجب إصلاحه وترميم ما يجب ترميمه ، والمطالعة بما كُشِّفَ وما أَعْتَمَدَ .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بَعْرَضِ حَوَاصِلِ القلعة المنصورة ، والجزائفة المعورة ، ويَحْقُقُونِ ما بها من الأموال والغلال والذخائر والحواصل ، ويعملون بذلك أوراقاً محزنة ، ويُسَيِّرُونِ نَسَخَتَهَا إلى الباب الشريف .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بَعْرَضِ مَقْدَمَى رجال القلعة ، وأرباب الجاميَّات والرواتب بها ، ويَحُرِّرانَ أَمْرَ مَقَرَّاتِهِمْ : من جاميكية وجرارية ، ويَحْرِيانِ في صَرَفِ ذلكَ دلي العدة الجارية المستقرّة ؛

فصل

يَسْتَوْجِهانِ من الأمير عز الدين والأمير عَلم الدين المنصريَّينِ عن المصالح المختصة بهذه القلعة وعن أمورِها ، جليلها وحقيرتها ، فإنهما قد أحسنا في ذلك التدبير ، وأجلا التأثير ، ومسلكتها أجمل مَسَلَك ، ويَهْتَدِيانِ بما يَوْجِهُنَّه لهما من المصالح والمهمات ليكون دُخُولُهما في هذا الأمر على بصيرة .

فصل

يَكُونُ أَمْرُ النياحة والحكم العام في القلعة المنصورة ، وتزليل الرجال واستخدامهم وصَرَفُ من يجب صَرْفُه - للأمر سيف الدين - باسطة بمشاركة الأمير عز الدين في إمام الرجال والاستخدام والصرف ، ويكون أَمْرُ النياحة راجعاً للأمير سيف الدين

باسطى والحكم فيها له، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عز الدين، ويخبران في ذلك على عادة من تقدمتهما في هذه النيابة والولاية، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كان يسكنها الأمير عز الدين، وحكمه في النيابة لحكمه، ويسكن الأمير عز الدين في الدار التي كان يسكن فيها الأمير علم الدين، وحكمه في الولاية لحكمه. ولا يتعدى أحد طوره، ولا يخرج عما قرّره، ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه، ويتفقان على المصالح كلها، ويكونان كزوجين في جسد واحد.

فصل

يتقمان بأن يرتب الرجال في مراكمهم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار، والحرسية على العادة في الليل والنهار. وإن كان ثم خلل في ذلك أو تضريب أو إهمال، فليستندرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب.

فصل

ينصيان في أوقات العادة في باب القلعة لكشف مظالم الرعية في القلعة والبر، ويعتمدان إنصافهم، وتولية دأصهم، وسماع كلمهم، وكف ظالمهم وإعانة مظلومهم، واعتماد ما يجب من العدل وبسطه في الرعية، وكف الأيدي العادية.

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تُبَيِّت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة، وإذا تسلمها يتسلمها بحتمها على العادة.

فصل

الدخائر والغلال يُحْتَد في تحصيلها بالقلعة، ولا تُخزن غلة جديدة على غلة صتيقة. وكل هري يُخزن فيه غلة يمزج أمرها وتُسال عيبتها في كيس ويحصل في الخزانة ويحتم عليها، ولا يُصرف من الحديد قبل نقاد التيق، ولا يُترك التيق ويُصرف من الحديد. وكذلك بقية الحواصل يُسلّك فيها هذا المسلك.

فصل

مهما جرت العادة بكنمينه على أرباب الجاميكات والمقزرات ، فليجبر الأمر فيه على العادة من غير حيف ، وليدخل الديوان والمباشرون في التثمين لئلا يسلك أمر التثمين على الرحالة والضعفاء مع قلة معلومهم ويوفر من ذلك أرباب الدواوين مع كثرة معلومهم ، بل يكونوا أول من يُكَنَّن عليه ، ومن لا قدرة له : مثل راجل ضعيف أو ربّ معلوم قليل ، فليُتَّقَى به في ذلك ، نظراً في حق الضعفاء .

فصل

يُكْتَرُونَ من الأخطاب ومن الفسخ والملح بالذخائر ، وكذلك من كل ما تدعو الحاجة إليه ، ويجهدون في تحصيل الأموال وتوفرها بالخزانة المعمورة : بحيث لا يكون لها شغل تشغلها عن ذلك ، بل يصرفان المهمة في غالب أوقاتها إلى الفكرة في مالي يحصلونه ، أو صنيف يذخرونه ، ولا يهملان ذلك .

فصل

يطالمان الأبواب العالية في غالب أوقاتها بما يتجدد عندهما من المصالح ، وبما يميز من الأموال ، و [بما] حيل إلى الخزائن وإلى الأهرام من الأموال والغلال . وكذلك يطالمان نائب السلطنة يمشق المحروسة على العادة في ذلك ، وتكن مطالعتهما جامعة وعليها خطهما . ومن لاحت له مصلحة في بعض الأوقات واختار أن يطالع بافراده فليطالع .

فصل

لا يمكن أحدا من الرجال المرتبين بالقلمة المحروسة وأرباب الثوب أن يُحِلَّ بئوته ولا يفارقها ، ولا يخرج من القلمة أحد من الرجال إلا بمشور ويسود في يومه والله الموفق .

قلت : وبالجملة فالتناكر منوطة بحال المكتوب له التذكرة ، والمكتوب بسببه ؛
فيختلف الحال باختلاف الأسباب ، ويُقضى لكل تذكرة بفصول تناسبها بحسب
ما تدعو الحاجة إليه .

وأعلم أن الاتق بالذاكر الخارجية من ديوان الإنشاء أن تكون في الفصاحة
والبلاغة على حد الرسائل ، فيعلو شأن التذكرة باعتبار أشتمالها على الفصاحة والبلاغة ،
ويختص بفواتهما ؛ وأنظر إلى تذكرة القاضي الفاضل المبتدأ بها ، وما أشتملت عليه
من الفصاحة والبلاغة ، وأين هي من التذكرتين اللتين بعدها ؛ فإنه قد أهمل فيهما
مراعاة الفصاحة والبلاغة جملة ، بل لم تُراع في الأخيرة منهما قوانين النحو ، إذ يكون
يتكلم بصيغة التثنية على سياق ما عُدت له التذكرة لاشتمالها على اثنين فإذا هو
قد عدل إلى لفظ الجمع ، ثم يعود إلى لفظ التثنية ، هذا ، وهي منسوبة إلى القاضي
محى الدين بن عبد الظاهر ، صاحب ديوان الإنشاء يومئذ ، وهو من بيت الكتابة
والبلاغة ، إلا أنه قد يُريد بضوئه من التثنية إلى الجمع أن ينتقل إلى خطاب جمع
المتحدثين في القلمة فيما يتعلق بذلك الفصل الذي يكون فيه ، وإلا فلا يجوز صُور
مثل ذلك عنه وتكراره المرة بعد الأخرى .

المقالة السابعة

في الإقطاعات والقَطَائِع ، وفيها بابان

الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر مقدمات تتعلق بالإقطاعات ، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأول

(في بيان معنى الإقطاعات وأصلها في الشرع)

أما الإقطاعاتُ فجمعُ إقطاع ، وهو مصدرُ أقطع ، يقال : أقطعهُ أرضاً كذا يقطعهُ إقطاعاً ، وأستقطعهُ إذا طلبتُ منه أن يقطعهُ ، والقَطِيعَةُ الطائفةُ من أرض الخراج .
وأما أصلُها في الشرع فها رواه الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخِ دِمَشقٍ بسنده إلى ابنِ سيرينَ عن تميم الدارِيِّ أنه قال : « أَسْتَطَعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالشَّامِ قبل أن تُفْتَحَ فأعطانيها ، ففتحها عمرُ بنُ الخطاب في زمانه فأتيتُهُ ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثلثها لابنِ السَّيْلِ ، وثلثها لعمارتها ، وثلثاً لنا » .

وفي رواية : أَسْتَطَعْتُ أرضاً بالشَّامِ فأعطيتُها ، ففتحها عمرُ في زمانه فأتيتُهُ ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثلثها لابنِ السَّيْلِ ، وثلثها لعمارتها ، وترك لنا ثلثاً .

وذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" : أن أبا ثعلبة الأنصاري رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرضاً كانت بيد الروم فاعجبه ذلك ، وقال ألا تسمعون ما يقول ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك ، فكتب له بذلك كتاباً .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطع الزبير بن العوام ركض فرسه من موت البقيع فأجراه ورعى بسوطه رغبة في الزيادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطوه منتهى سوطه» .

وذكر أن الأيضي بن حمّال استقطعه ملح مارب فافطعه ، فاجزاه الأفرع ابن حابس أنه كان في الجاهلية [وهو بأرض ليس فيها غره من ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذب بالأرض ، فاستقال الأيضي في قطعة الملح فقال قد أفتلك على أن تجعله مني صدقة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : هو منك صدقة ، وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه ^(١)] .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن أول من أقطع القضايع بالأرضين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه - ولا ريب له بعد ما تقدم ذكره ، اللهم إلا أن يريد أن عثمان أول من أقطع القضايع بعد الفتح ، فإن ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الفتح كما تقدم .

قال بعد ذلك : وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقطع قضايع فاطمي عثمان به في ذلك وأقطع خباب بن الارت وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

(١) ترك في الأصل يائسا في هذا الموضع وقد تداركناه من كتاب الأحكام السلطانية ص ١٧٤

والزَّيرَ، وأقطع طلحةَ أجمَةَ الجُرْفِ^(١) : وهو موضع النَّشَاجِ ، فكتب إلى سعيد
ابن العاص وهو بالكوفة أن يَنقُلَهَا لَهُ .

الطرف الثاني

(في بيان أول من وَضَعَ ديوانَ الجيش ، وكيفية ترتيب منازل الجند
فيه ، والمساواة والمفاضلة في الإعطاء)

ذكر أبو هلال السكري في "الأوائل" والماوردي في "الأحكام السلطانية"
أن أول من وَضَعَ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
قال الماوردي : وأختلف [الناس] في سبب وضعه [له] : فقال قوم : سببه أن
أبا هريرة قَدِمَ عليه بِمَالٍ من الْبَحْرَيْنِ ، فقال له عمر : ما جئتَ به ؟ قال تَحْمِيْلُ
ألفِ درهمٍ ، فأستكثره عمرُ ، وقال : أتدري ما تقول ؟ قال نعم ! مائة ألف تَحْمَسُ
مرات ، فقال عمر : أطيبُ هو ؟ قال لا أدرى . فصعد عمر المنبرَ ، حمِدَ اللهَ
وأثنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناس ! قد جاءنا مالٌ كثيرٌ ، فإن شئتمْ كُلُّنا لَكُمْ كَيْلًا ،
وإن شئتمْ عَدَدْنَا لَكُمْ عَدَا ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : رأيتُ الأَطاحِمَ
يَتَوَنَّنُونَ دِيوانًا ، فَدَوَّنَ أَنْتَ لَنَا دِيوانًا .

. وذهب آخرون إلى أن سببَ وَضْعِ الديوان أن عمر بعثَ بَشًّا وعنده
المُرْمِزَانِ ، فقال لعمر : هذا بَشٌّ قد أعطيتَ أهله الأموالَ ، فإن تخلفَ منهم
رجل وأخلَّ بمكانه ، فمن أينَ يسلمُ صاحبك به ؟ فأنشئتْ لهم دِيوانًا ، فسأله عن
الدِّيوانِ ففسَّره له .

(١) في الأوائل "الجرف" .

وروي أن عمر رضي الله عنه استشار المسلمين في تكوين النواوين، فقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه: هَمِّمْ كُلَّ سَنَةٍ مَا أَجْتَمَعَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَالِ، وَلَا تُتِمِّسْ مِنْهُ شَيْئًا. وقال عثمان: أَرَأَيْتَ مَا لَا كَثِيرًا يَسْعَى النَّاسُ، فَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى يُعْلَمَ مِنْ أَخَذَ مِنْ لَمْ يَأْخُذْ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَثَرُ. - فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قَدْ كُنْتُ بِالشَّامِ قَرَأْتُ مُلُوكَهَا دَوَّنُوا دِيْوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا، فَلَدَّنُوا دِيْوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا، فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ وَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَغَرَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ، وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، (وَكَانُوا مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ) قَالَ: أَكْتُبُوا [النَّاسَ] عَلَى مَنَازِلِهِمْ، فَبَدَعُوا بَنِي هَاشِمٍ فَكَتَبُوهُمْ، ثُمَّ اتَّبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ، [ثُمَّ عَمَرُوا وَقَوْمَهُ] وَكَتَبُوا الْقَبَائِلَ وَوَضَعُواهَا عَلَى الْخِلَافَةِ، ثُمَّ رَفَعُوهُ إِلَى عَمْرٍو، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ، قَالَ: لَا! وَمَا وَدِدْتُ أَنَّهُ هَكَذَا، وَلَكِنْ أَبَدُوا بِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْأَقْرَبُ فَلِأَقْرَبٍ حَتَّى تَضَعُوا عَمْرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ. فَشَكَرَهُ الْعَبَّاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: وَصَلَّتْكَ رَحِمٌ.

وروي زيد بن أسلم عن أبيه: أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ جَاءُوا إِلَى عَمْرٍو، فَقَالُوا: إِنَّكَ خَلِيفَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَوْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ جَعَلَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَتَبُوا؟ قَالَ: يَخْرُجُ يَابَنِي عَدِيٍّ!! إِنْ أَرَدْتُمْ إِلَّا الْأَكْلَ عَلَى ظَهْرِي، وَأَنْ أَتُحِبَّ حَسَنَاتِي لَكُمْ، لَا وَاقِهِ! حَتَّى تَأْتِيَكُمْ الدَّعْوَةُ وَلَوْ أَنْطَبَقَ عَلَيْكُمُ الدَّفْعَرُ. يعني ولو أن تكتبوا آثر الناس. إن صاحبي سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا والآخرة، ولا نرجو الثواب عند الله على عملنا إلا بحمد صلى الله عليه وسلم، فهو أشرفنا، وقومنا أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب، وواقه تين جاءت الأجاجيم بعمل وجئنا بعمل دُونهم، لَمْ أَوَّلَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَإِنَّ مَنْ قَصَّرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُتَرَعَّ بِه نَسَبُهُ.

وروي أن عمر رضي الله عنه حين أراد وضع الديوان، قال: بمن أبدأ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: أبدأ بنقيسك، فقال عمر: أذكر أني حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يئسُ بني هاشم وبني عبد المطلب، فبدأ بهم عمر، ثم بمن يليهم من قبائل قُريش بطننا بعد بطن، حتى استوفى جميع قُريش، ثم انتهى إلى الأنصار، فقال عمر: أبدأوا برهط ساعد بن مُعاذ من الأوس، ثم بالأقرب فالأقرب لسعد.



وأما المساواة والمفاضلة في العطاء فقد اختلف فيه: فكان أبو بكر رضي الله عنه يرى التسوية [بينهم] في العطاء [ولا يرى التفضيل بالسابقة] كما حكاه عنه الماوردي في "الأحكام السلطانية".

قال أبو هلال العسكري في "الأوائل": وقد روي عن عوانة أنه قال: جاء مال من البحرين إلى أبي بكر رضي الله عنه فسأوى فيه بين الناس، ففضّبت الأنصار، وقالوا له: فضّلنا، فقال: إن أردتم أن أفضّلكم فقد صار ما عيتموه للدنيا، وإن شئتم كان ذلك لله، فقالوا: والله ما عيئناه إلا لله! وأنصرفوا. فرقى أبو بكر رضي الله عنه المتبر، فحمد الله وأخى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار لو شئتم [أن] تقولوا: إنا آويناكم وشاركناكم أموالنا ونصرناكم بأفئسنا لقُتم، وإن لكم من الفضل ما لا يحصى له عدد، وإن طال الأمد، فتحنّ وأتم كما قال النوبختي:

جرى الله عنا جفراً حين أزلقت * بنا تملنا في الواطين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذي لا قوة منّا ملّت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم * ظلال بيوت أذفات وأكتبت

قال الماوردي : وإلى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه ذهب على رضي الله عنه في خلافته ، وبه أخذ الشافعي ومالك .

وكان عمر رضي الله عنه يرى التفضيل بالسابقة في الدين ، حتى إنه ناظر أبا بكر رضي الله عنه في ذلك ، حين سوى بين الناس ، فقال : أسأوي بين من هاجر المحجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم مأم الفتح خوف السيف ؟ ! - فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا [دار] بلاغ [للاكب] ^(١) ، فقال له عمر : لا أجعل [من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه] فلما وضع الديوان ^(١) جرى [على التفضيل بالسابقة] فقرض لكل رجل شهيد بدرًا من المهاجرين [الأوليين] خمسة آلاف درهم كل سنة ، ولكل من شهيد بدرًا من الأنصار أربعة آلاف درهم ، ولكل رجل هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجل هاجر بعد الفتح ألفين ، وفرض لنفمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار أمانة من أسلم بعد الفتح ، وفرض للناس على منازلهم ، وقراءتهم القرآن ، وجهادهم بالشام واليراق ، وفرض لأهل اليمن وقيس : لكل رجل من ألقى درهم إلى ألف درهم ، إلى خمسة مائة درهم ، إلى ثمانية مائة درهم ، ولم ينقص أحدا عنها ، وقال : لئن كثر المال لأقرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألفا لقرسه ، وألفا لسلحه ، وألفا لسفره ، وألفا يحميها في أهله ، وفرض للنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع فرض له مائتين ، فإذا بلغ زاده . وكان لا يقرض للولود شيئا حتى يظلم ، إلى أن سمع ليلة أمرأة تكره ولدها دلي الفطام ، وهو يتكى ، فسأله عنه - فقالت : إن عمر لا يقرض للولود حتى يظلم فانا أكرهه على الفطام حتى يقرض له - فقال يلويح عمر ! كم احتجب من

وَزُرَّ وهو لا يدري، ثم أمر مناديا فينادي: أَلَا لَأَتَسَيَّلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْعِطَامِ، فإننا نفرض لكلِّ مولود في الإسلام . قال الماوردي : ثم رُوِيَ في التفضيل عند انقراض أهل السوابق التقدُّم في الشجاعة والبلاء في الجهاد .



وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكفاية حتَّى يستغنى بها عن التماس مائة تقطعه عن حماية البيضة . ثم الكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه : أحدها عدد من يؤمله من الدَّارِيِّ والمماليك . والثاني عدد ما يرتبط من الخيل والظَّهر . والثالث : الموضع الذي يحلُّه في الغلاء والرُّخص فتقدر [كفايته في] نفقته وكسوته لعاميه كَلَّة . ثم تُعتبر حاله في كل عام ، فإن زادت نفقته زيد ، وإن نقصت نُقص ، فلو تَقَدَّرَ رزقه بالكفاية ، فمنع الشافعي من زيادته على الكفاية وإن أُنْسَحَ المال ، لأن أموال بيت المال لا توضع إلا في الحقوق اللازمة ؛ وأجاز أبو حنيفة زيادته حينئذ .

الطرف الثالث

(في بيان من يستحق إثباته في الديوان ، وكيفية ترتيبهم فيه)

فأما من يستحق إثباته في الديوان ، ففيه خمسة أمور :

- أحدها — البُلُوغ . فلا يجوز إثبات الصَّبِيِّ في الديوان ، وهو رأى عمر رضى الله عنه ، وبه أخذ الشافعي رضى الله عنه ، بل يكون جاريًا في جملة عطاء الدَّارِيِّ .
- الثاني — الحرِّيَّة . فلا يُثبت في الديوان مملوكٌ ، بل يكون تابعًا لسيده داخلًا في عطائه ، خلافاً لأبي حنيفة فإنه جوز أفراد المملوك بالعطاء ، وهو رأى أبي بكر رضى الله عنه .

الثالث — الإسلام، ليدفع عن الملة باعتقاده، حتى لو أثبت فيهم ذنبي لم يحز، ولو أرتد منهم مسلم سقط .

الرابع — السلامة من الآفات الماسة من القتال . فلا يجوز أن يكون زمناً ولا أعشى ولا أقطع، ويجوز أن يكون أترس أو أصم . أما الأعرج، فإن كان فارساً جاز إثباته أو راجلاً فلا .

الخامس — أن يكون فيه إقدام على الحرب ومعرفة بالقتال، فإن ضمعت هيمته عن الإقدام، أو قلت معرفته بالقتال لم يحز إثباته .

فلذا وجدت في هذه الشروط، أعترفي فيه خلوه عن عمل وطلبه الإثبات في الديوان؛ فلذا طلبت فعلى ولي الأمر الإجابة إذا دعت الحاجة إليه . ثم إن كان مشهور الأسم فذاك، وإلا حُلِّ وتبت، بذكر سنه وقده ولونه وصفة وجهه، ووصف بما يتميز به عن غيره، كي لا تتفق الأسماء، أو يدعى في وقت العطاء، ثم يضم إلى تقييد عليه أو عريف يكون مأخوذاً بذكره .



وأما ترتيبهم في الديوان فقد جعلهم الماوردي في "الأحكام السلطانية" على ضربين :

الضرب الأول — الترتيب العام . وهو ترتيب القبائل والأجناس حتى نتميز كل قبيلة عن غيرها وكل جنس عن مخالفه، فلا يجمع بين المختلفين، ولا يفرق بين المتوحدتين . فتكون دعوة الديوان على نسق معروف النسب يزول فيه التنازع والتجاذب . فإن كانوا عرباً روعي فيهم القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما فعل عمر

رضى الله عنه : فُقِّمَ العربُ المُستَربة : وهم عَدَنَانُ من ولد إِسْمَاعِيلَ عليه السلام ،
على الدَّربِ العاربة : وهم بنو حِطَّانَ عَرَبِ الْيَمَنِ : لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من
عَدَنَانَ . ثم عَدَنَانُ تَجَمُّعُ ربيعةَ ومُضَرَ ؛ فَتَقَدَّمَ مُضَرٌّ على ربيعةَ : لأنَّ النَّبُوَّةَ في مُضَرَ ،
ومُضَرٌّ تَجَمُّعُ قُرَيْشًا وغيرِ قُرَيْشٍ ، فَتَقَدَّمَ قُرَيْشٌ على غيرهم : لأنَّ النَّبُوَّةَ فيها ، فيكون
بنو هَاشِمٍ هم قُطْبُ التَّرتِيبِ ، ثم من يليهم من أَقْرَبِ الْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
قُرَيْشًا ، ثم من يليهم في النَّسَبِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مُضَرَ ، ثم من يليهم حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
جَمِيعَ عَدَنَانَ .

وإن كانوا عَجَمًا لَا يَحْتَمِئُونَ على نَسَبٍ ، فالرجوعُ إليه في أمرهم : إما أَجْناسُ
وإما بِلَادٌ ، فالْمَيِّزُونَ بِالْأَجْناسِ كَالْتُرْكِ وَالْهِنْدِ ؛ ثم تَمَيِّزُ التُّرْكِ أَجْناسًا ،
والهِنْدُ أَجْناسًا . وَالمَيِّزُونَ بِالْبِلَادِ : كَالدَّيْلِمِ وَالْجَيْلِ ؛ ثم تَمَيِّزُ الدَّيْلِمِ بُلْدَانًا ،
وَالْجَيْلِ بُلْدَانًا . فإِذَا تَمَيَّزُوا بِالْأَجْناسِ أَوِ الْبُلْدَانِ : فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ رَتَّبُوا عَلَيْهَا
فِي الدِّوَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ رَتَّبُوا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا
فَبِالسَّبْقِ إِلَى طَاعَتِهِ .

الضرب الثاني . الترتيبُ الخَاصُّ : وهو ترتيبُ الواحدِ بعدَ الواحدِ ، فيَقَدِّمُ
فيه بالسَّابِقَةِ بِالْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا رَتَّبُوا بِالْدِّينِ ، فَإِنْ
تَقَارَبُوا فِيهِ رَتَّبُوا بِالسَّنِّ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا بِالسَّنِّ رَتَّبُوا بِالشَّجَاعَةِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهَا ،
كَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ يَرْتَّبَهُم بِالْقُرْعَةِ أَوْ عَلَى رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السابعة

(في بيان حكم الإقطاع)

قال في "الأحكام السلطانية" : وإقطاع السلطان يختص بما جاز فيه تصرفه ،
وقننت فيه أوامره ، تكون مائتين مائة وتميز مستحقه .

ثم الإقطاع على ضربين :

الضرب الأول

(إقطاع التملك)

والأرض المقطعة بالملك إما موات ، وإما عامر ، وإما معدن .

فأما الموات فإن كان لم يزل مواتاً على قديم الزمان ، لم تجر فيه عمارة ، ولم تثبت
عليه ملك ، فيجوز للسلطان أن يقطعه من يحميه ويعمره . ثم منذهب أبو حنيفة
أن إذن الإمام شرط في إحياء الموات ، وحينئذ فيقوم الإقطاع فيه مقام الإذن .
ومنذهب الشافعي أن الإقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره . وعلى كلا المذهبين
يكون المقتطع أحق بإحيائه من غيره .

وأما إن كان الموات عامراً غريباً وصار مواتاً عاطلاً ، فإن كان جاهلياً : كأرض
عاد وثمود ، فهي كالموات الذي لم تثبت فيه عمارة في جواز إقطاعه . قال صلى الله
عليه وسلم : « خَدَتِ الْأَرْضُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ ، يَمْنَى أَرْضِ عَادٍ » .
وإن كان الموات إسلامياً جرى عليه ملك المسلمين ، ثم خرب حتى صار مواتاً عاطلاً ،

فمنعِبُ الشافعي أنه لا يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومنعِبُ مالك أنه يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومنعِبُ أبي حنيفة أنه إن عُرِفَ أربابه لم يملك بالإحياء، وإلا يملك. ثم إذا لم يميز أن يملك بالإحياء على منعهِبِ^(١) الشافعي، فإن عُرِفَ أربابه لم يميز إقطاعه، وإن لم يُعرفوا جاز إقطاعه وكان الإقطاع شرطاً في جواز إحيائه. فإذا صار الموات إقطاعاً لمن خصه الإمام به لم يستقر ملكه عليه حتى يَحْيِيَهُ وَيَكْمُلَ إحياءه، فإن أمسك عن إحيائه كان أحق به يداً وإن لم يَصِرْ له ملكاً.

وأما العامر: فإن تَبَيَّنَ مالكوه، فلا نَظَرَ للسلطان فيه إلا ما تَمَلَّقَ بتلك الأرض من حُقوق يَتَّي المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت لمسلم أو ذمّي، وإن كانت في دار الحرب التي لم يَثْبُت عليها السلمين يَدُّ جاز للإمام أن يَقْطَعَهَا يَمْلِكُهَا الْمُقْطَعُ عند الظُّفْرِ بِهَا، كما أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَيْمَاءً وَأَصْحَابَهُ أَرْضًا بِالشَّامِ قبل فتحه، على ما تهتم ذكره في أول الباب.

وإن لم يَتَبَيَّنْ مالكوه: فإن كان الإمام قد أَمْصَفَاهُ لَبِيتَ المال من قُحُوق البلاد: إما بِحَقِّ الخُصْس، أو بِاسْتِطَابَةِ نفوس الغنَّامين، لم يَمِزْ إقطاع رقبته: لأنه قد صار بِاصْطِفَائِهِ لَبِيتَ المال ملكاً لكافة المسلمين، فصار على رقبته حُكْمُ الوَقْفِ المؤبَّد؛ والسلطان فيه بِالْخِيَارِ يَنْ أَنْ يَسْتَنْفِلَهُ لَبِيتَ المال وبين أن يَتَخَيَّرَ لَهُ مِنْ دَوَى الْمَكْنَةِ وَالْعَمَلِ مَنْ يَقُومُ بِمَارَةِ رَقْبَتِهِ، وَيَأْخُذُ نَحْرَاجَهُ، وَيَكُونُ الْخَرَاجُ أَجْرَةً عَنْهُ تُصْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْمَصَالِح.

(١) عبارة الأحكام السلطانية «وإن لم يميز على منعهِبِ أن يملك» الخ والضمير عائد على أبي حنيفة، وحرر.

(٢) عبارة «الأحكام» السلطانية «يجرى على رقبته حكم الخ» وهي أوضح.

وإن كان الماصر أرض نراج لم يُجز إقطاع رقبائها تملكاً .

وأما إقطاع نراجها فسيأتى فى إقطاع الاستغلال فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وراث، صار لبيت المال ملكاً لعامة المسلمين . ثم قيل : تصير وقفاً على المسلمين بمجرد الانتقال إلى بيت المال، لا يجوز إقطاعها ولا بيعها . وقيل : لا تصير وقفاً حتى يفتيها الإمام، ويجوز للإمام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها فى ذوى الحاجات . ثم قيل : يجوز إقطاعها كما يجوز بيعها، ويكون تملك رقبته بالإقطاع كتمليك ثمنها . وقيل : لا يجوز إقطاعها وإن جاز بيعها : لأن البيع معاوضة والإقطاع صلة .

الضرب الثانى

(من الإقطاع إقطاع الاستغلال)

وهو : إما نراج أو عشر .

فأما النراج : فإن كان من يقطع الإمام من أهل الصدقات لم يجوز أن يقطع مال النراج : لأن النراج فى الاستحقاق أهل الصدقة كما لا يستحق الصدقة أهل الفداء وأجاز إقطاعه أبو حنيفة .

وإن كان من أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يقطع على الإطلاق وإن جاز أن يعطى من مال النراج : لأنهم من قفل أهل الفداء لا من قرضه، وما يعطونه إنما هو من غلات المصالح، فإن جعل لهم من مال النراج شئ أجرى عليه حكم الحوالة لأحكام الإقطاع .

وإن كان من مُرْتَقَةٍ أَهْلِ النَّارِ، وهم أَهْلُ الْجَنَّةِ، فهم أَخَصُّ النَّاسِ بِمِيزَانِ الْإِقْطَاعِ : لأنَّ لَمْ أَرْزَاقًا مَقْدَرَةً تُصَرَّفُ إِلَيْهِمْ مُصَرَّفُ الْأَسْتَحْقَاقِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَعْوَاضٌ عَمَّا أَرْصَدُوا نَفْسَهُمْ لَهُ مِنْ حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرِيمِ .

ثم الخراج : إما جَزِيَّةٌ وهو الواجب على الْجَمَاعِمْ، وإما أَجْرَةٌ وهو الواجب على رِقَابِ الْأَرْضِ . فإنْ كَانَ جَزِيَّةً لَمْ يَمِزْ إِقْطَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوْتَوَّقٍ بِاسْتِحْقَاقِهِ بَدْعًا لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسَلِّمَ الذَّمَّى قَرَوْلَ الْجَزِيَّةِ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ أَجْرَةً جَازَ إِقْطَاعُهُ سَنِينَ لِأَنَّهُ مُسْتَمَرُّ الْوُجُوبِ عَلَى التَّائِيدِ .

ثم له ثلاث أحوال :

أحدها — أَنْ يُقَدَّرَ بِسَنَيْنَ مَعْلُومَةٍ، كَمَا إِذَا أَقْطَعَهُ عَشْرَ سَنِينَ مَثَلًا، فَيَصِحُّ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ رِزْقُ الْمُقْطَعِ مَعْلُومٌ الْقَدْرَ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْرُ الْخَرَاجِ مَعْلُومًا عِنْدَ الْإِمَامِ وَعِنْدَ الْمُقْطَعِ، حَتَّى لَوْ كَانَ مُجْهُولًا عَنْهُمَا أَوْ عِنْدَ أَحَدِهِمَا لَمْ يَصِحَّ . ثم بعد صِحَّةِ الْإِقْطَاعِ يُرَاعَى حَالُ الْمُقْطَعِ فِي مَدَّةِ الْإِقْطَاعِ : فَإِنْ بَقِيَ إِلَى أَقْضَاءِ مَدَّةِ الْإِقْطَاعِ عَلَى حَالِ السَّلَامَةِ فَهُوَ عَلَى اسْتِحْقَاقِ الْإِقْطَاعِ إِلَى أَقْضَاءِ الْمَدَّةِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَقْضَاءِ الْمَدَّةِ بَطَلَ الْإِقْطَاعُ فِي الْمَدَّةِ الْبَاقِيَةِ، وَيَسُودُ الْإِقْطَاعُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ . وَإِنْ كَانَ لَهُ ذَرِيَّةٌ دَخَلُوا فِي عَطَاءِ الذَّرَارِيِّ دُونَ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ، وَيَكُونُ مَا يُعْطَوْنَهُ تَسْبِيًا لَا إِقْطَاعًا . وَإِنْ حَدَثَ بِالْمُقْطَعِ زَمَانَةٌ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ فَقِيَ بِنَاءُ الْإِقْطَاعِ قَوْلَانِ : (أحدهما) أَنَّ إِقْطَاعَهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَى أَقْضَاءِ الْمَدَّةِ (والثاني) أَنَّهُ يُرْتَجِعُ مِنْهُ .

الثانية — أَنْ يُقْطَعَهُ مَدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ لَعَبَهُ وَوَرِثَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَا يَصِحُّ : لِأَنَّهُ يُخْرَجُ بِذَلِكَ عَنْ حَقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْأَمْلاكِ الْمَوْرُوثَةِ، فَلَوْ قَبِضَ مِنْهُ شَيْئًا بَرِيءُ أَهْلِ الْخَرَاجِ قَبْضُهُ : لِأَنَّهُ عَقْدٌ فَاسِدٌ مُأَدُّونٌ فِيهِ وَيُحَاسَبُ بِهِ مِنْ جَمَلَةِ رِزْقِهِ : نَافِ

كان أكثر ردّ الزيادة، وإن كان أقلّ رجح بالباق، وعلى السلطان أن يظهر فساد الإقطاع حتى يمتنع هو من القبض ويمتنع أهل الخراج من الدفع ولم يبرعوا بما دفعوه إليه حينئذ .

الثالثة — أن يقطع مئة حياته . ففى صحة الإقطاع قولان للشافى بالصحة والبطلان، ثم إذا صح الإقطاع فللسلطان استرجاعه منه فيما بعد السنة التى هو فيها، ويسود رزقه إلى ديوان العطاء . أما السنة التى هو فيها : فإن حلّ رزقه فيها قبل حلول خراجها لم يسترجع منه فى سنته لاستحقاق خراجها فى رزقه، وإن حل خراجها قبل حلول رزقه جاز استرجاعه منه : لأنّ تمجيل المؤجل وإن كان جائزاً فليس بلازم .

وأما العشر فلا يصح إقطاعه، لأنه زكاة الأصناف، فيعتبر وصف استحقاقهم عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يوجد فلا يجب .

قلت : هذا حكم الإقطاع فى الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك فى الزمن السالف، أما فى زماننا فقد فسّد الحال وتغيّرت القوانين، ونجست الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات تردّ من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين، والجزية، وزكاة المواشى، والمعادن، والعشر، وغير ذلك . ثم فاحتش الأمر وزاد حتى أقطموا الكؤوس على اختلاف أصنافها، وعمت بذلك البلوى؛ والله المستعان فى الأمور كلها ! .

الباب الثاني من المقالة السابعة

(فيا يُكْتَبُ في الإقطاعات في القديم والحديث، وفيه فصلان)

الفصل الأول في أصل ذلك

والأصل فيه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميمًا الدَّارِي أرضًا بالشَّام وكُتِبَ له بها كُتَابًا .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دِمَشْق فيه موطأ مختلفة، فروى بسنده إلى زياد بن فائد، عن أبيه فائد، عن جده زياد بن أبي هند، عن أبي هند الدارِي أنه قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَنَحْنُ سِتَّةُ قُرَى : تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ، وَتَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ أَخُوهُ، وَيَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَبُو هِنْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ، وَأَخُوهُ الطَّبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [كَانَ اسْمُهُ بَرًا] فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَفَاكَهُ بْنُ النِّعْمَانِ، فَاسْلَمْنَا وَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْطِعَنَا أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ » . فَقَالَ تَمِيمٌ : أَرَى أَنْ نَسْأَلَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ وَكُورَهَا، فَقَالَ أَبُو هِنْدٍ : [هَذَا عَمَلُ مُلْكِ الْعَجَمِ] وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا مُلْكُ الْعَرَبِ وَأَخَافُ أَنْ لَا يَتِمَّ لَنَا هَذَا، فَقَالَ تَمِيمٌ : فَسَأَلَهُ

(١) في "سيرة ابن هشام" طبع غمائية .

(٢) الزيادة من "سيرة ابن هشام" ج ٢ ص ١٩٥ وهي لازمة لصحة المقام .

(٣) في "سيرة ابن هشام" - عداقة - وأن القى سماه عبد الرحمن إنما هو عزة بن مالك ولم يذكرها .

(٤) الزيادة من "السيرة الحلبية وتاريخ ابن عساكر المحفوظ بدار الكتب الأزهرية" .

بيت جبرين وكورتها ، فقال أبو هند : هذا أكبر وأكبر . فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القري التي يقع فيها تل مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبغت ووقفت . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم : « أئحِبُّ أن تُخبرني بما كنتم فيه أو أخبركم ؟ » - فقال تميم : بل تُخبرنا يا رسول الله نزداد إيماناً - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أردتُم أمراً فأراد هذا غيره » ونعم الرأي رأيي - قال : فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة جلد من آدم ، فكتب لنا فيها كتاباً نُسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا [كتاب ^(١)] ذِكر ^(٢) فيه] ما وهب محمد رسول الله للدارين إذا »
« أعطاه الله الأرض . وهب لهم بيت عيثون وحبرون ، وبيت إبراهيم »
« بمن فيهن لهم أبداً » .

« شهد عباس بن عبد المطلب ، وجهم بن قيس ، وشرحبيل بن »
« حسنة ، وكتب » .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فصالح في زاوية الرقعة وغشاها بشيء لا يعرف ، وعقده من خارج الرقعة بسير صفتين ، ونرجح إلينا به مطوياً وهو يقول :
« إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من "السيرة الحلية" ج ٣ ص ٢٩٦ وتاريخ ابن حساك .

(٢) في "السيرة الحلية" ص ٢٩٦ ج ٣ « ونزجة بن قيس » .

(٣) يياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من تاريخ ابن حساك .

ثم قال : أَنصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا بِي قَدْ هَاجَرْتُ . قال أبو هند : فأنصَرَفْنَا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمْنَا عليه فسالناه أَنْ يُجَدِّدَ لَنَا كِتَابًا ، فكتبَ لَنَا كِتَابًا تُسَخِّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا مَا أَنْطَقَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ »
 « وَأَصْحَابِهِ ، إِنِّي أَنْطَقُكُمْ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالرُّطُومُ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرَمْتِهِمْ »
 « وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ نَطْبَةً بَيْتٍ ، وَفَقَدْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَا عَقَابِهِمْ مِنْ »
 « بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِ ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللَّهُ » .

« شَهِدَ أَبُو بَكْرٌ بْنُ أَبِي خُفَّافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، »
 « وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعْلُوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَتَبَ » .

فلما قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَجَّهَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ ،
 فكتبَ لَنَا كِتَابًا تُسَخِّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى عُيَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نِي »
 « أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

« أَمَا بَعْدَ ، آمَنَ مَنْ كَانَتْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْفَسَادِ »
 « فِي قُرَى الدَّارِيِّينَ ؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا قَدْ جَلَوْا عَنْهَا وَأَرَادَ الدَّارِيُّونَ »

« أَنْ يَزْرَعُوهَا فَلْيَزْرَعُوهَا، فَإِذَا رَجَعَ أَهْلُهَا إِلَيْهَا قَهَى لَهُمْ وَأَحَقُّ بِهِمْ »
« وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

وروى بسنده أيضا إلى الزهري وثوري بن يزيد عن راشد بن سعد، قال: قام تميم الداري وهو تميم بن أوس، رجلا من نلج، فقال يا رسول الله، إن لي جيرة من الروم بفلسطين لم قرية يقال لها حبري، وأخرى يقال لها بيت عيون : فإن فصَح الله عليك الشام فهبما لي، قال : هُما لك، قال : فأكتب لي بذلك، فكتب له :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ
« الدَّارِيِّ، إِنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ قَرَّتَهَا كُلَّهَا مَهْلَهَا وَجَبَلَهَا
« وَمَاهَا وَحَرَّتَهَا وَأَنْبَاطُهَا وَبَقَرُهَا وَلَعِقَبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ
« وَلَا يُلْجُهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بَظُلْمٍ . فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا
« فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » وَكَتَبَ عَلَى .

فلما ولى أبو بكر كتب لهم كتابا فُسِّخَتْه :

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
« أَسْتَخْلَفَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ، كَتَبَهُ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لَا تُفْسَدَ عَلَيْهِمْ مَأْتَرُهُمْ
« قَرْيَةُ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهَا شَيْئًا
« وَلِيَقُومَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وروى ابن منده بسنده إلى عمرو بن حزم رضى الله عنه أنه قال : أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمم الداري، وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا كتاب من محمد رسول الله لتيمم بن أوس الداري، إن له صهيون»
 «فريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وأنباطها وورقها، ولعقبه من»
 «بعده لا يحاقه فيها أحد، ولا يدخل عليه يظلم، فمن أراد ظلمهم»
 «أو أخذهم منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرني برؤيتها غير واحد، والأدب التي هي فيه قد خالق لطول الأمد .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة السابعة

(في صورة ما يُكْتَب في الإقطاعات، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما كان يُكْتَب من ذلك في الزَّمن القديم)

وكانت الإقطاعات في الزَّمن الأول قليلة، إنما كانت تُجَبُّ الأموال إلى بيت المال ثم يُتَقَرَّب منه على الجُنْد على ما هتَم ذكره، ورُبَّما أقطعوا القرية ونحوها وقزروا على مُقْطَعِهَا شَيْطَانٌ يَقُومُ بِهِ لَبِيتُ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيُسَمَّوْنَ ذَلِكَ الْمُقَاطَعَةَ.

ثم ما كان يُكْتَب في ذلك على ضربين، كِلَاهُمَا مُفْتَتَحٌ بِلَفْظِ «هَذَا» :

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب عن الخلفاء، ولم فيه طرفتان)

الطريقة الأولى

(طريقة كُتِبَ الخلفاء العباسيين ببغداد)

وكان طَرِيقُهُمْ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ « هَذَا كُتِبَ مِنْ فُلَانٍ (يَلْقَبُ الْخَلِيفَةَ) إِنَّكَ ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ ضَبْعَتِكَ الْفُلَانِيَّةِ كَذَا وَكَذَا، وَسَالَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَجَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى سُؤْالِكَ فِي ذَلِكَ وَنَحْوَهُ » .

وهذه نسخة مُقَاطَعَةٍ، كُتِبَ بِهَا عَنِ الْمُطِيعِ قَدَّسَ اللَّهُ خَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيِّ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، وَهِيَ :

هذا كتاب من عبد الله الفضل، الإمام المطيع لله أمير المؤمنين، لفلان بن فلان .
 إنك رمت قصتك تذكر حال ضيعتك المعروفة بكنا وكنا، من رستاق كنا وكنا،
 من طسوج كنا وكنا ؛ وأنها أرض رقيقة قد توالى عليها الخراب ، وأتلف أكثرها
 بالسد والدخل ، وأن مثلها لا يتسع يد الليالى للإتفاق عليه ، وعلب بالاسله (٩) واستخراج
 سدوده وقفل أرضه ؛ ولا يرضب الأكرة في أزدراعه والمعاملة فيه . وإن أمير المؤمنين
 مقاطعك عن هذه الضيعة على كنا وكنا من الورق المرسل في كل سنة ، على استقبال
 سنة كنا وكنا المراجعية ، مقاطعة مؤبدة ، ماضية متعززة نافذة ، يستخرج مالها
 في أول المحرم من كل سنة ، ولا تتبع بنقض ولا يتأول فيها متأول ، ولا تفرش
 في مستأب الأيام ، [إن] اجتهدت في عمارتها ، وتكلف الإتفاق عليها واستخراج
 سدودها ، وقفل أراضيها وأحفار سواقيها ، وأجلب الأكرة إليها ، وإطلاق البذور
 والقوى فيها ، وإرغاب المزارعين بتخفيف طسوقها بحق الرقبة ومقاماتها ، وكان
 في ذلك توفير لحق بيت المال وصالح ظاهر لا يخل .

وسالت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدم به والإعجال لك به ، وإشباته في ديوان
 السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية ، وتصديره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم ،
 ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير ذلك
 من ضرورب الاستقال .

وإن أمير المؤمنين بإيثاره الصلاح ، وأعتاده أسبابه ، ورغبته فيما عاد بالتوفير على
 بيت المال ، والعمارة والترفيه للرعية ، أمرنا بالنظر فيما ذكرته ، واستقصاء البحث عنه ،
 ومعرفة وجه التدبير ، وسبل الحفظ فيه ، والعمل بما يوافق الرشد في جميعه . فراجع
 إلى الديوان في تعرف ما حكيته من أحوال هذه الضيعة ، فأخذ منه رجل مختار ثقة

مأمون، من أهل الخبرة بأمور السواد وأعمال الخراج: قد عرّف أمير المؤمنين أمانته وعلمه ومعرفته، وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها: من الأدلاء والمجاورين والمزارعين، وبقات الأمناء والمجاورين، والوقوف على هذه الأفرحة، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عايرها وظايرها، والمسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراج قراج منها، وما يوجب صواب التدبير فيما اتسسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته. وذكرت أنه زائد على الارتفاع، والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان، ليوقف عليه ويُنهى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فما صحّ عنده منه أمضاء، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم ما يميل إليه.

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أفرحتها وحدودها ونطاقها، بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها: من ثقات الأدلاء والمجاورين، والأكرّة والمزارعين، والأمناء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويعمل عليها، فوجد حاجة بطون الأفرحة المزدرة من جميعها، دون سواقيها وبرورها وتلايلها وجنائها ومستقعاتها، وما لا يعتمد من أرضها، بالجريب الهاشمي الذي تُمنح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً: منها جميع القراج المعروف بكذا وكذا، ومنها قراج كذا وكذا، ومنها الحصن والبيوت، والساحات، والقرارات، ووجد حالها في الخراب والانسداد، وتعدّد العارة، والحاجة إلى عظيم المشورة وقطب الثقة على ما حكيتة وشكوتها، ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك.

ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤمن المُنْعَد من الديوان، وأستظهر فيه بما
 رآه من الاستظهار، ووجبَ عنده من الاحتياط، فوجد ما رفعه صحيحاً محمداً عرفها
 أمير المؤمنين وعليها، وقامت في نفسه، وثبتت عنده، ورأى إيقاع المقاطعة التي
 أتممتها على حق بيت المال في هذه الضيعة، فقاطعت عنه في كل سنة هلالية، على
 أمثال سنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا : ذرهما صحاحاً مرسلةً بغير كسر
 ولا كمانه (؟) ولا حق حرب ولا جهنمة، ولا نحاسية ولا زيادة، ولا تنقي من جميع
 المؤن وسابغ التوابيع والرؤوس، تؤدى في أول المحرم من كل سنة، حسب ما تؤدى
 المقاطعة، مقاطعة ماضية مؤبدة، نافذة ثابتة، على مضي الأيام، ولزوم الأعوام،
 لا تُنقَض ولا تُنسخ، ولا تُنزع، ولا يتأول فيها، ولا تُنقى. على أن يكون هذا
 المال : وهو من الورق المرسَل كذا وكذا في كل سنة مؤدى في بيت المال،
 ومصححاً عند من تُورد عليه في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم،
 لا يُعتَل فيها بأفة تُلحق الفلّات، سماوية ولا أرضية، ولا بتعطيل أرض، ولا بقصور
 عمارة، ولا قصبان ربيع، ولا بانحطاط سحر، ولا بتأثر قطر، ولا بشرب غلة،
 ولا حرق ولا شرق، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه، ولا بسبب من
 الأسباب، ولا يَحْتَج في ذلك بحجة يَحْتَج بها التنا (؟)، والمزارعون، وأرباب الخراج
 في الاكتراء بما عليهم، وعلى أن لا يدخل عليك في هذه المقاطعة يد ما يحج ولا يمن،
 ولا حازر، ولا مقيم، ولا أمين، ولا حافظ، ولا ناظر، ولا متبّع، ولا متعرف لحال
 زراعة وعمارة، ولا كاشف لأمر زرع وغلة، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك،
 وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، أبداً ما تناسلوا، وإن عسى أن تنقل هذه الأفرجة
 أو شيء منها إليه بإرث، أو بيع، أو هبة، أو تحل، أو صدقة، أو وقف، أو مُنْأَلَة،
 أو إجارة، أو هبة، أو تملك، أو إفراق، أو بغير ذلك من الأسباب التي تنقل بها

الأملاك من يد إلى يد، ولا ينقض ذلك ولا شيء منه، ولا يغير ولا يفسخ، ولا يزال ولا يسدل، ولا يعقب، ولا يقرض فيه بسبب زيادة عمارة، ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة، ولا زكاء ريع، ولا إحياء موات، ولا اعتال معطل، ولا عمارة تراب، ولا استخراج ظمير، ولا صلاح شرب، ولا استحداث غلات لم يمر الرثم باستحداثها وزراعتها، ولا يمد ولا يمسح ما عسى أن يقرض بهذه الأفرحة : من النخل وأصناف الشجر الممدود والكرم، ولا يتأول عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما تعمره وتستخرجه من الجباين^(١) والمستنقعات، ومواضع المشارب المستنقى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك، وجعل ما يجب على شيء منه عند وجوبه داخلا في هذه المقاطعة، وجاريا معها .

على أنك إن فصلت شيئا من مال هذه المقاطعة على بعض هذه الأفرحة من جميع الضيعة، وأفردت باقي مال المقاطعة بياقها عند ملك ينقل منها عن بدل، أو فعل ذلك خيرك ممن يجعل له في هذه المقاطعة ما يجعل لك من وريثك وورثتهم، وعقبك وأحبابهم، ومن لعل هذه الضيعة أو شيئا من هذه الأفرحة ينقل إليه بضرب من ضروب الانتقال، قيل ذلك التفصيل منكم عند الرضا والإعتراف ممن تفصيلون باسمه، ويحيلون عليه، وعوئتم على ذلك، ولم يتأول عليكم في شيء منه .

وعلى أنك إن اتهمت أو اتهم من يقوم مقامك ضرب متار على هذه الضيعة، تعرف به حدودها ورسومها وطرقها، ضرب ذلك المتار أى وقت اتهموه، ولم يمنعوا منه، وإن تأخر ضرب المتار لم يتأول عليكم به، ولم يجعل غلة في هذه المقاطعة، إذ كانت شهرة هذه الضيعة وأقربيتها في أماكنها، ومعرفة مجاورها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، تنفى عن تحديدها أو تخليد شيء منها، وتقوم مقام المتار

في إيضاح معالمها ، والدلالة على حُدُودها وحُقوقها ورُسُومها . وقد سَوَّكَ يافلانُ
أبن فلان أمير المؤمنين وعقبك من بعدك وأعقابهم ، وورثتك وورثتهم أبداً
ماتسألوا ، ومن تنقل هذه الأفرحة أو شيء منها إليه - جميع الفصلين ما كان يلزم
هذه الضيعة وأفرحتها من حق بيت المال وتوايحه ، على الوضعية التامة ، وعلى
الشروط القديمة ، وبين ما يلزمها على هذه المقاطعة ، وجعل ذلك خارجاً عن حاصل
طسوج كذا وكذا ، وعما يرفسه المؤمنون ، ويوافق عليه المتضمنون ، على غير البهر
ورس السنين ، وتعاقب الأيام والشهور .

فلا تقبل في ذلك سعيه ساج ، ولا قدح قايح ، ولا قوف قاريف ، ولا اغراء مقر ،
ولا قول معنف ، ولا يرجع عليك فيما سوغته ونظر لك به في حال من الأحوال ،
ولا يرجع في التعديرات ، ولا تتنص بالمعاملات وردّها إلى قوام أصولها ، ولا ضرب
من ضروب الحجج والتاويلات ، التي يتكلم عليها أهل العدل على سبيل الحكم والنظر ،
وأهل الجور على سبيل المدون والظلم . ولا تكلف يافلان بن فلان ، ولا عقبك من
بعدك ، ولا ورثتك ، ولا أعقابهم ، ولا أحد ممن تخرج هذه الضيعة أو هذه الأفرحة
أرشيء منها إليه ، على الوجوه والأسباب كلها - إخراج توقيع ، ولا كتاب مجدد ،
ولا منشور باغاذ شيء من ذلك ، ولا إحضار سجل به ، ولا إقامة حجة فيه في وقت
من الأوقات .

وعلى أن لا يلزمتك ولا أحدًا ممن يقوم مقامك في هذه المقاطعة شئونه ، ولا تكلفه ،
ولا ضريبة ، ولا زيادة ، ولا تقسيط كراء منه ، ولا مصلحة ، ولا عامل بريد ،
ولا نفقة ، ولا مشونة جماعة ، ولا خفارة ، ولا غير ذلك . ولا يلزم بوجه من الوجوه
في هذه المقاطعة زيادة على المبلغ المذكور المؤدّي في بيت المال في كل سنة خراجية ،

وهو من الورق المرسل كنا وكذا، ولا تمنع من روزه جِهْد أو حُجَّة كاتب أو عامل
بما لهذه المقاطعة إنا أدتسه أو أدت شيط منه أولا أولا، حتى يتكَلَّ الأداة،
وتحصل في يدك البراءة في كل سنة بالوفاء بجميع المال بهذه المقاطعة .

وعلى أن تعاونوا على أحوال العِارة ، وصلاج الشرب ، وتوفر عليكم الضيافة
والجايه ، والذب والوطايه .

ولا يتقَب ما أمر به أمير المؤمنين أحد من ولاة اليهود والأمراء والوزراء
وأصحاب الدواوين، والكُتاب والمُعامل والمُشرفين، والضُماء والمؤمنين، وأصحاب
الخسراج والمعاوين، وجميع طبقات المُعاملين، ومائِستوف المتصرفين - يُطلبه
أورُيْله عن جهته، أو ينقُضه، أو يفسخه، أو يغيره، أو يبدله، أو يوجب عليك
أو على عبيك من مبدك وأعقائهم وورثتهم أبدا ما تناسلوا ومن يخرج هذه الضيعة
أو شيء منها [إليه] حجة على سائر طرق التأويلات، ولا يُزِمك شيط فيه، ولا يكلفكم
حوضا عن إرضائه، ولا ينظر في ذلك أحد منهم نظر نفع ولا كشف، ولا بحث،
ولا فحص . فإن خالف أحد منهم ما أمر به أمير المؤمنين، أو تعرض لكشف
هذه المقاطعة أو مساحتها أو فتحها أو اعتبارها والزيادة في مبلغ ما لها، أو ثبت
في الدواوين في وقت من الأوقات شيء يخالف ما رسمه أمير المؤمنين فيها : إما على
طريق السهو والغلط، أو العُدوان والظلم والعتاد والقصد، فذلك كله مردود،
وباطل، ومُنقسخ، وغير جائز، ولا سائغ، ولا فادح في حجة هذه المقاطعة وثبوتها
ووجوبها، ولا معطل لها، ولا مانع من تلاقى السهو واستدراك الغلط في ذلك،
ولا منير لشيء من شرائط هذه المقاطعة . ولا حجة تهوم عليك يا فلان بن فلان،
ولا على من يهوم في هذه المقاطعة بشيء من ذلك : إذ كان ما أمر به أمير المؤمنين

من ذلك على وجه من وجوه الصلاح، وسبيل من سبله رأيت وأمضاها، وقطع
بهما كل اعتراض ودعوى، واحتجاج وقذف، وأزال معهما كل بحث وفحص، وتبعية
وعلاقة، وإن كان من الشرائط فيما سلف من السنين وخلا من الأزمان ما هو أوكد
وأتم وأحكم وأحوط لك، ولعقبك وورثتك، وأعقابهم وورثتهم؛ ومن تنقل هذه
الأفرحة أو شيء منها إليه مما شُرط في هذا الكتاب بحال، أوجبها لك الاحتياط على
أختلاف مذاهب الفقهاء والكتّاب وغيرهم مما خلفاء أن يفعلوه وتصدق فيه أمورهم،
وحملات وحملوا عليه، وهو مضاف إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكر،
ودخلت تحت الحصر، ولم يكلف أحد منكم إخراج أمر به .

وإن اتقت [أنت] أو أحد من ورثتك وأعقابك، ومن عني أن تنقل هذه
الضيعة والأفرحة أو شيء منها إليه في وقت من الأوقات بتجديد كتاب بذلك،
ومكتبة طليل أو مشرف، أو إخراج توقيع ومشور إلى الديوان بمثل ما تضمنه هذا
الكتاب، أجبتم إليه ولم تمنعوا منه .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين، وإقراره في يدك، فحجة لك
ولعقبك من بعدك وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، ووثيقة في أيديكم، وفي يد من
عني أن تنقل هذه الضيعة أو الأفرحة أو شيء منها إليه، بضرب من ضروب
الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأن لا تكلفوا إيراد [حجة]
من بعده، ولا يتأول طيكم متأول فيه .

فمن وقف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه : من جميع الأمراء، وولاة العهود
والوزراء، والمعمّال، والمشرّفين، والمتصرفين، والناظرين في أمور الخراج، وأصحاب
السيوف على أختلاف طبقاتهم، وتباين منازلهم وأعمالهم . فليمتثل ما أمر به أمير

المؤمنين وليستد فلان بن فلان وورثته وورثهم، وعقبه وأعقابهم، ولن تنقل هذه الأفرحة أو شيء منها إليه - هذه المقاطعة، من غير مراجعة فيها، ولا استئثار عليها، ولا تكليف [له] ولا لأحد من يقوم بأمرها إيراد حجة بعد هذا الخطاب بها .
وليعمل بمنزل ذلك من وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة، وأعمالها أو الناحية، وليقر في يد فلان بن فلان أو يد من يورده ويحجج به من يقوم مقامه، إن شاء الله تعالى .

الطريقة الثانية

(ما كان يكتب في الإقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

وهو على نحو ما كان يكتب عن خلفاء بني العباس .

قال في "مواد البيان" : والرسم فيها أن يكتب :

أمير المؤمنين بما وهبه الله تعالى : من شرف الأعراق، وكرم الأخلاق، ومنحه من ملو الشان، وأرتفاع السلطان، يقتدى بإذن الله سبحانه في إفاضة إنعامه وبره، على الناهضين بحقوق شكره، ويوقع أياديه عند من يقوم بحققها، ويتألفها بحمدها، وشكرها، ولا ينفقها ويؤحشها بكفرها، ويحشها، ويحشها بوارفها المفارس التي تحجب تحجرتها، وتغلب على تمرتها، والله تعالى نسأله أن يوقفه في مقاصده، ويريه غايل الخير في مصادره وموارده، ويعينه على إحسان فيضه، ويسخه، وأمتان يفضيه، ويغرضه .

ولما كان فلان بن فلان من غرس أمير المؤمنين [إحسانه] لديه فأنمر، وأولاه طوله فشكره، ورآه مستقلاً بالصنيعه، حافظاً للوديعه، مقابلاً العارفة بالإخلاص في الطاعة، مستندراً بالانقياد والتباعد، أخلاف الفضل والنعمة (ويوصف الرجل

المقطع بما تختصيه مقرئته) ثم يقال : رأى أمير المؤمنين مضاعفة أيديه لربه ، ومواصلته إقامته إليه ؛ وإجابة سؤاله ، وإنالته أفاضي آماله ؛ وتويله ما تحت إليه أمانته ، وطمحت نحوه راحته ؛ وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ؛ أو تسويقه ما يجب عليه من نزع ملكه ، وما يجري هذا المجرى . ثم يقال : ثقة بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرّض وأزكاه ، وأحقّ منزّل بالتحويل وأولاه . ونخرج أمره بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطعه الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحُدودها ، وأرضها العاصرية وجُوه جباياتها ، (وينص على كلّ حق من حقوقها ؛ وحدّ من حُدودها) فإنّا أستوفى القول عليه ، قال : إتماماً عليه ، وبسطاً لأمله ، وإبانه عن خطره .

فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورثته ، ليعلموا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوزه وتعديه ، وليقرّ بيده بعد العمل بما نصّ فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلتُ : والتحقيق أنّ لم في ذلك أساليب : منها ما يفتح بلفظ « هذا » والمعروف أنه كان يسمى ما يكتب في الاقطاعات عندهم بحِلّات كالذي يكتب في الولايات .



وهذه نسخة منشور من مكاتيبهم ، من إنشاء القاضي الفاضل لوليد من أولاد الخليفة أسمه حسن ولقبه حسام الدين مفتّح بلفظ « هذا » وهي :

هذا كتاب من أمير المؤمنين لولده الذي جلّ قدرنا أن يُسمى ، وقرّ في ناظر الإيمان نوراً وسلته يدُ الله حسّاماً ، وحسن به الزمان فكان وجوده في عطفه

حليّة والثورة آتيساما، وأضاعت وجوه السعادة لمنحها بكرم اسمه أنساما، وتبنايت
 الأقدار لأن تجرى على قس خاتم إرادته أميتالا وأرتساما - الأمير فلان - جرمًا على عادة
 أمير المؤمنين التي أوضح الله فيها إشراق العوائد، وأنبأًا لسنة أبائه التي هي سنن المكارم
 والمرشد، وأرتقادًا مع أرتياح [إلى موارد] كرمه التي هي موارد لا يُحلا عنها وإرد،
 وأخصاصًا بفضل له كفاه من الشرف أنه له والد؛ وعموما بما يسوقه الله على يده
 من أرزاق العباد، وإنعامًا جعل نجله طريقه إلى أن يفيض على كل حاضر وبكاد .
 وأمير المؤمنين مجري نيتي من آله السحاب المتزل، ويمكهم جواد العطاء الأجل .
 أمر بكتبه لما غير ضت لقامه رُقعة بكنا وكذا، وخرج أمر أمير المؤمنين إلى وليّه
 وناصره، وأمينه على ما استأمنه الله عليه وموازيه؛ السيد الأجل الذي لم تزل أراؤه
 ضوامن للأصالح كواقل، وشهب تديره من سماء التوفيق غير غارية ولا أوائل، وخلمه
 لأمر المؤمنين لا تحف عند الفرائض حتى تخطى إلى التوافل، ويجاد فاختلاف النعم
 به حواقل، وأقبل فاحزاب اختلاف به حواقل، وأيقظ حيونا من التدبير على الأيام
 لا تدعى الأيام أنها غواقل؛ بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بإقطاع ناحية كذا بحدّها،
 والمعتاد من وصفها المعاد، وما يئد عليه الديوان من صيرتها، ويحصل له من حينها
 وظفها إلى الديوان الثنائي: إقطاعا لا ينقطع حكمه، وإحسانا لا يعفور ستمه، وتسويتا
 لا يلبس ستمه، وتكيات لا ينجي ستمه، وتحويلات لا يثنى عزمه؛ يتصرف فيه
 هذا الديوان ويستبد به مالكا، وضواض فيه مشاركا، ويزرعه متعللا ومضمنا،
 ويستثمره طادًا في أهله محسنا؛ لا تتبعه الدواوين بتأويل تا، ولا الأحوال بتحول تا؛
 ولا الأيام بتقلبها، ولا الأغراض بتعقبها؛ ولا اختلاف الأيدي بتقلها، ولا تمرضه
 الأحكام بتأويلها .

(١) في الأصول هكذا «صها» بامال قط الكلمة بتأويلها .

وقد أوجب أمير المؤمنين على كلِّ والٍ أن يتحاكى هذه الناحية بضربه، ويفصلها
بجبل أثره، ويحيطها بحسن نظره، ويتقرب فيها ركوب عواقب غرره، ويحتجب فيها
مطالب ورده وصنوره، وتزول مستوره؛ ولا يمكن منها مستحلتها، ولا يكلف أهلها
مفرها، ويحرمها بحر ما هو من الباطل حي؛ ما لم يقل فيها بيل، أو يحف من سبلها
سبل، وله أن يتطلب الجاني بعينه، ويقتضيه بأداء ما استوجب من دينه، وأخذ
مسوقا بجرائم ذنبه إلى موقف حينه، فمن قرأ فليعمل به .



وهذه نسخة سجل بإقطاع، عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين أيضا لبعض أمراء
الدولة، من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وهي :

أمر المؤمنين - وإن عمَّ جوده كما عمَّ فضل وجوده، وسار كثيرا إحسانه وره
في سهل المعمور ويحوده، وريح الله الخلق بما أمثأثره دون الخلاق من قربه
في محبوبه - فإنه يخص بنى القربى من جدّه، والضاريين معه في أنصباؤه؛ من
سلالته الزكية، وطيفته المسكية، وأغراقه الشريفة، وأنسابه المنيفة؛ فكلَّ غراء
لا تخفى أوضاعها، إلا إذا فاضت أنوارهم، وكلَّ عذراء لا يمهّد إشماحها، إلا إذا
راحت أخطارهم .

ولما عرضت بحضرته ورقة من ولده الأمير فلان الذي أقر الله به بين الإسلام،
وأعجز به دين الأيام، وأطلعه بدرًا في سماء الحسب، وجلّأ بأواره ظلام التوب،
وأمتاح من منبع النبوة وأرتوى، وأستوى على خصائص الفضل الخليلي وأحتوى،

وأعد الله لسعد الأئمة ذميرة شديدة القوى ، وأذن الاستحقاق من الغايات حتى تأهب لأن يكون بالوادي المقدس طوى ، وأضحت كافة المؤمنين مؤتمنين على مكارمه ، وأمست كافة الحاضرين خائفين من سبيل أنفيسهم على صوارمه ؛ وأراؤه أعل أن يضاهيها [رأى] وإن جل خطره ، وأعطيته أرقى أن يذانيها عطاء وإن حسن في الأحوال أثره ؛ وإنما ينبع بملكه منها ما راق بين اختياره وإيناره ، وسعد بالانتظام في سلك جوده الذي يرضه أبدا لا نكتاره ، وتضمنت هذه الرقعة الرغبة في كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

خرج أمر أمير المؤمنين إلى قتاه وناصيره ، ووزيره ومظاهيره ؛ السيد الأجل الذي انتصر الله به لأمر المؤمنين من أعدائه ، وحسم بحسامه ما أعطل من طارض انقلب وقائه ، ونطقت بفضل له السن حساده فضلا عن ألسنة أويلائه ، وسبغت الملوك بأنفسها أن تكون فداء له إذا حوزها المجد في فدايه ؛ الذي ذنره الله لأمر المؤمنين من آدم ذخيرته ، وجمع له في طاعته بين إيقاظ البصيرة وإخلاص السيرة ، وقضت أيامه على أيام أوليائه بما حلاها من جميل الأخلاق وحسن السيرة ؛ وسهل عليه التقوى في المنافع والعكوف على المصالح ، وأجنى من أقلامه ورماحه ثمرات الصالح ، وفاز بما حاز من ذخائر العمل الصالح بالمتجر الزاخر ؛ وألهمه من حراسة قانون الملك ما قضى بحفظ نظامه ، ولم ينصرف له عزم إلا إلى ما صيرف إليه رضا ربه ورضا إمامه .

وفتنت أوامره بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل إلى الديوان القلاني بإقطاعه الناحية وما معها منسوبا إليها وداعلا فيها لاستقبال [سنة] كذا ، متعة سائفة ، لا يترضا التكبير ، وعة سائفة ، لا ينقصها التثوير ؛ وحياء موصول

الأسباب، وعطاءً بغير منٍّ ولا حساب ؛ يتحكَّم فيه على قضايَا الاختيار ، وتتقدَّم فيه أوامره الميمونةُ الإرَادِ والإصدار .

ومنها - أن يفتح السَّجَل بلفظ : « إِنَّ أمير المؤمنين » ويذكر من وصفه ما سَمِع له ، ثم يذكر حكم الإقطاع ، وكيفية تروجه .

وهذه نسخة سيَّجَل من ذلك كُتِب به لبعض وزرائهم ، من إنشاء الفاضل الفاضل ، وهي :

إِنَّ أمير المؤمنين لِمَا أَطْلَقَ اللهُ يَدَهُ مِنْ أُمِّيَالٍ تَبْدُو عَلَى الْأَحْوَالِ شَوَاهِدُ آفَارِهَا ، وَتُرُوضُ الْأَمَالُ بِمَحَائِبِهَا بِسَائِبِ مِثْرَارِهَا ، وَتَنْتَزِعُ مَوَاعِدُهَا عَنْ أَنْظَارِهَا ، وَمَوَارِدُهَا عَنْ أَنْ يُوقَى بِأَنْظَارِهَا ، وَيَقُومُ بِنَاصِرِهَا فَيَكُونُ أَقْوَى أَعْوَانِهَا عَلَى الشُّكْرِ وَأَنْصَارِهَا ؛ وَأَلْهَمَهُ مِنْ مُوَاصِلَةِ الْمِنَّةِ الَّتِي لَا تَقْطَعُ رِوَايَتَهَا وَلَا تَنْتَاهِي مِرَاتِبَهَا ، وَمُؤَالَةِ الْمِنِّجِ الَّتِي تَهْبُّ عَلَى جَنَابِ الْخَيْرِ شَمَائِلُهَا وَجَنَائِبُهَا ، وَتَلْقَى فِي مَسَارِحِ الْمَدَائِحِ غُرَائِبَهَا وَرَغَائِبَهَا ، وَحَبِيهِ إِلَيْهِ مِنْ أَتَهَازَ قُرُصَ الْمَكَارِمِ فِي الْأَكَارِمِ ، وَأَبْتَدَاءَ الْمَعْرُوفِ وَأَبْتِدَارَ مَقَامِهِ الَّتِي لَا تَعْقِبُهَا مَقَارِمٌ - يُؤَلِّي الْآلَاءَ مِنْ يَمِينِهِ عَنْ حَسَنَاتِهَا عَشْرًا ، وَيَعْقِلُ عَقَائِلَهَا عِنْدَ مَنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا مِنْ أَسْتَحْقَاقِهَا مَهْرًا ، وَيَقَابِلُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانَ أَجَلٍ أَوَّلِيَّاهُ قَدْرًا ، وَيُضَاعِفُ الْأَمْتَنَانَ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَضْعُفْ فِي مُوَازَنَةِ أَزْدَا ؛ وَيُودِعُ وَدَائِعَ جُودِهِ فِي الْمَغَارِسِ الْجَلِيلَةِ بِالزُّكَاةِ وَالنَّمَاءِ ، وَيُزَيِّنُ أَسْوَلاً مَعْرُوفَهُ لِمَنْ يَخْتَارُ بِالْإِنْصَافِ إِلَى مُوَالَاةِ الْإِيتِمَاءِ ، وَيَسْتَكْرِمُ مُسْتَقَرِّ مَنَّتِهِ وَآلَاةِ ، وَيُحَسِّنُ إِلَى الْإِحْسَانِ ثُمَّ يَتَبَجَّعُ بِمُوَالَاةِ لَدَيْهِ وَإِلَاةِ .

ولما كان السيدُّ الأجلُّ أميرُ الجيوشِ آيَةً نَصَرَ أمير المؤمنين التي أُنْبِئَتْ فَما تُبَارَى ، وَنِعْمَةُ اللهِ الَّتِي أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا وَأَوْرَتْ فَما تُتَوَارَى ؛ وَسَيَفُ حَقُّهُ الَّذِي

لَا تَكِلْ مَقَاطِعَهُ ، وَبِحَرْجٍ وَهْدِهِ الَّذِي لَا تُكَدِّرُ مَشَارِعُهُ ، وَالْمُسْتَقْلَّ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْ حَوْزَتِهِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْأُمَمُ ، وَالْعَلَىٰ عَلَىٰ يَمْدَادِ الْأَقْدَارِ إِذَا تَفَاوَتَ قِيَمُ الْمِعَمِ ، وَالْكَاشَفِ الْجُلِيِّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَتْ مَظَالِمُ الظُّلْمِ ، وَالْجَامِعِ عَلَىٰ الْمُنَارَةِ وَالْمُؤَارَةِ قَلْبِ الْمَوَالِفِ وَالْمُخَالَفِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَالْمُتَبَوِّئِ مِنَ الْمُلْكِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيهِ ، وَالْمُتَوَقِّلِ مِنَ الْفَخْرِ عَمَلًا لَا يَطْمَعُ النَّجْمُ فِيهِ مِنْ بَيْتِهِ ؛ وَالْمُغِيرِ عَلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِقَبِيلَةِ الْبَكْرِ ، وَالْمُغْضَدِ بِمَتَدَعِ الْعَزَمَاتِ مَا لَوْلَا وَقُوعُهُ لَمَّا وَقَعَ [فِي] الْفِكَرِ ؛ وَالْقَاضِي لِلَّذِينَ يَجِدُ سُبُوفَهُ مَطْلُولَ حَقِّهِ وَمِعْطُولَ دَيْنِهِ ، وَالْقَائِمِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامًا قَامَ بِهِ أَبُوهُ فِي نُصْرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا يَوْمَ يَدْرِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنِهِ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ آيَاتِ نَصَارَةِ نَظَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَاحْذَرَتْ زَعْفُهَا وَأَزْيَنْتْ ، وَابْتَدَتْ أَيْدِيهِ الْجَنَىٰ فَظَاهَرَتْ أَدْلُهَا عَلَىٰ دَوْلَتِهِ وَتَيَسَّنَتْ ؛ وَأَسْتَلَمَتِ الْمُلْكُ مِنْ تَدْيِيرِهِ بِجَنَّةٍ تَقَامَاهَا الْأَقْدَارُ وَهِيَ سِهَامٌ ، وَوَقَّعَتْ مِنْ عَنَائِهِ إِلَىٰ هَجْرِ الْخُلُوبِ بِمَا يُعِيدُ نَارَهَا وَهِيَ بَرْدٌ وَمَسْلَامٌ ؛ وَمَا ضَرَّهَا مَعَ تَبْقُظِ جَفْنِهِ أَنْ يَهْجَعَ فِي جَفْنِهِ طَرَفُ الْحَسَامِ ، وَلَا أَحْتَاجَتْ وَقْلُهُ بِسَاوِرِ جَسِيمِ أُمُورِهَا أَنْ تَتَّعِبَ فِي وَادِهَا الْأَجْسَامُ ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يُؤَلَّى - وَإِنْ عَظُمَ - يَتَاهِضُ اسْتِحْقَاقُهُ ؟ وَأَيُّ غَايَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ تَرْوُمُ نَيْلِ مَدَىٰ مَسْعَاهُ وَلِحَاقِهِ ؟ ؛ وَأَيُّ لَأَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَنْ تُهْدَىٰ لِحَوْهَرِهِ عَرَضًا ، وَلَا تَبْلُغُ مَبَالِغَ النِّعَمِ الْجَلِيلِ أَنْ تَمْتَدَّ الْيَوْمَ مِنْ مَسَاعِيهِ حَوْضًا ؟ ؛ وَهَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالٌ فِي مُجَازَاتِهِ عَنْ قِيَامِهِ بِغَمْدِ رَأْيِهِ وَبِجَرْدِ عَضْبِهِ ، وَدِفَاعِهِ عَنْ حَوْزَةِ عَدُوِّهِ وَدَبِّهِ ، وَكَرِّهِ فِي مَوَاقِفِ كَرِّهِ ، وَكِفَايَتِهِ لِلْأُمَّةِ فِي سِلْمِهِ وَسَرِّهِ ، وَإِلَائِهِ الَّتِي خَصَّ الْأَرْضَ مِنْهَا فَضْلُ خِصْبِهِ ، إِلَّا أَنْ يَدْكُرَهُ بَقْلُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحُجُبَ عِنْدَ كُلِّ مُؤَالٍ كَمَا يَرْفَعُ اللَّهُ عِنْدَ دَعَائِهِ مُسَدِّلَ حُجْبِهِ ؟ .

وعُرضت بحضرة أمير المؤمنين مطالعة منه عن خير باسمه الكريم مقصور على
الربعة في خروج الأمر بتملك جهته التي تقوم ملتصقة عنة ألف، مستخرجا بها الخط
الشريف بإمضاء التملك وإجازته، وتسليم الملك وإجازته .

فطلب أمير المؤمنين هذه الرغبة بإفراز جرى فيه من الأوامر على أفضل سنن ،
وتقبلها منه بقبول حسن ، وتهللت عليه لسؤاله مصابيح الطلاقة والبشر ، ونفذت^(١)
مواقع توقيعه مالا تبلغه مواقع ماء المزن في البلد الفقير . وشمله خطه الشريف بما
تُسخره : نرج أمره إليه بأن يُعزى إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بملك
الجهة المقدم ذكرها بجميع حدودها وحقوقها ، وظاهرها وباطنها ، وأطالها وأساقلها ،
وكل حق لها ، داخل فيها وخارج عنها ، وما هو معروف بها ومُتسوّب إليها ، بملك
مخلدا ، وإنشأ مؤبدا ، وحقا مؤكدا ، يجري على الأصل والفرع ، ويُحكم أحكام
الكرم والشرع ، ماضيا لا تشعب حدوده بفسخ ، جائزا لا تتجاوز حقوقه بنسخ ،
موصولة أسبابه فلا تنطرق أسباب التنكير إليها ، موروثة حتى يرث الله الأرض
ومن عليها .

فليتمد كافة ولاية الدواوين ، ومن يليهم من المتصرفين ، حمل الأمر على موجب ،
والحد من تعديه وتقصيره ، وأمثال ما رسمه أمير المؤمنين وحده ، والوقوف عند أمره
الذي علم من مال قدره ، وليقر في يد الديوان حجة لمودعه بعد نسخه في الدواوين
بالحضرة ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(بما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يكتب

عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس)

وطريقهم فيه أن يكتب في الابتداء : « هذا كتاب » ونحو ذلك ، كما كان يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ، ثم يذكر عرض أمره على الخليفة ، وأستكشف خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين ، ومواقعة قولهم بما ذكره في رقعته ، ويذكر أن أمير المؤمنين وذلك السلطان أمضياً أمر تلك المقاطعة وقرراه . ثم ربما وقع تسويغ ما وجب لبيت المال لصاحب المقاطعة زيادة عليها ليكون في المعنى أنه بأمرها .

وهذه نسخة مقاطعة بضيعة كتب بها عن صمصام الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وهي :

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وثمنس الملة ، أبي كالجار ، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الله ابن شهرام .

إنك ذكرت حال ضيائك المعروفة برسولا والبندرية من طسوج نهر الملك ، والخطائر والحصة بنهر قللا من طسوج قنطربل ، وما لحقاها : من أخلال الحال ونقصان الإرضاع ، وأندواب المشارب ، وأستنبام المزارع ، وطمع المجاورين ، وضعف الأكرّة والمزارعين ، وظلم الممال والمتصرفين ، لتناول ضيائك عنها ، وأقطاطك بالأمنار المتصلة عن استيفاء حقوقها ، وإقامة عماراتها ، والإتفاق على

(١) كما بالأمل ، ولا معنى لها ولها : « واندثار المشارب » .

مصلحتها، والإتيان من المجاورين لها والمعاملين فيها، ووصفت ما تحتاج إلى تكلفه من الجملة الوافرة: لإحطاف أنهارها، وإحياء مواتها، وأعمال متعطّلتها، وإعادة رؤسومها، وإطلاق البُدور فيها، وأبتاع العوامل لها، واختلاف الأكرّة إليها .

وسألت أن تُخاطع عن حقّ بيت المال فيها وجميع توابعه، وسائر لزومه، على ثلاثة آلاف درهم في كلّ سنة، معونة لك على عمارتها، وتمكيناً من إعادتها إلى أفضل أحوالها، وتوسعة عليك في المعيشة منها .

فأنبينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، وأقضنا بحضرة فيما أنت عليه من الخلالق الحميدة، والطرائق الرشيدة، وما لك من الخدمات القديمة والحديثة، الموجبة لأن تُحقّق بنظرائك من الخلق المختصين، والخواشي المستعطّين، بإجابتك إلى ما سألت، وإسعافك بما أتمست . فخرج الأمر - لا زال عالياً - بالرجوع في ذلك إلى كتاب الدواوين، وعمل هذه النواحي، وتعرف ما عنتم فيه مما يهود بالصالح، ويدعو إلى الاحتياط . فرجع إليهم فيما ذكرته وحكيته، فصّدّقوك في جميعه، وشهدوا لك بصحة، وتردد بينك وبينهم خطاب في الإرتفاع الوافر القديم، وما توجبه العبر لمتة سنين؛ إلى أن استقر الأمر على أن توقعت على هذه الضياع الممّاة في هذا الكلب خمسة آلاف درهم ورقاً مرّلاً بغير كسر، ولا كفاية، ولا حقّ خزن، ولا جبهة ولا عاسبة، ولا غير ذلك من المؤن كلّها .

ثم أنبينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، فأمر - زاد الله أمره علواً - بأضواء ذلك، على أن يكون هذا المال، وهو خمسة آلاف درهم مؤدّى في الوقت الذي تُنتج فيه المقاطعات: وهو أوّل يوم من المحرم في كلّ سنة، على استقبال السنة الجارية، سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة الهجرية، عن الخراج في الفلّات الشتوية

والصيفية، والمُحْدَثَةُ والمُبَكَّرَةُ الجارية على المساحة، والحاصل من الغلات الجارية على
 القُاسِمَةِ والجَوَالِي، والمرأى، والأزهاء، وسائر أبواب المسال، ووجوه الحيات،
 وتقسيم المصالح، والحماية، مع ما يلزم ذلك من التوايح كلها : قليلها وكثيرها،
 والرسوم الثابتة في الدواوين بأمرها، وعن كل ما أُحْدِثَ ومُحْدَثَ بعدها على زيادة
 الارتفاع وقصصاته، وتصرف جميع حالاته : مقاطعة مقررة مؤبده، مُضْمَاة مخلّده، على
 مرور الليالي والأيام، وتعاقب السنين والأعوام. لك ولوكذلك، وعقبك من بعدك،
 ومن عسى أن تنقل هذه الضياع إليه بمرات، أو يبيع، أو يهب، أو تملك، أو متفلة،
 أو وقف، أو إجازة، أو مُبَادَرَة، أو مزارعة أو غير ذلك من جميع الوجوه التي تنقل
 الأملاك عليها، وتجري بين الناس المعاملات فيها، لا يُسَخَّ ذلك ولا يُغَيَّر، ولا يُنْقَضُ
 ولا يبدل، ولا يزال عن سبيله، ولا يُحَال عن جهته، ولا يُعْرَض عليك ولا على
 أحد من الناس فيه ولا في شيء منه، ولا يتأول عليك ولا على غيرك فيه،
 بزيادة عساية، ولا زكاه ربيع، ولا غلوسعر، ولا إصلاح شرب، ولا أعتال
 تَرَاب، ولا إحياء مَوَات، ولا بفسير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودور
 الاستئلال .

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله، وحظرنا بحظه على كتّاب الدواوين :
 أئبوى وأزمتها، ومُحَال النواحي، والمُشْرِفين عليها، وجميع المتصرفين على اختلاف
 طبقاتهم ومنازلهم، الاعتراض عليك في هذه المقاطعة، أو لإقاع آمن أو مساحة على
 ما كان منها جاريًا على الخراج، أو هجير أو حذر، أو قسمة على ما كان منها جاريًا على
 القاسمة، أو أن تسخّلها يد مع يدك لناظر أو حاظر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح،
 إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوّيًا لك، لأبطلاب به، ولا
 برقي عنه، ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه، ولا يُخَمَس منك تجديد كتاب،

ولا إحضار حجة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب : إذ قد صار ذلك لك وفي يلك بهذه المقاطعة، وصار ما يجب من الفضل بين ما توجب المسامحة والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه الحال، ويرفعه منهم المؤمنون، ويوافق عليه المتضمنون ؛ على مرور الأيام والشهور، وتغائب السنين والظهور؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة تاجم، ولا توفير مؤقر، ولا سعاية ساج، ولا قذف قاذف، ولا طعن طاعن .

ولا يلزم عن امضاء هذه المقاطعة مئونة، ولا كلفة، ولا مصانعة، ولا مصاحبة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل يريد، ولا مصلحة من المصالح السلطانية، ولا حق حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك، ولا [على من] بملك، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حق تخزين ولا جهينة، ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسابك، أو ممن عسى أن تنقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعنّت لم يكن ذلك فاسخاً لمقتضاها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قاصحاً في صحتها، وكان لك أن تطالب برده المأخوذ زائداً على مالها، وكان على من ينظر في الأمور إصنافك في ذلك ورده عليك، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إنا رأينا بعد ما أمضاء مولانا أمير المؤمنين، وأمضيته لك من ذلك وتمايمه وإحكامه ووجوبه وثبوته، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الهجرية، تسوية مؤبداً، ماضياً على مرة السنين : ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضيائك التي

قُبِضَتْ عَنْكَ ، وَبَعْضُ الْمَعُونَةِ فِيمَا أَنْتَ مَتَصَرِّفٌ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِنَا ، وَمَتَرَدِّدٌ فِيهِ مِنْ مَهْمَاتِ أُمُورِنَا ، وَأَوْجِبْنَا لَكَ فِي هَذَا التَّسْوِيعِ جَمِيعَ الشُّرُوطِ الَّتِي تُسْتَرْطُ فِي مِثْلِهِ ، مِمَّا نَبِيتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمِمَّا لَمْ يَبِيتْ فِيهِ : لِنَحْصِمَ عَنْكَ نَفِيعَ الْمُتَتَبِعِينَ ، وَنَعْقِبَ الْمُتَعَقِبِينَ ، وَتَأَوَّلُ الْمُتَأَوِّلِينَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ .

وَأَمْرُنَا - مَتَى وَقَعَ عَلَى مَالِ هَذَا التَّسْوِيعِ (وَهُوَ نَحْصَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ) أَنْتِجَاعٌ ، بِحَدِّثِ يَحْدُثُ عَلَيْكَ ، أَوْ بِنَقُوضِ نَقُوضَ عَنْهُ ، أَوْ بِجَلٍّ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ أَنْتِجَاعَهُ - أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ الْمُقَاطَعَةِ مِمَّا مَضَى لَكَ ، وَرَثْمُهَا بَاقِيًا عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَنْقُضُ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَيْهِ بِهَدِّكَ ، عَلَى مَا تَخْرُجُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ نَقُوضٍ وَلَا تَأَوُّلٍ فِيهِ ، وَلَا تَغْيِيرٍ لِرِسْمٍ مِنْ رِسُومِهِ ، وَلَا تَجَاوُزٍ لِحَدِّ مَنْ جُدُودُهُ ، عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَسَبَبٍ .

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَأَمِيرَهُ ، وَمَنْ أَمْتَنَّا وَإِمَضَاتِنَا ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ : مِنْ طَبَقَاتِ الْكُتَّابِ ، وَالْعَمَالِ ، وَالْمُشْرِفِينَ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ الْخُرَاجِ وَالْحِمَايَةِ وَالْمَصَالِحِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِ ، وَلْيُخَيِّضُوا بِأَسْرِهِمْ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَبَانَ وَمَنْ بَعْدَهُ بِجَمِيعِهِ ، وَلْيَحْمِلُوهُ عَلَى مَا يُؤْيِجُهُ . وَلْيَقَرَّ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ بَعْدَهُ حِجَّةً لَهُ وَلَهُمْ ، وَلْيُنَسَخْ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم - ما كان يُكتب
عن الملوك الأيوبيين بالديار المصرية)
وكانوا يُسمون ما يكتب فيها تواقع ، ولم فيه أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح التوقيع المكتوب بالإقطاع بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله»)

وكان من عادة خطيبهم أن يُؤتى فيها بعد التحميد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يُؤتى ببعدية ، ثم يذكر ما سنع من حال السلطان ، ثم يُوصف صاحب الإقطاع بما تقتضيه حاله من صفات المدح ، ويُرتب على ذلك استحقاقه للإقطاع . وقد كان من عادتهم أنهم يأتون بوصية على ذلك في آخره .

وهذه نسخة توقيع على هذا الأسلوب ، كُتب به عن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» رحمه الله ، لأخيه العادل «أبي بكر» بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ، بعد الانفصال من حرب للكفار يكما وعقد الهدنة معهم ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أيامنا حسنا ، وأعلى لنا يدا ولسانا ، وأطاب تحنينا أوراقا وأغصانا ، ورفع تحنينا لواء وبلدنا برهانا ، وحقق فينا قوله : (سَشُدَّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَجَمَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) .

نحمده على سُبُوغ نِعْمَتِهِ ، ونسأله أن يوصلنا من الناخلين في رَحْمَتِهِ .

ثم نُصَلِّي على رسوله محمد الذي أيده بِمُحْكَمَتِهِ ، وَعَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ بِعِصْمَتِهِ ، وَأَخْرَجَ بِهِ كُلَّ قَأْبٍ مِنْ ظُلُمَتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَلَقُوهُ فَأَحْسَنُوا الْخَلَاقَةَ فِي أُنْتِهِ .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوى بعضها إلى بعض لمكان قربه ، ويُؤثر بعضها
بعضاً من فضل شربه ؛ ونحن أهل بيت عُرف منا وفائق القلوب وكذا ، وإيتار
الأيدي رفداً ؛ وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات الأعلام ، فإنه من
مصالح الملك التي دلت عليها تجارب الأيام ؛ وكلا هذين الأمرين مشكورة مذهباً ،
محمودة عواقبها ، مرفوعة على رؤوس الأشهاد مناقبها ؛ وما من أحد من أدائتنا
إلا وقد وسمناه بعارف يختال في ملابسها ، ويُسر في كل حين بزفاف عرائسها ،
ولم نرض في بلّ أرحامهم بمواصلة سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالسها ؛
ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أن لهم منّا رجلاً هو أقرب الأرحام ؛ وقد أمرنا
بتجديد العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجل ، السيد ، الكبير ، مسيف الدين ،
ناصر الإسلام « أبي بكر » بأهله . ولولم فعل ذلك قضاء لحق إخوانه الذي ترف
عليه حوائ الأضالع ، لقلناه جزاء لذناب خدمته التي هي نيم الدرائع ؛ فهو في لزوم
آداب الخدمة بعيد وقف منها على قدم الاجتهاد ، وفي تحفة شوايك النسب قريب
وصل حرمة تسيه بحرمة الوداد ؛ وعنده من الفناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيال ،
ويرفع مكاتته عن مكانة الأنساب والأقطار ، ويصله شريكاً في الملك والشريك
مساوياً في النقص والإمرار ؛ فكم من موقف وقفه في خدمتنا بفعل وعمره سهلاً ،
وفاز فيه بارضائنا وبفضيلة التتقم ناقب بالمجدين إرضاء وفضلاً ؛ ويكني من
ذلك ما أبلاه في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هياجه ، وتعادى في بلأجه ،
ونزل على ساحل البحر فاطل عليه مثل أمواجه ، وقال : لا برأح ، دون استفتاح ،
الأمر الذي عسرت معالجه رعايه ؛ وتلك وقائع أسنضاً فيها برأيه الذي يتوب
متاب الكين في مضمره ، وسيفه الذي يُنسب من الاسم إلى أبيضه ومن اللون إلى
أخضره ؛ ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقيه الذي تولت يد الله طبع فضله ، وعينت يد

السَّيَادَةُ بِرَوِّقٍ صَقْلُهُ ؛ فَهُوَ يَقْرِي قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ ، وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَامِلٍ لِمَنَاطِ التَّجَادِ ، وَيَسْتَقْصِي فِي اسْتِلاِبِهِمْ حَتَّى يَنْتَرِعَ مِنْ عِيُونِهِمْ لَذَّةَ الرُّقَادِ ؛ وَلَيْسَ لِلْمَلِيدِ جَوْهَرٌ مَعْدِنُهُ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ زَكَاهِ الْحَسَبِ ، وَإِذَا اسْتَشْجِدَ قِيلَ لَهُ : يَاذَا الْمَعَالِي ! كَمَا يُقَالُ لِسَمِيَّةٍ : يَاذَا الشُّعْلَبِ ؛ وَلَوْ أَخَذْنَا فِي شَرْحِ مَنَاقِبِهِ لَظَلَّ الْقَلَمُ وَاقِفًا عَلَى أَعْوَادِ مَنَبَرِهِ ، وَأَمْتَدَّ شَأْوُ الْقَوْلِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَه مَوْرِدُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ ؛ فَهَمَّا خَوْلَانَهُ مِنَ الْعَطَايَا فَإِنَّهُ يَسِيرُ فِي جَنبِ غَنَائِهِ ، وَمَهْمَا أَشَيْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَطَرٌ فِي كِتَابِ شَنَائِهِ .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقتسم من الديار المصرية والشامية ، وبلاد الجزيرة وديار بكر ؛ ليكون له من كلِّ منها حظٌّ يُفِيضُ يَدَهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَرْكَبُ فِي حَشْدٍ مِنْ رَجَالِهِ ، وَيُصْبِحُ وَهُوَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ مُلْكِنَاكَ الطَّلِيعَةَ فِي تَقَدُّمِ مَكَانِهَا ، وَكَالْرَيْثَةَ فِي إِسْهَارِ أَجْفَانِهَا .

فَلَيْتَسَمَّ ذَلِكَ بِيَدِ مَعْظَمِ قَدَرَاءِ ، وَلَا يَسْتَكْبِرُ كَثْرًا ، وَيَحْمِلُ مِنْهَا رِفْدَهَا غِيَا أَوْ بِحْرًا ؛ وَكَذَلِكَ فَلْيَعْمِلْ فِي الرِّعْيَةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ ، وَلْيَجَاوِزْهُمْ دَرَجَةَ الْعَمَلِ إِلَى إِحْسَانِ الصَّنَاعِ ؛ فَإِذَا أَسْنَدَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى وَلَدِهِ فَلْيُكُونُوا نَهْأَةً لَا يَبْدُ الْهَوَى طَلِبُهُمْ سَيْلًا ، وَلَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ عَنْدهُمْ مَقِيلًا ، وَإِذَا حَمَلُوا ثِقَلًا لَا يَجِدُونَ حِمْلَهُ ثِقِيلًا .

وقد فَشَا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَخْذُ الرِّشْوَةِ وَهِيَ تُخَفِّتُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَبْدِهِ ، وَهِيَ عَنْ أَخْنِيهِ ، وَعَنِ الرِّغْبَةِ فِي تَمَآكُلِهِ ، وَهُوَ كَأَخْذِ الرِّيَا الَّذِي قُرِنَتِ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَأَكْلِهِ .

وَأَمَّا التَّقْضَاةُ الَّذِينَ هُمْ لِلشَّرِيعَةِ أَوْتَادُ ، وَلِلْمَضَاءِ أَحْكَامُهَا أَجْنَادُ ، وَلْيَحْفَظْ عُلُومُهَا كَنُوزٌ لَا يَطْلُوقُ إِلَيْهَا التَّفَادُ ؛ فَيُبْنِي أَنْ يُعْمَلَ فِيهِمْ عَلَى الْوَاحِدِ ثَوْنُ الْاِثْنَيْنِ ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ مِنْهُمْ فِي الْفَصْلِ بِنْدَى الْإِيدَى وَفِي الْيَقْظَةِ بِنْدَى الْيَدَيْنِ ، وَمِنْ رَامَ هَذَا

النَّصِيبَ سَائِلًا فَلْيَلْبِسْهُ وَلْيَغْلِظِ الْقَوْلَ فِي تَجْرِيعِ مَلَامِهِ ، وَلْيَعْرِفْ أَنَّهُ مُمْسٍ رَامَ
أَمْرًا فَآخِطًا الطَّرِيقَ فِي اسْتِجْلَابِ مَرَامِهِ ؛ وَأَمْرُ الْحُكَّامِ لَا يَتَوَلَّاهُ مِنْ سَأَلِهِ ، وَإِنَّمَا
يَتَوَلَّاهُ مَنْ عَقَلَ عَنْهُ وَأَغْفَلَهُ .

وَإِذَا قَضَيْتَا حَقَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ فَلْتَعَطِفْنَاهَا عَلَى مَا يَكُونُ لَهَا تَابِعًا ، وَلِقَوَاعِدِ
الْمُلْكِ رَافِعًا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَضْفَعْنَاهَا إِلَيْكَ : فِيهَا مَدَنٌ ذَاتُ أَعْمَالٍ وَاسِعَةٍ ،
وَمَعَارِضُ [ذَاتِ] حَصَانَةٍ مَانَةٍ ؛ وَكُلُّهَا يَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْفِكْرِ فِي تَقْدِيرِهِ ، وَتَصْرِيفِ
الزَّمَانِ فِي تَعْمِيرِهِ ؛ قَوْلٌ وَجْهَكَ إِلَيْهَا فَيُرَوِّانِ فِي تَكْثِيرِ قَلِيلِهَا ، وَتَرْوِضُ مُحِبِّهَا ؛
وَبَثُّ الْأَمْنَةِ عَلَى أَوْسَاطِهَا ، وَإِهْدَاءُ النُّبْطَةِ إِلَى أَفْئِدَةِ أَهْلِهَا حَتَّى تَسْمَعَ بِاغْتِبَاطِهَا ؛
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَدَّثُ كُلُّ مِنْهُمْ بِلِسَانِ الشُّكُورِ ، وَيُمَثِّلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلَدَةٌ حَبِيبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُجَاوِزُكَ فِي بَعْضِهَا جِيرَانُ ذُو بِلَادٍ وَعَسَاكِرُ ، وَأَيْسَرَةُ وَمَنَارٍ ، وَأَوَائِلُ
لِلْجَدِّ وَأَوَائِرُ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَسَّكُ مَتْنًا بَوْدٍ سَلِيمٍ ، وَهَمْدٍ قَدِيمٍ ، وَلَهُ مَسَاعِلَةٌ
تَعْرِفُ لَهُ حَقَّهَا (وَالْحَقُّ يَسْرِفُهُ الْكَرِيمُ) .

فَكُنْ لَهْوَلاً جَارًا يُوَدُّونَ جَوَارَهُ ، وَيَحْمِلُونَ آثَارَهُ ؛ وَإِنْ سَأَلُوكَ عَمَّا نَابَذْهُ لَهُمْ
بَذَلٌ وَفِي وَاقِفٍ عَلَى السَّنَنِ ، مَسَاوِينَ الْمَرْوَالَيْنِ ، وَلَا يُكُنْ وَفَاؤُكَ خُوفٌ نَتَقَ
مَرَامِيسَهُ ، وَلَا لِرَجَاءِ تَرْقُبِ فَوَائِدِهِ ؛ فَاللَّهُ قَدْ أَغْنَاكَ أَنْ تَكُونَ إِلَى الْمُعَاهِدَةِ لَاجِيًا ،
وَجَعَلَكَ بَنًا مُخَوَّفًا وَمَرْجُوًّا لِإِحْتِنَاقِهَا وَلَا رَاجِيًا ؛ وَقَدْ زِدْنَاكَ فَضْلَةً فِي حِمْلِكَ تَكُونُ بِهَا
عَلَى غَيْرِكَ مَقْضًى ، وَقَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهَا أَغْرَ فَاوَقَتْ بِكَ أَغْرَ حِمْلِكَ ؛ وَذَلِكَ أَنَا
جَعَلْتُكَ عَلَى آيَةِ الْخَلِيلِ تَقْوِدُهَا إِلَى خَوْضِ الْغَارِ ، وَتَصْرِفُهَا فِي مَنَازِلِ الْأَسْفَارِ ، وَتَرْتَّبُ
قُلُوبَهَا وَأَجْنِحَتَهَا عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْأَطْوَارِ ، فَتَحْنُ لَأَلْفِي عُدْوًا وَلَا تَنْهَدُ إِلَى

بلد إلا وأنت كوكبنا الذى نهدي بطلقه، ومفتاحنا الذى نستفتح المغلق بمن
موقعه، وتوقن بالنصر فى دَعَابِه وبالعزيمة فى مَرَجِه ؛ والله يشرح لك صدرنا،
ويُسِّر لك منّا أمراء، ويُسَدُّ أَرْزَانَا بِكَ كما شَدَّ لِمُوسَى بِأَخِيهِ أَزْرَا، والسلام .

الأسلوب الثانى

(أن يُفْتَحَ التوقيع بالإقطاع بلفظ : « أما بعد فإن كذا »)

ويذكر ماستح له من أمر السلطان أو الإقطاع أو صاحبه، ثم يتعرض إلى أمر
الإقطاع، وهو دون الأسلوب الذى قبله فى الرتبة .

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا الأسلوب، كتب بها لأمير قدم على الدولة
فاستخدمته، وهى :

أما بعد، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها، وهى تتفاوت فى أوقات
وجوبها ومثاقيل ميزانها، ومن أوجبها حقاً وسيلة الهجرة إلى طوى لما الأمل من
شقته ماطوى، وصت بها على صديق النية «ولكل أمرى ما توى»؛ فالأوطان إليها
مؤدعة، وانخطوات مؤسعة، والوجوه من برد الليل وحرّ النهار ملقعة؛ وقد توخاها
قوم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطوا فى الدنيا باعتلاء المنار، وفى الآخرة
بعقبي الدار، وؤدّموا على من آوى ونصر فقال تعالى : ﴿ وَالسَّاقُونَ السَّاقُونَ ﴾
المهاجرين والأنصار) . ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام،
وأستبدل بأهم عن أهم؛ وكذلك فعلت أيها الأمير فلان - وفقك الله - وقد تلتفت
هجرتك هذه بالكرامه، وزخرفت لها دار الإقامه؛ فإبتغيت بها بقية إلا سهلت
لك إيفاجها، أو طاج عليك معاجها، وحمد لديك تأويها وإدلاجها؛ وأصبحت

وقد وجدتَ خَفْضاً غِيبَ الشَّرِّ، وَخِطْلَ مَكِّ الْجُفُونِ عَلَى أَمْنِ الْكَرَى، وَتَبَوَّاتَ
كَتَفَ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الدُّوَلِ إِذْ صِرْتَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْقُرَى . وَنَحْنُ قَدْ
أَذِينَاكَ مَبَا إِدْنَاءِ الْخَلِيطِ وَالْمَشِيرِ، وَرَفَعْنَاكَ إِلَى عِلِّ الْأَخْتِصَاصِ الَّذِي هُوَ الْمَحَلُّ
الْأَثِيرِ، وَأَخِينَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَطَايَانَا كَمَا وَوَحَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ الْغَدِيرِ .

هَذَا وَلَكَ وَسِيلَةٌ أُخْرَى تُعَدُّ مِنْ حِسَانِ الْمُنَاقِبِ، وَتُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الْأَطْلَابِ؛
وَمَا يُقَالُ إِلَّا أَنَّهُمَا مِنَ الْأَطْوَادِ الرَّوَاسِ، وَأَنَّهُمَا تَبَرَّزَا فِي اللِّبَاسِ الْأَحْمَرِ وَغَيْرِهَا لَا يَبْزُ
فِي ذَلِكَ اللَّبَاسِ؛ وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُكَ بِوَحْشَتِهَا فِي كَثَرِهِ، وَتُنَازِلُهَا مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ؛
وطلبا أطلأتَ يَدَكَ بِمَنَاطِ الْبَيْضِ الْحِدَادِ، وَفَرَّجْتَ لَكَ ضَيْقَ الْكَرِّ وَقَدْ غَصَّ
بِهَوَادِي الْحِيَادِ، وَحَسَّنْتَ الْعُيُونَ وَقَدْ رُمِيَتْ مِنْكَ بِشَرِّ الْقَذَا وَنَبْوَ الشُّهَادِ؛
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّ الْعَدُوَّ يُحِبُّ الْعَدُوَّ مِنْ أَجْلِهِ، وَيَضْطَرُّ إِلَى أَنْ يُخَيَّرَ بِفَضْلِهِ؛
وَمَذْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وَصَلَتَكَ بِأَمْرَانَا الَّذِينَ سَلَقَتْ أَيْمَانُهُمْ، وَتَبَيَّنَتْ فِي مَقَامَاتِ الْغَنَاءِ
أَقْدَامُهُمْ؛ وَتَوَسَّعْنَا أَنْكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَزُكُّ لَدَيْكَ الصَّنِيعُ، وَأَنْتَكَ نَسْتَشْفَعُ بِمَقْوُوعِ
خِدْمَتِكَ الَّتِي هِيَ نِعَمُ الشَّفِيعِ .

وَقَدْ عَجَّلْنَا لَكَ مِنَ الْإِقْطَاعِ مَا لَا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ شَاكِراً، وَجَعَلْنَاهُ لَكَ أَوَّلَا
وَأَنْ كَانَ لِنَعِيرِكَ آخِرًا؛ وَهُوَ مُثَبِّتٌ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ بِقَلَمِ الدِّيْوَانِ الَّذِي أَقِيمَ لِفَرْضِ
الْجُنْدِ كِتَابًا، وَلِمَعْرِفَةِ أَزْرَاقِهِمْ حِسَابًا، وَهُوَ كُنَّا وَكُنَّا .

فَتَنَاوَلْ هَذَا الصُّخْرِيَّ الَّذِي خُوِّلَتْهُ بِالْبَيْمِينَ، وَاسْتَمْسِكَ بِهِ اسْتِمْسَاكَ الضَّيِّينِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْحَوَاسِدُ لِمَا مَدَدْنَاهُ مِنْ صُنْعِكَ، وَبَسْطْنَاهُ مِنْ قُدْرَتِكَ؛
فَأَشْجَحْ حُلُوقَهُمْ بِالسَّعْيِ لِاسْتِحْصَاقِ الْمَزِيدِ، وَأَرْقِ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ وَأُزْمِهِمْ صَهْفَةَ
الصَّعِيدِ .

والذى تأمر بك به أن [تعد] نفسك للخدمة التى جعلت لها قرنا وأنت بها أغنى،
وأن تلتجئ فيها إلى الأمد الأقصى دون الأذى؛ فلا تَضْمُ جناحك إلا على قوائم
من الرجال لا على خواف، وإذا استغرقت فأغفر ثقالي من الخيل وخفاف؛ وكُنْ
مُنْخُورا لواحدة يقال فيها: يا عزائم أغضبي، ويا خيل النصر أركبي؛ وتلك هى التى
تتظلم بها الجماجم من الضراب، وتلاقى فيها عصب الغريان والذباب؛ ولا تحتاج مع
هذه إلى متعبة تجعل بتفويضها، وتكثر بتعريفها، وتتمى إلى تليدها باستحداث
طريقها.

والله تعالى يشد بك أزرأ، ويملا بك عينا وصدرا، ويعمل الفلق مقرونا
برأيك ورايك حتى يقال: « ومكروا مكرا » ووجدنا أيضا ومثرا؛ والسلام
إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثالث

(أن يفتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بما فيه معنى الشجاعة والقتال
وما فى معنى ذلك ، وهو أدنى من الذى قبله رتبة)

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا النمط ، كُتِبَ به لبعض الأمراء الصغار ،
وهى :

القلَم والرُحْ قَلبانَ كَلَامهما أَمْر ، وكما تشابهَا فى الْمَنْظَر فَكَذَلِكَ تَشَابَهَا فى الْخَبَر ،
غَيْرَ أَنَّ هَذَا يَرْكَبُ فى عَسْكَر من الْقَوْلِ وَهَذَا يَجْمَلُ فى عَسْكَرٍ ؛ وَقَدْ نَطَقَ أَحَدُهُمَا
بِالنَّاءِ عَلَى أَخِيهِ فَاحْسَنَ فى نَطْقِهِ ، وَأَقْوَلَ بِالْفَضِيلَةِ وَمِنَ الْإِنْصَافِ أَنَّ يَهْزُو
لِذَى الْحَقِّ بِحَقِّهِ ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ تُعْزَى إِلَى مَنْ يَهْمُ أَوْدَ السَّاعَى بِتَقْوِيمِ

أَوَدِه، وَلَا يَرَىٰ لَهَا سَبِيلًا قَصْدًا إِلَّا بِالْوَطْءِ عَلَىٰ قَصْدِهِ، وَهُوَ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَلَان
أَيْدِكَ اللَّهُ ! .

وَقَدْ آخَرْنَاكَ نَحْنُ مَسْتَنَّا عَلَىٰ بَصِيرِهِ، وَأَجْرَيْنَاكَ مِنْ آخِرَتِنَا عَلَىٰ أَكْرَمِ وَبَرِّهِ، وَرَفَعْنَا
دَرَجَتَكَ فَوْقَ دَرَجَةِ الْمَمْلُوكِ مِنْ سَبَقِكَ وَإِنَّمَا لِكَبِيرِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَخْيَارُ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ لَا يُحْتَاجُ مَعَهُ إِلَىٰ شَهَادَةٍ ، وَلَوْ كَشَفَ
الْعَطَاءُ لَمْ يَجِدِ الْيَقِينَ مِنْ زِيَادَةٍ ؛ فَطَلَامَا عَجِمْتَ نَبْعَتَكَ ، وَجُمِعَتْ طَلْعَتُكَ ، وَلَمْ تُعْرَضْ
سِلْعَةُ الذَّنَاءِ إِلَّا نَفَقَتْ سِلْعَتُكَ ؛ وَمِثْلَكَ مِنْ تَبَاهِيِ الرِّجَالِ بِمَكَانِهِ ، وَتَحَلَّىٰ لَهُ فَضْلُهُ
عَيْنَانِهِ ، وَيَتَسَعَّ مِيدَانُ الْقَوْلِ فِي وَصْفِهِ إِذَا ضَاقَ بغيرِهِ سَعَةُ مِيدَانِهِ ؛ وَمَا يُقَالُ إِلَّا
أَنَّكَ الرَّجُلُ الَّذِي تَقْنِفُ الْجَانِبَ الْمُهْمَّ بِزَمِكَ ، وَتَرِي بِرَأْيِكَ قَبْلَ رِيَاءِ سَهْمِكَ ؛
وَبِكَ يُخَسَّرُ دُجَىٰ الْحَرْبِ الَّذِي أُعْزِزَهُ الصَّبَاحُ ، وَيُجْحَىٰ عُقَابُهَا أَنْ يُحْصَ لَهُ جَنَاحُ ؛
فَأَسْبَابُ الْأَعْضَادِ بِكَ إِذْكَ كَثِيرَةُ الْأَعْدَادِ ، وَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ وَلَا تَكْثُرُ
إِلَّا مَنَاقِبُ الْأَحَادِ .

وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ مِنَ الْعَطَاءِ بِمَا يَكُونُ يَوْمَ اللَّهِ فِي صَدْرِ الْكَلْبِ ، وَجَعَلْنَاهُ كَالْفَهَامَةِ
الَّتِي تَأْتِي أَوَّلًا بِالْقِطَارِ ثُمَّ تَأْخُذُ فِي الْأَنْسِكَابِ ؛ وَغَيْرُ الْعَطَاءِ مَارِبٌ بَعْدَ مِيلَادِهِ ،
وَأَبْنَعُ ثَمَرُهُ بَعْدَ جَدَادِهِ ؛ وَإِنْ صَادَفَ ذَلِكَ وَسَائِلَ خِدَمٍ مُسْتَأْنَفَةٍ كَانَ لَهَا قِرَافَتَا ،
وَصَادَفَ الْإِحْسَانُ مِنْهُ إِحْسَانًا ؛ وَقَدْ تَعَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِلشَّيْخِ مِنْ عِبَادِهِ مَزِيدًا ،
وَلَمْ يَرْضَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُبْدَأًا حَتَّىٰ يَكُونَ مُعِيدًا ؛ وَكَذَلِكَ دَأْبُهُ فِيمَنْ حَرَفَ مَوَاقِعَ
نَعْمِهِ ، وَعَلِمَ أَنْ حَصْنَتَهَا لَا تُخَارِقُهُ مَالَمَ يُعْلِمَهَا بِسَمْعِهِ .

وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْأَدَبِ الْكَرِيمِ ، وَالزَّمَّ نَفْسَهُ أَنْ يَتَحَلَّىٰ بِخُفْقِهِ وَإِنَّهُ
تَحَلَّىٰ الْعَظِيمِ ؛ وَعَطَاؤُنَا النِّعَمَ بِهِ عَلَيْكَ لَمْ يُدْكَرْ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ عَلَىٰ حَكْمِ الْأَمْتَانِ ،

بل إثباتاً لحساب الجُند الذين هم أعوانُ الدولة ولا بد من إحصاءِ الأعوان ؛
وهو كذا وكذا .

فأمُدَّ له يداً تجمع من الشُّكْر مُواظِبَه ، ومن الطَّاعَةِ مُراقِبَه ؛ وَكُنْ في التَّاهِبِ
لِلخدمة كاللَّسَمِ الموضُوع في وَتره ، وأُحِجْ بِسَمْعِكَ وبَصِيرِكَ إلى ما تُؤمِّرُ به فلا اتِّجَارَ
لِمَنْ لَمْ يَصْنَعْ بِسَمْعِهِ وَبَصِيرِهِ .

وبلَّغْ ذَلِكَ كُلَّهُ أَنْ تَكْثُرَ مِنْ فُوسانِ النُّوَّارِ ، وَحِماَةِ النُّمَّارِ ، والَّذِينَ هُمْ زِينَةُ سِلْمٍ
وَمُفَرِّعُ حِذَارٍ ، ومِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يَضُمُّهُمْ جَيْشٌ إِلَّا هَتَمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ ، وَدَارَتْ
مِنْهُ الْحَرْبُ عَلَى قُطْبِهَا وَلَا تُدَوِّرُنِي إِلَّا عَلَى قُطْبٍ ؛ وَإِذَا سَارُوا خَلْفَ رَأْيِكَ
تُسِرَّتْ ذَوَابِحُهَا عَلَى غَايَةِ مِنَ الْأَسَادِ ، وَخَفَّتْ عَلَى بَحْرِ مِنَ الْحَدِيدِ يَسِيرُهُ طَوْدٌ
مِنَ الْحِيَادِ .

وَمِنْ أَمْرِ الْوَصَايَا إِلَيْكَ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَى غَنَائِهِمْ غِنَى يُرْزَمُ فِي زَهْرَةِ مِنَ الْأَبَاسِ ،
وَيُصَيِّمُهُمْ عَلَى أَعْدَادِ الْقُوَّةِ لِيَوْمِ الْأَبَاسِ ، وَتُقَصِّرَ لِسِيحِ شُقَّةِ الْأَسْفَارِ الَّتِي تَذْهَبُ بِنَزَقَاتِ
الْشَّمَّاسِ ، وَيَنْقَطِعُ دُونَ قَطْعِهَا طَوْلُ الْأَنْفَاسِ ؛ وَأَيُّ فَائِزَةٍ فِي عَسْكَرٍ يَأْخُذُ بَعْدَ الْمَسْرِى
فِي حَوْرِهِ ، وَلَا يَزِيدُ صَبْرَهُ بَزَادَةَ سَفَرِهِ ، وَيَكُونُ حَافِيَهُ وَخَفَّهُ سِوَاءَ فِي أَنْتِسابِ كُلِّ
مِنْهُمَا إِلَى شِدَّةِ سَجَرِهِ .

فَانْقَرِضْ إِلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ نَظَرَ مَنْ طَالَ عَلَى صَحْبِهِ بِالْكَفِّ الْأَوْسَعِ ، وَعَلِمَ مَا يَصْنَعُ
فِيهِمْ وَمَا يَنْفَعُ ؛ وَاللَّهُ يَمْنَحُكَ مِنْ أَدْنَى تَوْفِيقَا ، وَيَسْلُكَ بِكَ إِلَى الْحُسْنَى طَرِيقَا ،
وَيَسْلُكَ خَلِيقًا بِمَا يَصْلِحُكَ وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ بِصَلاحِهِ خَلِيقًا ، وَالسَّلَامُ .

الطرف الثاني

(ما يُكْتَبُ في الإقطاعات في زماننا)

وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ قبل أن يُنْقَلَ إلى ديوان الإنشاء)

وفيه جملتان :

الجملة الأولى — في ابتداء ما يُكْتَبُ في ذلك من ديوان الجيش .

إعلم أنَّ مِظَنَّةَ الإقطاعات هو ديوان الجيش دُونَ ديوان الإنشاء ، وما يُكْتَبُ فيه من ديوان الإنشاء هو فرع ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش .
ثم أول ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش في أمر الإقطاع إما مِثَالٌ ، وإما قِصَّةٌ ،
(١) وإما تَزْوِيلٌ .

فأما المِثَالُ ، فإنه يَكْتُبُ ناظرُ الجيش في نِصْفِ قَائِمَةٍ شامِخَةٍ ، بعد ترك التلئين من أعلاما بياضا ، في الجنود الأيمن من القائمة ماصوره :

« خَبَرُ فلان المتوفى إلى رحمة الله تعالى » أو « المرسوم أرجاعه » أو « المتقيل لغيره »
ونحو ذلك . ويكون « خَبَرٌ » سطرا ، وباقي الكلام تحته سطرا ، وتحت ذلك ماصوره :
« عبرة كذا وكذا ديتارا » بالقلم القبطي . وفي الجنود الأيسر ماصوره :

« بأسم فلان الفلاني » وإن كان زيادة عَيْنٍ ، ثم يَسْمَلُهُ الخط الشريف السلطاني بما مثاله : « يَكْتُبُ » ثم يَكْتُبُ تحته ناظرُ الجيش ما مثاله : « يَمَثِّلُ المرسوم »

(١) أي إنباد بزول كما يؤخذ من التفصيل الآتي .

الشريف» ويُسَمَّى عَلَى مَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ كُتَّابِ الْجَيْشِ، ثُمَّ يُتْرَكُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدِيَوَانِ
النَّظَرِ؛ وَيُكْتَبُ تَارِيخُهُ بِخَطِّ كَاتِبِ نَاطِرِ الْجَيْشِ بِذِيْلِ الْمِثَالِ، وَيُخَلَّدُ الْكَاتِبُ
الْمُعَيَّنُ عَلَيْهِ، وَيُكْتَبُ بِذَلِكَ مَرَّةً، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا الْقِصَصُ فَتَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْحَالِ : فَتَارَةً يُنْهَى فِيهَا وَفَاءً مَنْ كَانَ بِيَدِهِ
الْإِطْعَامُ، وَتَارَةً أَسْتَقَالَهُ عَنْهُ، وَتَارَةً أَرْتَجَّاعُهُ، وَتَارَةً طُلِبُ إِطَاعَةِ مَا نَرَجِعُ عَنْهُ، وَتَارَةً
طُلِبُ تَجْدِيدِهِ، وَمِنْهُ ذَلِكَ.

وَيُكْتَبُ نَاطِرُ الْجَيْشِ عَلَى حَاشِيَتِهَا بِالْكَشْفِ. وَيُكْتَبُ الْكَشْفُ بِذِيْلِ ظَاهِرِهَا
مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ بِمَا مِثَالُهُ :

« رَافِعُهَا فَلَانِ أَنْهَى مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا، وَسَأَلَ كَذَا وَكَذَا » وَيَذْكُرُ حَالَ
الْإِطْعَامِ. ثُمَّ يَسْمَلُهَا الْخَطُّ الشَّرِيفُ السُّلْطَانِي بِمَا مِثَالُهُ : « يَكْتَبُ » وَبَاقِي الْأَمْرِ
عَلَى مَا هَتَمَ فِي ذِكْرِ الْمِثَالِ.

وَأَمَّا الْإِشْهَادَاتُ فَتَكُونُ تَارَةً بِالزُّرُولِ، وَتَارَةً بِالْمُقَابِضَةِ؛ وَرَبَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ بِالشَّرَكَةِ،
ثُمَّ يُكْتَبُ نَاطِرُ الْجَيْشِ عَلَى ظَاهِرِ الْإِشْهَادِ بِالْكَشْفِ، وَيُسَمَّلُ فِيهِ عَلَى مَا هَتَمَ
فِي الْقِصَّةِ.

الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ — فِي صُورَةِ مَا يَكْتَبُ فِي الْمَرَّةِ الْجَيْشِيَّةِ.

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ دِيَوَانِ الْجَيْشِ أَنَّهُ إِذَا حَيَّنَ نَاطِرُ الْجَيْشِ الْمِثَالِ أَوْ الْقِصَّةَ أَوْ الْإِشْهَادَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ كُتَّابِ دِيَوَانِ الْجَيْشِ، يَخَلَّدُ الْكَاتِبُ ذَلِكَ عَنْدهُ، ثُمَّ تُكْتَبُ بِهِ مَرَّةً
مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ وَتَكُنُّ بِالْخَطِّ عَلَى مَا هَتَمَ، وَتُجَهَّزُ إِلَى دِيَوَانِ الْإِنْسَاءِ، فَيَمِيتُهَا
كَاتِبُ السَّرِّ عَلَى مَنْ يَكْتَبُ بِهَا مَفْشُورًا عَلَى مَا سَيَأْتِي.

وصورة المرسمة أن يكتب في ورقة مربعة، يجعل أعلى ظاهر الورقة الأولى منها بياضا، ويكتب في ذيلها معترضا: آخذا من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرا قصيرة على قدر عرض ثلاثة أصابع ماصورة :

«مثال شريف - شرفه الله تعالى وعظمه - بما رسم به الآن : من الإقطاع باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية ، أو بالملكة الفلانية ، أو من الحلقة المصرية أو الشامية ، أو نحو ذلك «على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

وتحت ذلك كله ماصورة :

«يحتاج» ^(١) الشريف أحلاه الله تعالى» .

ثم يكتب داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عرض أصبعين البسملة ، ويختار في سطر ملاصق لها : «المرسومُ بالأمر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني» ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة ، ويكتب في السطر الثاني بعد البياض الذي تركه على مساندة السطر الأول : «الملكي الفلاني الفلاني» بقب السلطنة : كالتامري ، ولقب السلطان الخاص كالزيني «أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أن يقطع من يذكر : من رجال الحلقة بالديار المصرية أو بالملكة الشامية أو نحو ذلك ، ما رسم له به الآن في الإقطاع ، حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

ثم يكتب في الصفحة الثانية مقابل البسملة : «فلان الذين فلان الفلاني ، المرسوم إثباته في مجلة رجال الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو الشامية ، بمقتضى المثال

(١) بياض في الأصل وله «إلى الخط الشريف» .

الشَّرِيفَ أو المَرْبَعَةَ الشَّرِيفَةَ المشْمُولَةَ بِالْخَطِّ الشَّرِيفِ . ثم يكتب تحت السَّطْرِ
الْأَخِيرَ فِي الْوَسْطِ مَا صَوَّرْتَهُ : « فِي السَّنَةِ كَرْبِسْتَا » إِنْ كَانَ جَمِيعَ الْبِلَادِ أَوْ الْبِلَادِ
الْمُقَطَّعَةِ لَا يُسْتَفْنَى مِنْهَا شَيْءٌ ، أَوْ يَكْتُبُ : « خَارِجًا عَنِ الْمَلِكِ وَالْوَقْفِ » أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ « عَلَى مَا يَنْتَضِيهِ الْحَقُّ » .

ثم يكتب تحت ذلك عَلَى حِجَالِ السُّطُورِ مِمَّا تَمَلَّكَ مِنْ أَوَّلِ السَّطْرِ إِلَى آخِرِهِ :
« خَبِرَ » .

ثم يكتب تحت : « فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ الْفُلَانِيُّ ، بِحُكْمِ وَفَاتِهِ ، أَوْ بِحُكْمِ نَزُولِهِ بِرِضَاهُ »
وَنَحْوَ ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِ - نَاحِيَةً كَذَا . نَاحِيَةً كَذَا . نَاحِيَةً كَذَا .

وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَقْدِيرٌ وَنَحْوُهُ ذَكَرَهُ ، وَيَسْتَوْفِي ذَلِكَ إِلَى آخِرِ : « بَعْدَ الْخَطِّ
الشَّرِيفِ - شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

ثم يُرَوِّحُ فِي سَطْرَيْنِ قَصِيرَيْنِ وَيُحَضِّرُ إِلَى صَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، فَيَعِيْنُهُ عَلَى مَنْ
يَكْتُبُهُ مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .

الضرب الثاني

(فيما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء ، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر أسم ما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء)

قد اصطلح كتاب الزمان على تسمية جميع ما يكتب في الإقطاعات : من عاليها .
ودانيها ، للأمرء والجنود والعربان والتركان وغيرهم - متشيرة ، جمع منشور .
والمنشور في أصل اللغة خلاف المطوي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مَسْطُورٍ
فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ .

وأعلم أن تخصيص ما يكتب في الإقطاعات باسم المتشير مما حدث الاصطلاح
عليه في الدولة التركية .

أما في الزمن المتقدم فقد كانوا يطلقون اسم المتشير على ما هو أعز من ذلك :
مما لا يحتاج إلى ختم : كالكتوب بالإقطاع على ما تهمم ، والكتوب بالولاية ،
والكتوب بالحماية ، وما يحرى بحرى ذلك . وربما سمي ما يكتب في الإقطاع
مقاطعة ، وربما سمي بطلا وغير ذلك .

أما الآن فإذا أطلقت المتشير لا يفهم منها إلا ما يكتب في الإقطاعات خاصة ،
وخصوا كل واحد مما عداها باسمه ، على ما هو مذکور في مواضعه دون ما عداها ،
ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى .

قلت : ومن خاصة المتشير أنها لا تكتب إلا عن السلطان . شمولية بخطه ،
وليس لغيره الآن فيها تصرف ، إلا ما يكتب فيه النائب الكافل ابتداءً .

الجملة الثانية

(في بيان أصناف المناشير، وما يُخَصُّ كُلِّ صِنْفٍ منها: من مقادير قَطْعِ الورق، وما يختصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها من طبقات الأمراء والجنود)

إِعلم أنَّ المناشيرَ المصطَلَحَ عليها في زماننا على أربعة أصناف: يختصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها مقدارٌ من مقادير قَطْعِ الورق .

الصِّنْفُ الأوَّلُ — ما يكتب في قَطْعِ الثُّلُثين وهو لأعلى المراتب من الأمراء .
قال في "التعريف": : ومن كان مؤهلاً لأن يُكْتَبَ له تقليدٌ كان منشوره من نومه ومن دون ذلك إلى أدنى الرتب .

قال في "التعريف": : وفي قَطْعِ الثُّلُثين يُكْتَبُ لمقدَّمى الألوف بالديار المصرية، سواء كان من أولاد السلطان أو الخاصكية أو غيرهم، وكذلك جميع النواب الأكابر بالملك الإسلامية، والمقدمون بدمشق . وكلُّ من له تقليد في قَطْعِ الثُّلُثين يكون منشوره في قَطْعِ الثُّلُثين .

الصِّنْفُ الثاني — ما يكتب في قَطْعِ النِّصْفِ .

قال في "التعريف": : وفيه يُكْتَبُ لأمرء الطلعات بمصر والشام، سواء في ذلك الخاصكية وغيرهم . وكذلك الأمراء المقدمون من نواب القلاع الشامية . وفي معانهم المقدمون بحلب وغيرها : من نواب القلاع وغيرهم .

الصِّنْفُ الثالث — ما يكتب في قَطْعِ الثلث .

قال في "التعريف": : وفيه يُكْتَبُ لأمرء العشرات مطلقاً بسائر الممالك، يعني مصر والممالك الشامية بجمعتها . قال : وكذلك الطلعات من التركان والأكراد بالملك الإسلامية .

الصنف الرابع — ما يكتب في قطع المادة المتصوِّرى .

قال في "التجيف" : وفيه يُكتب للمالك السلطانية، ومقدِّمى الحلقة، ورجال الحلقة . إلا أنه يختلف الحلال بين الممالك السلطانية، ومقدِّمى الحلقة، وبين رجال الحلقة . بزيادة أوصال الطُّزَّة، والإتيان بالدَّماء المناسب : يعنى أنه يُترك في طوَّة مناشير الممالك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، وفي مناشير رجال الحلقة وصلان . قلتُ : ولا فرق في ذلك بين حلقة مصر وغيرها من الممالك الشامية .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطُّزَّة والمثن)

قال في "التجيف" : إن كان المنشور في قطع الثَّلاثين، كُتِبَ في طرِّفه من يمين الورق بغير هامش ما صورته :

« منشور شريف بأن يحمرى في إقطاعات المقرِّ الكريم » أو « الجناح الكريم العالى الأميرى الكبيرى » وإن كان نائباً زيد بعدها : « الكافى الفلانى » يعنى بلقبه الخاص « فلان الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان : كالناصرى ونحوه . ثم الدماء بما جرت به عادته دعوة واحدة « ما رُمِمَ له به الآن من الإقطاع » ويشرح ما تضمنته المرعة إلى آخره، فمن ذلك جميعه سطران بقلم الثلث .

قال : والأحسن أن يكون آخر السطر الثانى الدماء والتممة بالقلم الرقاع أسطرًا قصاراً بهامش من الجانبين، ثم يكتب في الوسط سطرًا واحدًا بالقلم النليظ : « والعدة » وتحت بالقلم الدقيق « خاصته » ومائة طواشى أو تسعون طواشياً أو ثمانون طواشياً أو سبعون طواشياً « حسب ما يكون في المرعة . ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بما فيه من وصل الطُّزَّة، ثم تُكتب بالبسملة في أوَّل الوصل الرابع، وبعدها

خطبة مفتحة بالحمد، ويكمل بما يناسبه، ثم يقال: «أما بعد» ويذكر ما ينبغي ذكره على نحو ما تقدم في التقاليد.

قال في «التعريف»: إلا أن المناشير أخصر، ولا وصايا فيها.

قال في «التتيف»: ثم يذكر بعد ذلك اسمه بأن يقول: «ولما كان الحجاب وبقية الأقسام والنوع والبطاء... ولا يزداد على دعوة واحدة» هو المراد بهذه المدة، والمخصوص بهذه المدة «أو نحو ذلك» «أقتضى حسن الرأي الشريف أن تحوّل بهزيد النعم».

وإن كان المنشور في قطع النصف كُتِبَ على ما تقدم، إلا أنه لا يقال: «أن يجرى في إقطاعات». بل إن كان مقدما يجلب أوزيرها أو طبلخاناه خاصيكا، أو كان من أولاد السلطان، كُتِبَ: «أن يجرى في إقطاع المجلس العالي أو السامي». وإن كان طبلخاناه ممن عدا هؤلاء، كُتِبَ «منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامي» والتمة على حكم ما تقدم من غير فرق.

وأما ما يكتب في قطع الثلث فيكتب: «منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع للمجلس الأمير».

وأما التجليدات فيكتب في طرفها: «منشور شريف رُسم بتجليده باسم فلان بن فلان الفلاني، بما هو مستقر بيده من الإقطاع الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت» ويشرح حسب ما تضمنته المراجعة، ثم يقال: «على ما شرح فيه».

وأما الزيادات والتعويضات، فقال في «التعريف»: إذا رُسم للأمير زيادة أو تعويض: فإن كان من ذوي الألواف: كالنواب الأكابر، ومقدمي الألواف بمصر والشام، كُتِبَ له في قطع الثلث الطوة على العادة، وبعد البسملة: «نرج الأمر

الشریف العالی، المولوی، السلطانی، الملکی، القلانی، القلانی، ویُدعی له بما یناسب الحال «أن یجری فی إقطاعات المقر القلانی أو الجنب القلانی». وفي التیمة نظیر ما تقدم فی المناشير المفتحة بالخطبة، علی ما تقدم بیانه .

والذی ذکره فی «التعریف» : أنه یکتب فی ذلك لمقدمی الاثوف أو من قاربهم : «أما بعد حمد الله» .

وإن کان من أمراء الطليعاه الصغار فن دونهم حتی جند الحلقة ، كتب له فی قطع العادة : «خرج الأمر الشریف» .

قال فی «التعریف» : وكذلك الزادات والتاویض ، سواء فی ذلك کبرهم وصغیرهم . قال : ويمكن أن یمیز أمير آل فضل فیکتب له ذلك فی قطع الثالث . قال فی «التعریف» : أما إذا انتقل الأمير من إقطاع إلى غیره ، فإنه یکتب له كأنه مبتدأ علی ما تقدم أولاً .

وأعلم أنه لم تجر العادة بأن یکتب فی أعلى العترة إشارة إلى العلامة السلطانية ، كما یکتب فی الولايات الاسم الشریف فی أعلى العترة . قال فی «التعریف» : والسبب فی أن العلامة لا تخرج عن أحد ثلاثة أمور : إما الاسم الشریف مفرداً ، كما فی الأمثلة السلطانية. إلى من جرت العادة أن تكون العلامة له الاسم الشریف ، وما يتعلق بالتقالید والتواقیع والمراسیم الشریفة ، وأوراق الطرق . أو یضاف إلى الاسم الشریف والده ، أو أخوه ، وذلك مما يتعلق بالأمثلة الشریفة خاصة إلى من جرت عادته بأن تكون العلامة إليه كذلك . وذلك بخلاف المناشير فإن العلامة فیها علی ما جرت به العوائد ، أن یکتب السلطان : «الله أعلی» أو «الله ولی» أو «الله حسبی» أو «الملک لله» أو «المنة لله وحده» لا یختلف فی ذلك أعلى

(١) لله « وذلك مما يتعلق » الخ .

ولا أدنى، فلا يحتاج إلى إشارة بسببها يُنبه عليها، لأن ترك الإشارة إليها دليلٌ عليها، وإشارةٌ إليها، كما ذكر النحاة علامات الأسم والفعل ولم يذكروا الحرف علامة، فصار ترك العلامة إليها علامة، بخلاف الأمثلة : فإنها تختلف : فتكون العلامة فيها تارة الأسم، وتارة أخوه، وتارة والده .

الجملة الرابعة

(في الطغرى^(١) التي تكون بين الطرة المكتبة في أعلى المنشور وبين البسمة)

قال في "التعريف" : قد جرت العادة أن تكتب للناشير الجكار كقدي الألوفا والطلبنات طغرى بالألقاب السلطانية، ولما رجل مفرد بعملها ومحصيلها بالديوان . فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة، وأصمها فيما كتب به . قال في "التعريف" : وتكون فوق وصل بياض فوق البسمة . قال في "التحيف" : فبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة .

قلت : ولم تر هذه الطغرى مستعملة في المناشير إلى آخر العول الأشرقية «شعبان بن حسين» ثم تركت بعد ذلك ورُفِضَ استعمالها وأُهمِلَتْ . ولا يخفى أنه يراد عليها السؤال الوارد على الطغرى المكتبة في أول المكتبات إلى سائر ملوك الكفر من تقديم اسم السلطان على البسمة، على ما هدم بيانه في موضعه .

وقد تقدم الاحتجاج لذلك بقوله تعالى في قصة يقيس : ﴿إِنِّي أَنزِلُ إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . وأنه يمتثل أن يكون قوله :

(١) نص في الحاج على أن الطغرى بضم الطاء وسكون الهمزة ورفع الراء مقصورة كلمة أعجمية استعملها العرب .

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ) حكاية عن قول يَفَيْسَ ، ويكونُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
هو أوَّلُ الْكِتَابِ ، فلا يكون في ذلك حجة على تقدم الإِسْمِ على البَسْمَةِ . وأنه إنما
يَجِبُ الاحتجاجُ بذلك على القول بأنَّ قوله : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ) من كلام سُلَيْمَانَ عليه
السلام . وأنه إنما قَدَّمَ اسْمَهُ على البَسْمَةِ وقايةً لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، من حيثُ أنه كان
عادةً ملوكِ الكُفَرِ أنهم إذا لم يَرْضُوا كِتَابًا مَرَّ قَوْهَ أو تَعَلَّوْا فِيهِ ، فجعل اسْمَهُ حَلَالًا محلَّ
الوقاية . ولا شك أنَّ مَثَلَ ذلك لا يَحْيَى هُنَا ، لأنَّ المحذور فيه مفقود ، من حيث
إِنَّ هذه المناشيرَ إنما تُنْقَلُ إلى المسامِينِ القَائِمِينَ بتعظيمِ البَسْمَةِ والمُرْفِقِينَ لها حَقًّا .
وحينئذٍ فيكونُ تَرْكُ استعمالِها وجهًا ظاهرًا من جهة الشرع ، بخلاف ما في المكتبات
إلى ملوكِ الكُفَرِ .

وأعلم أن هذه الطُفَرَاوَاتِ تختلف تركيباتها باعتبار كثرة متصباتها من الحروف
وقِلَّتِها ، باعتبار كثرة آباء ذلك السلطان وقِلَّتِهم ، ويحتاجُ واضِعُها إلى مُراعاة ذلك
باعتبار قِلَّةِ متصبات الكلام وكثرتها . فإن كانت قليلةً أُبْنِي بالمتصبات كما سبقت
بيانه بقلم جليل مبسوط ، كاختصار الطومار ونحوه ، لئلا على قِلَّتِها فضاء الورق من
قِطْعِ الثَلَاثِينَ أو النِّصْفِ . وإن كانت كثيرةً أُبْنِي بالمتصبات بقلم أدق من ذلك ،
بكليل الثُلُثِ ونحوه اكْتِفاءً بكثرة المتصبات عن بسطها .

ثم تختلف الحال في طول المتصبات وقصرها باعتبار قِطْعِ الْوَرَقِ : فتكون
متصباتها في قِطْعِ النِّصْفِ دُونَ متصباتها في قِطْعِ الثَلَاثِينَ .

ثم قد اصطلح واضعوها على أن يجعلوا لها هامشًا أبيض من كل من الجانبين
بتدرج أصبعين مطبوعين ، وطوة من أعلى الوصل قدر ثلاثة أصابع مطبوعة .

ثم إن كانت في قِطْع النصف جُعِلَتْ مَتَصِبَاتُهَا مع تصوير الحروف بأسفلها
في الطول بقدر ^(١١) ذراع، وفي العرض بقدر ^(١٢) ذراع .

وإن كانت في قطع الثلثين جُعِلَ طولها مقدار ^(١٣) ذراع، وعرضها
مقدار ^(١٤) ذراع . ثم تارة تكون مَتَصِبَاتٌ مَحْضَةٌ يَتَصَرَّفُهَا من أَسَمِ السُلْطَانِ
على ما هو مَذْكُور من أَتَمِّهِ وَأَسَمِ أَبِيهِ ، وتارة يجعل أَسَمُ السُلْطَانِ وَأَسَمُ أَبِيهِ بأعلى
المتصبات في الوسط بقلم الطُّومَارِ قَاطِعًا ومَقْطُوعًا ، بحيث يكون ما بين أعلى الأسم
وآخر أعلى المتصبات قدر أربعة أصابع أو خمسة أصابع مطبوقة . ثم إذا ألصق
الكتابُ الطُّغْرِيَّ ، كَتَبَ بأسفلها في بَقِيَّةِ وَصْلِهَا في الوسط، بعد إخلاء قدر إيهام
بياضاً مَأْصُورَةً : « خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ » .

وهذه صورة طُغْرِيٍّ مَشْهُورٍ بِأَقَابِ السُلْطَانِ الْمَلِكِ الْنَاصِرِ « مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ »
مَضْمُونُهَا .

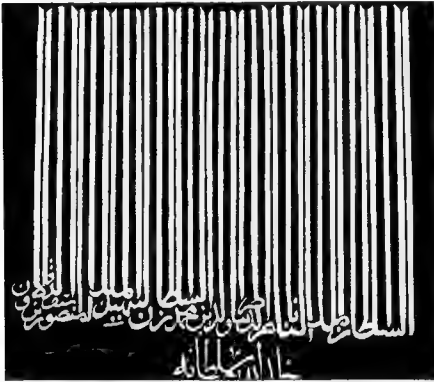
« السُلْطَانُ الْمَلِكُ الْنَاصِرُ ، نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، مُحَمَّدُ بْنُ السُلْطَانِ الشَّهِيدِ الْمَلِكِ
الْمَنْصُورِ ، سَيْفُ الدِّينِ قِلَافُونَ » .

وعدد مَتَصِبَاتِهَا من الألف وما في . منها خمسة وثلاثون متصبة بقلم النصف،
وهو بقدر قلم الثلث الضليل وقدر نصفه .

وترتيب متصباتها [مُتَصِبَاتٍ] متقاربان بينهما بياضٌ لطيفٌ بقدر مَرْدٍ دَقِيقٍ،
ثم متصبةٌ يحفُّه بياضان، كلُّ منهما أَرْضٌ من المتصبة السوداء يسير . وبعد
ذلك مُتَصِبَاتٍ متقاربان بينهما على ما تقدم . وكذلك إلى آخر المتصبات، فتُخْتَمُ

(١) بياض في الأصل في هذه المواضع .

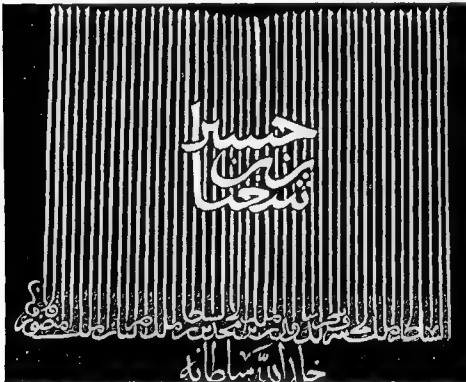
بمتمصين مُزْدَجِين، كما أَقْتَصَحَتْ بِمتمصين مُزْدَجِين، على ما أَقْتَضَاهُ تَحْرِيرُ الْقِسْمِ،
وهي في طُولِ نَصْفِ ذِرَاعِ بَذْرَاعِ الْقَاهِرِيِّ مع زِيَادَةِ نَحْوِ نَصْفِ قِيَارِطٍ،
وَعَرْضِ مِثْلِ ذَلِكَ . وَتَحْتَهَا فِي الْوَسْطِ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ الْجَلِيلِ بَعْدَ حَوْ وَعَرْضِ إِصْبَعٍ
بَيَاضًا مَا صُوِّرَتْ : « خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ » وهي هذه :



وهذه نسخةٌ طُغْرِيٌّ منشورٌ أيضًا بِأَقَابِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ
شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، مَضْمُونُهَا .
« السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ أَمِيرُ الْمَلِكِ الْأَعْجَدِ أَبِي السُّلْطَانِ
الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَبِي الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ » .

وعند متصبّياتها من الألفات وما في معناها خمسة وأربعون متصبّياً ، بقلم جليل
الثُلث ، بين كلّ متصبّين قدر متصبٍّ مرّتين بياضاً ، وطولها ثلث ذراع وربع
ذراع بالذراع المقدم ذكره ، وصرّحها كذلك ؛ وأمّم السلطان بأعلىها بقلم الطومار
بالحبر قاطع ومقطوع كما أشار إليه في التعريف .

مثاله : شعبان بن حسين - الشين والعين والباء والألف سطر ، والنون
من شعبان وأبن سطر مركب فوق الشين والعين ، وحسين سطر مركب فوق ذلك ؛
وطول ألف شعبان تقدير سدس ذراع ، وقد قطعت النون الألف ونخرجت عنها
بتقدير يسير ، وأوّل الاسم بعد المتصب السادس عشر من المتصبّيات ، وآخر النون
من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر متصبّياً من
جهة اليسار ، وهي هكذا :



الجملة الخامسة

(في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب في الإقطاعات في زمنا)

قد تقدم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يكتب في المناشير وما تفتح [به]
وذكر ترتيبها ، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صوفاً وهبوطاً ،
فأضئ عن ذكر إعادته هنا .

وأعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبكوة الإنشاء ، أي راعى فيها حال المكتوب
له في براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات . فإن تعد ذلك فالأحسن
أن تكون براعة الاستهلال مقولة في الاسم والكنية واللقب ونحوها ليكون ذلك
أقرب إلى الفرض المطلوب . فإن تعد ذلك فينبى أن تكون براعة الاستهلال
قاصرة على معنى الإقطاع وما يغير إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى
أخصائه ، وما يفرط في هذا السلك .

ثم نسخ المناشير على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(ما يفتح به الحمد لله ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(مناشير أولاد الملوك)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشورية ، كتب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة
أبيه المذكور ، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله الذى زينَ سماءَ الملكِ بأنوارِ كوكبِ بَرِّغْ، وأعزَّ ملكِ بَنِّغْ، وأشرفَ سلطانِ بَلِّغْ إلى ما يَلِّغْ ذُؤو الأَكِيْهالِ من أختيارِ شرفِ الإِخلالِ وما يَلِّغْ .

لحمدهُ حمداً تَرِيدُ به النماءُ ونشئُ ، وتَهْمِلُ به الآلاءُ وتَهْمِي ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةُ خالصةٌ من كلِّ رَيْبٍ ، واقصةٌ كلِّ عَيْبٍ ؛ ونشهدُ أن هَذَا عبْدُهُ ورسولُهُ الذى بعثه اللهُ تعالى بِمُكْرِمِ الأخلاقِ ، ومُعَاداةِ ذُؤَى النفاقِ ، وساوَى بين الصَّغِيرِ والكَبِيرِ من أُولَى الأَسْمَحِقاقِ ، فى الإِرْفادِ والإِرْفاقِ . صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ مَارَقَ نَسِيمٍ وراقٍ ، وما خُصِفَتْ أوراقُ .

وبعدُ ، فإنَّ المَوَافِيقَ أَيْنُ ما تَشْلُو ، إذا حَفَّتِ الرِياضُ بها من كلِّ جانبٍ ، والسماءُ أَحْسَنُ ما تَبْدُو ، إذا تَرَيْتَ بالكواكبِ السَّيَّارةِ والشَّهَبِ التَّوَّاقِبِ ، والسَّعادةِ أَحَدُ ما تَحْدُو ، إذا خُصِّصَتْ بَمَنْ إِيَّاهُ ، وإلا ما تُبْنِي الحقائقُ والحَقَّاقِبِ ؛ وَمَنْ هوَ لَلْكَ فِلَّةٌ كَيْدُهُ ، وَنُورُ مُقْتَدِهِ وَساعِدُ يَدِهِ ؛ وَمَنْ تَقِيْمُنَ السُّلْطَنَةَ بِمِلَاحِظَةِ جِوَيْنِهِ الوُضَى ، وتَسْتَتِرُ بِالْأَنْوَارِ المُضِي ، وَمَنْ تَنْضَبُ الدُّنْيا لَفَضِّهِ وَتَرْهَى إِذا رَضِيَ ؛ وَمَنْ نَشَأَ فى رَوْضِ المُلكِ من خَيْرِ أَصْلٍ زَكى ، وفَاحَتْ أَزَاهِرُهُ بِأَعْطَرِ أَرْجٍ وَأَطْيَبِ نَشِيدِ زَكى ؛ وَطَلَعَ فى سماءِ السُّلْطَنَةِ بِحُجَّامٍ لِّلْبَرِّينِ ما لَهُ مِنَ الإِضاءَةِ ، وَزَيْدُ طَلِيحِها بِحُسْنِ الوُضَاءَةِ ؛ وَمَنْ تَشَوَّفَ النُّصْرَةَ من مَهْدِهِ ، وَتَسَوَّقَ الظُّفْرَ إلى أَنه يَكُونُ من جُنتِهِ ؛ وَاسْتَبَشَرَتِ السُّلْطَنَةُ بِأَنَّ صَارِلَها مِنْهُ فَرِحَ بِاسِقٍ ، وَعَقِدَ مَتَناسِقٍ ؛ وَزَنَّدُوا بِوَجَنَاحٍ وإِرْفٍ ، وَتَخَارَ تَلِيدُ وَعِزُّ طَارِفٍ ، وَطَرَفَانِ مُعْلَمَانِ تَنْشُرُ فِيهِمَا المَطَّارِفُ .

ولِهنَّ الحامِيسِ التى تَشَرِّبُ إلى قَصَبِها آمالُ الخِلاَقِ المُتَّجِمَةِ - أَقْضَى حَسْنُ الرِّبِّ الوُصُولُ ، وشَرُّ الإِقبالِ والقَبُولِ ، أنْ يَخرجَ الأمرُ العالى - لا يَرِيحَتْ مَراسِمُهُ

مترينة زينة السماء بكواكبها، ومزاجية سماءك بمتابكها - أن يجري في ديوان
الجناب العالي المزلوى، الملكى، الناصرى

قلت : كما أن هذا المنشور منشور سلطان فهو في البلاغة لحسن إنشاءه سلطان
المنامير .

الضرب الثاني

(من نسخ المناشير المفتحة بالحمد مناشير الأمراء مقتدى الألوفا)

وهذه نسخ مناشير منها .

نُسْخَةُ منشور، كُتِبَ به للأمير بدر الدين بيدرا استادار الملك المنصور قلاوون،
من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تمامًا على الذى أحسن، وإمامًا تهتدى النجوم
منه بالضياء الأبين والنور الأزىن، ونظامًا يجمع من شمل النرى ما يندوبه حماء
الأسمى وجناؤه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أطن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تغلو وتبذو عند اللب وفى القلب مكنها الأمكن ؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله ونبيه الذى أوحى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ورضى عن آمن به وعمن آمن .

وبعد، فإن خير النماء ما أتى به على التدريج، وأتى كما يأتى النيث بالقطر والقطر
لإنبات كل زوج بهيج، وأقبل كما تهيل الزيادة بعد الزيادة فينا يقال : هذا خليج

يَمْلِكُهُ الْبَحْرُ إِذْ يُقَالُ : هَذَا يَمْرُؤٌ يَسْتَعِدُّ مِنْهُ كُلَّ خَلِيجٍ ، وَيُنَاقِلُ : هَذَا الْأَمِيرُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا الْمُجِيرُ ، وَيُنَاقِلُ : هَذَا الْهَلَالُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا هُوَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ .

وَلَيْكَ كَانَ فَلَانٌ مِنْ هَذِهِ التَّوَلَّى بِمَوْضِعِ الثَّرَةِ مِنَ الْجَبِينِ ، وَمَكَانِ الرَّاحَةِ مِنَ الْيَمِينِ ؛ وَلَهُ سَوَاقُ خِدْمَةِ لَا يَزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي طُرُقِ طُرُوقِهَا ، وَلَا يُسْتَكْتَرُّ لَهُ زِيَادَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوجِبَاتِ حَقُوقِهَا ؛ وَهُوَ مِنَ التَّقْوَى بِالْحَصْلِ الْأَتَمِّ ، عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّرَاقِ ، وَالْمَكَانِ الْأَخْيَ ، الَّذِي مَكَانُهُ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ - صَدْرُ الرُّوَاقِ ؛ وَلَهُ الْكَرَامَاتُ الَّتِي تُرَى الْخُلُودُ لَهَا صُغْرُ ، وَكَمْ سَقَتْ مِنْ سُمِّ الْمَدَاءِ دَافَةَ اللَّعْنِ ؛ وَكَمْ قَابِلُ نُورِهِ نَارًا فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمْ تَكَلَّمَ عَلَى خَاطِرٍ فَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْهُ شَيْخًا مِنْ حَيْثُ الشَّيْبَةِ أَجَلَ اللَّهِ قَدْرَهُ غَلَامًا ؛ فَهُوَ الْمَجَاهِدُ لِلْكَفَّارِ ، وَهُوَ الْمُتَمَجِّدُ فِي الْأَنْحَارِ ، وَهُوَ حَاكِمُ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ جَعَلَهُ أَسَاتِدُ الدَّارِ ؛ وَهُوَ صَاحِبُ الْعَصَا الَّتِي أَصْبَحَ بِحَقْلِهَا مِضَافَةٌ إِلَى السَّيْفِ بِتَشْرِيفٍ ، وَمُعْجِزًا لَا يُسْتَكْتَرُّ لَهَا أَنَّهَا لِكُلِّ حَيَّةٍ تَلْقَفُ ؛ وَهُوَ الَّذِي تَعْبُدُ الْكُتُوفُ وَالسِّيُوفُ قُوَّةَهِ وَقَوَّةَ ، وَالَّذِي يُشْكِرِيهِ عِنَانُ كُلِّ سَائِحٍ وَزِيَامُ كُلِّ سُبْحَةٍ ؛ وَكَمْ أَسَالُ بِيَدَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ مَاءَ جَرَى ، وَمُحِلٌّ يَنْ يَدِيهِ لِلْفُقَرَاءِ مَا جَرَى ، وَكَمْ وَلَّى قَهْرَ خَفِيِّ شَخْصِهِ فَاظْهَرَ مَحْضَهُ فَقَالَ الْوَلَى : وَمَا أَدْرَى دَرًا لَوْلَا يَسْتَدْرَا - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يَجْعَلَ إِحْسَانُ التَّوَلَّى الْقَاهِرَةَ لَهُ عَمَلًا ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَهُ عَمَلًا وَنَهْلًا ، وَأَنْ يَخْتَارَ لَهُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْعَصَا كَمَا أَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَنُجِرَ الْأَمْرُ الْعَالِي - لَا زَالَ ظِلُّهُ ظَلِيلًا ، بِامْتِدَادِ النَّفْسِ بِعَدِ النَّفْسِ ، وَعَطَاؤُهُ جَزِيلًا ، بِتَوِيلِ النَّفْسِ بِعَدِ النَّفْسِ - وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَصَاحِبُ الْعَصَا بِالْأَسْتَادَارَةِ وَلَا يُسْتَكْتَرُّ لَهَا حَيَاتٌ .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه سيف الدين، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفّق من جعل فعله لمزيد النعم متفاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطانه مرضياً . وعيشه راضياً .

نحمد على نعمه التي تشر مواليا وقسوه مُعَادِيَا ، ونُحْمَدُ من أوليائنا من يقوم مقامنا إذا سمح منادياً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروّت في موارد الوريد من الزمّاح صَادِيَا ، وأورّت هَادِيَا ، ورفعت من أعيان الأعلام هَادِيَا ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن بصفاته حَالِيَا ، وأحلنا ببركة المشاركة في اسمه المحمدي مكاناً عَالِيَا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يرح كل لسان لها نالِيَا ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تُجسّد إعظاماً ، وتزيد إكراماً ، وتضاعف لكل من أضحى ناصراً بحقيقة ولائه إجلالاً وإعظاماً ؛ ليترقى إلى أهل الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ، ومن رأى التقرب إلى الله تعالى بمراضيتنا الشريفة فتقرب إليها ، وأقبل بقلب مخلص عليها ، وأشبّه البدور في مواقفه نوسماً ، وحكى السيف بارق قفزه لما أومض في حومة الحرب مقصماً ، وأقدم حين لم يجد بُدّاً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت أسيحتها الكواكب بها درية ، والحملاّت التي هزّت العدا لفتلتها أنها بهاديرية ؛ كم له من محاسن ، وكم عرفت له من مكانين ؛ وكم له من صفات كالمقود يمتدق بها من قال : الرجال معادن ؛

كم له من همة ترقى به إلى المعالي، كم له من عزيمة يروى حديثها المسند عن العوالي؛
كم به أمور شاسعة، وكم جمهور يحاط؛ كم له من احتفاء واحتفال، وكم له من
قبول وإقبال، وكم له من وثبات وثبات، وكم له من صفات وصفات، وكم له
إمائه محجة؛ كم له من مناقب تُصيح وتُحيى، وكم له من معارف لما علم بها ملكه
- خلد الله ملكه - قال الملك : آتوني به أستخلصه لنفسي .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تقعد له في كل وقت رايه، وتسعى به إلى أبعد غاية،
وتتبع له عناية بعد عنايه، حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور، وعلم
مفتشور، وبطل لا يرد عن الصميم نصيبا، ولا تمد أكابر الأمراء إلا ويكون على
العساكر مقدما وعلى الجيوش زعيما : ليعلم كل مأمور وأمير، وكل مُقاتل ونظير،
أن حسن نظرها الشريف يضاعف لمن تحرب إلينا بالطاعة إحسانا، ويوجب على
من وجد الميسور بهذا المنشور آمينانا : (لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِيمَانًا) .

ولما كان فلان هو المعنى بهذه المناصيد، والخصوص بهذه المبادئ والمحامد،
والواحد الذي ما قدم على الألف إلا وكالآلف ذلك الواحد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة بالخلود؛ موسومة بمزايا
الجود - أن يجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه «شمس الدين» كُتب به في الدولة الناصرية

«محمد بن قلاوون» وهي :

الحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مَطْلَعَ كُلِّ قَرْنٍ نَبِيرٍ ، وَجَمَعَ كُلَّ مَأْمُورٍ
وَأَمِيرٍ ، وَمَوْجِعَ كُلِّ تَحَابٍ يَظْهَرُ بِهِ الْبُرْقُ فِي وَجْهِ السَّحَابِ الْمَطِيرِ ؛ الذى شَرَفَ بنا
الْأَقْلَادَ ، وَزَادَ الْاِقْتِدَارَ ، وَجَعَلَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ سَمَاءً تُشْرِقُ فِيهَا الشُّمُوسُ
وَالْأَنْفَارُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَخْتَالُ أَوْلَادُهَا فِي مَلَابِسِهَا ، وَتَخْصُصُ بِنَفَائِسِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَجَرَدُ سَيْفَ الدِّينِ لِإِقَامَتِهَا ، وَنَحْفَظُ بَقَائِمَهُ
فِي الْحَرْبِ عَلَى إِدَامَتِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى خَصَّهُ بِمِزَّةِ الْقَرِيبِ ،
وَشَرَفَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْمَكَانِ الْقَرِيبِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَظَّمَهُمْ بِقُرْبِهِ ،
وَكَرَّمَهُمْ بِجُبَّةِ ، وَقَدَّمَهُمْ فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا جَاءَ كُلُّ مَلِكٍ بِأَتْبَاعِهِ وَكُلُّ مَلِكٍ
بِصَحْبِهِ ، وَسَلَّمَ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ أَنْ تَشْمَلَهُ صِدَقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ بِحَسَنِ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ ،
وَبِرَفْعَةِ قَدْرِهِ الْمُنِيفِ ؛ لِيَتِمَّ لَهُ إِحْسَانُهَا ، وَيَزِيدَ إِمْكَانُهَا ؛ حَتَّى يَنْقَلَّ هَلَالُهَا إِلَى أَكْلِ
مَرَاتِبِ الْبُدُورِ ، وَيَمْتَدَّ بِحُصْنِهِ الْمُسْتَظَّلِّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْجُيُوشِ ؛ وَيَتَقَدَّمَ فِي أَيَّامِنَا
الشَّرِيفَةِ إِلَى الْعَايَةِ الَّتِي يَرْجُوهَا ، وَيَقْدَمُ قَدَمُهُ إِلَى مَكَانَةِ أَمْتَالِهِ إِلَى حُلُوهَا ، وَتُسَكَّلِ
بِنَا نِعْمَةُ اللَّهِ : (وَأَنْ تُمْنُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لِمُحْصُوها) - النَّاصِرِيُّ بِحَقِيقَةِ وِلَايَتِهِ ، الْبَهَادِرِيُّ
بِشِجَاعَتِهِ فِي لِقَائِهِ ؛ مَنْ تَكَفَّلَتْ صِدَقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ لَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَمَلِهِ ، وَجَعَلَتْ
حَامِيَتَنَا الشَّرِيفَةَ مَحِيطَةً بِأَهْلِي مِمَّا يَتَسِمَعُ الرَّيْجَ مِنْ حُلَلِهِ ، وَتَوَسَّعْنَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ
قُرْبِ إِلَى مَرَاضِينَا الشَّرِيفَةِ بِهَا دَرِيًّا ، وَهَمِيَّةً جَرَدْنَا بِهَا مَنَةً سَيَقُفُ بِهَا دَرِيًّا ، وَطَلَمِيَّةً
أَطْلَعَتْ مِنْهُ بِالْبَهَاءِ كَوَجْهًا دَرِيًّا ؛ مَعَ مَا تَحْوِلُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَقَامَ بِهِ فِي أَبْوَابِنَا
الْعَالِيَةِ مِنْ أَحْسَنِ الْقِيَامِ فِي كُلِّ وَظِيفَةٍ .

ولما كان فلان هو الذى أشرنا إليه ، ونهنا مقلّ النجوم عليه . فاقتضت آراؤنا الشريفة أن نبليّه أقصى رُتب السعادة ، ونُصِلّ له بحظّ الذين أحسنوا الحُسنُ وزيادة؛ ليعُدّ فى أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذُكروا ، والمُقَدِّمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مُهمّ شريف أو أبَدروا ؛ ليعلم كلُّ أحد كيف يُجَازى كلُّ شكور ، وكيف يُعْطَى بنعمنا الشريفة كلُّ سيِّف مشهور ، وكيف نذكروا واحدا منهم فيندوفى زعماء المساكر المؤيدة وهو مذكور ؛ ليشكّلوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جُهدهم ، ويتوكّلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميصة التى تُحقّق قصصهم .

فلذلك خرج الأمر الشريف



وهذه أُسْنَةُ منشور من ذلك ، كُتِبَ به فى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون»
لن لقبه « بدر الدين » وهى :

الحمد لله الذى زَيَّنْ أَفُقَ هذه الدَّولة القاهرة بِبَدْرِها ، وَسَيَّرَ فى دَرَجِ أَوْجِها
وَنَصَّرَها ، وَقَلَّه فى بروج إشراقها ومنازل نَفَرِها .

نَحْمَدُه على نِعمَةِ المُنْهَلَةِ بِرَّها ، المتهلِّلة بِشَهرِها ، المتريِّدة كُلَّ زِدنا فى حَمْدِها
وَشُكْرِها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تَطِيقُ بها القلوبُ
فى سِرِّها وجَهْرِها ؛ ونشهد أنَّ عِلمًا عبْدُه ورسولُه المبعوثُ إلى الأُمم بِأَسَرِّها .
صَلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبِهِ صلاةً تَمَلَأُ الوجودَ بِأَجْرِها ، وتَضَمِّنُ لَأَمَّتِها النِّجاةُ
يومَ حَضَرِها .

وَصَدُّ ، فإنَّ أَوَّلِيَّ من تَعَمَّتْ التَّعْمَى بِتَوَالِها عليه ومَرَّها ، وخيرَ من أَسْتَقَرَّتْ
الخلِياتُ عنده فى مَسَقَرِّها ، وأعلىَ من عَمِمَتْهُ أَلْسِنَةُ الأَقلامِ بِبِدائعِ تَظْهِمُها ونَفَرِها ،

وخصمته بمحمد تتأرجح الناشئ بنشرها - من كان للدولة القاهرة يشرح صدرها ،
بتيسير أمرها ، ويُسَدُّ أزرها ، بحمل وزرها ، ويتكفل بأداء فرائض إتمامها
وتصيرها ، ويوصل حمل ما يفتح من الحصون الضيقة إلى مصرها .

ولما كان فلان هو بدر هذه السماء ومينر زهرها ، ونير نجوم هذه المقاصد ومبتدا
نقرها ، وفريدة عقد هذه القلائد وبثمة درها ، وصاحب هذه الألفاظ ومفتاح
ميرها - أقتضت الآراء الشريفة أن تُرَفَّ إليه عرائس العوارف ، ما بين عوانها
ويكرها ، وترَفَّ عليه فائس اللطائف ، ما بين شفعها ووترها ، وتهادى إليه الهدايا
ما بين صفرها وحرها ، وتتوالى عليه الآلاء ما بين تمرها وزهرها ، وأن تزداد عدته
المباركة في كبتها وقدرها ، وأن تُكَلَّ عشرائه التسع بعشرها ، يُعَلَّم أنه لا يرح
في خلدها وميرها ، وأنها لا تخلع ساعة من سعيد فكرها .

فلذلك خرج الأمر العالى - لا زالت الأقدار تحض دولته القاهرة بإطالة ذكرها ،
وإطالة عمرها ، ولا يرح الأملك كفيلاً بنصرها ، بمضاء بيضاء وإعمال شمها -
أن يجرى



وهذه نسخة منشور من ذلك كُتِبَ به في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون »
لن لقبه « صلاح الدين » وهى :

الحمد لله الذى أتحف الممالك الشريفة من سعيد تدبيرنا ، بصلاحها ، وصرف
حميد تأميرنا ، بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسف طوايح أمانيهم : من اقترابهم من
خواطرها الشريفة فى بئدهم وتدانيم باجابه سؤالها وإصابة اقترابها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريبا من نصاحها ، ونشكره على أن
وصل أراجيحهم بإزاحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحسن

المالَ والعاقبةَ لِلدَّوى الإخلاصَ كما أَحسَنَتْ في أَبْتدائها وأَخْتِاحِها، ويُؤَدِّنُ حَسَنُ
أَعْتابِها لأحوالِ أُولَى الاختصاصِ بإصلاحِها؛ ونَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذى عَمَّتْ مَواهِبُهُ، بَارَقَ سَمائِها وإِغْلَقَ سَماعِها، وَتَمَّتْ مَنافِعُهُ، بِإِغْلَاقِ غُرَرِها
وإِشْراقِ أَوْضاحِها، وَأَسَّتْ مَواكِبُهُ، دِيارَ المِدا فَشَلَّتْ عَلَیْهِمْ مَشْهُورَ قِراعِها وَمَنْصُورَ
كِفاحِها . صَلَّى اللهُ عَلَیْهِ وَعَلى آلِهِ وَوَحَّجَهُ الَّذينَ أَصابَتْ أَكُفُّهُمُ فى السَّلَمِ بِمُغِفاتِ
أَقْلَامِها وصالَتْ أُنْبیُهمُ فى الحَرْبِ بِمُرهفاتِ رِماحِها، ما جَرَتْ الأَقْدارُ بِمُتَاحِها،
وَسَرَّتِ المِبارُ بِمُتَاحِها، وظَهِرتْ أَنارُ الإِقبالِ التَّامِ عَلى مَنْ لَهْ بِمُنتَها أَهْتامُ وأَحْفافُ
فَلاحَ عَلى مَقاصِدِ مَعهودٍ فَلاحِها . وَسَلَّمَ قَسْلياً كَثيراً .

ومُصدُّ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ لَحَظَ نَظَرُنا الشَّرِيفُ حَيْثُ كانَ ، وَرَجَّحَ فِكرُنا الحَسَنُ
الْجَمِيلُ فَتَحَ الإِجْمالَ والإِحْسانَ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ شُكْرُهُ أَرَبَّيا بِكُلِّ مَكانَ، وَدِ كَرُّهُ بِهَجا
تَثيرى بِه الرِكاثُ وَتَسيرُ بِه الرُجْجانُ، وَصَدْرُهُ الرَحيبُ مُستودِعُ الأَمْرارِ فلا تُصابُ
إِذْ كُنْتَ فِيهِ مُصانَ، وَقَدْرُهُ عِندَنا المَحفوظُ المَكانَةُ، فَإِنَّ بَعدَ نَهِو قَريبٍ دانَ، وَأَمْرُهُ
مِنا المَحفوظُ بالإِعانَةِ، فلا نَزالُ نُولِيه الرِّوْضَ عَلى لَه الشَّانَ .

ولما كان فلان



وهذه مُسَخَّنة منشورة، كُتِبَ بِه للأَير سَعْدُ الدِّينِ مَعهودُ بنِ الحَظائِرِى ، مِن إِنْشاء
الشَّرِيفِ شَهابِ الدِّينِ كاتِبِ الإِنْشاء، وَهُوَ :

الحَمْدُ لله عَلى نِعمِهِ الِّى زادتْ سُعودا، وَضاعَتْ مُهمودا، وَكَرَّمتْ فى أَيَّامِنا مَنْ
لَا حَاجِبَ لَه عَن أَنْ نَمُنَّعَ مِنْ إِلهامِنا مَزيدا ، وَقَدَّمتْ بَين أَيْدِينا الشَّرِيفَةَ مِنْ
أَوَّلِائِنا مَنْ عَدا قَدْرُهُ عِندَنا خَطِيراً وَحَفَّظَ لَدينا مَعهودا .

نحمد على أن أنجز لأصفيائنا من وفائنا وعودا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تحمد لمخلصها صُدورا وورودا، وتلقى مؤمنها بالبشر إذا جمع
الموقف وعودا، ونشهد أن عمدا عبده ورسوله الذي شرف بإنجاده مطرودا، وأردف
بالملائكة جنودا، وأوصل به حقوقا وأقام حنودا، وسحب بركاته وتكاته الأسواء
فقدنا العدل موجودا، وأضحى الحكم مقصودا . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
ما منهم إلا من كان بالمومنين رجيا وعلى المشركين شليدا .

أما بعد ، فنعنا إذا أولت وليا ، منحتها وآلت ، وإذا قدمت صفياء ، وهبت
مزيدها وأناث ، وإذا أبلت بوجه إقبالها على مخلص تنابعت إليه المسرات
وأناث ، لا سيما من أطابت الألسنة الثناء عليه وأطالت ، وجبت بتجايها على
العدل والمعرفة فما حانت ولا مالت ، وأوصلت راقته منا المستضعفين وعلى المجرمين
سقوطه صالت ، فيمن مقاصده هانت الخطوب وإن كانت فتكاته في الحروب كم
هانت ، وحممه في السلم قد جلّت ويوم الزوع كم جالت ، وعزائمكم غارت فاغارت
والعتدين كم غالت ، وكل سبق إلى خدمتنا صاحب الشمس وكيف لا وهو البدر
ولكنه لم يزل وإن هي زالت .

وكان فلان هو الذي تقلناه في درجات التقديم حتى بكل بدرة ، ووقلناه في مراتب
التكريم حتى أصبح وهو المسعود حظله المحمود ذكركه ، وخولناه مواهب جودنا
العصبة فاستد باعه واشتد أزركه .

فلنك خرج الأمر الشريف - لا يرح إنعامه يبل عن الحصر ، ودولته يضمنها
المز والتصر ، وإكرامه يقضى بمسرات الأولياء بالجمع وفضي إلى أعمار الأعداء
بالقصر -



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به لعلاء الدين إيدغمش أمير اخور الناصري [كُتِبَ به في الدولة الناصرية] محمد بن قلاوون، من إنشاء الشريف، وهو :

الحمد لله الذي زادَ علاءَ دولتنا الشرفَ، وأفادَ نعماءَ التامةَ من قام بين أيدينا أتمَّ قيام في أتمِّ وظيفه، وأجاد الآلاءَ المتواليَةَ بمنَّ إعنةَ الجيادِ بإشارتهِ مُصَرِّفَةً وَمِنَّةَ الجُودِ بِسِفارتهِ مُصَرِّفَهُ، وأرادَ الأصطفاءَ لأَعَزَّ هُمَامٍ : في قلوبِ الأولياءِ له حِجَّةٌ وفي قلوبِ الأعداءِ منه خِيفَةٌ ، وأبادَ أولىَ العِنادِ بفتكاته التي بها النوائِلُ مكفِيَةٌ والطوائِلُ مكفُوفَةٌ، وشادَ الملُكَ الأَعَزَّ بإرفادٍ وَلَّى له الشجاعةُ المشكُورةُ والطاعةُ المَعْرُوفَةُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ آخِيارَاتِنَا بِالتَّسْديدِ عَقُوفَةً وبِالتَّأيِيدِ عُمُوفَةً ، ونَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةَ السَّرائِرِ لِإِخلاصِها أَلُوفَهُ ، والضَّامِرُ حُلَّ اختصاصِها مَعْطُوفَهُ ؛ ونَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي نَسَلَهُ مِنَ النَّبِيةِ الْمُنَيَّفَةِ ، وَأَرْسَلَهُ بِالشَّرْعَةِ الْحَنِيفَةِ ، وَقَضَلَهُ بِالرُّفْعَةِ عَلَى ظَهَرِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ وَجَنُودِ الْأَمَلِكِ بِهِ مُطِيفَهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَصَّيِّهِ وَسَلَّمَ الْوَسِيمِ الْعَفِيفَةِ ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَوْ أَتَقَّقَ أَحَدٌ مِثْلَ أَحَدٍ نَعَبَ ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، صَلَاةٌ تُبَيِّضُ بِالْأَجُورِ الصَّحِيفَةَ ، وَتَعَوِّضُ بِالْوُفُورِ مِنْ مَبْذَاتِنا الْجَلِيلَةِ بِفِكْرَتِنا الْجَلِيلَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أما بعدُ ، فكَرُمْنَا يُسَبِّحُ الْمَوَاهِبَ وَالْمَنَاجِمَ ، وَنَمُنُّا تُبَلِّغُ الْمَارَبَ وَالْمَنَاجِمَ ، فلا نَبْرَحَ نَتَقَلُّ في درجاتِ الصُّعُودِ مَنْ هُوَ فِي خِصْمَتِنَا لَا يُبَارِحُ ، وَبِتَكْفُلُ صَالِحَ نَظَرِنا الشَّرِيفِ صَلَاحِ حَالٍ مَنْ أَجْمَلَ التَّصَالِحَ وَأَثَلَ الْمَصَالِحَ ؛ فَكَمْ رَاضٍ لَنَا مِنْ جَائِجٍ ، وَخَاضَ بَحْرَ الرَّغَى عَلَى ظَهَرِ سَائِجٍ ، وَحَمَى رُواقَ الْإِسْلَامِ مِنْ رُعبِهِ بِذَنْبٍ وَرَبِّ

أعناق الكفار من غضبه بنايح ، وأتسى المقاتل بكل ناول يستجن في الجوائح ،
وأتنى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفايح ، وسما عزم إعلانه بتقريبه وإدثائه إلى
السلك الراجح . طامس الكفار الضراذ مساهم بالماديات الضوايح ، وأحسن كل
منهم بالدمار لما ظن أنه لحربه يكابد ويلز به يكافح ، وصبحهم بإغاراته على الموريات
قدحاً فأغرى بهم الخطوب القوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الملكات فصالح
[رقابهم] رقاب الصفايح ، وأخل من أهل الشرك المسارب والمسارح ، وأجل أهل
الإفك عن المطارد والمطارح .

ولما كان فلان هو الذى استنار إليه شأن هذه المدائح ، وساريد كره وشكره كل
غايه ورائح .

نرح الأمر الشريف ... لا بريح سيل هناه الواضع ، وجزيل نداء يندو كالفوادى
بالمائد والبادى من فضله وهو الناصح ،



وهذه نسخة منشورة ، كُتِبَ به للأمير شمس الدين مستقر البكتوقى الشهير
بالمساح ، وهى :

الحمد لله الذى أجزل المواهب ، وجعد من النعم ما لا تزال الأليسة تتحدث
عن بحرها بالعجائب ، وأطلع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تسمد من أنوارها
الكواكب .

نحمد على نعم يتوالى دهرها توالى السحاب ، ويُقال دهرها عن أن تطوق به الأذنان^(١)
والترائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تختص قائمها من

(١) المراد بالصلوق هنا مطلق التحلية وكان الأولى «أن تهرط به الأذنان وتطوق به الأعناق وتحلى بالترائب» .

درجات القبول والإقبال بأشئى الدرجات وأسنى المراتب ؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذى أصفاه من قوَى بن غالب ، وصان بعينه الشريعة ودياء النسك
عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المآهب ، وصبر الإيمان بنور هدايته واصلح
السبل والمآهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضى جزء من النهار
إلا ووجودها فيه وجود الفرض الزايب ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أحق من حُلّ من التباء بأفضل العقود ، وخص بأضنى ملايس
الإقبال وأضنى مناهل الإفضال : فاستمذب من هذه الورود ، واختال من هذه
في أجمل البرود ، ومنع من الإقبال بكل غاذية تحمّل السحاب إذ يحود ، وإن
رقت بها الأفلام سطورا في طروس أزرت بالزهر البانع والروض المنجود ، ويُقِل
قلوه من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنقل في منازل الشرف والسعود -
من ظهرت مكارم سماته ، واشتهرت محاسن صفاته ، وطلعت في سماء السجاج نجوم
نُصَباته ولبعت في دجى النقع بروق نُصَباته ، وقدم على الجيوش والنجائل فظهرت
نتائج التأييد والتسديد من هتلمه وقدماته ، وهزم جيوش الأعداء ، في موافق
الهيئات ، ببات أقدامه في إقدامه وثباته ، ويجرد في المهمات والمهمات تجرد
الماضيين : من سيوفه وعزماته .

ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجليله ، والمنعوت بهذه المحاسن
الجميله ؛ والمشار إليه بهذه المحامد والمآدح التى ترهق على زهر الكواكب ، وتسمو
بما له من جميل المآثر والمناقب - أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الامتنان
بتقويله نعمًا وتقويله منّا : فضحى هذه عقدا في كل جيد ، ونمسي هذه مقربة له من

الآمال كل بعيد — وأقضى حسن الرأي الشريف أن يُمنَح هذا المنشور : ليُخصَّ
من الأولياء بالسعد الجديد ولجَدِّ السعيد .
فلذلك نخرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به للأمير خاص ترك في الروك الناصري، وهي :
الحمد لله على نِعَمِهِ التي سَرَتْ إلى الأولياء رِكاثُها ، وَهَمَّتْ على رياض الأصفياء
مُحائِثُها، وتَوَالَّتْ إلى مَنْ أخلص في الطاعة بفرائب الاحسان رِغائِثُها، وتَكَفَّلَتْ لمن
خُصَّ بأمنى رُتَبِ البرِّ الحِسانِ مكارِهُها العَمِيمةُ ومَواهِبُها، وعَمَرَتْ بِحارِّ كَرَمِها الزَّاحِرَةُ
من يُحِلَّتْ عن شِجَاعَتِهِ ولا حَرَجٍ كما يُحِلَّتْ عن البُحُورِ التي لا تُقْفَى عِجَائِثُها .

نُحْمَدُ على نِعَمِهِ التي إِذَا أَغْبَتْنَا بِمُحَائِثِ النَّدى أَغْبَتَتْ بِمُحَائِثِ، وَخَصَّتْ الْخُلَوصَ
من دَرَجِ الْأَمْتانِ بِمَرَاتِبِ زُجَّاجِهَا الْكُواكِبُ على نَهْرِ الْمَجْرَى بِالْمَنَّاكِبِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً لا يَزَالُ الْجِهَادُ يَرْقَعُ أَلْوِيَتُها، وَالْجِلْدُ يَمُورُ
بِوُفُودِ الْإِخْلَاصِ أَنْدِيَتُها، وَالْإِيْمَانُ يُسَيِّدُ في الْأَفَاقِ أَرْكَانُها الْمُوَلَّدَةُ وَأَنْدِيَتُها؛ وَنَشْهَدُ
أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَى اللهُ بَنَصْرِهِ ، وَخَصَّه بِمِزْيَةِ التَّقَدُّمِ على الْأَنْبِيَاءِ مع
تَأْثَرِ عَصْرِهِ ، وَأَتَاهُ من الْمَعْجِزَاتِ ما تَكْبَلُ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عن إِحْصائِهِ وَحَصْرِهِ .
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَاطُوا دِينَهُ بِالْمَحَافِظَةِ على جِهَادِ أَعْدَائِهِ ، وَأَيَّدُوا
مُلْتَهُ بِإِطَاعَةِ حُكْمِ الْجِلْدِ في سَبِيلِ اللهِ وَإِبْدَائِهِ ؛ صَلَوةً لا يَزَالُ الْإِيْمَانُ يُقِيمُ فَرَضُها،
وَالْإِيْمَانُ يَمْلَأُ بِها طُولَ الْبَسِيطَةِ وَعَرَضُها، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ ضُوعِفَتْ لَهُ النِّعَمُ، وَوُطِدَتْ لَهُ الرُّتَبُ التي لا تُنْكَرُ ظَائِثُها
إِلاَّ بِسَوابِقِ الْخِدْمِ، وَأَشْرَقَتْ بِهِ مَطَالِحُ السُّعُودِ، وَحُقِّقَتْ لَهُ مَطَالِبُ الْإِعْلَاءِ

والصمود، ورفعته مواقعُ الإحسانِ إلى أسنى المراتب التي هو ملئٌ بارتقائها، وتولّت له
 هوامعُ البرِّ والامتنانِ انتقاءَ فرائدِ النعم التي هو حقيقٌ باختيارها وانتقائها، وبلغته
 العنايةُ بأجلِّ مما مضى قدراً، وأستقبلته الرعايةُ من أثقٍ الإجمالِ بما إذا حقّق التأمّل
 ووجد هلاله بدرًا - من ربّي في ظلِّ خدمتنا التي هي منشأ الآساد، وصرّبي قُوسان
 الجهاد، وعرينُ ليث الوحي التي آجأها عوالي الصّعاد، وبرائثها مواضي السيوف
 الحساد، وفرائسها كجأة أهل الكُفر ومجأة أرباب العناد؛ فكّم له في الجهاد من
 مواقعٍ أحرّت الدين، وأذلت المتدين، وزلزلت أقدام الأبطال، وزخزحت ذوى
 الإقدام عن مواقعِ المجال، وحكمت صفاته في القيم، وأنبئت صفاحه في منابت
 الحيم، وفرقت ما لأهل الكفر من صُفوف، وأرثم كيف تُمدُّ أوف الرجال بالآحاد
 وأحادها بالأوف .

ولما كان فلان هو الذي أُشير إلى مناقبه، ونبه على شهرته إقدامه في كل موقف
 يُمن عواقبه، وأُوجي إلى خصائص أوصافه التي ما زال النصرُ يلحظها في مشاهد
 الجهاد بسين ملاحظه ومراقبه - أقتضت أراؤنا الشريفة أن نمجّد اعتلاء مجده،
 وتزيّد في أثق الارتقاء بإضاءة إقباله وإثارة سعده .

فلذلك خرج الأمر الشريف لا زال :



وهذه نسخة منشور كُتب به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين
 أقوش الأشرقي، المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحبّ، وهي :

الحمد لله مفرح القلوب، ومفرج الكرب، ومبجج النفوس بذباب غيابه
الخطوب، ومبلغ من تقدم عهده في حفظ ولائنا نهاية الموعوب، وغاية المطلوب؛
الذى أعاد إلى المخلصين في طاعتنا النعمة بعد شرودها، وعوضهم عن تقطيع الأيام
بإقسامها وعن نكولها بسعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن
تشصف بإنكار حقوقه وبمجودها .

نحمد على ما وهبنا من الآفة والحلم، وخص به دولتنا من المهابة التي نحتش يوم
الحرب والمواهب التي ترجى يوم السلم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تكفلت بالنجاة لسايلها، وأغنت من حافظ عليها عن صراعات النفوس
وسايلها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث برعاية الدنم، والمنعوت بحسن
الرأفة التي هي شعار أهل الوفاء والكرم، [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه ما تلاقت
الأقدار نفوسا من الدنم، وتوافقت الأماني والمتأخج فاطفرت من أخلص بيته الجميلة
برذ ضالة النعم، صلاة تُضفي على الأولياء حلل القبول والرضا، وتُصفي من الأكدار
مناهل سرورهم فكان الخطب أبرق وأومض فضى، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من انتظمت بعد الشتات عقود مآرته، وأبسمت بعد
القطوب فنور مآزره، واشتملت عواطفنا عليه بخلبت أسباب منافعه وسلبت جلاب
مضاره، واحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهد الوثيق الثراء، والمحافظة على سالف
خدمته التي ما كان صدق ولائها حديثا يُفترى؛ وسبق له من الاختصاص
في الإخلاص ما يرقه من خاطرها مكانة عالية الثراء - من أضحى من السابقين
الأولين في الطاعة، والبالذلين في أداء الخدمة والتبعية لدولتنا جهد الاستطاعة،
والمساكين للمالك بحسن الخلة وجميل الاعتبار، والمحافظين على تشييد قواعد الملك

بَارَائِهِ وَرَايَاتِهِ الَّتِي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَام ، وَأَمْسَى هُوَ الْوَلِيُّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ
 فِي إِخْلَاصِ الضَّمِيرِ فِي مَوَالِيَتِهِ وَصَفَاءِ النِّيَّةِ ، وَلَا يُسَاهِمُهُ وَلِيٌّ فِيمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ
 صِدْقِ التَّعَبُّدِ وَجَمِيلِ الطَّوْبَةِ ، وَالْمُخْلِصِ الَّذِي أَهْرَدَ بِمُخَصَّاصِ الْحُقُوقِ السَّابِقَةِ
 وَالْآتِيَةِ ، وَأَمَنَازَ مُوجِبَاتِ خِدَمِ لَا تُجْحَدُ عَاقِلَتُهَا الثَّالِثَةُ وَالطَّارِفَةُ ، وَطَلَعَتْ شَمْسُ
 سَعَادَتِهِ فِي سَمَاءِ مَمْلَكَتِنَا فَلَمْ يَنْبُهَا الْغُرُوبُ ، وَأَضَاءَ بَدْرُهُ فِي أَفْقِ عَرْزِهِ فَكَانَ سِرَارُهُ
 مُلْهِبًا لَأَعْيُنِ الْخَطُوبِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ

الضرب الثالث — مما يَفْتَحُ بِالْحَمْدِ مَنَاشِيرَ أَمْرَاءِ الطَّبَلِخَانَةِ .

وقد تقدم أنها كناشير مقدّمة الألوف في الترتيب إلا أنها أخصّص منها .

وهذه نسخة مناشير من ذلك :

نسخة منشور كُتِبَ به لبعض الأمراء ، وهي :

الحمد لله رافع الأقدار ، ومُخْرِجُ الْمُبَارَ ، وجاعل يمين كرمنا منسوبةً بِالْيَمَارِ .

بِحَمْدِهِ عَلَى حَيْثُ فَضْلِهِ الدَّائِرُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
 صَرَّتْ الْأُمُورَ ، وَأَذْهَبَ نُورُهَا مَا كَانَ لِلشَّرِكِ مِنْ سِرَارٍ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْبَدَ لَهُ فِي نَصْرِ الْحَقِّ وَأَعَارَ ، وَأَذْهَبَ مِنْ سَيْفِ النَّصْرِ الْفِرَارَ .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْفَارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 سَبَقَتْ لَهُ دَعْوَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ سَالِفِ الْأَقْدَارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَكَانَ لَهُ
 مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْفَارِ .

وبسءٌ، فإنَّ العطايا أيسرُ ما يكونُ تنوُّلُها، وأسرُّ ما يلقى تحوُّلُها، إذا وجدتَ
مَنْ هو لرايتها متلقياً، وفي ذُرَا الطاعة مرقياً، ومَنْ إذا صدحتَ حاتمُ التأييد كانت
رياحُ الأعصاب، وألويتهُ الأفنان، ومَنْ رَدَى ثياب الموت حمرًا فما يَأْتِي لها
الليلُ إلا وهي بالشهادة مُحضرةٌ من سُندس الجنان، وإذا شَهرَ عَضْبِهِ، أرضى رَبَّهُ،
وإذا هَزَّ رُجْعَهُ، سَمَى مَرَحَهُ؛ وإذا أطلقَ سَهْمًا، قَتَلَ شَهِمًا؛ وإذا جَرَدَ حُصَامًا،
كَانَ حَسَامًا؛ وإذا سافَرَتْ عزائمُهُ تَطَلَّبَ قَصْرًا، حَلَّتْ سُيُوفُهُ بِخَامَتِ بِالْأُجْجَالِ
جَمًّا وبِالْأَجَالِ قَصْرًا .

ولما كان فلانٌ هو الذي جَمَعَ هذه المناقبَ الجمَّة، وأمتازَ بالصَّرامة وطُوِّ الهِمَّة،
أَسْتَحَقُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ العِناية، وَأَنْ يُجْعَلَ أَيْدِيهِ فِي الإِمْرَةِ دَالًّا عَلَى أَسْعَدِ
نَهَائِهِ .

فلذلك نخرج الأمرَ الشريفُ - لا زال يرفعُ الاقتدار، ويُجْزِلُ المَبَارَ، أَنْ يُجْرَى
فِي إِقْطَاعِ



وهذه نسخة منشور لمن لَقَّبَهُ زَيْنُ الدِّينِ، وهى :

الحمدُ لله الذى وَهَبَ هذه الدولةَ مِنْ أَوْلِيائِهَا أَحْسَنَ زَيْنٍ، وَسَمَحَهَا مِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ
السَّيْفَ وَالْعِزَّانَ مِنْهُ الْيَدَيْنِ، وَمَنْ يَلَأُ وَلَأُوهُ الْقَلْبَ وَشَاؤُهُ السَّمْعَ وَبَهَاؤُهُ الْعَيْنِ .

نحمده عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي نَقَمْتَ عَنْ نُورِ الْمُلْكِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَيْنٍ، وَأَبَقْتَ لَهُ مِنْ نَجَاتِهِ
وُجْهَاتِهِ مَنْ لَا فِي إِخْلَاصِهِ رَبٌّ وَلَا فِي عَافِيَتِهِ مَبْنٍ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُتَبَرِّئٍ مِنْ اتِّخَاذِ الْهَيْئِ اثْنَيْنِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
شَهَادَةً تَمْسِكُكَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ بِمُؤْتَيْنِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً دَائِمَةً

ما جمَعَ المسافرين مِنَ الصَّلَواتِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ، وما جَلَسَ خَطِيبٌ بَيْنَ خُطْبَتَيْنِ ، ومِلمَ تسليماً كثيراً .

وبعد ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ رَفَى خَطِيبُهُ إِلَى أَرْفَعِ رُتْبَةٍ ، وَأَنْجَحَ فِي تَحْوِيلِ النِّعَمِ عَلَى كُلِّ طَلِبَةٍ وَرَغْبَةٍ ، لَا بَلْ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ عَرَائِشَ النِّعَمِ وَقَدْ ابْتَدَأَتْ هِيَ بِالْخَطْبَةِ ، وَكَثَّرَ لَهُ فِي مَعْرُوفٍ أَصْبَحَ يَبْتَئِلُهُ مَعْرُوفًا ، وَأَعْيَنَ عَلَى جُودِ أَمْسٍ بِهِ مَوْصُوفًا ، وَذَلَّلَتْ لَهُ قُطُوفُ إِحْسَانٍ كَمْ ذَلَّلَ الْأَوْلِيَاءُ [مِنْ أَجْلِهِ] فِي مَرَاضِي الدُّوَلَةِ وَمَحَابِّهَا قُطُوفًا قَطُوفًا - مَنْ خَلَّفَ الْمَلِكُ أَحْسَنَ الْخَلْفِ ، وَمَنْ لَهُ بِفِعْلِ الْخَيْرِ أَعْظَمُ كَلْفٍ ، وَمَنْ يَشْهَدُ لَهُ بِالشَّجَاعَةِ الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَتَدَاءُ ، وَالسَّيْفُ وَالرِّمْحُ وَالْأَعْدَاءُ ، فَلَا غَرْوَ إِلَّا لَهُ فِيهَا تَأْيِيدٌ وَآثَرٌ ، وَلَا نَدْوَةَ إِلَّا وَبِهَا مِنْ وَصْفِهِ بِالذِّكْرِ الْجَلِيلِ سَمَرٌ ، نَشْوَفٌ إِلَى مِلَاحِظَةِ غُرَّتِهِ كُلِّ مَبِينٍ وَبَيِّنٍ لِحَاظَتِهِ فِي الْوُجُودِ كُلِّ أَثَرٍ ، مَا أَنْارَ وَجْهَهُ فِي نَهَارِ سَلَمٍ إِلَّا وَقَبِلَ الشَّمْسُ وَلَا بَدَأَ فِي لَيْلٍ خَطْبٍ إِلَّا وَقَبِلَ الْقَمَرُ .

وَلِمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ بِدَرَجَةِ الْمَالِ ، وَجِلَّ هَذِهِ الْجَلَالَةِ ، وَنُورَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَلَا يَسْ هَذِهِ الْحُلَّةُ - أَتَقَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُكْتَرَّ لَهُ النِّعَمُ وَأَنْ يَحْرَى بِتَنْمِيَةِ الْإِحْسَانِ هَذَا الْقَلَمُ .

فَلَنَلِكْ نَحْرَ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرْجَحُ يَحُودُ ، وَبِالْخَيْرَاتِ يَمُودُ - أَنْ يَحْرَى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشورة من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي أَيْدَى دَوْلَتَنَا الْقَاهِرَةَ بِكُلِّ رَايَةٍ مُعَقَّدَةٍ ، وَأَمِيرٍ يُؤَمِّرُ وَجُودُهُ مُجَنَّدٌ ، وَكُلِّ بَطَلٍ إِذَا جَرَّدَ عَزَمَهُ سُلَّمٌ إِلَيْهِ الْمَهْنَدُ ، وَأَشْتَبَهُ الرَّحْمُ بِمَحَاطِفِهِ فَلَمْ يَنْزِرْ إِلَيْهِمَا تَأَوَّدُ .

نُحْمَدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُحْمَدَ ، وَنُحْمَدُهُ بِمَا لَا يُعَالِيهِ اللَّهُ الْمُنْصَدُّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَفْضَلَ مَا بِهِ نَشْهَدُ ؛ وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ يَتَجَدَّدُ ، صَلَاةٍ فِيهَا الْأَقْلَامُ لَا تَقْرَدُ فِيهَا
تَرَدُّدٌ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ وَكَرَّمَهُ وَجَّهًا ، مَا غَرَبَ فَرَقَدُ وَطَلَبَتْ شَمْسُ
ثُمَّ مَا غَرَبَتْ شَمْسُ وَطَلَعَتْ فَرَقَدُ .

وبعدُ ، فَإِنَّ لَأَرْثَانَا الْعَالِيَةِ الْمَزِيدَ فِي كُلِّ مَا تَحْتَضِيهِ ، وَفِي كُلِّ مَنْ تَرْتَضِيهِ ، مِنْ
بِيعِ أَوْلِيَائِنَا ، لِجَلِيلِ آلَانَا ، عَمَّنْ فَاقَ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَكَانَ فِي أَمْنَالِهِ وَحِيدًا لِأَنَّهُ
لَا يُوَسِّدُ لَهُ نَظِيرٌ وَهُوَ كَثِيرٌ بِنَفْسِهِ ، وَتَسَابَهَتْ الْجَلِيلُ إِلَى أَرْثَانَاهُ عَلَى صَهْوَاتِنَا ،
وَالْتَطَلَّ بِحَارِ الْوَعْيِ مَا أَلْفَى لَهُ كُلُّ سَاجِدٍ فِي غَمْرَاتِنَا ، وَأَقْصَحَتْ الْقِيَمَى بِمَنْهَ الَّذِي
لَا تَخْرُجُ بِهِ الْأَقْفَارُ مِنْ هَالَاتِنَا ، وَالسِّيُوفُ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَرَكْتَ مَعَهُ فِي لَقَبٍ كَانَ أَشْمَى
مَسْمِيَاتِنَا ، وَالرَّمَاحُ لِأَنَّهُ كَمْ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ مَنَّةٍ لَمَّا أُطْلِقَهَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ أَعْتِقَالِ رَايَاتِنَا ؛
وَتَجَدَّدَتْ الْأَسَنَةُ فَيَاثُلُوهُ مِنْ سُورَاتِ الْفُرْسَانِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ آيَاتِنَا ، وَهُوَ الَّذِي انْتَضَمَتْ
بِهِ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي قَصْدُهَا الَّذِي بِهِ يَرَى غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُودُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ
إِهَالَاتِنَا ^(١) ، مَعَ مَا لَهُ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ سَوَائِقٍ لَا تُجَارَى فِي سَبِيلِ ، وَلَا يَلْحَقُ لَهَا
شَأْوًا أَشْنَبُ الصَّبْحِ وَلَا أَتَمُّ اللَّيْلِ وَلَا أَشَقُّ الْبَرَقِ وَلَا أَصْفَرُ الْأَصْبَلِ . فَانْقَضَتْ
صِدْقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ لَهُ الْإِحْسَانُ ، وَتَقَاضَتْ عَوَارِفُنَا الْحِسَانُ ، فَرَفَعَتْ لَهُ رَتَبَةً لَا يَلِيهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِاللَّسَانِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسَّنَ وَصَفًا ، وَشَكَرَتْ مَسَاعِيَهُ
تَجْبَاهَاهُ وَهُوَ أَوْفَرُ وَأَوْفَى .

فَلَذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ

(١) يريد من ههنا ولكن السج آمنوه إلى أن يجارى العوام في لغتهم .



وهذه نسخة منشور، وهي :

الحمد لله على نعمه التي أسنت المَوَاطِبَ ، وأغنت الأولياءَ بالإنها عن دَوْمِ الدِّيمِ
وَصَحَّ السَّعَائِبِ .

نحمده على غرائب الرِّغَابِ ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تتكفل لثالثها بيلوغ المآربِ ؛ ونشهد أن عدا عبده ورسوله الذي أفتخرت
باسمه المناقب ، وانتصرت بزمه المقائب ، وقهر بياسه كلَّ جانٍ وعمر بئاسه كلَّ
جانبٍ ، وكشف الله بركته الألواءَ ، وظلَّ بفتكاته الأعداءَ ، وكيف لا وهو سيّد
لؤيِّ بن غالب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أنزلَّ بجهادهم المحاربَ ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ أولى من أعدبنا نَهْلَهُ ، وأنجحتنا أَمَلُهُ ، وأجزَلنا [له] من هيات
جُودِنَا [وأغدقنا عليه من مَنِّ عَطائنا ورَفَدنا - من نازل الأعداء يوم الوغى فراح]
إلى أعلامهم فنكسها وإلى أعناقهم فوقصها ، وحكَّ سيفه في أشلائهم وأرواحهم :
فهذه أفتناها وهذه أقتنصها ؛ ما فوق يوم الرُّوع مَهْمَهُ إلا أصابَ المقاتلَ ، ولا شَهَرَ
سيفه إلا قهر بئاسه كلَّ باسلٍ ، ولا سارت حِقْبَانُ رايته إلى معترك الحرب مُحَيَّ إلا
ظَلَّلَ عِقْبَان طير في السماء قواهل .

• ولما كان فلان هو الذي يُشير إليه بتأثر هذا المَنح ، ويَشير إليه إحسان
هذا المَنح .

(١) زدنا هذه الكلمات لاحتياج المقام إليها .

(٢) في الأصل "فتكسها" وهو لا يفيد ما يريد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرحت ظلال كرمه وإيرفه، وتَحَابُّ نِعْمه
واكفّه - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه، وهى :

الحمد لله الذى جعل سماء كرمنا، على الأولياء هاية السحاب، وعوارف نعمنا،
جميلة المعنى للأعقاب، وهواطف أيامنا الشريفة تُجزل العطاء وتُجبر المصائب .

نحمده على نِعْمه التى ما بَحِثَتُ العيونُ إلا أَقْرَبَتْها، ولا أَكْتَابَتِ النفوسُ بِمِلَّةٍ إلا
سَرَّيْنَاهَا ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال دَجُّ الأُتس بها
معمورا، وصَدْعُ النَّفسِ بها مجبورا؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أصبح
شَعَثَ الإيمان به مَلُومًا، وحَزَبَ الطُّغْيَان به مَهْزُومًا، ودَاءُ البُهْتَان بِحُسامه مَحْشُومًا.
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه الذين كان [هو] بَدْرَ السَّيَادَةِ وَكَانُوا نُجُومًا ، صلاة
لا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا فى صحائف القَبُولِ مَرْهُومًا، وسلم تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ دَرَزَتْ أَخْلَافُ جُودِنَا نَحْلَفُهُ، ورعى كَرَمُنَا خِدَمَ سَلَفِهِ ،
وَقَلْنَا هَلَالَهُ مِنْ تَهْرِينَا إِلَى مَنَازِلِ شَرَفِهِ، وَأَجْرَاهُ إِحْسَانًا عَلَى جَمِيلِ عَوَائِدِهِ، وَسَوْفَهُ
نَوَلُّنَا أَعْلَبَ مَوَارِدِهِ، وَجَمَعَ لَهُ إِنْعَامُنَا بَيْنَ طَائِفِهِ وَتَالِيِهِ، مَنْ أَسْتَمْسَكَ مِنْ سَبَبِ
إِخْلَاصِنَا بِآكِيهِ، وَحَدَّنَا فِي وَلايَتِنَا أَحْسَنَ حَلْوٍ وَلَا غُرْوٍ أَنْ يَحْمِلُو الْفَقْرَ حَلْوً وَآلِيَهُ،
وَأَشْتَهَرَ بِالشَّهَامَةِ الَّتِي أَغْنَتْ بِمُقَرَّدِهَا عَنِ الْأُلُوفِ ، وَصُرِفَ بِالْإِقْدَامِ الَّتِى طَالَمَا
فَرَّقَ الْجُمُوعَ وَأَخْتَرَقَ الصُّفُوفَ، مَا دَنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ إِلَّا دَنَتْ مِنْهُمْ الْخُتُوفُ، وَلَا أَظْلَمَ
لَيْلُ النِّعَمِ إِلَّا جَلَّتْهُ أَنْجُمُ الصُّبَادِ وَأَهْلَةُ السُّيُوفِ .

ولما كان فلان هو الممدوح بجبل هذه الشِّمِّ ، والمنمَّوح جزيل هذه النِّعم ، والشَّيْء
في مواليتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرحم محب كرمه هائلة الأنواء ، شاملة
الآباء والأبناء - أن يُجرى في إقطاعه

النوع الثاني

(من المناشير ما يفتتح بهدأ ما بعده ويختص بأمراء العشرات ومن في معانهم :

كأمراء العشرينات ونحوهم ممن لم يبلغ شأواً الطلعات)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(في مناشير العشرات كائنًا ذلك الأمير من كان)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي لا تُعد ، ونسبها ونسبها ، ونسبها
على من شكر وزيادها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكة
السماء وجنوده ، وأخذت على الإقرار بنبوته موافق الأملك وهوئها ، وعلى أنه
وصحبه الذين هم أمناء هذه الأمة وشهودها - فإن أحق من تقلب في إنعامنا ، وتقدم
في أيماننا ، وتوالت إليه الأوثان ترى ، وتكررت عليه تعاقبات مرة بعد أخرى ، من
ظهرت آثار خدمته ، وصحت أخبار تجديده ، وشكرت مساعيه الجليله ، وحملت

دَوَائِحِهِ الْجَمِيلَةِ، وَكَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى، مَا يُبَيِّنُهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَى وَمِنْ الْمَطَالِبِ الْأَسْفَى .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ مِمَّنْ زَانَتْهُ طَاعَتُهُ، وَقَدَّمَهُ إِقْدَامُهُ وَشِجَاعَتُهُ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَوَاقِفُ الْحُرُوبِ، أَنَّهُ مُجَلِّي الْكُرُوبِ، وَأَقْرَبُ لَهُ يَوْمَ الْوَعْدِ، بِإِلَادَةِ مَنْ بَنَى، وَكَانَ لَهُ مَعَ الشَّامَةِ الرَّأْيُ الثَّاقِبُ، وَالسَّهْمُ الصَّابِ، يُصِيبُ وَلَا يُصَابُ، جَذَعُ الْقَرْيَمِ، رَاطِدُ الْجُمُاشِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَذْعَانِ الصَّحِيحَةِ - أَقْضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَرْثُ تَرْفَعُ دَرَجَتُهُ، وَتَعْلَى رُتَبَتُهُ، وَيُنْظَمُ فِي عَقُودِ الْأَمْرَاءِ، وَيُسَلِّكُ بِهِ جَادَةُ الْكِبَرَاءِ، لَتَرْقِيَهُ فِي دَرَجِ السَّعَادَةِ، وَتَبْلُغَ بِهِ رُتَبَةَ السِّيَادَةِ .

فَلَذَلِكَ نَخْرُجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا يَرِحَتْ هَامِيَةٌ غَوَاذِي آلَاتِهِ، سَابِقَةً مَلَأْسُ نَهَائِهِ - أَنْ يُخْرِجَ فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشورة من ذلك، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي فَسَّحَتْ فِي كَرَمِهَا جَمَالَ الْمَطَالِبِ، وَفَضَّحَتْ لِحْدَمِهَا أَبْوَابَ مُنْجِ الْمَارِبِ، وَحَقَّقَتْ فِي عَوَارِفِهَا آمَالَ مَنْ تَهَزَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْخِلْمَةِ وَالطَّاعَةِ بِأَنْجَحٍ مَاتَقَرَّبَ الرَّاضِ إِلَى الرَّاغِبِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا عَدِ الَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ [الْأَرْضَ] لَيَرَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْكَوَاكِبُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمَصَاصِبِ، وَرَحَى اللَّهُ مَنْ أَلْحَدَ فِي دِينِهِ مِنْ سَعَوَاتِهِمْ بِعَذَابٍ وَاصِبٍ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَقَبَّهَ وَجْهَهُ النَّعْمُ السَّوْفَرُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ نِعَمُ الْعَوَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ غَيْرِ الْأَشْفَاءِ تَوَافِرُ، وَأَتَتْهُ السُّعُودُ الْمُقْبِلَةُ، وَوَارَتْهُ الْآلَاءُ الْمُتِمِّمَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ، مَنْ سَحَّحَتْ شِجَاعَتُهُ فِي مَوَاقِفِ الْجِهَادِ الْمُتَنَهِّمَةِ، وَتَحَّحَتْ شَهَامَتُهُ فِي الْوَعْدِ بِجَمَالِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ

لنفع الخطوب المُلْدِيَّة، وأقرَّت له أقرَّائه بأنه فارسٌ هَيَّجَاتُهَا الَّذِي كَمْ كَشَفَ بِاسْتِنَّة
عن قلوب العِدا للؤمِتين غَمٌّ غَمَّة .

ولما كان فلان هو المشهور له بهذه المواقف، المشهور بالوقوف في المواطن التي
يُنْهَتْ بها وما بالخنف شكٌ لواقف - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهي :

أما بعد حمد الله على جُيُوشِ كَثْرَتِهَا، وجُيُوبِ الْعِدَا بِالْأَسِنَّةِ زَرَرِهَا، وجُتُوبِ
بِالنُّومِ عَلَى قُرُوشِ الْأَمْنِ الْوَيْمَةِ آثَرِهَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ
بِهِ الْأُمَّةَ وَطَقَّرَهَا، وَبُنَتْ مَوَاقِفُهُ وَنَضَّرَهَا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً
تَسْتَعْمِدُ الْأَيَّامَ وَالْأَنْامَ مِنْ رُقِيَّتِهَا أَصَالَهَا وَبُكَرَهَا - فَإِنَّ مِنْ وَرْدِ الْبَحْرِ أَغْنَاهُ بِمَدَّةٍ،
وَمِنْ تَعَرُّضِ لُسُقْيَا السَّحَابِ جَادَلَهُ بِرِفْدِهِ، وَمِنْ جَاوَرِ كَوَكَبِ السَّعْدِ فَاضَ عَلَيْهِ مِنْ
سَعْدِهِ، وَمِنْ تَيِّمِ نَادِي النَّدَى كَانَ أَدْنَى إِلَى نَيْلِ قَصْدِهِ، وَمِنْ يُمْتُ بِخِذْمَةِ كَانَ مِنْ
حَقِّهِ رَعَايَةُ عَهْلِهِ .

ولما كانت فلان هو الذي قَدَّمَ خِدْمًا شَهَلَتْ بِهَا غُرَرَ الْأَيَّامِ، وَلَسَانُ كُلِّ
ذَابِلٍ وَحُسَامٍ، وَكُلِّ كَيْبٍ لَوَتْ إِلَى قُوَادِهِ مِنْ يَدِهِ طُيُورُ سِهَامٍ، وَجَرَبَنَاهُ لِحِمْدِنَاهُ
بِالتَّجَرُّبِ، وَدَرَبَنَاهُ حَتَّى تَاهَلَ لِلتَّامِيرِ بِالتَّدْرِيبِ، وَاسْتَحَقَّ الْمَكَافَاةَ عَلَى مَا آثَرَهُ،
وَكَانَتْ لَهُ خِدْمَةٌ عِنْدَنَا كَالْحَسَنَةِ لَهُ عِنْدَ عَشْرَةٍ .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال يُمدُّ أوليائه وَيُسْعِلُهُمْ، وَيُقَرِّبُ أَخْصَاءَهُ
وَلَا يُعْلِمُهُمْ، أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهى :

أما بعد حمد الله على نعم مَنَحَهَا، وأبواب فضل فَتَحَهَا، وآمال الأولياء أُنْجَحَهَا،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى هدَى الله به الأمة الإسلامية وأصلَحَهَا - فإن
أَوَّلَى من هَمَّت عليه صحابُ الإحسان، واقتنَحَتْه أيمانُ الشريعة بمَقْدَمَةِ كرم تَمَيَّزُهُ
بين الأقران - من جعل الولاء له خيرَ ذَنْبِهِ، وأَجَل فيا أَمَرَهُ وأبداه من حُسْنِ
السيرة والسريه، وكانت له الطاعة التى يُحْسِن فيها الاعتقاد، والشجاعة التى ظهرت
في مواقف الحروب والجهاد، والخِصْمَةُ التى لم يَزَلْ فيها مُشْكُورَ المساعى، والموالاة
التي لم يَرِج عليها مَوْفِرُ الدواعى .

ولما كان فلان ممن له الخِصْمَةُ التى قَضَى بالتقديم، وتوجب له على إحسان
دولتنا الشرفية رِفْعَةُ القدر ومَزِيدُ التكرم - آقَضَى حَسَنَ الرأى الشريف أن تُحِلَّ لَهُ
مراتبُ دَوْنِ الأَمْرِ والإمْرِ، وتنظِّمُهُ في سلك مَنْ سَرَّه بإنعامه ورفَّعَ قدره .
فإِذْلك نرجح الأَمْرَ الشريف لا بَرَج

الضرب الثانى

(في مناشير أولاد الأمراء، وهى كالتى قبلها إلا أنه يقع التعرُّض فيها
إلى الإشادة بأبائهم، وربما أُطِيل فيها مُراعاة لهم)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

وهذه نسخة منشور، وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعل سَيْفَ دولتنا للدين المحمدي ناصرا، وجمعَ تَمَلُّ
أعزَّ الأولياء والأبناء في خدمتنا على إنعامنا الذى أُنْحَى بين الأنام مثلاً سائراً،

وَأَقْرَبُ الْأَعْيُنِ مِنْ دَرَارِيِّ أَصْفِيَانَا بِمَا يُفُوقُ النَّارِيَّ الَّتِي عِنْدَا نُورُهَا فِي أَفْئِئِهَا زَاهِيَا
 زَاهِرَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي آيَدَهُ اللَّهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ بِسَيِّدِيهِ الْأَقْرَبِينَ،
 وَشَدَّ أَرْزَمَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْأَنْبَاءِ وَالْبَيِّنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةٌ لَا تَزَالُ بِهَا فِي دَرَجِ النَّصْرِ
 مُرْتَجِينَ، وَلَا يَبْرَحُ لَنَا بِهَا حُسْنُ الْعَاقِبَةِ بِالظَّفَرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيَيْنِ - فَإِنَّ أُنْمَى
 الْفُرُوسِ مَنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي دَرَجِ الْوَلَاءِ نَائِيَا، وَأَزْهَى الْقَرَمَاكَانِ فِي أَغْصَانِ الْوَفَاءِ
 نَائِيَا، وَأَبْهَى الْأَهْلَةِ مَا بَرَّخَ فِي سَمَاءِ الْإِخْلَاصِ، وَطَلَعَ آمِنًا مِنَ السَّرَارِ وَالْإِتْقَاصِ،
 وَأَعَزَّ الْأَوْلِيَاءِ مَنْ نَسَا فِي ظِلِّ الْقُرْبِ وَالْإِخْتِصَاصِ، وَتَلَقَّى وَلَآئَنَا عَنْ أَبْوَةِ كَرِيمَةٍ
 جَمَعَتْ لَهُ مِنَ الْعَلْيَاءِ شَمْلَ طَارِفِهِ وَتَالِيَةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ عِبُودِيَّتِنَا حَلَوَ وَالِدِهِ، وَلَا غَرَوَ
 أَنْ يَحْدُوَ الْفَتَى حَلَوَ وَالِدِهِ، وَيَحْمِلَ بِطَرِيقَتِهِ الْمُتَلَى فِي الْمَوْلَاةِ الَّتِي حُدِمَ لَهُ فِيهَا الْمُضَاهِي
 وَالْمُتَاقِلِ، وَلَا حَتَّ عَلَى أَعْطَافِهِ عَنَائِلُ الْإِخْلَاصِ فَيُعْرِفَ فِيهِ مِنْ تِلْكَ الْخَفَائِلِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ جَوْهَرُ ذَلِكَ السَّيْفِ الْمَشْكُورِ بِالْمُضَاءِ، عِنْدَ الْاِئْتِضَاءِ، وَنُورِ
 ذَلِكَ الْبَدْرِ الْمَشْهُورِ فِي أَفْقِ الْعِلْيَاءِ، بِالْفَتَاءِ وَالسَّاءِ، كَمْ لَا يَبِيسُ فِي خِدْمَتِنَا عِنْدَ تَزَلُّلِ
 الْأَقْدَامِ مِنْ مَوَاقِفَ، وَكَمْ أَسْلَفَ فِي طَاعَتِنَا مِنْ عُجَالَةٍ عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ عَلَيْهَا
 حَاكِفٌ، مَا تَهْتَمُّ فِي كِتَابَةِ الْإِقْدَامِ إِلَّا وَالتَّصَرُّهُ مَعَاذِدْ، وَلَا يَجُودُ فِي مُهْمٍ إِلَّا أَغْنَى
 عَمَّا سِوَاهُ وَأَسْتَحَقُّ أَنْ يُشَدَّ « وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ » .

أَتَقَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُضَفِّدَ لِسَعَادَتِنَا عِقْدًا مُنْضِدًا، وَأَنْ تُخَصَّصَ
 كُلَا مِنْهُمَا بِإِمْرَةٍ حَتَّى يَفْتَدُوا لَنَا مِنْ هَذَا الْوَلَدِ مِنْ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ وَمِنْ هَذَا الْوَلَدِ .

فَلِنَاكَ نَجْرُ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَبْرَحُ يَهْرُلُ لِأَوْلِيَائِهِ، مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَدَدِ، وَيُكَثِّرُ
 لِأَصْفِيَائِهِ، مِنَ الْأَعْوَانِ عَلَى الطَّاعَةِ الْعَدَدِ، وَيُشْمَلُ بِهِ وَمَعْرُوفُهُ الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ - .



وهذه نسخة منشور، وهي :

أما بعد حمد الله الذي زينَ سماءَ دولتنا من ذراري أوليائنا بمن يَفوقُ اللّاراي
إشراقاً، وأثار مطالعَ مواكبتنا المنصورة من كواكب أصفيائنا بمن يَهْرُ العيونَ ابتلافاً
وأنساقاً، وجمعَ شملَ السعادة لأهل بيت أسسَتْ عقودُ ولائهم في طاعتنا لحسنت
في جسد الدهر انتظاماً وأنساقاً، جاعلٍ سُيوفَ دولتنا في مراضينا مُرهفةَ الفرار،
مُرهبةَ الأعداء فما جُرِدَتْ عليهم إلا أنْهم مَصَارِعَ الأقتار؛ والشهادة له بالوحدانية
التي تَطْلُقُ بها لسانُ التوحيد والإقرار، وجعلت وسيلةً إلى الخلود بدار القرار،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنجده الله من خاصته بالأعوان والأَنْصار،
ورفعَ لواءَ نبوته حتى صار منشورَ الأعلام في الأمصار، وعلى آله وصحبه الذين ميزهم
الله بشرف قربه، وجعل للآباء منهم فضلَ المزية من قلبه، ورفعَ أقدارهم بأن جعل
منهم حِجَّه وأبنَ حِجَّه - فإن أولى من يُجمع شملُ السعادة في إزاره، ورُفعت رايته
الإمارة لفتحاره، [من نشأ على إخلاص الولاء^(١) الذي أشبه فيه أباه، ولعلت^(٢) بروق
أسننته التي [كم أحمدها في رقابِ عداه^(٣)، كم جردَ النصر لنا من أبيه سيقاً في مواقف
التأييد وأمضاءه؛ كم زكا فرعه السامي في رياض الإخلاص، وأبدر هلاله المشرق
في مطالع الاختصاص .

ولما كان فلان هو الذي نشأ في خدمتنا وليدنا، وغدّى بليان طاعتنا فامعياً حظّه
سميداً، وأضحى رأيهُ حميداً، ولم يزل لأبيه أعزّه الله حقوقَ ولاء تاكّدت أسبابها،
ومُتدّت في ساحة الاعتدادِ أطلالُها، وحسُنَ في وصف محافظتها إسهابُ الأنيسة

وإطنا بها - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُرقى هلاله إلى منازل البُور، وأن تُظلمه في مساءٍ عزٍّ باديةِ الإمارةِ واضحةِ السُور ، وأن تُنلى من ذلك قدره إلى محلِّ الإمارة، وأن تُتوجه منها بما يكون أعظمَ دليل على إقبالنا وأظهر أماره .
فلذلك نخرج الأمر الشريف لازال



وهذه نسخة منشور، وهي :

أما بعد حمد الله على آلائه التي أقرت عيون أصفينا بما خصت به آباءهم من عموم النعم، وسرت قلوبنا بما جدت لدراريهم من حسن الترقى إلى ما يناسبهم من شريف الخلق، وأنشأت في دولتنا الشريفة من أولاد خواصنا كل شبل له من الظفر ظفر ومن مسبل الذوائب أجم ، وإذا شاهدت الأسود الكواسر شدة وثباته وثباته، شهدت بأنه أشبه في أقراس القوارس آباءه ومن أشبه آباءه فما ظلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ما زال دين الله يحاهده أعدائه مرفوع العلم، ونصر الله باقيا في أمته يتناقله من الأبناء من كان ثابت القدم من القدم، وعلى آله الذين جلوا بأسيتهم وستهم غيايب الظلم - فإن أولى من [و] طلت له درج السعود ليتوكل في هضبا، ويتنقل في رتبها، ويتلقى بوادر إقبالها، ويرقى إلى أسمى منازل السعد منها وإياهم شبيبة في إقبالها ، ويرثل في حلل جدتها المعلسة الملأس ، ويرتاد في رياض يمنها النامية المنابت الزاكية المناريس - من نشأ في ظل الآبائ ، وغدق بلبان وآبائ ، ولقي فروض طاحتنا ناشتا فهو يتعبد بحفظها ، ويدين بالمحافظة على معناها ولفظها ، ويتنقل عن أبيه قواعدا وأحكامها فهو الشبل ابن الليث ، والندي الصادر عن الغيث ، والفريد المنتسب إلى معدن ولائنا عنصره ، والهلال الذي سيضيء بإشراق جودنا عليه نوره .

ولما كان فلان هو الذى تَوَضَّعَ عِندَ هذا التَّاءِ بِحَيْثُ ، وَتَوَضَّعَ لَتَنَاوُلِ رَايَةِ الْإِمَارَةِ
بِحَيْثُ ، وَقَابِلِ إِقْبَالِ طَلْعَتِنَا فَأَكْسَبَهُ إِشْرَاقُهَا إِثَارَةَ جَيِّدِهِ - أَقْضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ
أَنْ تُضَيَّدَ عُقُودُ الْإِحْسَانِ بِتَحْلِيَةِ نَحْوِهِ ، وَأَنْ تُضَيَّنَ عَلَيْهِ مَلَابِسُ جُودِنَا وَبِرِّهِ .
فَلَذَلِكَ نَخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ لَا يَرْجَحُ



وهذه نسخة منشور، وهى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُنَوَّرِ الْأَهْلَةِ فِي آثَاقِهَا ، وَمُنَوَّلِ عَوَارِفِهِ بِإِرْقَاقِهَا ، وَمُجَلِّ عَطَايَاهُ
بِإِبْلَاقِهَا ، وَمُنَوِّهِ ذُرَايَ الْأَوْلِيَاءِ كَالْذُرَارِيِّ فِي إِشْرَاقِهَا ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
سَيِّدِنَا عِمْدِ الَّذِي جَمَعَ الْقُلُوبَ بَعْدَ انْفِرَاقِهَا ، وَشَقَعَ فِي الْخَلِيقَةِ إِلَى خَلَاقِهَا ، وَحَلَّى آلِهَ
وَحَبَّهِ الْبُحُورِ فِي انْدِخَاقِهَا ، وَالْبُدُورِ فِي انْتِلَاقِهَا ؛ فَإِنَّ أَبْنَاءَ الْأَوْلِيَاءِ أَشْبَالُ الْأُسُودِ ،
وَطُيُفُ عَاطِفَتِنَا بِجُودٍ ، قَدْ أَنْشَأَتْ نِعْمَتًا أَبَاهُمْ فَأَصْبَحُوا لِلدَّوْلَةِ أَنْصَارًا ، وَالْحَقَّاهِمُ بِهِمْ
فِي التَّقْدِيمِ فَأَقْرَبُوا أَبْصَارًا ، وَكَانَ مِنْ تَرَعَّرَعِ نَاشِيَا ، وَغَدَا فَرَعًا زَاكِيَا ، وَيَتَذَوَّبُ عَلَى
الصَّهَوَاتِ يَمْتَطِّيها ، وَأَهْلُ الْحُلُولِ النِّعَمِ بِرِضَا مُقْضِيها ، وَدَلَّتْ جَرَكَاتُهُ عَلَى أَنَّ الشُّجَاعَةَ
بِحَيْثُ طَبَاعِهِ ، وَأَنَّهُ تَرَقَّى بِلِيَانِ الطَّاعَةِ مِنْ قِفْتِ رِضَاعِهِ ، وَأَنَّ أَبَاهُ ، أَجَلَّهُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَرْبَاهٍ ، فَاشْبَهْ بِجَمِيلِ اتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ فَلَانُ الْمُنْتَخَبِ فِي الدَّوْلَةِ النَّاضِرَةِ ، الْمُشْبِهُ .
فِي الْإِضَاعَةِ النُّجُومَ السَّافِرَةَ .

فَلَذَلِكَ نَخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ

النوع الثالث

(من المناشير ما يفتح بخروج الأمر الشريف)

وحكمها حكم أوامر المناشير المفتحة بالحمد لله، وبأما بعد حمد الله، يقتصر فيها على هذا الافتتاح الذي هو آخر المناشير، ويدعى له بما يناسب .

وهذه نسخة منشور يُسَجَّح على منوالها، وهي :

خرج الأمر الشريف العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني،
(بَقْبُ السُّلْطَانَةِ وَالْقَبْ الْخَاصِ) أعلاه الله تعالى وشرَّفه، وأشهد في الآفاق
وصرفه، أن يُقَطَّعَ باسم فلان، ثم يذكر ما أشتملت عليه المربعة الجيشية .

قلت : وقد هُتِمَ أن مناشير العربان منها ما يفتح بالحمد لله، ومنها ما يفتح
بأما بعد حمد الله، ومنها ما يفتح بخروج الأمر الشريف، ومناشير التركان والاكراذ
منها ما يفتح بأما بعد حمد الله، ومنها ما يفتح بخروج الأمر الشريف على ما تقيم
بيانه، ولا يخفى أنَّ الترتيب في مناشيرهم على ما هُتِمَ ذكره في جميع المراتب إلا أنه
قد تمتاز هذه الطوائف بالفاظ تخصهم، لاسيما مناشير العرب فانهم يمتازون بالفاظ
والألقاب تخصهم .



وهذه نسخة منشور لأمير عرب مفتحة بالحمد لله يُسَجَّح على منوالها، وهي :

الحمد لله الذي أرسل ديم كرمنا دائمة الإمداد، وشمل يهودنا كل حاضِر وباد،
وجعل أيماننا الشريفة تُحْصَ بطولها كل طيب التجار طويل التجاد .

نحمده حمداً بجلاله يُزْدَانُ ومن جلده يُزَادُ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تشهد لقائلها خير مهاد؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم الأجداد

الريحبُ الناد ، أرسَلَه لإصلاح القَصاد ، وإرياح الكَصاد ، وكَشَفِ العناء وإزالة العِناد ، صَلَّى الله عليه وعلى آله الذين أُرْهِقُوا في جهاد أعداء الله اليَصفَ الحِناد ، وأرْعَفُوا السُّمر الصَّعاد ، وعلى أصحابه الذين كانوا يومَ الفَخار الساداتِ ويوم التَّزال الآساد ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ أوَّلَى من عمرنا بكرمنا مَرَّيَنه ونادِيه ، وأمطرنا ثرى أمله بناديَّة مُفاديَّة ، وسَقَر له وجهُ إحساننا عن واضحِ أَميرته ، وقابله إقبالُه قَهْطه على قبيلته وميزه على أَسْرته ، مَنْ أخلص في طاعتنا ضَميراً ، واتَّبع جادَّة مواليتنا فأصبح بجعديده نَيمنا جذيراً ، وحَدَّنا في خدمتنا أحسنَ حَلْوٍ ، وصَرَفَ بحِميل الخالصة في الحَضَر والبَدْو ، وأشهر بالشَّجاعة التي طالما فَرَّقَتْ جُحُوداً ، وأقْصَرَتْ من الأعداء رُبوباً ، وأتَصَفَ بالإقدام الذي مالَّفَ عن محارِبِ رُجُوداً ، كَمْ أنْهَلَ مَنَقَفاً في دماء النُّحُور ، وأشَرَعَ صِعادَه فأوردها الأوردة وأصدرها في الصُّدُور ، ورقَّع من أسننها في ليل اللُّعْ نارا قِراها لحومُ العدا وأضيافها الآساد والنُّسُور .

ولما كان فلان هو المنوَّح هذا الإنعام القَمَر ، والمندوَّح في مواقف الحروب بإقدام عَمُور .

فلذلك نخرج الأمر الشريف - لا يرحت شاملة مواهبه ، هاملة عجائبه - أن يجرى في إقطاع

أما الزيادات والتعويضات فلأنها إن أَتَتْ بآما بعد فعل ما هتَم في أُمُراء العشرات إلا أنه يقال « أن يجرى في إقطاعات » على الجمع ، وإن أَتَتْ بجرع الأمر الشريف ، فعل ما هتَم في إقطاعات الأجناد إلا أنه يقال « أن يجرى » ولا يقال أن يُقَطَّع .

المقالة الثامنة

[في الإيمان] ، وفيها بابان

الباب الأول

في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض

في الإيمان ، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان

الطرف الأول

(في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه العزيز)

اعلم أنه قد ورد في القرآن الكريم أقسام أقسم الله تعالى بها لإقامة الحجّة على المخالف بزيادة التأكيد بالقسم ، وهي على ضربين :

الضرب الأول — ما أقسم الله تعالى فيه بآياته أو صفاته والمقصود منه مجزئ التأكيد .

وقد ورد ذلك في مواضع يسيرة من القرآن :

منها قوله تعالى : (فَوَرَبِّ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) .
 وقوله : (فَوَرَبِّكَ لَلْأَسَاطِيرُ الْأُولَى لَهُمْ آجِمِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . وقوله : (فَوَرَبِّكَ
 لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَاً) . وقوله : (فَلَا وَرَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِئَا جَبْرَ بَيْنَهُمْ) .

ومنها قوله تعالى : (يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) . وقوله : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) . وقوله : (ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ) . وقوله : (حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) .
الضرب الثاني — ما أقسم الله تعالى فيه بشيء من مخلوقاته ومَصْنُوعَاتِهِ .
والمقصود منه مع التأكيد التنبيه على عَظِيم قُدْرَتِهِ وَجَلَالَةِ عَظَمَتِهِ ، من حيثُ إبداعها ، تعظيماً له لا لها .

وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن ، لاسيما في أوائل السور : فاقسم تعالى بالسماء والأرض ، والشمس والقمر ، والنجوم والرياح ، والجبال والبحار ، والثمار والليل والنهار ، وما تخرج عنهما من الأوقات المخصوصة ؛ وبلائكة الكرام المسخرين في تدبير خلقه ، إلى غير ذلك من الحيوان والثمار وغيرها . وقيل المراد في القسم بها وقت كنا .

فأما ما في أوائل السور فقال تعالى : (وَالصَّافَاتِ صَفًا فَأَلْزَمَاتِ زَجْرًا فَالْأَلْزَمَاتِ ذِكْرًا) . وقال جل وعز : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُتَبَسِّمَاتِ أَمْرًا) . وقال جلَّ عَظَمَتُهُ : (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّيْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) . وقال : (وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَى) . وقال : (لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَامَةِ) . وقال : (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَارِضَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْقَارِئَاتِ قَرُوءًا فَالْمُفَصَّلَاتِ ذِكْرًا) . وقال : (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّاجِدَاتِ سَجْدًا فَالْمُتَبَرِّاتِ أَمْرًا) . وقال : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) . وقال : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) . وقال : (وَالْفَجْرِ وَلَيْلٍ عَشِيرِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَالْأَنْبِلِ إِذَا يَسِيرُ) . وقال : (لَا أَقِيمُ يَهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلُّ يَهَذَا الْبَلَدِ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ) .

وقال : (وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَتْ^(١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى^(٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) . وقال : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى) . وقال : (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنٍ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) . وقال : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) .

وأقسم باللائكة القائمين في عبادته، والمسخرين في تقدير مخلوقاته في قوله : (وَالصَّافَاتِ صَفًا فَلَا تُرْجَاتِ زَجْرًا) . قيل المراد بالصافات : الصائغون صُفُوفًا ، وبالزجرات اللائكة التي تزجر السحاب . وفي قوله : (فَاَلْمُغْنِمَاتِ آسَرًا) . قيل : المراد اللائكة التي تنقسم الأرزاق على الخلق . وفي قوله : (وَالنَّازِغَاتِ غَرَقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) . قيل : النازعات اللائكة تتزعزع روح الكافر عند الموت، والناشطات تنشط روح المؤمنين كما ينشط العقال من يد البعير . وقوله تعالى : (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِمَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْقَارِعَاتِ قَرَعًا فَالْمُغْلِبَاتِ ذِكْرًا) . وقوله تعالى : (وَالْقَجَرِ وَالْبَلِيلِ عَشِيرَ الشَّعْبِ وَالْوَيْزِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ) . وقوله تعالى : (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) . وقوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَشَّاهَا وَالْمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا حَمَلَهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) . وقوله تعالى : (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنٍ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) . وقوله تعالى : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) . وقوله تعالى : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) . أقسم بالعصر وهو الدهر .

وأما في أثناء السورة فنه قوله تعالى : (فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) . وقوله : (فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمُنَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) . وقوله : (فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا أَكْسَقَ) .

(١) من أزل قوله تعالى : والقمر إلى قوله تعالى : والعصر إن الإنسان لفي خسر ليس من القسم باللائكة ، وقد ختم بضمه قبل أسطر ، فاعادته هنا سهو .

الطرف الثاني

(في الأقسام التي تُقسم بها الخلق ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما كنت يُقسم به في الجاهلية)

إِلم أن مَبْنَى الأيمان على الحلف بما يُعظمه الحالف ويَحَرِّز من الحنث عند الحلف به . فاهل كل ملة يَحْلِفُونَ بما هو عظيم لديهم في حكم ديانتهم . ولا خفاء في أن كل معترف لله تعالى بالربوبية من أهل الديانات يَحْلِفُ به ، سواء كان من أهل الكتاب أو مشركاً ، ضرورة أعتارفهم بالوحيته تعالى ، والاهتداء إلى ربوبيته .

وقد حكى الله تعالى عن الكُفَّار في القريمان الكريم رواية القسم بالله فقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إْحْدَى الْأُتُمِ ﴾ . وقال جل من قائل : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۖ ۝ ﴾ .

ثم اليهود يَحْلِفُونَ بالثورة ، والنصارى يَحْلِفُونَ بالإنجيل ، وعبدَةُ الأوثان من العرب كانوا يَحْلِفُونَ بأوثانهم ؛ وكان أكثر حلف عرب الجُحَاز باللات والعزى . وربما جَسَّعُوا عن صورة القمم إلى ضرب من التعليق . مثل أن يقول : إن فعلتُ كذا فعلتُ كذا ، أو فانا كذا ، أو فاكُونُ خالفاً لكنا أو خارجاً عن كذا أو داخلاً في كذا ، وما أشبه ذلك .

وقد كانت العرب تأتي في نَظْمِها وتَرْمِها [عند] حَلْفِها بالتحليف بإضافة المسكوة إلى مواضع ما يحذرونه : من هلاك الأَنْفُسِ والأَمْوَالِ ، وفساد الأحوال ، وما يجرى بجرى ذلك .

قال الجاحظ : قال الهيم : يَمِينٌ لا يَحْلِفُ بها أَعْرَابِيٌّ أبداً ، وهي أن يقول : لا أورد الله لك صافياً ، ولا أَصْدَرَكَ وَاِرداً ، ولا حَطَطْتُ رَحْلَكَ ، ولا خَلَعْتُ نَمْلَكَ ، يعني إن فعلت كلنا .

وقال النابغة الذبياني :

مَا إِنْ أَتَيْتُ بَنِيَّ أَنْتَ تَكْرَهُهُ * إِذَا فَلَا رَقَّتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي

وقال الأشتر النخعي :

بَقِيْتُ وَفَرِي وَأُخْرِفْتُ عَنِ الْعَلِيِّ ، * وَلَقِيتُ أَضْيَاقِي بِوَجْهِ عُبُوسٍ !

إِنْ لَمْ أَشْنِ عَلَى أَبِي حَرْبٍ فَاَرَّةَ * لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ !

وقال معد [أن] بن جُوَّاس الكِنْدِيِّ :

إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي ، فَلَا مَنِي * صَدِيقِي وَشَلْتُ مِنْ يَدِي الْأَنَامِلُ !

وَكَفَنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرِدَائِهِ * وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ آعَادِي قَاتِلُ !

وقال صدي بن زيد :

فَإِنْ لَمْ تَهْلِكُوا فَتَكِلْتُ عَمْرًا * وَجَانَبْتُ الْمَرْوَقَ وَالسَّمَاءَ !

وَلَا مَلَكَتْ يَدَايَ عِنَانَ طَرَفٍ * وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ تَقَمِيسِ شُعَاعَا !

(١) كذا في الأصل لعل السواب «صادرا» كما يقتضيه المقام .

(٢) زيادة الألف والثمن من ديوان الحماسة .

ولا وَضَعْتُ لِي عَلَى خَلَايَ * حَصَانٌ يَوْمَ خَلَوْتَهَا قَنَاسًا !
وقال عمرو بن قبيصة :

فَلَنْ كَانَ حَقًّا كَمَا خَبَرُوا * فلا وَصَلْتُ لِي يَمِينٌ شِمَالًا
وقال المولى البصرى :

وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَصْطَدِرْ لَشَبَابَ الْفَنَاءِ * فَهَيْسَتْ رُكْنُ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُنْقَرَا !
وَإِذَا تَأَمَّلْتُ تَقْصِصَ ضَيْفٍ طَارِقًا * مَتَسَرِّبًا مِرْبَالَ لَيْسَلٍ أَغْبَرَا !
أَوْ مَا لِي الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ * عَزَّيْتِ الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْجَرَا !
وقال محمد بن الحصين الأتبارى :

نِكَائِي الَّتِي تُوَسِّلُ إِدْرَا * لَكَ الْمُنَى بِي وَعَاجَلَتِي الْمُنُونُ !
إِنْ تَوَلَّى بَطْلَانًا صَبَدَ صَمْرُو * ثُمَّ لَمْ تَلْظِظِ السُّيُوفَ الْجُفُونُ !

الضرب الثانى

(الأقسام الشرعية)

والمرجع فيه إلى صيغة الحلف وما يُحلف به .

فأما صيغة الحلف ففيه صريحٌ وكتابية : فالصريح يكون مع الإتيان بلفظ الحلف ، كقوله : أَحْلُفُ بِاللَّهِ لِأَفْعَلَنَّ كَذَا ، وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لِأَفْعَلَنَّ كَذَا ، [و] مع الإتيان بحرف من حروف القسم : وهى الواو كقوله : والله ، والباء الموحدة كقوله : بالله لأفعلن كذا ، والتاء المثناة فوق كقوله : تالله لأفعلن كذا . وقد ورد القسم فى القرآن الكريم بالواو ، كما فى قوله تعالى : (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَبَرُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

وبالثناء المتناهية : كما في قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : ﴿ وَتِلْكَ لَآيَاتُكَ الَّتِي كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ غُلَامٍ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْلِهِ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ . وقوله حكاية عن أخوة يوسف عليه السلام خطاباً لأبيهم : ﴿ قَالُوا تِلْكَ تَفْتُو تَكَرُّبُ يَوْسُفَ ﴾ . وقوله حكاية عنهم في خطاب يوسف عليه السلام : ﴿ قَالُوا تِلْكَ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهُ طَلَبًا ﴾ . فإذا أتى باليمين بصيغة من هذه الصيغ أنعمت بيمينه قوى اليمين أو لم يتو.

والحكاية كقوله بلا ، بحرف القمّ وواله ، ولعمرك الله ، وأيم الله ، وأشهد بالله ، وأعزم بالله . فإذا أتى بصيغة من هذه الصيغ ونوى اليمين أنعمت وإلا فلا . وفي معنى ذلك تليق الالتزام فعل أو تركه ، بشرط أن يكون ذلك قرينة ، كقوله : إن فعلت كذا فعلت تتركها ، أو يكون كفارة يمين ، مثل أن يقول : إن فعلت كذا فعلت كفارة يمين .

وأما ما يخلف به فهو على أربعة أصناف :

الصنف الأول — اسم الله تعالى الذي لا يشركه فيه غيره ، وهو الله والرحمن . ولا نزاع في أنسقاد اليمين به بكل حال إذ لا ينصرف بالنية إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ تَمِيمًا ﴾ : أى هل تعلم أحدًا تسمى الله فيه . وقال جل وعز : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . فجعل اسم الرحمن قريباً لاسم الله . ولا عبرة بتسمية مسيئة الكتاب — لعنه الله — نفسه رحمن الإسماء مجهرًا ، إذ لم ينسب به إلا مقبلاً بلضاغته إلى الإسماء . وكذلك الأزل^(١) الذي ليس قبله شيء .

(١) لعل الأزل "الأزل" .

الصف الثاني — آمَنَ اللهُ تعالى الذى يسمّى به غيره على سبيل المجاز، وعند الإطلاق ينصرف إلى الله تعالى : كالرحيم ، والعليم ، والحليم ، والحكيم ، والخالق ، والرازق ، والجبار ، والحق ، والرب . فإن قصد به الله تعالى انعقدت اليقين ، وإن قصد به غيره فلا تتعقد ، ويدين الخالف .

الصف الثالث — ما يستعمل في أسماء الله تعالى مع مشاركة غيره له فيه : كالوجود ، والحي ، والناطق ، ولا تتعقد به اليقين ، قصد الله تعالى أولم يقصد : لأن اليقين إنما تتعقد بحزمة الأسم ، وإنما يكون ذلك في الخاص دون المشترك .

الصف الرابع — صفات الله تعالى . فإن كانت الصفة المألوف بها صفة لذاته كقوله : وعظمة الله ، وجلال الله ، وقُدرة الله ، وعِزّة الله ، وكبرياء الله ، وعلم الله ، ومشيئة الله ، انعقدت اليقين وإلا فلا . ولو قال : وحقّ الله ، انعقدت اليقين عند الشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله . وذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تتعقد : لأنّ حقوق الله تعالى هي الطاعات ، وهي مخلوقة ، فلا يكون الحلف بها يميناً . ولو قال : والقرمان انعقدت اليقين عند الشافعي رضى الله عنه خلافاً لأبي حنيفة .

وقد كان أكثر حليف النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « والذى قسمي بيده » وإيمان الصحابة في الثالب : وربّ عدي ، وربّ إبراهيم . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحلف : « لا ومقلب القلوب » .

ثم اليقين الشرعية التي يحلف بها الحكام : إن كان مُسَلِّماً أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، الذي أنزل القرآن على نبيه عدي صلى الله عليه وسلم . وإن كان يهودياً أحلف بالله الذي أنزل التوراة على موسى ويجهل من الفرق . وإن كان نصرانياً أحلف بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى بن مريم .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الثامنة

(في بيان معنى اليمين الغموس، ولغو اليمين، والتحذير من الحنث

والوقوع في اليمين الغموس، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في بيان معنى اليمين الغموس ، ولغو اليمين)

أما معناها، فقال الشافعي رضي الله عنه : هي أن يكون الحالف في حبه كاذبا .^(١)
وقال غيره : هي أن يحلف على ماض وإن لم يكن، وهما متقاربان . وإنما سُميت
الغموس لأنها تنمِسُ صاحبها في الإثم .

وقد اختلف في وجوب الكفارة فيها : فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى
وجوب الكفارة فيها تنظيلا على الحالف ، كما أوجب الكفارة في قتل العمد ،
وهو من ذهب عطاء والزهرى وابن عينة وغيرهم . وذهب أبو حنيفة ومالك
وأحمد رضي الله عنهم إلى أنه لا كفارة فيها ، احتجاجا بأنها أعظم من أن تكفر :
لأنها من الكبائر العظام ، وهو من ذهب الثوري والليث وإسحاق ، وحكى عن
سعيد بن المسيب .

وأما لغو اليمين فقد اختلف فيه أيضا : فذهب الشافعي إلى أنه ما وقع من غير
قصد : ماضيا كان أو مستقبلا كقوله : لا والله، ولي والله، وهو إحدى الروايتين

(١) أي اليمين الغموس .

(٢) عبارة الخطيب الشرنجبني في تفسيره «على أمر ماض أنه كان ولم يكن» وهي أروخ .

عن أحمد . وذهب أبو حنيفة إلى أنه الحلف على الماضي من غير قصد الكذب في يمينه ، مثل أن يَظُنَّ شيئا فيحلف عليه ؛ وهو الرواية الثانية عن أحمد ، وحكى عن مالك أن هذه هي اليمين السَّمُوس .

الطرف الثاني

(في التحذير من الوقوع في اليمين السَّمُوس)

أما اليمين السَّمُوس فلأنها من أعظم الكبائر ، وبالله أنما تنفيس صاحبها في الإثم . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي أَيْمَنْتُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْسُزُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاحِرٌ لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٌ لِيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَابٌ » . وقد قيل إن التوحيد (وهو : الذي لا إله إلا هو) إنما أُوصِلَ في اليمين رِقْقًا بالخالف كي لا يهلك لوقته ، قد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « إذا حلف الخائف بالله الذي لا إله إلا هو ، لم يُعَاجِلْ لأنه قد وحد الله تعالى » .

ويروى أن جعفر بن محمد عليه السلام : أَدْعَى عليه مدح عند قاضٍ ، فأخذه جعفر بالله ، لم يزد على ذلك ، فهلك ذلك الحالف لوقته ، فقال القاضي ومن حضر : ما هذا ؟ فقال : إن يمينه بما فيه تناء على الله ومدح يؤخر المقوبة كراماً منه عز وجل وتفضلاً . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، فإنه إذا حلف بها كاذباً عُجِلَ » .

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن عبد الله بن مصعب الزيري سعى يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى الرشيد، بعد قيام يحيى بطلب الخلافة، بجمع بينهما وتوافقاً، ونسب يحيى إلى الزيري شعراً يقول منه :

قُومُوا بِبَيْعَتِكُمْ نَهَضْ بِطَاعَتِهَا * إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ يَا بَنِي حَسَنَ

فانكر الزيري الشعر، فأحلقه يحيى، فقال : قل قد برئت من حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَعْتَصَمْتُ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، وَتَقَلَّيْتُ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَسْتَجَاراً عَلَى اللَّهِ، وَأَسْتِغْنَاءً عَنْهُ، وَأَسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ، فامتنع . فغضب الرشيد وقال : إن كان صادقاً فلجلف، وكان للفضل بن الربيع فيه هوى، فرفسه برجله، وقال: وَيَحْكُ أَحْلَفُ! خَلَفَ وَوَجْهَهُ مَتَّيَّرٌ وَهُوَ يَرْعُدُ، فَمَا بَرَحَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى أَصَابَهُ الْجُلْدُ ثُمَّ قُطِعَ وَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ وَلَمَّا حُمِلَ إِلَى قَبْرِهِ لِيُوضَعَ فِيهِ انْحَسَفَ بِهِ حَتَّى غَابَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ ضَبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَجَعَلُوا كَمَا هَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ انْحَسَفَ؛ فَسَقُفُوهُ وَأَنْصَرَفُوا .

الباب الثاني

من المقالة الثامنة

(في سُخِّ الأَيْمَانِ المُلُوكِيَّةِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

في سُخِّ الأَيْمَانِ المتعلِّقة بالخُلَفَاءِ ، وهي على نوعين

النوع الأول

(في الأَيْمَانِ التي يُخَلِّفُ بها على بيعة الخليفة عند مبايعته ،

وهي الأصل في الأَيْمَانِ المُلُوكِيَّةِ بِأَسْمَاها)

وَأَوَّلُ من رَتَبَهَا المَجْتَمَاعُ بْنُ يُوسُفَ حين أَخَذَهُ البيعةَ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ على أَهْلِ العِرَاقِ ، ثم زِيدَ فيها بعد ذلك ، وَتَقَعَّتْ في الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ وَتَضَعَلَتْ . وَكَانَ حَادِثُهُمْ فِيهَا أَنْ يَمْرَى القَوْلَ فِيهَا بِكَافِ الخطابِ ، كما في مَكْتَابَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، وَرَبَّمَا أَتَى فِيهَا بِقَطْعِ المتكلمِ .

وهذه مُسَمَّعَةٌ مِنْ أوردَهَا أَبُو الحُسَيْنِ الصَّارِي فِي كتابِهِ ”مُحَرَّرُ البَلَاغَةِ“ وهي :

تُبَايِعُ عبدَ الله أميرَ المؤمنينَ فُلَانًا : بَيْعَةً طَوَّعَ واختيارَ ، وتَبَرُّعَ وإيثَارَ ، وإِعْلَانِ وإِسْرَارَ ، وإِظْهَارَ وإِخْفَارَ ، وَحِجَّةَ من غيرِ قَتْلٍ ، وَمَسْلَامَةً من غيرِ قَتْلٍ ، وَبَيَاتَ من غيرِ تَبْدِيلٍ ، وَوَفَاءَ من غيرِ تَأْوِيلٍ ، وَأَعْرَافَ بما فيها من أَجْتِمَاعِ الشُّعْلِ ، وَأَتِّصَالِ الحَبْلِ ، وَأَتَنْظَامِ الأمورِ ، وَصِلَاحِ الجُنُهورِ ، وَحَقِّقِ الدِّمَاءِ ، وَسُكُونِ الدِّهْمَاءِ ، وَسَعَادَةِ الخَاصَّةِ والعَامَةِ ، وَحُسْنِ المَائَةِ على أَهْلِ المِلَّةِ وَاللَّهْمَ . على أَنْ عبدَ الله فُلَانًا

أمير المؤمنين عبد الله الذي أصطفاه ، وأمينه الذي أرتضاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق ، وموجبة على الخلق ؛ وموردة لهم مورد الأمن ، وعاقدة لهم معاهد الأمن ؛ وولايته مؤذنة بحيل الصنع ، ومؤدية لهم إلى جزيل النفع ، وإمانته التي اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها فتح الملعن الجاحد ، ورد الجائر الجائد ، ووقف العاصي الخالع ، وعطف الفاوي المنازع . وعلى أنك ولي أوليائه ، وصدق أعدائه : من كل داخل في الجمل ، وخارج عن الملة ، وما نذ بالحزبه ، وحائذ عن الدعوة ، وتمسك بما بذله عن إخلاص من رأيك ، وحقيقة من وقاك ؛ لا تنقص ولا تنكث ، ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداس ولا تخال ؛ فلا ينك مثلك نيك ، وقولك مثل طويك . وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشراطينها على امت الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتتقلبها ، وأخلاف الأوقات وتقلبها . وعلى أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان الملكة العباسية ودعاتها ، لا يتداخل قولك مواربة ولا مداهنة ، ولا يعترضه مغالطة ولا يتعقبه مخالفه ، ولا تحبس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبلا على أمرك ، ووقفاً بمهدك ؛ إذ كان مباهيو ولادة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَاهِيُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ قَوْلُ آبَائِهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِمَّا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ جَزَاءٌ عَظِيمٌ ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي أعطيت بها صفة بك ، وأضيفت فيها ميرة قلبك ؛ والترتت القيام بها ما طال عمرك ، وأمتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان مستولاً ، وما اخذ على أنبيائه ورسله ، وملائكته وحلة عرشه : من أيمان مغلظة وعهود مؤكدة ، ومواثيق مشددة ؛ على أنك تسمع وتُصنئ ، وتُطيع ولا تنصئ ، وتحتدل

ولا تُميد، وتُسقيم ولا تَميل، وتُني ولا تُقدر، وتُسبِّت ولا تُتَقَرِّب، فني زُلَّت عن
 هذه المحبة خافراً لأمانتك، ورافضاً لديانتك، فجعلت الله تعالى رُبُّوبِيَّتَهُ، وأنكرت
 وحدانيَّتَهُ، وقطعت عصمةَ عهدي صلى الله عليه وسلم منك وجنَّدتْها، ورَبَّيت طاعته
 وراء ظهرك ونبذتْها، ولقيت الله يوم الحشر إليه، والمرضى عليه، مخالفاً لأمره،
 وناقضاً لعَهْدِهِ، ومقياً على الإنكار له، ومُصِرّاً على الإشراك به، وكل ما حلَّله الله لك
 حرَّم عليك، وكل ما تملكه يوم رجوعك عن ذلك، وأرجاعك ما أعطيت في قولك :
 من مالٍ مَوْجُودٍ وَمُنْخُورٍ ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وسارِجٍ ومربوطٍ ، وسائِمٍ
 ومَعْقُولٍ ؛ وأرضٍ وَضَبْعَةٍ ، وعقارٍ وعُقْدَةٍ ، ومملوكٍ وأمةٍ ، صدقةً على المساكين ،
 حرمةً على مَرِّ السنين ؛ وكل امرأةٍ لك تملكُ شعرها وبشرها ، وأمرئاً تَرْجُوها من
 بعدها طالقاً ثلاثاً بنائاً ، طلاق الحرج والسنة ، لا رجعة فيها ولا مَنَوِيَّةَ ، وعليك
 الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين دَفْعَةً حَامِراً حَافِئاً ، ورأجلاً ماشياً ،
 نَذراً لازماً ، ووعداً صادقاً ؛ لا يبرئك منها إلا القضاء لها ، والوفاء بها ؛ ولا قبل
 منك قوبةٌ ولا رجعة ، ولا أقالك عَفْرةٌ ولا صَرَعَةٌ ؛ وَخَذَلَك يوم الاستنصار بمجاوله ،
 وأسلمك عند الاعتصام بمجبله ؛ وهذه اليمينُ قولك قُلْتُهَا قولاً فصيحاً ، وسرَدْتُهَا سرّاً
 صريحاً ؛ وأخلصتَ فيها مِرْكَ إخلاصنا مُبِيناً ، وصَدَقْتَ بها عَزْمَكَ صِدْقاً يَحْيِيَانَا ، والنِّبَّةُ
 فيها نِبَّةٌ فلان أمير المؤمنين دُونِ نَيْحِكَ ، والطَّوِيَّةُ دُونِ طَوِيَّتِكَ ؛ وأشهدتَ الله على
 نَفْسِكَ بذلك (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) يوم يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ عليها حافظاً ووَقيهاً .



وهذه نُسخةُ يَمِينِ بَيْعَةِ أوردتها ابنُ سَاحِدُونَ في "تَذَكُّرَتِهِ" وأبو الحسن بن سَعْدٍ
 في "تَرْسُلِهِ" تواردت مع البيعة السابقة وأيمانها في بعض الألفاظ، وخالفَتْ
 في أكثرها، وهي :

تُبايع الإمام أمير المؤمنين بيعة طَوَّع وإِيتَار، وَرَضًا وَاخْتِيَارًا، وَأَعْقَادًا وَإِشْمَارًا،
وإِعْلَانًا وَإِسْرَارًا، وإِخْلَاصًا مِنْ طَوَّيْكَ، وَصِدْقًا مِنْ يَدِّكَ، وَأَنْشِرَاجَ صَدْرِكَ
وَصِحَّةَ عِزِّكَ، طَاعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، وَمُتَقَاتًا غَيْرَ مُجْبَرٍ، مُقَرَّرًا بِفَضْلِهَا، مُلْعِنًا بِحَقِّهَا،
مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا، وَمُعْتَمِدًا بِحُسْنِ عَاقِبَتِهَا، وَعَاطِلًا بِمَا فِيهَا وَفَى تَوَكُّدِهَا مِنْ صَلَاحِ
الْكَلْفَةِ، وَاجْتِنَاعِ الْكَلْبَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ وَلَمْ الشَّعْتُ، وَأَمِنُ الْعَوَاقِبَ، وَسَكُونُ
الدُّهُمَاءِ، وَعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَرَعَ الْأَعْدَاءُ - عَلَى أَنْ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، وَالْمُقَاتَرُشُ
طَلِكَ طَاعَتُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوَلَايَتُهُ، الْأَلَزِمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْوَفَاءُ
بَعَثِهِ، لَا تَنْتُكَ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ؛ وَأَنْتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ،
وَمَعْلُومُهُ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، مُتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ
بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْقَدِّ؛ سِرِّيَّكَ مِثْلَ عَلَانِيَتِكَ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ مِثْلُ بَاطِنِكَ،
وَبَاطِنُكَ فِيهِ وَفَى ظَاهِرِكَ . عَلَى أَنْ إِعْطَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ تَقْسِكَ، وَتَوَكُّدِكَ
إِيَّاهَا فِي عَقْلِكَ، فَلَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَسْتَقَامَةٍ مِنْ عَزْمِكَ،
وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَايِكَ . عَلَى أَنْ لَا تَسْأَلَ عَلَيْهِ فِيهَا؛ وَلَا تَسْعَى فِي تَقْضِ شَيْءٍ
مِنْهَا، وَلَا تَعْتَمِدَ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشُّدَّةِ، وَلَا تَدَعِ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ
وَسَاحِنَةٍ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُوَفِّيًّا بِهَا، مُؤَدِّيًّا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايَعُونَ
وَلَاةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿إِنَّمَا يَبَايَعُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمنْ نَكَتْ
فَأَمَّا يَنْتُكَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي طَوَّقَهَا عَقْلُكَ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ، وَأَعْطَيْتَ بِهَا صَفَقَتَكَ؛
وَمَا شَرِطَ فِيهَا مِنْ وَفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ، وَنُصْحٍ وَمُشَافَهَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمُؤَاقَفَةٍ، وَاجْتِهَادٍ
وِمِبَالَهَةٍ - عَهْدَ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ

السلام؛ وأخذ على عباده من وكيدات مواسيقه، ومخجات عهوده؛ وعلى أن
تتمسك بها ولا تبدل، وتستقيم ولا تميل.

وإن نكثت هذه البيعة، أو بطلت شرطاً من شروطها، أو عفت رتباً من
رسومها، أو غيرت حكماً من أحكامها، معلناً أو ميسراً، أو مختلاً أو متأولاً، أو زفت
عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانة، ولا يستحل الفدر والحيانة، ولا يستعجز
حل المقود - فكل ما ملكه من عَن أو ورق أو آنية أو عقار أو زرع أو صرع
أو غير ذلك من صنوف الأملك المتقدمة، والأموال المتخرة، صدقة على المساكين،
عمره عليك أن ترجع من ذلك، إلى شيء من مالك، يجلب من الجبل، على وجه
من الوجوه وسبب من الأسباب، أو يخرج من خارج الإيمان؛ وكل ما تحيده
في بقية عمرك: من مال يهل خطره أو يحل، فلك سبيله إلى أن توفاك ميتك،
ويأتيك أجلك. وكل مملوك لك اليوم أو يملكه إلى آخر أيامك أحراراً سائبون
لوجه الله تعالى، وتساؤلك يوم يلزمك الحنث، ومن تروج بصدق مدة بقاءك
طوائق ثلاثاً بناتاً، طلاق الحرج والسنة، لا مشنوية فيها ولا رجعة، وملك المشي
إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة حافياً حاسراً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا
بالوفاء بها، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، وعندك يوم تحتاج إليه، وبرأك
الله من حوله وقوته، وأجلك إلى حالك وقوتك، والله تعالى بذلك شهيد.

(وكنى بالله شهيداً).

والعلائية، وما تُخفي الصدور؛ التائب على كل نفس بما كسبت، والمجازي لما بما عَمِلَتْ . وحق جلال الله، وقُدْرَةُ الله، وعَظَمَةُ الله، وكِبَرِيَاءُ الله، وسائر أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا إنني من وقته هذا، وما مدَّ الله في عمري، قد أخلصتُ نيتي، ولا أزال مُجتهدًا في إخلاصها، وأصغيتُ طَوَّيتي، ولا أزال مُجتهدًا في إصفاها، في طاعة مولانا السلطان فلان الثُلاني - خلد الله مُلكه - وخُلمته وعِيتِه، وأمثال مَراسيمه، والعمل بأوامره . وإنني والله العظيم [حرب لمن حاربه، سَلِمَ لِمَن سَالَهُ، عَدُوٌّ لِمَن عَادَاهُ، وَلِيٌّ لِمَن وَالَّاهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ . وإنني والله العظيم] لا أُفْهِرُ مولانا السلطان فلان سُوءًا ولا غُفْرًا، ولا خَدِيسَةً ولا مَكْرًا، ولا خِيَانَةً في نفس ولا مال، ولا سُلْطَانِيَّة، ولا قِلَاجٍ ولا حُصُونٍ، [ولا بِلَادٍ ولا غَيْرَ ذَلِكَ] ولا أَسْعَى في تَفْرِيقِ كَلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْ أَمْرَانِهِ، ولا تَمَالِيكِه، ولا عَسَاكِرِهِ، ولا أَجْنَادِهِ، ولا عُرْبَانِهِ ولا تَرْكُكُنْهَ ولا أَكْرَادِهِ، ولا أَسْتَمَالَةَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ لغيره، ولا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ ولا فَسَلٍ ولا نِيَّةٍ ولا بِمَكْتَبَةٍ [ولا مَرَاسِلَةٍ]، ولا إِشَارَةٍ ولا رَمِيٍّ، ولا كِتَابَةٍ ولا تَصَرُّحٍ . وإن جِئني بِكَلْبٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ الله تَعَالَى بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مولانا السلطان أو أَهْلٍ دَوْلَتِهِ لَا أَعْمَلُ بِهِ، ولا أَصْغِي إِلَيْهِ، وَأَحِلُّ النِّكَالَ إِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ الشَّرِيفِينَ هُوَ وَمَنْ أَحْضَرَهُ إِنْ قُدِرْتُ عَلَى إِسْكَاهِهِ .

وإنني والله العظيم أني لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أَقْضِيهَا ولا شَيْئًا مِنْهَا، ولا أَسْتَنْتِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا أَخَالِفُ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا؛ وَبِقِي خَالَفْتُهَا أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ قَضَيْتُهَا أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ أَسْتَنْتَيْتُ فِيهَا أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلِبًا لِقَضَائِهَا، فَكُلُّ مَا أَسْأَلُكَ : مِنْ صَامِتٍ وَتَاطِقٍ صَدَقَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،

وكلُّ زَوْجَةٍ فِي عَقْدِ نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُّجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ [ثَلَاثًا بَتَانًا عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ] ، وَكُلُّ عَيْدِي وَإِمَائِي أَحْرَارٌ لَوَجْهَ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، وَالْوَقُوفُ بِرَفَقَةٍ ثَلَاثِينَ حِجَّةً مُتَوَالِيَاتٍ مُتَابِعَاتٍ كَوَامِلٌ ، حَافِيًا مَاشِيًا ؛ وَعَلَيْهِ صَوْمُ النَّهْرِ كُلِّهِ إِلَّا الْمُنْهَى عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَفُكَّ أَلْفَ رَقِيَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ ، وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفَتْ هَذِهِ الْإِيمَانَ أَوْ شَرَطًا مِنْ شُرُوطِهَا .

وهذه الإيماني يميني وأنا فلان، والنية فيها بأنمرها نية مولانا السلطان فلان، ونية مُستحلي له بها، لانيّة لي في ياطني وظاهري [سواها] ، أشهدُ الله على بذلك، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

قلت : عجيبٌ من المقرّ الشّهائي رحمه الله ما أتى به في مُسَخَّةِ هذه الإيماني ، فإنه أتى بها بلفظ التكلم إلى قوله : « وكلُّ زوجة » فعُدلَ عن التكلم إلى النية ، وقال في نكاحه ، وكذلك ما بعده إلى قوله « من أسر الكفار ويكونُ بريئًا من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم إن خالفتُ هذه الإيماني » وأتى بصيغة التكلم إلى آخر الكلام . فإن كانَ قَوْفي قوله : وكل زوجة في نكاحه خوفًا من أن يقولَ في نكاحي فَنَطَلْتُ زَوْجَتَهُ هُوَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ : لِأَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَغَيْرِهِ .

وأعجب من ذلك كله قوله : ويكونُ بريئًا من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن دينِ الإسلام إن خالفتُ ، بجمع بين النية والتكلم في حالة واحدة !! . على أن ما ذكره بلفظ النية إنما هو فيما سطره في النسخة . أما إذا كتبت الإيماني

وقد ذكر صاحب "التقيف" جميع ذلك بلفظ التكلم ، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة وقصص فيها .
وهذه نسختها ، وهي :

[illegible]

ولا فِئْل ولا نِيَّة ؛ وإن قدرتُ على إمساكِ الذي جاءني بالكَلْب أَمْسَكْتُهُ ،
وأَحْضَرْتُهُ مولانا السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، أو النائب القريب مِنِّي .
وَأَتَيْتُ وَاللَّهِ الْعَظِيمَ أَنِّي لمولانا السلطان المشار إليه بهذه اليمين من أولها إلى آخرها ،
لا أَسْتَفْتِي فيها ولا في شَيْءٍ منها ، ولا أَسْتَفْتِي فيها ولا في شَيْءٍ منها . وإن خالفْتُها
أو شَيْئًا منها ، أو أَسْتَفْتَيْتُ منها ، أو أَسْتَفْتَيْتُ طَلَبًا لِنَقْضِها أو قَضِ شَيْءٍ منها ،
فَيَكُونُ كُلُّ ما أَمْلِكُهُ من صَبَاحٍ وَطَاطِي صَدَقَةً عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَساكِينِ مِنَ الْمَساكِينِ ،
وَتَكُونُ كُلُّ زَوْجِيَّةٍ فِي عَهْدِ نِكَاحِي أو أَزْوَاجِها في الْمُسْتَقْبَلِ طَالِقًا بَلَاءًا بَلَاءًا عَلَى سائرِ
الْمَذاهِبِ ، وتَكُونُ كُلُّ أُمَةٍ أو مَمْلُوكٍ في مِلْكِي الْآنَ أو أَمْلِكُهُ في الْمُسْتَقْبَلِ أَحْرَارًا
لَوَجْهَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَزْنِي ثَلَاثُونَ حَبَّةً متوالياتٍ متتابعاتٍ ، حاقفًا حاسرًا ، وعلى
صَوْمِ النَّهْرِ يُجْلِيهِ إِلَّا الْأَيَّامَ الْمُنْتَهَى عَنْ صَوْمِها .

وهذه اليمينُ مِنِّي ، وأنا فلانُ بْنُ فلانٍ ، والنيةُ في هذه اليمينِ بِأمرها نيةُ مولانا
السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، ونيةُ مُسْتَحْلِفِي له بها ، لانيةُ لي في غيرها ،
ولا قَصْدُ لي في بَاطِنِي وظَاهِرِي سِوَاهَا . أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى بَظَلِكَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ،
وَاللَّهُ عَلَى ما أَقُولُ وَيَكُلُّ .

قلتُ : وربما كان للسلطان وليٌ عَهْدٌ بِالسُّلْطَنَةِ فَيَقْعُ التَّعْلِيفُ لِلْسلطانِ وَلِوَلَدِهِ
جَمِيعًا ، وَهِيَ عَلَى ما تَحْوِي ما تَقُمُّ ، لا يَتَغَيَّرُ فيها إِلَّا تَقَلُّ الضَّمِيرِ مِنَ الْإِفْرَادِ إِلَى الثَّنِيَّةِ .



وهذه نُسخةُ يمينِ حَلْفِ عليها العساكِرُ لِلْسلطانِ الملك المنصور "قلاوون" في سنة
ثمان وسبعين وستمائة له وَلِوَلَدِهِ وَلِي عَهْدِهِ الملك الصالح علاء الدين "علي" أوردَها
أَبْنُ الْمُكْرَمِ في تَذَكُّرِهِ ، وَهِيَ :

وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ ، وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ ، وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ ، وَاللهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهِلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالسَّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ وَمَا تُحِثُّ الصُّدُورُ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا أَحْتَقِبَتْ . وَحَقَّ جَلَالُ اللهِ ، وَعِزَّةُ اللهِ ، وَعَظَمَةُ اللهِ ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحَسَنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللهُ فِي عُمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ النَّيَّةَ ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا ، وَأَصْقِيْتُ طَوَائِفِي وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا ، فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَلَانٍ ، وَطَاعَةِ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ فَلَانٍ ، وَخِدْمَتِهِمَا وَمُؤَالَاتِهِمَا ، وَأَمْتِنَالِ مَرَامِيهِمَا ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِمَا . وَإِنِّي وَاللهِ الْعَظِيمِ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمَا ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَهُمَا ، عَدُوٌّ لِمَنْ طَادَاهُمَا ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمَا . وَإِنِّي وَاللهِ الْعَظِيمِ لَا أَسْتَعِي فِي أَمْرِ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَلَا فِي مَضَرَّةٍ وَلَدِهِ ، فِي نَفْسٍ وَلَا سُلْطَانِيَّةٍ ، وَلَا أَشْتِمَالَةٍ لِغَيْرِهِمَا ، وَلَا أُوَافِقُ أَحَدًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَلَا مَكَاتِبَةٍ وَلَا مُشَافَهَةٍ ، وَلَا مُرَاسَلَةٍ ، وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنِّي وَاللهِ الْعَظِيمِ لَا أَذْخِرُ عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا عَنْ وَلَدِهِ تَيْصِيحَةً فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ مُلْكِهِمَا الشَّرِيفِ ، وَلَا أَخْفِيهِمَا عَنْ أَحَدِهِمَا ، وَأَنْ أُعْلِمَهُ بِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يُكِنِّي الْإِعْلَامُ لَهُ بِهَا ، أَوْ أُعْلِمَ مِنْ يُعْلِمُهُ بِهَا ، وَأَنْ أَخْلُجَ^(١١)

النوع الثاني

(من الإيمان التي يُحلف بها المسلمون إيمانُ أهلِ البَيْعِ .

والذين منهم بهذه الملكة ثلاث طوائف)

الطائفة الأولى

(الخوارجُ)

وهم قومٌ ممن كانوا مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، حملوه على أن رضى بالتحكيم بينه وبين معاوية ، وأشاروا بإقامة أبي موسى الأشعري حَكَمًا من عليّ ، وإقامة عمرو بن العاص حَكَمًا عن معاوية ، ففدع عمروُ أبا موسى : بأن اتفق معه على أن يتعلما عليًا ومعاويةً جميعًا ، ويقيم المسلمون لهم خليفةً يختارونه ، فتقدم أبو موسى وأشهد من حضر أنه خَلَعَهُمَا ، فوافق عمروُ عليّ خَلْعَ عليّ ، ولم يتطع معاوية ، وبقي الأمر لمعاوية . فانكروا ذلك حينئذ ، ورفضوا التحكيم ، ومنسوا حكمه ، وكفروا عليًا ومعاويةً ومن كان معهم بصفتين ، وقالوا : لا حُكْمَ إلا لله ورسوله ، ونزحوا على عليّ ، فسموا الخوارج ، ثم نازقوه وذهبوا إلى الثهوان فاقاموا هناك ، وكانوا أربعة آلاف غزاة لا رأس لهم ، فذهب إليهم عليّ رضى الله عنه فقاتلهم ، فلم يفلت سوى تسعة أنفيس : ذهب منهم اثنتان إلى عُمان ، واثنتان إلى كُزَمان ، واثنتان إلى جَيْسْتَانَ ، واثنتان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن ، فظهرت يَدُهم بتلك البلاد وبقيت بها .

ثم من منهم من التحكم على ما تقدم ، وتخطئة عليّ وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه بصفتين في اعتابهم إياه ، بل تكفيرهم عليّ ما تقدم ، ومنها امتناع ذلك عن رضا أصلاً (؟) وأنهم يمتنعون التأويل في كُتُب الله تعالى . ومنهم من يقول : إن سورة

يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ، وَمِنْ
أَدْخُلِهَا فِي الْقُرْآنِ قَدْ زَادَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، عَلَى مَا سَأَلَنِي ذَكَرَهُ . وَيَقُولُونَ :
إِنْ إِمَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَتْ ظُلُمًا ، وَإِنَّ قَضَائَهُمُ الَّذِي رَتَّبُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ بَاطِلٌ .
وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَخَطُّطِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَيَأْخُذُ عَلَيْهِ عِنْدَ
تَحْكِيمِهِمَا ، وَيُسْتَمْتُونَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَقُولُونَ : اسْتَبَاحُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ
بِفَسَادِ حَقِّ .

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْكَبَائِرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِضْرَارِ عَلَى الصِّغَارِ بخلاف الكبار
من غير إضرار على ما يَأْتِي ذَكَرَهُ . وَيَصَوِّوْنَ قَتْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي قَتْلِهِ عَلَيْهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَا سِيَّامًا مِنْ نَهْبٍ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى
أَنْ ذَلِكَ كُفْرٌ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :

يَا ضَرْبَةً مِنْ وَلِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا * إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا .

إِنِّي لَا ذِكْرَهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ * أَوْفَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

وَكَذَلِكَ يَصَوِّوْنَ فِعْلَ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ الْخَارِجِيِّ فِي قَتْلِ خَارِجَةَ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ ^(٢) صَاحِبِ
شُرْطَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ، حِينَ قَتَلَهُ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، لَمَّا لَمْ
عِنْدَهُ مِنَ الْإِخْنِ وَالضُّغَائِنِ . وَأَنْهُمْ يَصَوِّوْنَ فِعْلَ قَطَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ
فِي وَأَنْهُمْ يَسْتَغْطَمُونَ خَلْعَ طَاعَةِ رُؤُسِهِمْ، وَأَنْهُمْ يُجَوِّزُونَ كَوْنُ الْإِمَامِ غَيْرِ

(١) في الأصل من ٦٩ "من منيب" وفي كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٧١ "من شق" .

(٢) في الأصل حنيفة وهو تصحيف والتصحيح من كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٠ .

(٣) بياض الأصول ولعله «في اشتراطها على ابن ملجم حين قتلها» رعبا ودية وقتل على
أنظر كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

قُرِئَتْ، بَلْ هُمْ يَمْيُوزُونَ إِمَامَةَ الْحَرْ وَالْعَبْدَ جَمِيعاً، وَيَنْسُبُونَ مِنْ خَالِفِهِمْ إِلَى الْخُلَطَاءِ، وَيَسْتَبِيحُونَ دِمَاءَهُمْ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ .

واعلم أن ما هُتِمَ ذِكْرُهُ مِنْ مَقَدِّمَاتِ الْخَوَارِجِ هُوَ مُقْتَضَى مَا رَتَبَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي "التَّعْرِيفِ" عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ . عَلَى أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْمَقَدِّمَاتِ يَخْتَصُّ بِهَا بَعْضُ فِرَقِ الْخَوَارِجِ دُونَ بَعْضِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَدِّمَاتٌ أُخْرَى تَرِيدُ عَلَى مَا هُتِمَ ذِكْرُهُ .

وهنا أذكر بَعْضَ فِرَقِهِمْ، وَبَعْضَ مَا اخْتَصَّتْ [بِهِ] كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ، لِيُنَبِّئَ عَلَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ تَرْيِبَ بَيْنِ لِفِرْقَةٍ مِنْهُمْ :

فمنهم الْمُحَكَّمَةُ - وهم الذين يَمْنُونُ الصَّحِيحَ .

ومنهم الْأَزَارِقَةُ - وهم أَتْبَاعُ تَافِيعِ بْنِ الْأَزْرَقِ، وَهُمْ الَّذِينَ نَحَرُوا بِفَارِسَ وَكُرْمَانَ أَيَّامَ ابْنِ الزَّيْبَرِ، وَقَاتَلَهُمُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ عَلِيّاً مَعَ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيُصَوِّبُونَ فِعْلَ ابْنِ مُلْجَمٍ، وَيَكْفُرُونَ الْقَعْدَةَ عَنِ الْقِتَالِ مَعَ الْإِمَامِ وَإِنْ قَاتَلَ أَهْلَ دِينِهِ، وَيُيَحِّثُونَ قَتْلَ أَطْفَالِ الْخَوَالِفِينَ وَيَسَائِهِمْ، وَيُسْقِطُونَ الرَّجْمَ عَنِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ، وَحَدَّ الْقَذْفِ عَنِ قَاذِفِ الرَّجُلِ الْمُحْصَنِ دُونَ قَاذِفِ الْمَرْأَةِ الْمُحْصَنَةِ، وَيُخْرِجُونَ أَصْحَابَ الْكِبَايَرِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيَقُولُونَ : النِّجْيَةُ غَيْرُ جَائِزَةٍ .

ومنهم التَّجَدُّثُ - وهم أَصْحَابُ بَجْدَةِ بْنِ حَامِرٍ، يَكْفُرُونَ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الصِّغَاثِ دُونَ فَسْلِ الْكِبَايَرِ مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ، وَيَسْتَحِيلُونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالْذِمَّةِ وَأُمُومِهِمْ فِي دَارِ النِّجْيَةِ، وَيَتَّبِعُونَ مِنْ حَرَمِهِمْ .

ومنهم البَيْسِيَّةُ - وهم أصحاب أبي يَسَّ بن خالد، يَرَوْنَ أَنَّهُ لَاحِرَمٌ إِلَّا مَا وَفَّعَ عَلَيْهِ
النَّصُّ بقوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا) الآية . وَيَكْفُرُونَ الرَّجِيَّةَ
بِكُفْرِ الْإِمَامِ .

ومنهم الْمَجَارِدَةُ - وهم الذين يُنْكِرُونَ كَوْنَ سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الْقُرْآنِ ،
ويقولون : إِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ ، وَيُوجِبُونَ التَّبَرُّيَّ مِنَ الطُّفْلِ فَإِنَّا بَلَغَ دُعَى
إِلَى الْإِسْلَامِ .

ومنهم الْيَمُونِيَّةُ - وهم فِرْقَةٌ يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ الْخَلِيدُونَ الشَّرَّ ،
وَيُحْزَنُونَ نِكَاحَ بَنَاتِ الْبَنَاتِ وَبَنَاتِ أَوْلَادِ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ .

ومنهم الْإِبَاضِيَّةُ - يَرَوْنَ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكُفْيَةِ كَافِرٌ لِلنِّعْمَةِ لِامْتِشَاقِهِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ
دَارَ غُلَاقِيمَ مِنَ الْمَسَامِينِ دَارُ تَوْحِيدٍ ، وَدَارُ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ دَارُ بَقِيٍّ .

ومنهم الثَّمَالِيَّةُ - يَرَوْنَ وَلَايَةَ الطُّفْلِ حَقًّا يَظْهَرُ عَلَيْهِ إِتْكَارُ الْحَقِّ فَيَتَرَبَّعُونَ مِنْهُ .

ومنهم الصُّفَرِيَّةُ - يَرَوْنَ أَنَّ مَا كَانَ مِنَ الْكَافَرِيَّةِ حَدٌّ كَالزَّانَا لَا يُكْفَرُ بِهِ ، وَمَا
كَانَ مِنْهَا لَيْسَ فِيهِ حَدٌّ : كَتَرِكِ الصَّلَاةِ يَكْفَرُ بِهِ .

وَكَانَ الَّذِي أوردَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْهُمْ ، أَوْ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِهِمْ
فَاكْتَفَى بِهِ .

وقد رتب في "التَّعْرِيفِ" تَحْلِيلَهُمْ عَلَى مُقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ مِنْ آَعْقَادِهِمْ قَال :
وَأَيَّمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَزَادَ فِيهَا : وَإِلَّا أَجَزْتُ التَّحْكِيمَ ، وَصَوَّبْتُ
قَوْلَ الثَّوْرِيِّينَ فِي صِفَتَيْنِ ، وَأَطَعْتُ بِالرِّضَا مَنِّي حَكَمَ أَهْلِ الْجَوْرِ ، وَقُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ ، وَالْقِي فِي "الْفَتَاوُسُ" وَ"الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ" لِقَتِيرَتَانِ أَنَّ أَبِي يَسَّ اسْمُهُ "الْحَمِيمُ"
أَبْنُ جَابِرٍ" وَلَمَّا فِي الْأَصُولِ تَصْغِيفٌ .

بالتأويل : وأدخلت في القرآن ما ليس منه . وقلت : إن إمارة بنى أمية عدلٌ ، وإن قضائهم حقٌ ، وإن عمرو بن السَّاص أصاب ، وإن أبا موسى ما أخطأ ، وأسبِحت الأموال والفروج بغير حقٍّ ، وأجرحتُ الكجائر والصنائر ، ولقيتُ الله مثقلاً بالأوزار ، وقلتُ : إن فضلة عبد الرحمن بن ملجم كُفِّرَ ، [وإن قاتلَ خارجة أُمّ ، ويرث من فضلة قطام ^(١)] ، وعلقت طاعة الرؤوس ، وأنكرتُ أن تكونَ الخلافة إلا في قریش ، وألا فلا روّيت سنيي ورغبي من دماء المخطئين .

الطائفة الثانية

(الشَّيعة)

وهم الذين شاعروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته : نصّاً ووصايةً : [إما] جليلاً أو خفياً ، وإن الامامة لا تخرج عنه وعن بيته إلا بظلمٍ من غير ذلك الإمام ، أو ببقية منه لغيره .

قال الشهرستاني في "النحل والملل" : ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام والتنصيب عليه من قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكجائر والصنائر ، والقول بالتولي للأئمة والتبدي من غيرهم .

وقال في "التعريف" يجمعهم حب علي رضي الله عنه ، وتختلف فرقهم فيما سواه . فاما مع إجماعهم على حجة فهم مختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل غلو مفرط وعدّوا زائد : فقيم من أدّى به الغلو إلى أن اتخذ علياً إلهاً وهم النصيرية . قال : ومنهم

(١) الزائدة من "التعريف" ص ١٦٢ .

(٢) عبارة الشهرستاني «بظلم يكون من غيره أو بقية من عده» وهي أوضح .

من قال : إنه النبي المرسل وإن جبريل غلط . ومنهم من قال : إنه شريك في النبوة والرسالة . ومنهم من قال : إنه وصي النبوة بالنص الجلي ، ثم تخالفوا في الإمامة بعده وأجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين . وقالت فرقة منهم : وبهدهما محمد بن الحنفية .

ثم قد ذكر في "التعريف" أن الموجود من الشيعة في هذه الملكة خمس فرق :

الفرقة الأولى

(الزيدية)

وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الذي رأسه مدفون بالمشهد الذي بين كيان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني ، المعروف بمشهد الرأس ، فها ذكره القاضي عجي الدين ابن عبد الظاهر في خطط القاهرة . قال في "التعريف" : وهم أقرب القوم إلى القصد الأتم . قال : ولم يلم إمام باقي باليمن إلى الآن ، وصنعاؤه داره ، وأمرأه مكة المعظمة منهم . ثم قال : وحدثنني مبارك بن عطيفة بن أبي عمى : أنهم لا يلبسون إلا باطعة ذلك الإمام ، ولا يرون إلا أنهم قواؤه ، وإنما يتقون صاحب مصر لخوفهم منه وللإقطاع ، وصاحب اليمن لمشاراته لواصيل الكارم ورؤسوم الأنعام . ومن ثم علمهم في جملة من هذه الملكة من طوائف البدع .

وكان من منهج زيد هذا جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل ، ويقول : إن عليا رضي الله عنه كان أفضل الصعابة رضوان الله عليهم ، إلا أن الإمامة فوضت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لمصلحة رأوها ، وقائمة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، مع تفضيل علي على الشيعين عندهم في أوانهم .

وأتباعه يعتقدون أنَّ هذا هو المعتدُّ الحقُّ، ومن خالفه خرج عن طريق الحقِّ،
وضلَّ عن سواءِ السبيل .

وهم يقولون : إنَّ نصَّ الأذانِ بِلِلِّ الحِمْيَريِّ : «سَمِعَ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» يقولونها
في أذانهم مرَّتين بِلِلِّ الحِمْيَريِّ، وربما قالوا قبل ذلك : «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ»،
وَعِزَّتُهُمَا خَيْرُ الْعِثَرِ» ومن رأى أنَّ هذا بدعةٌ فقد حاد عن الجادة .

وهم يسوقون الإمامةَ في أولادِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ من فاطمة رضى الله عنها،
ولا يجوزون ثبوتَ الإمامةِ في غيرِ بنَيْهِما ، إلا أنَّهم جَوَّزُوا أن يكونَ كُلُّ فاطميٍّ
طالِمَ زَاهِدٍ شُجَاعٍ خَرَجَ لَطَلَبِ الإمامةِ إماماً مَعْصوماً وَاجِبَ الطَّاعَةِ، سواء كان من
ولدِ الحُسَيْنِ أو الحُسَيْنِ عليهما السلام ، ومن خلع طاعته فقد ضلَّ . وهم يروون أنَّ
الإمامَ الْمُهَدِّيَّ الْمُتَنَظَّرَ مِنْ وَلَدِ الحُسَيْنِ رضى الله عنه دون وَلَدِ الحَسَنِ، ومن خالف
في ذلك فقد أخطأ . ومن قال : إنَّ الشَّيْخَيْنِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضى الله عنهما أَفْضَلُ
من عليٍّ وَبَنِيهِ فقد أخطأَ عَصَمَ وخالفَ زَيْداً في مُتَقَدِّهِ . ويقولون : إنَّ نَسْلَ
الحَسَنِ الْأَمَرِ لِمَاوِيَةَ كَانَ لِمَصْلَحَةِ اقْتِضَائِهَا الْحَالِ، وإن كان الحقُّ له .

قال في "التعريف" : وَأَيُّمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ، بِمَعْنَى فَيَحْلِفُونَ بِمَا تَقَدَّمَ،
ويزاد فيها : وَالْأَبْرَثُ مِنْ مُتَقَدِّ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَرَأَيْتُ أَنَّ قَوْلِي فِي الْأَذَانِ : «سَمِعَ
عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» بدعةٌ، وَخَلَعْتُ طَاعَةَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْوَاجِبِ الطَّاعَةِ، وَأَدْعَيْتُ
أَنَّ الْمُهَدِّيَّ الْمُتَنَظَّرَ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقُلْتُ : بِتَفْضِيلِ الشَّيْخَيْنِ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ، وَطَعَنْتُ فِي رَأْيِ ابْنِهِ الْحَسَنِ لِمَا اقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ،
وَطَعَنْتُ عَلَيْهِ فِيهِ .

الفرقة الثانية

(من الشيعة الإمامية)

وهم القائلون بإمامة آتئى عشر إماما : أولهم أمير المؤمنين على المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبى ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه على السجاد زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه ، على الرضا وهو الذى عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون ، ثم ابنه محمد التقي ، ثم ابنه على النقي ، ثم ابنه الحسن الزكى المعروف بالمسكى ، ثم ابنه محمد الحجة ، وهو المهدي المنتظر عندهم ، يقولون إنه دخل مع أمه صغيرا مردابا بالحلة على القرب من بغداد فقعد ولم يسد ، فهم ينتظرونه إلى الآن ، ويقال : إنهم فى كل ليلة يقفون عند باب المرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق يتأدون : أيها الإمام ! قد كثر الظلم ! وظهر الجور فأتخرج إلينا ! ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية أيضا ، لقولهم بإمامة آتئى عشر إماما ، وبالموسوية لقولهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم المقدم ذكره دون أخيه إسماعيل إمام الإنشاعيلية الآتى ذكره ، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل المذكور فى حياة أبيه الصادق والقطعي بانتقال الإمامة إلى موسى .

قال فى " التعريف " : وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهم يقولون : بإمامة على رضى الله عنه نصا ظاهرا ، وتصيئا صادقا ، احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يبايعني على ماله ، فبايعه جماعة » ، ثم قال :

من يُبَايِعُنِي عَلَى رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَلِيِّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَلَمْ يُبَايِعْهُ أَحَدٌ ،
حَتَّى مَدَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى رُوحِهِ وَوَفَّى بِبُذَلِكَ .

قال في "العبر" : وهذه الوَصِيَّة لَا تُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ ، بَلْ هِيَ مِنْ
مَوْضُوعَاتِهِمْ ؛ وَيُحْصَوْنَ بِوَرَاثَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويروون أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ غَدِيرُثُمْ : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ وَالِّ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَا دَارَ» وَيُرْوَى أَنَّ
بَيْعَةَ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ غَيْرُ مُحْجِجَةٍ : حِينَ أَجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ بَعْدَ
مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِيُبَايِعُوهُ ،
وَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَرَوَى لَهُمْ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ»
فَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ وَبَايَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى مَا تَهْتَمُّ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى
مُبَايَعَاتِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَأَنَّ الْقَائِمَ فِيهَا مَجْتَمِعٌ لَا سِيَّمَا أَوَّلَ بَدْءِ ذَلِكَ .
ويقولون : إِنَّ الْحَقَّ كَانَ فِي ذَلِكَ لَعَلِّيً بِالْوَصِيَّةِ . ويقولون : إِنَّ الْقِيَامَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَصْرُهُ فِي الدَّارِ كَانَ وَاجِبًا لِمَقْتَدَاهُمْ عَدَمِ حُجَّةِ خِلَافَتِهِ
مَعَ وَجُودِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِنَّ الْمُنْتَخَرِعَ حَصْرَهُ كَانَ مُحْطًا . وَيُرْوَى جَوَازُ
الْتِمَةِ حَقًّا عَلَى النَّاسِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا تَأَثَّرَ عَنْ طَلِبِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ
قِيَامِ [كَانَ] قَبْلَهُ بِهَا هَيْبَةً عَلَى نَفْسِهِ . وَيُرْوَى أَنَّ مَنْ أَعَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْخِلَافَةِ كَانَ مُحْطًا : لِطُلَانِ خِلَافَتِهِ بِرَبِّهَا عَلَى خِلَافَةِ
أَبِي بَكْرٍ وَوُجُودِ عَلِيٍّ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِهَا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنَعَ
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَقَّهَا مِنْ إِثْمِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَدِّيًّا ، وَأَنَّ

مَنْ سَاعَدَ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ تَقْدِيمِ عَدِيٍّ بِخِلَافَةِ عُمَرَ ، أَوْ تَقْدِيمِ أُمَيَّةٍ بِخِلَافَةِ عُمَانَ كَانَ مُخْطِئًا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُصِْبْ فِي جَعْلِ الْأَمْرِ شُورَى بَيْنَ بَقِيَّةِ الْعَشِيرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِاسْتِحْقَاقِ تَقْلَمٍ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَيَصَوِّرُونَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ مَوَاقِفِهِ فِي حَدِيثِ الْإِنْفَكِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْذِيبَهُ فِي ذَلِكَ . وَيَرَوْنَ أَنَّ عَائِشَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُخْطِئَةً فِي قِيَامِهَا عَلَى عَلَى يَوْمِ الْجَمَلِ ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ مَعَهَا كَانَ مُخْطِئًا لِلْوَاقِعَةِ عَلَى الْخَطَا .

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ قَامَ مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَلَى بَصْفَيْنِ وَشَهَرَ السِّيفَ مَعَهُ عَلَيْهِ قَدْ أَرْتَكَبَ عَظُورًا . وَيُنْكِرُونَ مَا وَفَّعَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ مِنَ الْبُهْوَى الْبَاطِلَةَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَّزَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَتَقَاتَلُوا وَسَبَّوْا وَبَايَعُوا مَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْلُ لُيْزِدَ .

وَيَقُولُونَ : يُبْطِلَانِ حُكْمَ أَبِي مَرْجَانَةَ . وَيُعْتَلُونَ مِنَ الْعَظَائِمِ قِيَامَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، وَحَقِيقُ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَسْتَعِظُمُوهُ ! فَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ بَعْدَ قَتْلِهِ أَمَرَ جَمَاعَةً فَوَطَّئُوا صَدْرَ الْحُسَيْنِ وَظَهَرَهُ بِالْحَيْلِ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَاتِلَهُ اللَّهُ قَدْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ مُسْتَوْدَعَةٌ لِمُسْتَقَرَّةٍ ، وَلِفَالِكِ لَمْ تَنْبُتْ فِي بَيْتِهِ . وَيُعْتَلُونَ مِنَ الْعَظَائِمِ قِتْلَ شِمْرِ بْنِ [ذِي] الْجَوْشَنِ : وَهُوَ الَّذِي أَحْتَرَأَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، وَأَنَّ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مُرْتَكِبٌ أَعْظَمَ عَظُورَاتٍ بِأَشَدِّ لَيْلَةٍ ، وَحَقِيقُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتَعِظُمُوهُ ! فَأَيُّ جَرِيْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ سَيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وقد ذكر صاحب "تَقْلَمُ السَّمْطُ فِي خَبَرِ السَّبْطِ" : أنه وُجِدَ فِي حَجَرٍ مَكْتُوبٍ
قَبْلَ الْبَيْتَةِ بِأَلْفِ سَنَةٍ مَا صُوِّرَتْهُ :

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا * شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ؟

وَيُقَالُ : إِنَّ الَّذِي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ إِنَّمَا هُوَ سِتَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ . وَيَكُونُ
مِنَ الْعِظَامِ أَيْضًا سَيِّ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الْبَيْتِ عِنْدَ قَلْبَةٍ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَصَفَيْنِ
وَسَوَّقَهُمْ مَعَهُ إِلَى يَمَشَقَى سَوَقًا بِالْعَصِيِّ . وَيُرْوَى أَنَّ خِلَافَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ كَانَتْ مِنْ
أَعْظَمِ الْبَلَاءِ ، وَأَنَّ الْمُنِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخْطَأَ حَيْثُ أَشَارَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِهَا . وَيَقُولُونَ
بِالْبَرِّيِّ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَكْثَمَاتِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَخَدِيعَتِهِ أَبَا مُوسَى
الْأَشْعَرِيَّ يَوْمَ الْحَكِيمَيْنِ حَتَّى خَلَعَ عِلْيَا ، وَإِنَّ مِنْ ظَاهِرِهِ أَوْ عَاضِدِهِ كَانَ مُحْطَلًا .

وَكَذَلِكَ يَتَّبِعُونَ مِنْ بُسْرَيْنِ [أَبِي] أَرْطَاةَ : لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَهُ إِلَى الْحِجَازِ فِي حَسَكٍ
فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَسَفَكَ بِهَا الدَّمَاءَ ، وَأَسْتَكْرَهُ النَّاسَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِمُعَاوِيَةَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْيَمَنِ
بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدَ صَبِيحِينَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَامِلِينَ عَلَى الْيَمَنِ قَتَلْتَهُمَا .^(١)

وَيُرْوَى تَحْطِطَةُ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ ، وَتَقْدَحُونَ فِي رَأْيِ الْخَوَارِجِ : وَهُمْ الَّذِينَ
تَرَجُّوا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ [فِي الْكَلَامِ]
عَلَى أَيْمَانَ الْخَوَارِجِ : وَهُوَ مُفَارَقَتُهُمْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَحْطِطَتُهُمْ لَهُ فِي الْغَنَائِمِ .

وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْإِمَامَةَ آتَتْكَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ السَّبْطُ طَلِبَةُ السَّلَامِ فِي أَبْنَائِهِ إِلَى
تَمَامِ الْإِسْمِ عَشْرَ . فَاتَّقَلْتَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ إِلَى ابْنِهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ

(١) صوابه "عامل على آل اليمن" والصبيان ما قُتِلَ وبعد الرحمن أبنا عبيد الله انظر ج ٣ ص ١٦٦

من الكامل لابن الأثير .

الباقى، ثم إلى أبنة جعفر الصادق، ثم إلى أبنة موسى الكاظم، ثم إلى أبنة علي الرضا، ثم إلى أبنة محمد التقي، ثم إلى أبنة علي النقي، ثم إلى أبنة الحسن الزكي، ثم إلى أبنة محمد المجتهد، وهو المهدي المنتظر عندهم، على ما تهتم ذكره في أول الكلام على هذه الفرقة، وإن من خالف ذلك فقد خالف الصواب .

ويستعملون دلالة من دلّ بني أمية وبني العباس على مقاتل أهل البيت . أما دلالة بني أمية، فبعد ظلية معاوية بصفين . وأما دلالة بني العباس، فبعد تنازع بني العباس وأهل البيت في طلب الخلافة، زمن أبي جعفر المنصور وما بعده .

ويقولون : ببقاء حكم المنتبة : وهي النكاح المؤقت الذي كان في صدر الإسلام . ويسمّون على تجلدة بن عامر الحنفي الخاريجي حيث زاد في حدّ الخمر، وظلّ فيه تعظيماً شديداً، كما حكاه الشهرستاني عنهم .

ويستعملون البراءة من شيعة أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، وأتباع أهوية أهل الشام من ثنابى بن أمية والغنواء القائمين بالتهران : وهم الخوارج الذين خالفوا علياً بعد قضية التحكيم بصفين ، وأقاموا بالتهران من العراق لقتال علي ، ورئيسهم يومئذ عبد الله بن وهب ، فسار إليهم على وكانوا أربعة آلاف فقتلوا عن أنفهم ، ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفهم .

ويرون أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أخطأ في موافقته عمرو بن العاص رضي الله عنه : حيث حكم بجلع علي ولم يجلع عمرو معاوية .

ويعتمدون في القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، دون المصحف الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم ، فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرأنا .

(١) أي ولم يبق منهم سوى تسعة هزقوا في الجهات كما تقدم .

ويتبرعون من فعل ابن مُلْجَم في قتله أمير المؤمنين رضى الله عنه، وحق لهم التبرُّى
من ذلك .

ويرون أنَّ موالاة ابن مُلْجَم وإسمافة في صديق زوجته قطام جريرة .

ويرون عجة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب : لمشايعتهم علياً رضى الله عنه
ومحبتهم أهل البيت كما هو المشهور عنهم ؛ حتى يحبُّ أن أمير المؤمنين علياً رضى الله
عنه صعد يوماً المنبر وقال : أَلَا لَا يُنْكَحَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مُطْلَقٌ ،
فَهَضَّ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ وقال : والله لَنُنْكَحَهُ ثُمَّ لَنُنْكَحَهُ ! إِنْ أَهْرَأَ أَهْرَ كَيْفَا ،
وَأَنْ أَوْلَدَ أَوْلَدَ شَرِيحَا ! . فقال علي رضى الله عنه حينئذ :

لَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ * قُلْتُ لَهْمْدَانَ ادْخُلِي بِسَلَامٍ ! .

ويقولون باشتراط العضمة في الأئمة ، فلا يكون من ليس بمعضوم
عندهم إماماً .

وقد رتب في " التعريف " يمينهم على هذه العقائد ، فقال : وهؤلاء يمينهم هي :

أَخْبَى وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمُ ، الرَّبُّ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْقَرَدُ الصَّمَدُ ، وَمَا أَعْتَقَهُ
مِنْ صِدْقٍ عِنْدَ صِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَّهَ عَلَى إِمَامَةِ ابْنِ حَمِّهِ وَوَارِثٍ عَلَيْهِ عَلَى بَنِ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ قَدِيرٍ خُتْمُ ، وَقَوْلُهُ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ
أَلَلَّهُمْ وَإِلَى مَنْ وُلَاةُ ! وَطَادِ مَنْ عَدَاةُ ! وَأَدْرِ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَا دَارًا ! » . وَلَا كُنْتُ
مَعَ أَوَّلِ قَاتِمٍ يَوْمَ السَّقِيقَةِ ، وَأَخِرُ مُتَأَخِّرٍ يَوْمَ الدَّارِ ، وَلَمْ أَثُلْ بِمِوَازِ الثَّقِيفَةِ خَوْفًا عَلَى
النَّفْسِ ، وَأَعْنْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ ، وَأَضْطَهْتُ قَاطِمَةَ ، وَمَنْعَتُا حَقَّهَا مِنَ الْإِرْثِ ،
وَسَاعَدْتُ فِي تَهْدِيمِ تَيْمٍ وَمِلَّةٍ وَأُمِّيَّةٍ ، وَرَضِيتُ بِحُكْمِ الشُّورَى ، وَكَذَبْتُ حَسَانَ بْنَ

ثابِت يوم عائشة، وقتُ معها يوم الجمل، وشهرتُ السيف مع معاوية يوم صفين،
 وصَلَفْتُ دعوى زياد، ونزلتُ على حَكَمِ ابنِ مرَجَانَةَ؛ وكُنْتُ مع عُمر بنِ سعد
 في قتالِ الحسين، وقلْتُ: إِنْ الأَمْرُ لم يَصِرْ بعدَ الحسنِ إلى الحسين، وساعدتُ ثَمِيمَ
 ابنِ [ذِي] الجَوْشَنِ على فعلِ تلكِ البليَّةِ، وسَيَّتُ أهلَ البيتِ ومُسَقَّتُهُم بالصَّحْبِ إلى
 دِمَشْقَ، ورَضِيتُ بِإِمَارَةِ يَزِيدَ، وأَطَعْتُ المُنْغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، وكُنْتُ ظهيراً لعمرو بنِ
 العاصِ، ثم لبَّسَ بنِ [أَبِي] أَرْطَاةَ، وقَعَلْتُ فِعْلَ عُقْبَةَ بنِ عبدِاللهِ [المزني] ^(١) وصَلَفْتُ رَأْيَ
 الخوارج، وقلْتُ: إِنْ الأَمْرُ لم يَقْتَضِ بعدَ الحسينِ بنِ عَلِيٍّ في أبنائه إلى تَامِ الأُمَّةِ،
 إلى الإمامِ المَهْدِيِّ المنتظر، وقَلْتُ على مَقَاتِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ نَبِيَّ أُمِّيَّةٍ وَنَبِيَّ الْعَبَّاسِ،
 وأَطَلْتُ حَكْمَ التَّحْتِجِ، وزِدْتُ في حَدِّ الخَمْرِ مَا لم يَكُنْ، وحرَمْتُ بَيْعَ أَهْوَائِ الأولادِ،
 وقلْتُ: برَأْيِي في الدِّينِ، وبرِثْتُ من شِيعَةِ أميرِ المؤمنين، وكُنْتُ مع هَوَى أَهْلِ الشَّامِ
 والقُوْغَاةِ القائمةِ بالهَرَوَانِ، وأَتَبَعْتُ خَطَأَ أَبِي مُوسَى، وأَدْخَلْتُ في القُرْآنِ مَا لم يَنْبَغِ
 أَبْنُ مَسْعُودَ، وشَرِكْتُ أَبْنَ مُلْجَمٍ وَأَسْعَدْتُهُ في صَلَاقِ قَطَامَ، وبرِثْتُ من حِجَّةِ
 هَمْدَانَ، ولم أَقُلْ بِاشْتِرَاطِ العِصْمَةِ في الإمامِ، ودَخَلْتُ مع أَهْلِ النِّصَبِ الظُّلَامِ .
 قلتُ: قد ذكر في "العرف" فِرْقَةَ الإمامية هذه من الشَّيْعَةِ الذين بهذه المملَكَةِ،
 ولم أعلم أبْنَ مَكَتَنَّهُمْ مِنْهَا .

الفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ (من الشَّيْعَةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ)

وهم القائلون بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَأَنَّ الأَمَامَةَ أَتَتْهُمُ إِلَيْهِ بعدَ
 أَبِيهِ دونِ أَخِيهِ مُوسَى الكَاطِمِ المَقْتَمِ ذَكَرُهُ في الكلامِ على فِرْقَةِ الإِمَامِيَّةِ . وهم

(١) الزيادة من "العرف" (ص ١٥٩) .

يوافقون الإمامية المتقدم ذكرهم في سوقي الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى جعفر الصادق، ثم يبدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الامام عند الإمامية إلى إسماعيل هذا، ثم يسوقونها في بيته، فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل - الذي تُنسب إليه هذه الفرقة - بالنص من أبيه. فمن قائل: إن أباه مات قبله، وانتقلت الإمامة إليه بموته. ومن قائل: إنه مات قبل أبيه. وفائدة النص تُبَيِّنُها في بيته بعده. ثم يقولون: إنها انتقلت من إسماعيل المذكور إلى ابنه محمد المكتوم، ثم إلى ابنه جعفر الصادق^(١)، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى ابنه عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، وهو جد الخلفاء الفاطميين بمصر، ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد: ثاني خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل: ثالث خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم محمد: أول خلفاء الفاطميين بمصر بعد قيامه ببلاد المغرب (وهو بابي القاهرة)؛ ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار: ثاني خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور: ثالث خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي: رابع خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم محمد: خامس خلفائهم بمصر.

ثم من هاهنا اقترعت الإسماعيلية إلى فرقتين: مستعلوية ويزارية.

فأما المستعلوية فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله المتقدم ذكره إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد: سادس خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الآمير

(١) كذا في الأصول ووقع في البر «الصادق».

بأحكام الله أبي علي المنصور : سابع خلفائهم بمصر؛ ثم إلى أبنه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم : ثامن خلفائهم بمصر؛ ثم إلى أبنه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل ، تاسع خلفائهم بمصر؛ ثم إلى أبنه القاهر بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر : عاشر خلفائهم بمصر؛ ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ : حادي عشر خلفائهم بمصر، وهو آخرهم حتى مات .

وأما التزارية فانهم يقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى أبنه زيار بالنص من أبيه دون أبنه المستعلي ؛ ويستدلون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح كان من تلاميذة أحمد بن غطاش صاحب قلعة أصفهان والموت، وكان شهيداً طلياً بالتأليم والتجريم والسحر ، فأنهم آبن غطاش بالدعوة للفاطمين خلفاء مصر، تخاف وهرب منه إلى مصر في خلافة المستنصر الملقب ذكوه ، فأكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته ، فقال له أبن الصباح : من الإمام بعدك ؟ فقال له : أبن زيار ، فبادر أبن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ودخل نراسان ، ومبر إلى ما وراء النهر ، وهو يدعو إلى إمامة المستنصر وأبنه زيار بعده . قال الشهرستاني في «التحصيل والملا» : وصعد قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة واستظهر وتمحصن .

ثم التزارية يزعمون أن زياراً المذكور خرج من الإسكندرية محملاً في بطن جارية ، هبة على قيسه ، وخاص بلاد الأعداء حتى صار إلى الموت . ورأيت في المغرب

(١) الصواب «ثم إلى الحافظ» وفي القرنين ج ١ ص ٣٥٧ «ومن بعده الحافظ ...» ... أبن الأمير أبي القاسم محمد ، ووقع في ج ٣ ص ٤٣١ من هذا المطبوع «ثم ول بعده أبن عمه الحافظ ...» ... عبد المجيد بن الأمر أبي القاسم محمد الخ» وفيه بعض الضعف فته .

لأبن سعيد أنه إنما صار من عقبيه من وصل إلى تلك البلاد ، وصارت الإمامة في يده هناك .

والمستعلوية ينكرون ذلك إنكاراً ، ويقولون : إنه قُتل بالإسكندرية : سار إليه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلي وحاصره بالإسكندرية ، ثم ظفر به وأتى به إلى المستعلي ، فبقي طيه حاطلين فأت ، ثم فر بعض بني زيار إلى بلاد المشارق وأقام بالمغرب ، والقائمون بها الآن من ولده ، وهو الذي تشهد به كتب التواريخ : كغريب ابن سعيد وغيره .

ثم الإسماعيلية في الجملة : من المستعلوية والتزارية يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الحامدية ، تبعاً لإمامهم إسماعيل المذكور ، فإنه كان يسمى صاحب الدعوة الحامدية .

قال في "التعريف" : وهم وإن أظهروا الإسلام وقالوا بقول الإمامية ، ثم خالفوهم في موسى الكاظم وقالوا : إن الإمامة لم تنصر إلا إلى أخيه إسماعيل ، فإنهم طائفة كافرة يعتقدون انتساح الحلول .

وذكر في "مسالك الأبصار" : أن ملخص معتقدهم التناضح . ثم قال : ولقد سألت المتقدم عليهم والمشار إليه فيهم : (وهو مبارك بن علوان) عن معتقدهم وجاذبته الحديث في ذلك مراراً ، فظهر لي منه أنهم يرون أن الأرواح مسجونة في هذه الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر على زعيمهم . فإذا انتقلت على الطاعة

(١) لعل الصواب «فرال الاسكترية» ليستقيم الكلام بعد وقد ذكر القريري خبره ج ١ ص ٤٢٢ على وجه الصحة فنه .

(٢) كذا بالأصل ولعل مراده بلاد مشارق أفريقيا كما ساق .

كانت قد تخلصت وانتقلت للأوار العلوية ، وإن أنتقلت على المصيان هوت
في الظلمات السفلية .

وذكر في "المبر" : أن منهم من يدعى ألوية الإمام بنوع الحلول ، ومنهم من
يدعى رجعة من مات من الأئمة بنوع التناخ والرجعة ، ومنهم من ينتظر محي من
يقطع بموته ، ومنهم من ينتظر عود الأمر إلى أهل البيت .

ثم المستعلوية والتزارية يتفقون في بعض المعتقدات ويختلفون في بعضها .

فأما ما يتفقون عليه من الاعتقاد ، فهم يتفقون على أنه لا بد من إمام معصوم :
ظاهر أو مستور . فالأئمة الظاهرون هم الذين يطهرون أنفسهم ويدعون الناس
إلى إمامتهم ، والمستورون هم الذين يستترون ويظهرون دعاتهم . وآخر الظاهرين
عندهم إسماعيل الذي يُنسبون إليه ، وأول المستورين أبته المكتوم . ومن معتقدهم
أن من مات ولم يعرف إمام زمانه أولم يكن في عقبه بيعة إمام ، مات ميتة جاهلية .
ويقولون : إن للأئمة أدواراً في كل دور منها سبعة أئمة : ظاهرين أو مستورين .
فإن كان أهل النور ظاهرين يسمى ذلك الدور الكشف ، وإن كانوا
مستورين يسمى دور الستر . ويقولون بوجوب موالاة أهل البيت ، ويتبرؤون ممن
خالفهم ، وينسبونهم إلى الأخذ بالباطل ، والوقوف في الضلال ، لاسيما التواصب ،
وهم الطائفة المعروفة بالناصبية أتباع^(١) ، ويرمونهم بالعظائم ، وينسبونهم إلى
اعتدال الحال والأخذ به . ومن خرج عنهم عن القول بانتقال الإمامة بعد الحسن

السُّبُط عليه السلام ، ثم أخيه الحسين ، ثم في أئمتهم المتقدم ذكرهم ، إلى إمامهم إسماعيل الذي يُنسبون إليه بالنَّصِّ الجَلِيِّ ، فقد حادَّ عن الحقِّ . وهم يعظمون ويستعظمون القَدَحَ فيه ، وأن من وقع في ذلك فقد ارتكب خطأً كبيراً .

ولمادة الأئمة المستورين عندهم من المَكَاثِبِ وعلوِّ الرُّتَبَةِ الرَّبِّيةِ العُظْمَى ، لا سيما الداعي القائمُ بذلك أولاً : وهو الداعي إلى محمد المَكْتومِ أوَّلِ أئمتهم المستورين على ما هتَمَّ ذكره ، فإن له من الرُّتَبَةِ عندهم فوق ما لغيره من الدعاة القائمين بعده .

ومما أشتهر من أمرِ الدعاة لأئمتهم المستورين أنه كان ممن يُنسَبُ إلى التشيع رجلٌ اسمه رمضان ، ويقال : أنه صاحب كتاب «الميزان» في نُصرة الزندقة ، فولد له ولدٌ يقال له : تيمونٌ ، نشأ على أهبة في التشيع والعلم بأسرار الدعاة لأهل البيت ، ثم نشأ ليُمونٌ ولدٌ يقال له : عبدالله ، وكان يعالج الميُونِ وَيَقْدَحُهَا ، فَسُمِّيَ الْقَدَّاحَ ، وَأُطْلِعَ عَلَى أسرار الدَّعوة من أبيه ، وصار من نواصي كَرْخٍ وَأَصْجَانٍ إلى الأهواز والبصرة وسلمية من أرض الشام يدعو النَّاسَ إلى أهل البيت ، ثم مات ونشأ له ولدٌ يسمى أحمد فقام مقام أبيه عبد الله القَدَّاحِ في الدَّعوة ، وصحبه رجلٌ يقال له رستم ابن الحسين بن حوشب النُّجَّارِ من أهل الكوفة ، فأرسله أحمد إلى اليمن ، فدعا الشيعة باليمن إلى عبده المهدى فأجابوه ، وكان أبو عبد الله الشيعي من أهل صنعاء من اليمن ، وقيل من أهل الكوفة ، يَصْحَبُ ابْنَ حَوْشَبٍ ، فَحَظِيَ عنده وبهته إلى المغرب . ومن نسب أحداً من هذه الدعاة إلى ارتكابِ عَظُوبٍ أو احتِجابٍ إثمٌ فقد ضلَّ وخرج عن جادة الصواب عندهم . وپرَوْنَ تَحْطِئَةً من مَالاً على الإمام جُيد الله المهدى : أوَّلِ أئمتهم القائمين ببلاد القُربِ على ما هتَمَّ ، وأرتكابه المحظورَ وصلاته عن

طريق الحق؛ وكذلك من خذل الناس عن اتباع القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي
ثاني خلفائهم ببلاد المغرب، أو تقض الدولة على الميزلدين الله: أول خلفائهم
بمصر؛ ويرون ذلك من أعظم العظام، وأكبر الكائر.

ومن أعيادهم العظيمة الخطير عندهم يوم غدیر خم (فتح القين المعجزة وكسر
البدل المهمل وسكون المثانة تحت وراء مهمل في الآخر، ثم خاء معجزة مضمومة
بعدها نيم): وهو غصية بين مكة والمدينة على ثلاثة أيام من الجمعة. وسبب جعلهم
له عيداً أنهم يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعلي
رضي الله عنه: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وطد
من طداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدير الحق معه حيث دار» على
ما تقدم نحوه في الكلام على تعيين الإمامية.

وقد كان خلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد أهتافاً عظيماً، ويكتبون بالإشارة به
إلى أعمالهم، كما يكتبون بالإشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما. ويعتقدون
في أيمانهم أنهم يعلمون ما يكون من الأمور الحادثة.

وقد ذكر المؤرخون عن عبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين بمصر أنه
حين بنى المهديّة بمشارك أفريقية من بلاد المغرب طلع على سورها ورعى بسهم
وقال إلى حد هذه الرمية يتنهي صاحب الحمار، فخرج بالمغرب خارجي يعرف بأبي
يزيد صاحب الحمار، وقصد المهديّة حتى انتهى إلى حد تلك الرمية؛ فرجع ولم
يصل المهديّة.

وكان الحاكم بأمر الله أحد خلفاء مصر من عقب المهدي المذكور يدعى علم
الغيب على المنبر بالجامع المعروف به على القرب من باب الفتوح بالقاهرة، فكتبوا
له بطاقة فيها:

بالظلم والجور قد رَضِينَا * وليس بالكُفْر والحقاقه

إِنْ كُنْتَ أُوتِيتَ حِلْمٌ غِيب * يَنْ لَنَا كَاتِبَ الْبِطَاقَه

فَتَرَكْ مَا كَانَ يَقُولُهُ وَلَمْ يَحْدِ إِلَيْهِ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْصِتُونَ﴾ .

وهم يقتلحون في عيَاشِ بْنِ أَبِي الْقُتُوحِ الصَّنَهَاجِيِّ وَزَيْرِ الطَّافِرِ : أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الْفَاعِلِيَّيْنِ بِمِصْرَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ حَسَنُ الصُّورَةِ اسْمُهُ نَصْرٌ ، فَاحْبَبَهُ الطَّافِرُ الْمَذْكُورُ حَتَّى كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ لَيْلًا إِلَى بَيْتِهِ ، فَرَفَعَ عِيَاشُ الطَّافِرَ بِأَيْتِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَدْبِجَهُ فَاسْتَدْبَاهُ ، فَاتَى إِلَيْهِ لَيْلَةً عَلَى الْعَادَةِ ، فَاجْتَمَعَ عِيَاشُ بْنُ السَّلَارِ هُوَ وَأَبْنُهُ نَصْرٌ عَلَى الطَّافِرِ وَقَتْلَاهُ ، وَهَرَبَا إِلَى الشَّامِ ، فَاسْرَهَمَا الْفَرَجُ ، ثُمَّ قَتَلَى أَبْنَهُ وَصَلَبَ عَلَى بَابِ زُوَيْلَةَ .

وهم يقتلحون في عيَاشِ الْمَذْكُورِ وَبِزَمُونَهُ بِالنِّفَاقِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي حَقِّ الطَّافِرِ مِنْ زَمِيهِ بِأَبْنِهِ وَقَتْلِهِ لِإِيَّاهُ .

قُلْتُ : وَعِيَاشُ هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي صُورَةِ بَيْنِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِأَبْنِ السَّلَارِ . وَهُوَ وَهْمٌ مِنْهُ ، لِإِذْ لَيْسَ عِيَاشُ بِأَبْنِ السَّلَارِ ، وَإِنَّمَا أَبْنُ السَّلَارِ هُوَ زَوْجُ أُمِّ عِيَاشِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ قَدْ وَزَّرَ لِلطَّافِرِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ رَيْبِهِ عِيَاشٌ وَتَلَقَّبَ بِالْعَادِلِ ، وَأَسْتَوْتَنِي عَلَى الْأَمْرِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِلطَّافِرِ مَعَهُ كَلَامٌ ، ثُمَّ دَسَّ عَلَيْهِ رَيْبَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَسْوَاطِ بِالنَّاتَةِ التَّحِيَّةِ وَالشَّيْبِ الْمَجْمُوعَةِ وَوَقَعَ فِي أَبْنِ الْأَمِيرِ وَالْمَقْرُوزِيِّ بِالْمُسَوْدَةِ وَالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ .

(٢) سَيَأْتِي بِدَأْسِ التَّحِيَّةِ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ .

(٣) عِبَارَةُ أَبْنِ الْأَمِيرِ (ج ١١ ص ٧٩) بِاخْتِصَارٍ : قَتَلَ عِيَاشُ الْفَرَجِ وَأَمْرًا بِأَبْنِهِ ثُمَّ عَادَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ طَالِبًا مِنْ رِزْقِكَ مِنْهُمْ وَطَعَهُ عَلَى بَابِ زُوَيْلَةَ .

عَاشَ مَنْ قَتَلَهُ ، وَوُزِّرَ لِلظَّالِمِ بَعْدَهُ . فابنُ السَّلاَهِ هو العادلُ وَزِيرُ الظَّالِمِ أَوَّلًا
لَا عَاشَ رَبُّهُ .

ومن أكبر الكبار عندهم وأعظم العظام أن يُرَى أَحَدٌ من آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم لا سَمِيًّا الْأَيْمَةَ بِكِبَرِهِ ، أَوْ بِنَسَبِهَا [أَحَدٌ] إِلَيْهِمْ ، أَوْ يُوَالِيَهُمْ عَدُوًّا
أَوْ يُعَادِيَهُ وَلِيًّا .



وأما ما ينص به المُستَعْلَوِيَّة ، فانهم يُذَكِّرُونَ إِمَامَةَ نِزَارِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُقْتَمِرِ ذِكْرَهُ ،
وَيَكْذِبُونَ التَّزَارِيَّةَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنْ نِزَارًا خَرَجَ حَمَلًا فِي بَطْنِ جَارِيَةٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ
الْقُرَيْشِ . ويقولون : إِنَّهُ مَاتَ بِالإِسْكَندَرِيَّةِ مَيِّتَةً ظَاهِرَةً . ويقولون : إِنَّهُ نَازَعَ
الْحَقَّ أَهْلَهُ وَجَانِبَ (١) مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْحَقَّ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ كَانَ لِإِمَامِهِمْ
الْمُسْتَعْلِيِّ بَاقَهُ فَأَدَّاهُ لِنَفْسِهِ . ويقولون : إِنَّ شَيْعَتَهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَمُوَافَقَتَهُمْ
فِي اعْتِقَادِهِمْ إِمَامَتَهُ خَطَأً . وَيُرَوْنَ مِنَ الضَّلَالِ أَتْبَاعَ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ دَاخِيَةَ نِزَارِ
وَالنَّاقِلِ عَنْ الْمُسْتَنْصِرِ النَّصَّ عَلَى إِمَامَتِهِ ، وَيُرَوْنَ الْكَوْنَ فِي جُمْلَةِ التَّزَارِيَّةِ مِنْ أَهْلِ
الْأَصْلَالِ ، لَا سَمِيًّا مَنْ كَانَ فِيهِمْ أَنْزَارُ أَوَارِ الْأَيْمَةِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ دَوْرٍ سَبْعَةُ أَيْمَةٍ ،
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ عَلَى أَصْلِ مَعْتَقِدِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ .

ثم هم يعظمون راشد الدين سنان : وهو رجلٌ كان يَفْلَحُ النَّصْرَةَ بِأَعْمَالِ طَرَبِائِسَ
مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَتَتْهُ
رِيَاسَتُهُمْ إِلَيْهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَكَانَ رَجُلًا صَاحِبَ سِيْمَا ، فَأَرَأَيْتُمْ بِهَا
مَا أَضَلَّ بِهِ عُقُولَهُمْ : مَنْ تَحْمِيلِ أَشْخَاصٍ مَن مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَةِ أَيْمَتِهِمْ فِي جَنَاتِ
النَّعِيمِ ، وَأَشْخَاصٍ مَن مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى عَصِيَانِ أَيْمَتِهِمْ فِي النَّارِ وَالْجَحِيمِ ؛ فَتَبَّتْ ذَلِكَ

(١) يباين بالأصول وله : الخلافة ونها ، كاسياتي قلا من الصريف .

عنهم واعتقدوه حقاً . ومن قدح في ذلك فقد دَخَلَ في أَهْلِ الضلال . وَيَقْدَحُونَ في آيِن السَّلاَرِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرَهُ وَيَسْفَهُونَ^(١) رَأْيَهُ فَمَا كَانَ مِنْهُ : مِنْ إِزَالَةِ الْخُطْبَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ وَحِطِّ رَأْيَتِهِمُ الْمُصَفَّرَاءِ وَالْخُطْبَةِ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ وَرَفْعِ رَأْيَتِهِمُ السُّودَاءِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْقَعْلَةِ الَّتِي أَسْتَوَلُوا بِهَا عَلَى قَصْرِ الْفَاطِمِيِّينَ وَفِيهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ .



وَأَمَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ التَّارِيخُ ، فَانْهَم يَقُولُونَ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى زِيَارٍ بَعْدَ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَإِنْ مَنْ يَحْمَدُ إِمَامَتَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَمَلًا فِي بَطْنِ أُمَةٍ وَخَاضَ بِلَادَ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ هُمُ الْمُسْتَعْلَوَةُ بِمَهْرٍ حَقٍّ صَارَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْأَمْرَ يَنْصِيرُ الصُّورَةَ بِمَعْنَى ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ الطُّغْنَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرَهُ فَمَا قَهْلَهُ عَنِ الْمُسْتَنْصِرِ مِنْ قَوْلِهِ : الْإِمَامَةُ بَعْدِي فِي وَلَدِي زِيَارٍ مِنْ أَكْظَمِ الْأَتَامِ ، وَيَعْظُمُونَ مَلَاءَ الدِّينِ صَاحِبَ قَلْعَةِ الْمَوْتِ ، وَهِيَ قَلْعَةٌ بِالطَّالِقَانِ بَنَاهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ شَاهِ السُّلْجُوقِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرْسَلَ عِقَابًا فَبَزَّزَ فِي مَكَانِهَا ؛ فَلَمَّا وَافَى مَكَانَهَا بَخَى فِيهِ هَذِهِ الْقَلْعَةَ وَسَمَّاهَا الْمَوْتِ ، وَمَعْنَاهُ تَعْلِيمُ الْعِقَابِ .

وَعَلَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ آيِن جَلَالُ الدِّينِ الْحَسَنِ الْمَلَقَّبُ بِالْكَيَا ، وَهُوَ مِنْ عَقَبِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ أَظْهَرَ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِالْحَجِّمِ وَالشَّامِ فَأُقِيمَتْ فِيهَا ، ثُمَّ تَوَفَّى بِقَلْعَةِ الْمَوْتِ الْمَذْكُورَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَاسْتَوَلَى أَبْنُوهُ عَلَاءُ الدِّينِ هَذَا عَلَى قَلْعَةِ

(١) لعل الصواب « ويسفهنون رأى صلاح المير يوسف بن أيوب » فانه هو الذى عمل ذلك العمل كما يشير إلى ذلك في الميرين الآتى والا فآيِن السلاَرِ محل في زمن الطاهر .

ألموت المذكورة، وخالف رأى أبيه المذكور إلى منهج التّزاريّة، وصار رأساً من رؤوسهم، والتّبرّى منه عنهم من أشدّ الخُطأ .

وأعلم أنّ أصل هذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ، نسبة إلى رجلٍ منهم اسمه قرمط، خرج فيهم وأدعى النبوة وأنه أنزل عليه كتابٌ؛ ثم ظهروا بالمشرق "بأصهان" : في أيام السلطان ملكشاه السّجوقيّ، واشتهروا هناك بالباطنية : لأنهم يُطعنون خلاف ما يُظهرون ، وبالملاحدة : لأنّ منهم كلّ الحادّ؛ ثم صاروا إلى الشام، ونزلوا فيها حول طرابلس، وأظهروا دعوتهم هناك، واليهم تُنسب قلاعُ الإسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة، فيما حول طرابلس، كصيف، وانخوابي، والقندوس، وغيرها .

ولما اقتربوا إلى مُستملوية وزيارية كما تقدّم، أخذ من منهم ببلاد المشرق بمنهج التّزاريّة، عملاً بدعوة ابن الصباح المقدم ذكره، وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية بمنهج المُستملوية، وصاروا شيعّة لمن بعد المُستمل من خُلفاء الفاطميين بمصر، واشتهروا باسم الفداوية، ووثبوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالشام مرّاتٍ وهو راكبٌ ليقْتُلوه فلم يَمُكِّنُوا منه . ثم صالحهم بعد ذلك على قلاعهم بأعمال طرابلس في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة؛ ثم اتّفقوا إلى ملوك مصر في أيام الظاهر بيبرس، واشتهروا باسم الفداوية لمفاداتهم بالمال على من يقتلونه .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" قلاً عن مقدّمهم : مُبارك بن علوان : أن كلّ من ملك مصر كان مظهرًا لهم . ولأنك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته : لما يقتلون إليه من النعيم الأكبر في زعمهم . ورأيت نحو ذلك في "أساس السياسة" لابن ظفار؛ وذكر أنّهم يرون أن ملوك مصر كالنواب لأئمّتهم : لقيامهم مقامهم .

أما أَيْمَانُهُمُ الَّتِي يُحْلِفُونَ بِهَا فَقَدْ قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" جَرَاءً عَلَى مُعْتَقَدِهِمُ الْمُتَقَدِّمِ :
 إِنَّ الْيَمِينَ الْجَامِعَةَ لَمْ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي وَأَقَرُّهُ وَأَقَرُّهُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، الْقَرْدُ الصَّغِيرُ ،
 الْقَادِرُ الْقَاهِرُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَحَقُّ أَيْمَةِ الْحَقِّ ، وَهَذِهِ الْأَقْلُ ، عَلَى وَبَيْهِ أَيْمَةُ
 الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ ، وَالْأَبْرَثُ مِنْ صَحِيحِ الْوَلَاءِ ، وَصَدَقْتُ أَهْلَ الْأَبَاطِيلِ ، وَقُتُّ
 مَعَ فِرْقَةِ الضَّلَالِ ، وَاتَّصَبْتُ مَعَ التَّوَاصِبِ فِي تَهْرِيرِ الْحَالِ ، وَلَمْ أَقُلْ بِإِنْتِقَالِ الْإِمَامَةِ
 إِلَى السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ إِلَى بَيْنِهِ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ ، مَوْصُولَةً إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، ثُمَّ إِلَى
 ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ السُّعْوَةِ الْمَادِيَةِ ، وَالْآثَرَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَإِلَّا فَدَخَلْتُ فِي الْقَدْحِ ،
 وَأَتَمَمْتُ الدَّاعِيَ الْأَوَّلَ ، وَسَعَيْتُ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَمَالَأْتُ عَلَى السَّيِّدِ
 الْمُهَدَّى ، وَخَذَلْتُ النَّاسَ عَنِ الْقِسَامِ ، وَقَضَيْتُ الدَّوْلَةَ عَلَى الْمُعِزِّ ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ يَوْمَ
 قَدِيرُكُمْ لَا يُمَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، وَقُلْتُ : أَنْ لَا يَلِمَ لِلْأَيْمَةِ بِمَا يَكُونُ ، وَخَالَفْتُ مَنْ أَدْعَى
 لِمِ الْعِلْمِ بِالْحَدِثَانِ ، وَرَبَّيْتُ آلَ بَيْتِ عَجْدٍ بِالْعِظَامِ ، وَقُلْتُ فِيهِمْ بِالْكَبَارِ ، وَوَالَيْتُ
 أَعْدَاءَهُمْ ، وَطَدَيْتُ أَوْلِيَاءَهُمْ .

قَالَ : ثُمَّ مِنْ هُنَا تُرَادُّ التَّنَارِيَّةُ : وَإِلَّا فَجَدَدْتُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَى نِزَارٍ ،
 وَأَنَّهُ أَتَى حَمَلًا فِي بَطْنٍ جَارِيَةٍ نَخَوَفُهُ خَوْضُ بِلَادِ الْأَعْدَاءِ ، وَأَنْفِ الْأَنْسَمِ لَمْ يُغَيَّرِ
 الصُّورَةَ . وَإِلَّا طَعَنْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، وَبَرَّيْتُ مِنَ الْمَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ
 صَاحِبِ الْأَلْمُوتِ ، وَمِنْ نَاصِرِ الدِّينِ سَكَايَ الْمُقَبِّ بِرَأْسِهِ الدِّينِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ
 الْمُتَحِدِينَ ، وَقُلْتُ : إِنَّ مَارَوْهَ كَانَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَدَخَلْتُ فِي أَهْلِ الْفِرْيَةِ
 وَالْأَضْيَالِ .

قَالَ : وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ الْمُنْكَرِينَ لِإِمَامَةِ نِزَارٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَوْضُ
 هَذَا : وَإِلَّا قُلْتُ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى نِزَارٍ ، وَصَدَقْتُ الْقَائِلِينَ أَنَّهُ نَجَحَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ

جارية، وأُتِركت مِيتته الظاهرة بالإسكندرية، وأُدْعِيَتْ أَنَّهُ لَمْ يُنَازِعِ الْحَقُّ أَهْلَهُ،
وَيُجَادِبُ الْخِلَافَةَ رَجُلًا، وَوَأَقْبَتُ شِيعَتَهُ، وَتَبِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ صَبَّاحٍ، وَكُنْتُ
فِي التَّرَارِيَةِ آخِرَ الْأَدْوَارِ.

قال : ثم يجمعهم آخِرَ الْيَمِينِ أَنْ يُقَالَ : وَإِلَّا قُلْتُ مَقَالَهَ ابْنِ السَّلَارِ فِي التَّفَاقُ
وَسَدَدْتُ رَأْيَ ابْنِ أَيُّوبَ، وَأَلْقَيْتُ بِيَدِي الرِّايَةَ الصُّفْرَاءَ، وَرَفَعْتُ السُّودَاءَ، وَفَعَلْتُ
فِي أَهْلِ الْقَصْرِ تِلْكَ الْفِعَالِ، وَتَحَلَّيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْحَالِ.

قُلْتُ : مَا ذَكَرَهُ فِي «التعريف» فَمَا تَزَادُهُ التَّرَارِيَةُ : «وَمِنْ نَاصِرِ الدِّينِ سِتَانِ
الْمَلَقَبِ بِرَاشِدِ الدِّينِ» وَهُمْ : فَإِنَّ سِتَانًا الْمَذْكُورَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ إِسْمَاعِيلِيَةِ الشَّامِ الَّذِينَ
هُمْ شِيعَةُ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ لَامِنْ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ التَّرَارِيَةِ الَّذِينَ هُمْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ، عَلَى مَا هَتَمْتُ
بِإِسَانِهِ. فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُحَقِّقَ ذَلِكَ يَمِينٍ مَنْ سَوَاهُمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ الَّذِينَ هُمْ
الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ آخِرُ الْيَمِينِ أَنْ يُقَالَ : «وَإِلَّا قُلْتُ مَقَالَهَ
ابْنِ السَّلَارِ فِي التَّفَاقُ، وَسَدَدْتُ رَأْيَ ابْنِ أَيُّوبَ» إِلَى آخِرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُخْتَصُّ
بِالْمُسْتَعْلَوِيَّةِ، لِأَنَّ ابْنَ السَّلَارِ كَانَ وَزِيرَ الظَّافَرِ كَمَا هَتَمْتُ، وَالظَّافَرُ مِنْ جُمْلَةِ الْخُلَفَاءِ
الْقَائِمِينَ بِمِصْرَ بَعْدَ الْمُسْتَعْلِيِّ، الَّذِينَ خَالَفَتِ التَّرَارِيَةُ فِي إِمَامَتِهِمْ. وَكَذَلِكَ قِصَّةُ ابْنِ
أَيُّوبَ إِنَّمَا كَانَتْ مَعَ الْعَاضِدِ آخِرِ خُلَفَائِهِمْ بِمِصْرَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُخْتَصٌّ بِإِسْمَاعِيلِيَةِ الشَّامِ
الَّذِينَ هُمْ شِيعَةُ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ دُونَ التَّرَارِيَةِ، وَحِينَئِذٍ فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَقْتَصِرَ فِي زِيَادَةِ
يَمِينِ التَّرَارِيَةِ عَلَى آخِرِهِ «وَبَرَّثْتُ مِنَ الْمَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ صَاحِبِ الْمَوْتِ» وَبَرَّثَ فِي يَمِينِ
مَنْ سَوَاهُمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ آخِرَ الْأَدْوَارِ : «وَإِلَّا بَرَّثْتُ مِنْ نَاصِرِ الدِّينِ
سِتَانِ الْمَلَقَبِ بِرَاشِدِ الدِّينِ، وَكُنْتُ أَوَّلَ الْمُتَسِدِّينَ، وَقُلْتُ : إِنَّ مَارَاهُ كَانَ مِنْ
الْأَبَاطِيلِ، وَدَخَلْتُ فِي أَهْلِ الْفِرْيَةِ وَالْأَضَالِيلِ» ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : «وَإِلَّا قُلْتُ

مقالة ابن السلافي الضاق ، وسدّدت رأى ابن أيوب ، وألقيت يدي الرأي
الصّبراء ، ورقت السوداء ، وفعلت في أهل القصر تلك الفعّال ، وتمحلت مثل
ذلك الحال .

الفِرقة الرابعة (من الشيعة النُزيرية)

قال في " التعريف " : وهم أتباعُ أبي محمد النُزري . قال في " التعريف " :
وكان من أهل مولاة الحاكم أبي عليّ المنصور بن العزيز خليفه مصر . قال : وكانوا
أولاً من الإسماعيلية ، ثم نرحوا عن كلّ ما تحمّلوه ، وهدموا كلّ ما أثّلوه ، وهم
يقولون برجعة الحاكم ، وأن الألوهية انتهت إليه وتديرت بأسوته ، وهو يتّيبُ
ويظهر بهيته ويقتل أعداءه قتل إبادة لا معاد بعده ، بل ينكرون المعاد من حيث
هو ، ويقولون تحوّل الطبايعية : إن الطبايع هي المولّنة ، والموت بقاء الحرارة
الغريزية ، كأطفاء السراج بقاء الزيت إلا من أعطي ، ويقولون : دهر دائم ،
وعالم قائم ، أرحام تدفع ، وأرض تبتلع ، بعد أن ذكر أنهم يستبشرون فروج المحارم
وسائر الفروج المحرّمة ، وأنهم أشدّ كفراً ونفاقاً من النصيرية الآتية ذكرهم ، وأبعد
من كلّ خير وأقرب إلى كلّ شر .

ثم قال : وأصل هذه الطائفة هم الذين زادوا في التّسليم أيام الحاكم ،
فكتبوا : باسم الحاكم الله الرحمن الرحيم ، فلما أنكر عليهم كتبوا : باسم الله الحاكم
الرحمن الرحيم ، فجعلوا في الأول الله صفةً للحاكم ، وفي الثاني الكس . وذكر أن منهم
أهل كسروان ومن جاورهم . ثم قال : وكان شيخنا ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى

أَنَّ قِتَالَهُمْ وَقِتَالُ النَّصِيرِيَّةِ أَوَّلَى مِنْ قِتَالِ الْأَرَمَنِ : لِأَنَّهُمْ عُلُوٌّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَشَرُّ بَقَائِهِمْ أَضَرُّ .

وقد رتب على هذا المعتقد إيمانهم في "التعريف" فقال : وهؤلاء إيمانهم .
إِنِّي وَاللَّهِ وَحَقَّ الْحَاكِمُ ، وَمَا أَعْتَقِدُهُ فِي مَوْلَايَ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ
الدَّرِزِّيُّ الْجَمَّةُ الْوَاحِشُ ، وَرَأَى الدَّرِزِّيُّ مِثْلَ الشَّمْسِ اللَّائِحَةِ ؛ وَإِلَّا قُلْتُ : إِنَّ مَوْلَايَ
الْحَاكِمَ مَاتَ وَبَلَى ، وَتَهَوَّزَتْ أَوْصَالُهُ وَفَنِيَ ؛ وَأَعْتَقَدْتُ تَبْدِيلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،
وَعَوْدَ الرِّمِّ بَعْدَ الْقِتَاءِ ؛ وَتِمْتُ كُلَّ جَاهِلٍ ، وَحَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي مَا يُبَيِّحُ لِي ، وَعَمِلْتُ
بِيَدِي عَلَى مَا فِيهِ فَسَادٌ بِدَنِي ، وَكَفَرْتُ بِالْبَيْعَةِ الْمَاخُودَةِ ، وَأَقْبَيْتُهَا وَرَأَيْتُ مِنْبُودَهُ .

الفرقة الخامسة

(من الشيعة النصيرية بضم النون وقبح الصناد الممهلة)

قال في "إرشاد القاصد" : وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وهم يدعون الألوهية على رضي الله عنه مغالاة فيه . قال الشهرستاني :
[ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويتوكلون عن أصحاب مقالاتهم] ^(١) قال : وبينهم خلاف ^(٢)
في كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة [من أهل البيت] واختلافهم راجع

(١) الزيادة من «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٩ .

(٢) يباين في الأصول مقدار ثلاثة أسطر .

ويزعمون أن مسكن على السحاب ، وإذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق صفحه ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ؛ ويقولون : إن سلمان الفارسي رسولهُ ، وإن كشف الجباب عما يقوله من أي كتاب خبر إذن ضلالٌ ، ويحبون ابن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يلعنه .

قال في "التعريف" : ولم خطابٌ بينهم ، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضرب عقه . قال : وقد جرب هذا كثيرا ، وهم ينكرون إنكاره .

قال في "إرشاد القاصد" : وهم يخفون مقاتلهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق ، وأن مقاتلهم مقالة أهل الصِّحِّيق ، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

قال في "التعريف" : ولم [اعتقاد] في تعظيم الخمر ، ويرون أنها من النور . ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها . ويزعمون أن الصديق وأmir المؤمنين عمر وأmir المؤمنين عثمان رضى الله عنهم تعلوا عليه ومنعه حقه من الخلافة ؛ كما تعدى قابيل بن آدم عليه السلام على أخيه هابيل ، وكما تعدى الثرود على الخليل عليه السلام ، وكما يقوم كل فرعون من الفراعنة على نبي من الأنبياء عليهم السلام .

قال في "التعريف" : زوى طائفة ملعونة مرثولة بجوسية المعتد ؛ لا يُحرم البناء ولا الأخوات ولا الأمهات . قال : ويحكى عنهم في هذا خبايات .

وقد رتب في "التعريف" حلقهم على مقتضى هذا المعتد ، فقال : وأيمائهم : إني وحق العلى الأعلى ، وما اعتقده في المظهر الأسنى ؛ وحق النور وما تشأ منه ،

وَالسَّحَابِ وَمَا كَيْتِه . وَالْأَرِثْتُ مِنْ مَوْلَايَ عَلَى الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْلَايَ لَهُ ، وَمُظَاهِرِ
الْحَقِّ ، وَكَشَفْتُ حِجَابَ سَائِلَانِ بَغِيرِ إِذْنِ ، وَبَرِثْتُ مِنْ دَعْوَةِ الْجَمَّةِ نُصَيْرٍ ، وَخُضْتُ
مَعَ الْخَائِضِينَ فِي لَعْنَةِ ابْنِ مُلْجَمٍ ، وَكَفَرْتُ بِالْخَطَايَا ، وَأَذَعْتُ السَّرَّ الْمُصُونِ ،
وَأَنْكَرْتُ دَعْوَى أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، وَإِلَّا قَلَمْتُ أَصْلَ شَجَرَةِ النَّبِ مِنَ الْأَرْضِ بِيَدِي
حَتَّى أَجْتَثَّ أَصُولُهَا وَأَمْنَعَ سَبِيلَهَا ، وَكُنْتُ مَعَ قَائِلٍ عَلَى هَابِيسَ ، وَمَعَ التَّارُودِ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَهَكُنَا مَعَ كُلِّ فِرْعَوْنَ قَامَ عَلَى صَاحِبِهِ ، إِلَى أَنْ أَلْقَى الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ وَهُوَ
عَلَى سَاحِطٍ ، وَأَبْرَأُ مِنْ قَوْلِ قَبْرِ ، وَأَقُولُ : إِنَّهُ بَالِنَارِ مَا تَطْهَرُ .

الطائفة الثالثة

(من أهل البدع القدرية)

وهم القائلون بأن لا قَدْرَ سَابِقٍ ، وَأَنْ الْأَمْرَ أُنْفُ : بِمَعْنَى مُسْتَنَاقًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا
مِمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْقَدَرِيَّةُ بِجَوْشِ هَذِهِ الْأُمَّةِ » قَلَّبُوا الدَّلِيلَ
وَقَالُوا بِمُوجِبِ الْحَدِيثِ ، وَقَالُوا : الْقَدَرِيَّةُ أَسْمٌ لِمَنْ يَقُولُ بِسَبْقِ الْقَدْرِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِمُ
أَسْمُ الْمُعْتَرِلةِ بِوَاسِطَةِ أَنْ وَاصِلَ بْنِ عَطَاءٍ أَحَدِ أَتَمِّهِمْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ
فَاغْتَرَلَهُ بِمَسْأَلَةٍ خَالَفَهُ فِيهَا . وَهُمْ يُسَمُّونَ أَتَمَّهُمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ [وَأَهْلَ الْمَثَلِ] وَيَسْتَوْنُ
بِالتَّوْحِيدِ تَحْقِيقَ الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى : كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ ، وَأَنَّهُ
تَعَالَى حَتَّى بَدَنَاتِهِ ، [طَلَمَ بَدَنَاتِهِ] مُرِيدٌ بَدَنَاتِهِ ، قَادِرٌ بَدَنَاتِهِ ، لَا بِحَيَاةٍ وَعِلْمٍ وَإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ ؛
وَيَسْتَوْنُ بِالْمَثَلِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ بِفِعْلِهِ الطَّاعَةِ
وَالْعِصْيَانِ ، بِإِعتَابِ أَنَّهُ الْخَالِقُ لِأَعْمَالِ نَفْسِهِ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى ، تَقَرُّبًا لَهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ
يُضَافَ إِلَيْهِ خَلْقُ الشَّيْءِ : مِنْ كُفْرٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ هُوَ الْخَالِقُ لِأَعْمَالِ نَفْسِهِ
لِلْمُوجِبِ لَهَا فَلَيْسَ قَدْرٌ سَابِقٌ .

ولم أئمة كثيرة، لهم مصنفات في الأصول والفروع : منهم وأصل بن عطاء ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النخاس ، وإشهر بن المتمر ، ومعمّر بن عباد ، وأبو عثمان الجليظ ، [وأبو عليّ الجبائي^(١) وابنه أبو هاشم ، وغيرهم . وعندهم أنه لا قدر مابق بل الأمر أئمة ، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشية ، وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما هدم .

وممن علّت رتبته فيهم الجعد بن درهم ، أجمع على مروان بن محمد أتى خلقه بنى أمية ، وأخذ عنه مروان مذهب في القول بالقدّر وخلق القرآن ، وعلّت رتبته عنده ، وبه سمي مروان المذكور الجعدي . وكانت له واقعة مع هشام بن عبد الملك ابن مروان . ويستعظمون الإيمان بالقدّر : خير وشّر ، ويتبرعون منه ، ويتكرون القول بأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . ويقولون : إذا كان أمر مفروغ منه فقيم يسدّد الإنسان ويقارب ؟ . ويطعنون في رواة حديث : « أعملوا فكل ميسرًا خالق له » . ويتأولون قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَنَبِإٌ لِّمَن لَّيَّ حَكِيمٌ ﴾ . ويستعظمون البراءة من اعتقادهم ، ولقاء الله تعالى على القول بأن الأمر غير أئمة .

وقد رتب في "التعريف" آيائهم على هذا المعتقد ، فقال :

وَيَمُنُّونَ : بالله واثقه والله العظيم ذى الأمر الأئمة ، خالق الأفعال والمشية .
والأقلت : بأن العبد غير مكتسب ، وأن الجعد بن درهم محقّب ، وقلت :
إن هشام بن عبد الملك أصاب تمامًا منه ، وإن مروان بن محمد كان ضالًا في أتباعه ، وآمنت بالقدّر خيره وشّره ، وقلت : إن ما أصابني لم يكن ليخطئني

وما أخطأني لم يكن ليصينى ، ولم أفل : إنه إذا كان أمرٌ قد فرغ منه فقيم أسد وأقارب ، ولم أظن في رواية حليث « أعملوا فكل ميسر لما خلق له » ولم أتأول معنى قوله تعالى : (وَآتَاهُ فِي أُمِّ الْكَذِبِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ) . ويرى مما اعتقد ، ولقيت الله وأنا أقول : إن الأمر غير أنف . وبالله التوفيق والعصمة .

المهيع الثاني

(في الأيمان التي يخلق بها أهل الكفر ممن قد يحتاج إلى تحليفه ،
وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء عليهم السلام ،
وهم أصحاب ثلاث ملل)

الملّة الأولى

(اليهود)

وأشتقاقها من قولهم : هَادَ إِذَا رَجَعَ . ولزمها هذا الاسم من قول موسى عليه السلام : (إِنَّا هَدَنَّا إِلَيْكَ) أى رجعنا ونصرنا . ومشتقها اليهود المتمسكون بشريعة موسى عليه السلام . قال السلطان عماد الدين صاحب حمة في تاريخه : وهم أعم من بني إسرائيل : لأن كثيرا من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل . وكتابهم الذي يتسكون به « التوراة » وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام .

قال أبو جعفر النحاس، في "صناعة الكتاب": وهي مشتقة من قولهم: وَرَتْ نَارِي وَوَرَيْتْ، وأوريتها إذا استخرجت ضوؤها: لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى عليه السلام، وكان النحاس يصحح إلى أن لفظ التوراة عربي، والذي يظهر أنه عبراني معرب: لأن لفة موسى عليه السلام كانت العبرانية، فتناسب أن تكون من لفته التي يفهمها قومه، قال الشهرستاني في "التلخيص والميل": وهي أول مترج على بني إسرائيل سُمِّي كتابا، إذ ما قبلها من المترل إنما كان مواجِظ ونحوها. قال صاحب حماة: وليس فيها ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ولا بعث ولاجنة ولا نار، وكلّ وعيد يقع فيها إنما هو مجازاة دنيوية، فيوصلون على مجازاة الطاعة بالنصر على الأعداء، وطول العمر، وسعة الرزق ونحو ذلك؛ ويوصلون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والخمريات والحرب، وأن يتزل عليهم بدل المطر الثبار والغلظة ونحو ذلك، يشهد لما قاله قوله تعالى: (فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَاتٌ أُحِلَّت لَهُمْ). الآية، بفصل الظلم سببا للتحريم. قال: وليس فيها أيضا ذم الدنيا، ولا طلب الزهد فيها، ولا غليظة صلوات معلومة، بل في التوراة الموجودة بأيديهم الآن نسبة أمور إلى الأنبياء عليهم السلام من الأسباط وغيرهم لا تحل حكايتها.

وأعلم أن التوراة على خمسة أسفار:

أولها - يشتمل على بدء الخليقة والتاريخ من آدم إلى يوسف عليه السلام.

وثانيها - فيه استخدام المصريين بني إسرائيل، وظهور موسى عليه السلام عليهم، وهلاك فرعون، ونصب قبة الزمان وهي قبة [كان يتزل على موسى فيها الوحي] وأحوال النبي، وإمامة هرون عليه السلام، ونزول الشّر كلمات في الأوايح

على موسى عليه السلام ، وهي شبه مختصرة في التوراة يشتمل على أوامر ونواهي وسماع القوم كلام الله تعالى . وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله : ﴿ وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَوَّلِاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : وكانت الألواح من زمرّد خضراء ، وقال ابن جبير : من ياقوتة حمراء ، وقال أبو العالّية : من زبرجد ، وقال الحسن : من خشب نزلت من السماء ، وقال : إنها كانت لوحين . وإنما جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الاثنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والمراد أثنان .

وثالثها — في كيفية تهريب القرّابين على سبيل الإجمال .

ورابعها — في صدّد القوم ، وتقسيم الأرض بينهم ، وأحوال الرّسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام ، وأخبار المنّ والسّلوّى والقام .

وخامسها — فيه أحكام التّوراة بتفصيل المجل ، وذكّر وفاة هرون ثم موسى عليهما السلام ، وخلافة يوشع بن نون عليه السلام بعدهما .

ثم قد ذكر الشّهْرستاني وغيره أن في التّوراة البشارة بالمسيح عليه السلام ، ثم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ قد ورد ذكر المسيح في غير موضع ، وأنه يخرج واحد في آخر الزمان ، هو الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره . وغير خاف على ذي لب أن المراد بالمسيح المسيح عليه السلام ، وأن المراد بالذي يخرج في آخر الزمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل ربما وقعت البشارة بهما جميعا في موضع واحد ، كما في قوله : إن الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر من ساعير وعلن بقارآن .

(١) كذا في الشهرستاني أيضا وفي سبغ البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير وأستن الخ .

وسامعهى جبال. يَبْتَ المقدس حيثُ مَظْهَرُ الْمَسِيحِ عليه السلام، وَقَارَانُ جِبَالٍ
مَكَّةَ حيثُ ظهرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم .

قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ : ولما كانت الأسرارُ الإلهيةُ ، والأَنوارُ الربَّانيةُ ، في الوَحْيِ
والتَّزِيلِ ، [والمناجاة والتَّأْوِيلَ] ^(١) على ثلاث مراتب : مَبْدَأٍ وَوَسْطٍ وَحَكَمٍ ، وكان
الحِجْيَةُ أشبهَ شَيْءٍ بالمَبْدَأِ ، والظُّهْرُ أشبهَ بالوَسْطِ ، والْعَلَنُ أشبهَ بالحَكَمِ ، عبر
في التَّوراة عن ظهورِ صُبْحِ الشَّريعةِ [والتَّزِيلِ] بالحِجْيَةِ [على طورِ سِيْناءَ] ^(١) ، وعن
طلوعِ تَمَسُّبِها بالظُّهورِ [على ساعيرَ] ، وعن بلوغِ دَرَجَةِ الحَكَمِ [والأَسْتِواءَ] بالْعَلَنِ
[على فارانَ] ^(١) ، وقد عَرَفُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بوصفِهِ في التَّوراةِ حَقَّ المَعْرِفَةِ :
(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) . وقد ذكر المفسِّرونَ
عن ابنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه أن مُوسَى عليه السلام لما أَلْقَى الألواحَ عند رجوعه
إلى قومه ، تَكَبَّرَتْ فلم يَبْقَ منها إلا سُدُسُها . ويروى أن التَّوراةَ كانت سبعينَ
وَسَقًى بَعِيرٍ ^(٢) وأنها رُفِعَ منها سِتَّةُ أَصْبَاعِها وَبَقِيَ السَّبْعُ ، ففى الذِّى بَقِيَ الْهَدْيُ
والرحمةُ ، وفى الذِّى رُفِعَ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ .
وليعلم أنَّ اليهودَ قد أَقْرَعُوا على طَوَائِفَ كثيرةٍ ، المشهورُ منها طائفتان :

الطائفة الأولى

(المُتَّقُ على يَهُودِيَّتِهِمْ ، وهم الْقَرَامُونُ)

وهم وإن كانوا فرقتين ، فَظَنُّهم كالفِرْقَةُ الواحدةُ ، إذ تَوَرَّأَتْهم واحدةٌ ، ولا خِلافَ
فى أَصْلِ اليهوديةِ بينهم . وقد أَتَقَى الجَمِيعُ على أَستِخْراجِ مِئْثَمَةٍ وثلاثِ عَشْرَةَ

(١) الزيادة من «الملل والنحل» لشهرستانى (ص ١٢٥) .

(٢) يخاض بأصله .

(٣) أى قرأتين ودرجتين ببليل ماياق .

فَرِيضَةً مِنَ التَّوْرَةِ يَتَعَبَّدُونَ بِهَا . ثُمَّ كُلُّهُمْ مُتَّفَقُونَ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَهَرُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَهُوَ إِسْرَائِيلُ ، وَالْأَسْبَاطُ : وَهُمْ بَنُوهُ الْاِثْنَا عَشَرَ الْآتَى ذَكَرَهُمْ آخَرًا . وَهُمْ يَنْفَرُونَ عَنِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ الْآتَى ذَكَرَهَا : وَهِيَ السَّامِرَةُ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَاءَ غَيْرِ مُوسَى وَهَرُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَيَقُولُونَ عَنْ يُوشَعَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا زِيَادَةً عَلَى التَّوْرَةِ يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالنَّبُوءَاتِ تَمَرُّفٌ بِالْأَوَّلِ .

ثُمَّ الرِّبَابِيُّونَ يَنْفَرُونَ عَنِ الْقُرَّائِينَ بِشُرُوحِ مَوْضُوعَةِ الْفَرَائِضِ اتَّوْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي ذَكَرَ ، وَضَعَهَا أَجْبَارُهُمْ ، وَتَقْرِيبَاتٍ عَلَى التَّوْرَةِ يَنْقُلُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَيَتَّفِقُ الرِّبَابِيُّونَ وَالْقُرَّاءُونَ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ مَحْفَرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَيُوجِّهُونَ لَهَا مَوَاقِفَهُمْ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ : وَهُوَ جَبَلٌ فِي رَأْسِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةٍ فِي آخِرِهِ ، دَاخِلٌ بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ يَكْتَنِفَاهُ .

وهم مخطفون في أمرين :

أحدهما — القولُ بالظَّاهِرِ وَالْجَنُوحِ إِلَى التَّأْوِيلِ . فَالْقُرَّاءُونَ يَهْفُونَ مَعَ ظَوَاهِرِ نَصُوصِ التَّوْرَةِ ، فَيَحْمِلُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا مَنَسُوبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : مِنْ ذِكْرِ الصُّورَةِ ، وَالتَّكْلُمِ ، وَالْإِسْتِزَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالتَّأْوِيلِ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ ، كَمَا تَقُولُهُ الظَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَجْرُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ ، وَالْقَوْلِ بِالْجِهَةِ . وَالرِّبَابِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْعَرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

(١) أى في ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

الثاني — القولُ بالقدر . فالرَّبَّائِيُونَ يقولون بأن لا قدرَ سابق وأن الأمرُ أتوف كما قوله القَدْرِيَّة من المسلمين . والقراءُونَ يقولون بسابق القدر كما قوله الأشعرِيَّة . أما ما عدا ذلك فكلُّا الفريقين يقولون : إن الله تعالى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَاحِدٌ قَادِرٌ ، وإنه تعالى بعث موسى بالحق ، وشَدَّ أَرْزُهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ . ويعظمُونَ التوراةَ التي هي كتابهم أتمَّ التعظيم ، حتى إنهم يُقسِمون بها كما يُقسِم المسلمون بالقرآن ، وكذلك العترة كلَّما التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح الجَوْهرية ، وقد تقدَّم أنها مختَصَرٌ ما في التوراة ، مشتملةٌ على أوامِر ونَوَاهٍ وسماع كلام الله تعالى ، وهم يحلفون بها كما يحلفون بالتوراة ، ويعظمُونَ قُبَّةَ الزَّمان وما حَوَتْه : وهي القبة التي كان ينزل على موسى فيها الوحي .

ومن أعظم أنواع الكُفر عندهم تَسْبِيحُ فِرْعَوْنَ وهامان لنعهما الله . (وكان اسمُ فِرْعَوْنَ مُوسَى فيما ذكره المفسرون الوليد بن مُصعب ، وقيل : مُصعب بن الرِّيان . واختلف فيه : قيل كان من العالقة . وقيل من النبط . وقال مجاهد : كان فارسيًّا وهامان وزيره) والتَّبَرُّى من إسرائيل (وهو يعقوب عليه السلام) ومعنى إسرائيل فيما ذكره المفسرون « عبد الله » كأنَّ « إسمرا » عبد ، و« ليل » اسم الله تعالى بالعبرانية . وقيل : إسمرا من السُّرَّة ، وكانَّ إسرائيل هو الذي شتده الله وأثخن خلقه .

ومن أعظم العظائم عندهم الأخذُ بدين النصرانية ، وتَصَدِيقُ مَرِيَمَ عليها السلام في دعواها أنها حملت من غير أن يمسها بشرٌ ، ويؤمنونها بأنها حملت من يوسف النجار ، وهو رجلٌ من أقاربها كان يحُدِّمُ اللَّيْلَةَ المقدَّسة معها ، ويرون تبرُّتها من ذلك جَريرةً تُعَذِّب .

ويستعظمون الوقوع في أمور :

(١) لعل من الأمور كما يفيد ما بعده .

منها - القولُ بإنكارِ خطابِ الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

ومنها - تعمدُ طُورِ سَيْنَاءَ الذى كَلَّمَ الله تعالى موسى عليه بالقانوناتِ، ورعى صخرةَ بَيْتِ المقدسِ التى هى قِبْلَتُهُم بالنجاسة، ومشاركةُ مُحْتَضَرٍ فى هدمِ بَيْتِ المقدسِ وقتلِ بنى إسرائيل، وإلقاءُ العِدَّةِ على مَظَانِّ أسفارِ التَّوراةِ .

ومنها - الشُّربُ من النَّهْرِ الذى أَبْطَلَى به قومُ طَالُوتَ ملكِ بنى إسرائيل، والميلُ إلى جَالُوتَ ملكِ الكَنْعَانِيِّينَ وهو الذى قتلَهُ داودُ عليه السلام، ومُفارقةُ شِيعَةِ طَالُوتَ الذين قاموا معه على جَالُوتَ . وذلك أَنَّهُ لَمَّا رُفِعَتِ التَّوراةُ وتسلطَ على بنى إسرائيلَ عدُوهُم من الكَنْعَانِيِّينَ الذين مَلِكُهُم جَالُوتُ ، كانتِ النُّبُوَّةُ حَيَلِيذَ فِهمِ فى شَعْنُونِ ، وقيلَ فى شَمِيرِيلَ ، وقيلَ فى يُوْشَعَ بنِ نُونِ ، فقالوا له : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فابْتَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فى سَبِيلِ الله ، فقال لهم ما أَعْجَبُ اللهَ تعالى به : (إِنَّ اللهَ قَدْ بَثَّ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) ولم يكن من سَبِطِ الْمَلِكِ ، إذ كَانَ الْمَلِكُ من سَبِطِ مَعْرُوفٍ عندهم ، فقيلَ : كَانَ سَقَلًا ، وقيلَ : كَانَ دَبَّاقًا ، فَاثْكُرُوا مَلِكَكُمْ عَلَيْهِم ، وقالوا كما أَعْجَبُ اللهَ تعالى : (أَيْ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) الآية ؛ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يَبْرِيَهُ مِنْ طَبِيعِهِ فى الْقِتَالِ مِمَّنْ يَعْصِيهِ ، فَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ وَأَبْتَلاَهُمْ بِنَهْرٍ مِنْ حَوْلِهِمْ ، قِيلَ : هُوَ نَهْرُ فَلَسطَيْنَ ، وقيلَ : نَهْرُ بَيْنِ الْأُرْدُنِّ وفَلَسطَيْنَ ، فَقَالَ لهم طَالُوتُ : (إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) إِلَى قولِهِ : (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) .

ومنها - إنكارُ الأنبياءِ الذين بَعَثَهُم اللهُ تعالى إليهم : وهم موسى وهرون ويوشع ومن بعدهم : من أنبيائِهِم عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، ومن قَبْلِهِم : من إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ صلواتُ الله عليهم ، والأسباطِ الاثْنِ عَشَرَ الآتِ ذِكْرُهُم ، والدَّلالةُ على دَانِيَالٍ

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ ، وَإِخْبَارُ فِرْعَوْنَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اخْتِفَائِهِ بِهَا ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْبَنِيِّ وَالْقَوَائِمِ يَوْمَ يَحْيَىٰ بَنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا - الْقَوْلُ أَنَّ النَّارَ الَّتِي أَضَاءَتْ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَجَرَةِ الْوُصْبِ بِالطَّرِيقِ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ حَتَّى قَصْدِهَا وَكَانَتْ وَسِيلَةً إِلَىٰ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُ تَارِافُكَ لَا وُجُودَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَىٰ مَدْيَنَ فَأَرَأَىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَالْقَوْلُ فِي بَنَاتِ شُعَيْبٍ اللَّاتِي سَقَىٰ لَهَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَظِيمِ وَرَمَيْتُ بِالْقَبِيحِ .

وَمِنْهَا - الإِجْلَابُ مَعَ شَجَرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقِيَامُ مَعَهُمْ فِي غَلَبَتِهِ ، وَالتَّبَرُّيُّ مِنْ أَمَنَ مِنْهُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَمِنْهَا - قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : الْخَلْقُ الْخَلْقُ : لِنُدْرِكَ مَنْ قَرَّ : مِنْ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ .

وَمِنْهَا - الإِشَارَةُ بِتَخْلِيفِ تَابُوتٍ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَصْرَ حِينَ أَرَادَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَقْلَهُ إِلَى الشَّامِ لِيَدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَكَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَابُوتَهُ فِي أَحَدِ شِقَى النَّيْلِ فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْآخَرُ ، فَمَضَوْا إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ ، فَمَضَوْا وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ جَانِبَاهُ جَمِيعًا ، إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضُرِبَ النَّيْلُ بِصَاحِهِ فَأَتَفَقَ مِنْ التَّابُوتِ . فَآخِذٌ فِي نَقْلِهِ إِلَى الشَّامِ لِيَدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ كَمَا هَتَمَ . فَإِذَا هُمْ بِبَقَائِهِ بِمَصْرَ فَوَقَعَ فِي مَحْطُورٍ لِمُخَالَفَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرِيدُهُ .

ومنها - التسليم للسامريّ وتصديقه على الحوادث التي أحدثها في اليهودية على ما سيأتى ذكره في الكلام على السامرة في الطائفة الثانية من اليهود .

ومنها - نزول أريحا : مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ من بلاد فلسطين .

ومنها - الرضا بفعل سَكَنَةِ سَدُومَ من بلاد فلسطين أيضا وهم قوم لوط .

ومنها - مخالفة أحكام التوراة التي ورد [الحث] فيها عليها .

ومنها - استباحة السبت بالعمل فيه والمذوي فيه : إذ استباحته عندهم توجب هَرَدَمَ مُسْتَبِيحِهِ من حيث إنه مُسَخَّ من مُسَخَّ بِامْتِباحته قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، والله تعالى يقول : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْبُدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

ومنها - إنكار عيد المِظْلَةِ وهو [سبعة أيام أو ثلثا الخامس عشر من تشرى] وعيد الحنكة وهو [ثمانية أيام يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا وفي الليلة الثانية سراجين وهكذا حتى يكون في الليلة الثامنة ثمانية سراج] وهما من أعظم أعيادهم .

ومنها - القول بالبداء على الله في الأحكام ، وهو أن يحيطر له غير الخاطر الأول ، وهو تعالى مُزَرَّهُ عن ذلك ، ورثبوا عليه منع نسخ الشرائع ، ويزعمون أن النسخ يستلزم البداء ، وهو مما أتمق كافة اليهود على منعه ، على ما تقدم أولا .

ومنها - اعتقاد أن المسيح عليه السلام هو الموعود به على لسان موسى عليه السلام ، المذكور بلفظ المَشيحَا وغير ذلك ، على ما تقدمت الإشارة إليه .

ومنها - الاعتقال من دين اليهودية إلى ما سواها من الأديان ، إذ عندهم أن شريعة موسى عليه السلام هي التي وقع بها الابتداء ، وبها وقع الاختتام .

(١) يماض بالأصول والصحيح من ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ من هذا المطبوع

(٢) هو حين ما بدئ في المعنى .

ومنها - الانتقَالَ من اليهودية إلى ما عداها من الأديان : كالإسلام والصّرانية وغيرهما ، فإنه يكون بمثابة المُرْتَدّ عند المسلمين .

ومنها - استباحة لحم الجمل : فإنه محرم عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب تحظورا عظيما عندهم ، وقد دخل ذلك في عموم قوله تعالى إخبارا بما حرم عليهم : ﴿وَلِلَّهِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي نَفْسٍ طَافٍ﴾ . يعني ما ليس بمُتَفَرِّج الأصابع كالإبل وما في معناها .

ومنها - استباحة أكل الشحم خلا تَحَمُّمِ الظَّهْرِ ، وهو ما علا فإنه مُباح لهم ؛ وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله : ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ .

ومنها - استباحة أكل الحوايا . قال ابن عباس وضيحه : هي المَبَاعِرُ . وقال أبو عبيدة : هي ما حوى من البطن أى استدار ، والمراد تَحَمُّمِ الثَّوْبِ . وكذلك استباحة ما اختلط من الشحم بعظم وهو تَحَمُّمِ الآلِيَةِ ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ عطفًا على الشحوم المحرمة . على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى : ﴿أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ على المستثنى في قوله : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ . فحملة على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه الأول ، وبروز أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يحرم علينا شيء إنما حرم إسرائيل على نفسه القرب وتَحَمُّمِ الآلِيَةِ فَحَنُ نَحْرِهِ ، فزلت . على أن اليهود القرائين والرايين يَحْمِلُونَهَا فيبعونها ويأكلون منها ، ويتأولون أن أكلَ منها غير أكلِ منها ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حَرَّمَ طَهُمِ الشَّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوهَا» والسائرة مخالفون في ذلك ، ويقولون بتحريم الثمن أيضا ، على ما سيأتي ذكره .

وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْقَرَّائِينَ وَالرَّابِّينَ يُحَرِّمُونَ مِنَ الذَّبِيحَةِ كُلَّ مَا كَانَتْ رِثَةً مُتَصِفَةً بَقَلْبِهِ
أَوْ بَضْلَعِهِ، وَالسَّامِرَةَ لَا يُحَرِّمُونَ ذَلِكَ .

(١)

ومنها - مقالة أهل بابل في إبراهيم عليه السلام، وهي قولهم

ومنها - أن يحرم الأخبار الذين هم ضلأؤهم على الواحد منهم، بمعنى أنهم يمنونه
من مباحاتهم في المأكول والمشرب والنكاح وغير ذلك حرمة يجمعون عليها، ولناكد
بقلب حصر الكائن عليها؛ إذ من عاداتهم أنهم إذا حرّموا على شخص وأرادوا التشديد
عليه قلبوا حصر الكائن عند ذلك التحريم تنظيلاً على المحرم عليه .

ومنها - الرجوع إلى التيه بعد الخروج منه، فلنهم إنما نخرجوا إليه عند مخطئ
الله تعالى عليهم بخاتمة موسى عليه السلام عند امتناعهم عما أمروا به من قتال
الجبّارين، كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ قَالَ فَلَمَّا هَمَّ بِتَمِيمٍ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال المفسرون: وكان تيمم
سنة فرائض في أربعة فرائض، يمضون كل يوم ويبيتون حيث يصحون، فأمر الله
تعالى موسى عليه السلام فضرب الحجر بهصاء فأنفجرت منه اثنتا عشرة عيناً،
وكانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط عين، فلما أخذوا حاجتهم من الماء أحتبس
وحملوا الحجر معهم، وكانت ثيابهم فيما يروى لا تترق ولا تتدنس، وتطول كلما
طال الصبيان .

ومنها - تحريم المن والسواى الذى أمّن الله تعالى عليهم به كما أخبر بذلك بقوله
تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّوْى ﴾ ويقال إنه الترجيع .
وقال ابن عباس: والمراد بالمن الذى يسقط على الشجر وهو معروف . قال قتادة:
كان المن يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج، فيأخذ

(١) يباح بالأصول ولله «انه إن الظالمين في تكسب أصنامهم» .

الرجل منهم ما يكفيه ليومه، فإن أخذوا أكثر من ذلك فقد . وأما السلوى، قيل :
هى طائر كالتى، وقال الضحك : هى السمانى نفسها، وقال قتادة : هو طائر إلى
الحجرة كانت تحشره عليهم الجنوب .

ومنها - التبرؤ من الأسباط : وهم أولاد يعقوب عليهم السلام، وعددهم اثنا عشر
سبطا : وهم يوسف، وبنايى، وقناني، وروبيى، ويهوذا، وشمعون، ولاوى،
ودان، وزبولون، ويشجر، وجاد، وأشر؛ ومنهم فرج جميع نبي اسرائيل ولده كل
منهم أمة من الناس . وثموا أسباطا أخذوا من السبط وهو الناي، إذ هم جماعة
متابعون . وقيل : من السبط وهو الشجر، فالسبط الجماعة الراجعون إلى
أصيل واحد .

ومنها - القعود عن حرب الجبارين مع القدرة على حربهم : وذلك أنهم أمروا
بدخول الأرض المقدسة : وهى بيت المقدس فيما قاله ابن عباس والسدى وغيرهما،
والشام فيما قاله قتادة، ودمشق وفسطين وبعض الأردن فيما قاله الزجاج، وأرض
الطور فيما قاله مجاهد، وكان فيها قوم جبارون من العماليق كما أخبر الله تعالى، والجبار
هو المتعظم المنتع من اللئ والقهر أخذوا من الإخبار : وهو الإكراه كانه يحبر غيره
على ما يريد .

قال ابن عباس : لما بسث موسى عليه السلام من قومه اثني عشر قبيلا ليخبروه
خبرهم، رآهم رجل من الجبارين فأخضعهم فى كفه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه
وجاء بهم إلى الملك فترهم بين يديه، وقال : إن هؤلاء يريدون قتالنا، وكان من
أمرهم ما قصه الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

(١) كذا فى الكتاب فى الخشوى (ج ١ ص ٢٨٠) وفى الأصل «فتاى» .

(٢) فى الأصل : روى، والصحيح من الخليل الشريفي (ج ٢ ص ٩١) .

الْأَرْضَ الْمَقْسَمَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِنَّا دَخَلْنَاهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافِرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠﴾ فكان في قعودهم عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط مخالفة لما أُمروا به .

وقد رتب في "العرف" إيمان اليهود على هذا المقتضى، فقال : وَيَمِينُهُمْ .

إِنِّي وَاقِفٌ بِاللَّهِ وَاللَّهُ عَظِيمٌ ، التَّسْلِيمُ الْأَنبَى الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُنْدَرِكِ الْمُتَهَلِّكِ ، بَاعِثُ مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَادُّ أَرْزِهِ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَحَقُّ التَّوْرَةِ الْمَكْرَمَةِ وَمَا فِيهَا وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَحَقُّ الْعَشْرِ كَلِمَاتِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى فِي الصُّحُفِ الْجَوْهَرِ ، وَمَا حَوَتْهُ قُبَّةُ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا تَعَبَلْتُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَبَرِئْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدِنْتُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَصَلَفْتُ مَرْيَمَ فِي دَعْوَاهَا ، وَرَأْتُ يُوسُفَ النَّجَّارَ ، وَأَنْكَرْتُ الْخَطْلَابَ ، وَتَعَمَّدْتُ الْعُلُورَ بِالْقَادُورَاتِ ، وَرَمَيْتُ الصَّخْرَةَ بِالنَّجَاسَةِ ، وَتَشَرَّكْتُ بِمُجْتَنَصَرِّ هَدْمِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَلْقَيْتُ الْعِدَّةَ عَلَى مَقْلَانِ الْأَسْفَارِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَمَالَ إِلَى جَالُوتَ ، وَفَارَقْتُ شَيْعَةَ طَالُوتَ ، وَأَنْكَرْتُ الْإِنْبِيَاءَ ، وَذَلَّلْتُ عَلَى دَانِيَالٍ ، وَأَعْلَمْتُ جَبَّارَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِزْمِيَاءَ ، وَكُنْتُ مَعَ الْبَنِيِّ وَالْقَوَاجِرِ يَوْمَ يَحْيَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ النَّارَ الْمُضِيئَةَ مِنْ شَجَرَةِ السَّوْجِ نَارُ إِيَّاكَ ، وَأَخَذْتُ الطَّرِيقَ عَلَى مَدْيَنَ ، وَقُلْتُ بِالْعِظَائِمِ فِي بَنَاتِ شُعَيْبَ ، وَأَجْلَبْتُ مَعَ السَّحَرَةِ عَلَى مُوسَى ، ثُمَّ بَرِئْتُ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَ مَنْ قَالَ : الْهَاقُ الْهَاقُ

لُذِرَكَ مِنْ قَرٍّ، وَأَشْرَتْ بِتَخْلِيفِ تَابُوتِ يُوسُفَ فِي مِصْرَ، وَسَلَّمَتْ إِلَى السَّامِرِيِّ،
وَتَزَلَّتْ أَرِيحًا مَدِينَةَ الْجَبَّارِينَ، وَرَضِيَتْ بِفِعْلِ سَكْنَةِ سَدُومَ، وَخَالَفَتْ أَحْكَامَ
التَّوْرَةِ، وَأَسْتَبَحَّتْ السَّبْتَ وَعَدَوْتُ فِيهِ، وَقُلْتُ إِنَّ الْمِظْلَةَ ضَلَالٌ، وَإِنَّ الْحَنَكَةَ
مُحَالٌ، وَقُلْتُ بِالْبِدَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَحْكَامِ، وَأَجَزْتُ تَسَخُّ الشَّرَائِعِ، وَأَعْتَقَدْتُ
أَنَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَأَنْتَقَلْتُ عَنْ
اليهودية إِلَى سِوَاهَا مِنَ الْأَدْيَانِ، وَأَسْتَبَحْتُ لَحْمَ الْجَمَلِ وَالشَّحْمَ وَالْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ، وَتَأَوَّلْتُ أَنَّ أَكْلَ ثَمْنِهِ خَيْرٌ أَكْلِهِ، وَقُلْتُ مَقَالَةَ أَهْلِ بَابِلَ فِي إِبْرَاهِيمَ،
وَالْأَنَّ أَكُونَ مُحَرَّمًا حُرْمَةً تُجْبَحُ عَلَيْهَا الْأَخْبَارُ، وَتُحْلَبُ عَلَيْهَا حُصَرُ الْكَثَائِسِ، وَرُدِدْتُ
إِلَى الثَّيْبِ، وَحُرِّمْتُ الْمَنِّ وَالسَّلَوى، وَبَرِّثْتُ مِنْ كُلِّ الْأَسْبَاطِ، وَقَعَدْتُ عَنْ حَرْبِ
الْجَبَّارِينَ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالنَّشَاطِ .

قُلْتُ : قوله في هذه الآية في حرمة الشَّحْمِ وما في معناه : وَتَأَوَّلْتُ أَنَّ أَكْلَ ثَمْنِهِ
خَيْرٌ أَكْلِهِ، بمعنى أَنَّهُ يَسْتَغْنَى عَنْ أَكْلِ ذَلِكَ، وَهُوَ خِلَافُ مُعْتَقَدِهِمْ : لِأَنَّهُمْ
يَتَأَوَّلُونَ أَنَّ أَكْلَ ثَمْنِهِ خَيْرٌ أَكْلِهِ كَمَا تَقَبَّلَ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ السَّامِرَةُ، فَكَانَ
مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُبَرِّدَ ذَلِكَ فِي يَمِينِ السَّامِرَةِ وَأَنْ يَقُولَ هُنَا : وَلَمْ أَتَأَوَّلْ أَنَّ أَكْلَ ثَمْنِهِ
خَيْرٌ أَكْلِهِ فَتَنَبَّهَ لِذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا اسْتُحْدِثَتْ هَذِهِ الْإِيمَانُ لِأَهْلِ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ
عِمر المَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ " الْقَلَمِ وَالنَّوَاةِ " فِي زَمَنِ الْقَضِيلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَزَيْرِ الرَّشِيدِ،
أَحْمَشًا كَاتِبًا لَهُ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تُحْلَفُ الْيَهُودِيُّ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : وَالْأَنَّ بَرِّثْتُ مِنْ
لِمْسِكَ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ، وَرَغِبْتَ عَنْ دِينِكَ الَّذِي أَرَضَيْتَهُ،
وَبَحَدَّتْ التَّوْرَةُ وَقُلْتُ : إِنَّ حِمَارَ الْعَزِيزِ رَاكِبٌ بِجِلِّ مُوسَى، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَانِيَّةً

حَبْرٍ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَسَحَكَ اللَّهُ بِمَا مَسَحَ أَصْحَابُ السَّبْتِ ،
 لِيَجْعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ، وَخَالَفَتْ مَا دَوَّهَ دَانِيَالُ وَأَسْلَمُوا وَيُوحَنَّا ،
 وَلَقِيَتْ اللَّهُ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَدَمَتِ الطُّورَ صَخْرَةً صَخْرَةً ، وَضَرَبَتِ النَّاقُوسَ
 فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَهَبَأَ مِنْكَ الْأَسْبَاطَ وَأَبَاؤُهُمْ : إِسْرَائِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ،
 وَغَمَسَتْ لَحْيَةَ الْجَانَلِيْقِ فِي مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى ، وَأَهْلَيْتَ جَنَ السَّبْتِ إِلَى الْأَحَدِ ،
 وَالْأَقْدَرُ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَلْقَى الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ لَبْلَةً السَّبْتِ ، وَصَيَّرَ اللَّهُ طَعْمَانِكَ سَلْمَ
 الْخَنَازِيرِ وَكُرُوشَ الْجَمَالِ وَمَعَدَ الْخَنَازِيرِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ بِمُخْتَصَرٍ ثَانِيَةٍ
 يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَيَسْبِي الثَّدْيِيَّةَ وَيُجَرِّبُ الْمَدَائِنَ ، وَأَرَاكَ اللَّهُ الْأَيْدَى الَّتِي تَتَأَلَّى الرَّكَبَ
 مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَاطِ ، وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ مَجْدَتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَقَهَا ، وَقُلْتَ
 فِي مُوسَى الزُّورَ ، وَإِنَّهُ فِي حِمْلِ ثُبُورٍ ، وَفِي دَارِ غُرُورٍ ، وَجَعَلْتَ إِهْيَا أَشْرَاهِيَا^(١)
 أَصْبَحُوتَ آلَ شَدَّاءَ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلِيَدِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْتُ : هَذِهِ الْيَمِينُ فِي غَايَةِ الْإِيمَانِ وَالْتِّشْدِيدِ ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ : وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ
 لِسَانٍ مَجْدَتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَقَهَا غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِتَحْطِيفِهِمْ : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَا إِمَامَ عَلَيْهِمْ
 فِي الْجَمْعِ وَلَا يَسْتَرْفُونَ بِالْتَّحْرِيفِ بَلْ يُنْكِرُونَهُ . عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهَا غَيْرُ مُتَوَارِدٍ عَلَى الْيَمِينِ
 الَّتِي أوردَهَا فِي "التَّعْرِيفِ" : فَلَوْ أَلْحَقَهَا بِهَا مُلْحَقٌ فِي أَنْوَاعِهَا عَلَى صِيغَةِ الْيَمِينِ الْأُولَى
 مِنْ إِبْرَادِهَا بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ إِلَهِ الَّذِي لَا أَعْبُدُ
 غَيْرَهُ وَلَا أُدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا رَغِبْتُ عَنْ دِينِي الَّذِي آرْتَضَيْتُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِي ،
 لَكَانَ حَسَنًا .

(١) هَكَذَا خَطَبَهَا فِي الْقَامُوسِ ، ثُمَّ قَالَ : وَيَقُولُونَ إِهْيَا شَرَاهِيَا وَهِيَ خَطَا ، عَلَى مَا يَزْعُمُهُ أَهْبَارُ الْيَهُودِ .

الطائفة الثانية

(من اليهود السامرة)

وهم أنبياء السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأعراف :
 ﴿ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ . قال بعض المفسرين : وأسمه موسى بن ظفر ، وكان أصله
 من قوم يبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى راكبا على
 فرس الحية ، فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه . وكان بنو إسرائيل
 قد خرجوا معهم حلي [استأروه] من القبط ، فأمرهم هرون أن يحفروا حفرة
 ويلقوا فيها ذلك الحلي حتى يأتي موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلي كله
 وألقوه في تلك الحفرة ، بغاء السامري فآلى ذلك التراب عليه ، وقال له : كن عجلا
 جسدًا له خوار ، فصار كذلك . قال الحسن : صار حيوانًا لحمًا ودمًا . وقيل :
 بل صار يمحور ولم تغلب عينه . فقال لهم السامري : هذا الهكم وإله موسى ،
 فكفوا على عبادته ، ونهاهم هرون فلم يتهوا ^(١) وحرق العجل وذراه في اليوم
 كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
 لَنْتَحَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا ﴾ . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :
 ﴿ قَتَلُوا إِلَى بَابِكُمْ فَأُفْئِلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية . فقتل منهم سبعون ألفا ثم رُفِعَ عنهم
 القتل بعد ذلك .

وقد اختلف في السامرة : هل هم من اليهود أم لا ؟ والقراءون والرأيون
 يتكفرون كون السامرة من اليهود . وقد قال أصحابنا الشافعية رحمهم الله : إنهم إن
 وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤوا بالجزية وإلا فلا .

(١) يباح بالأصل دله "بغاء موسى وحرق الخ" .

ثم السَّابِرة لم تَوْرَة تختصهم غير التوراة التي بيد القرائين والرايين ، والتوراة التي بيد النصاري ؛ وهم ينفردون عن القرائين والرايين بإنكار نبوة من بعد موسى ما علما هرون ويوشع عليهما السلام ، ويخالفونهم أيضا في استقبال صحفة بيت المقدس ، ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم ، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه ، يخالف وبناء المقدس : قاتلهم الله أني يؤفكون . وهم قائلون أيضا : إن الله تعالى هو خالق الخلق الباري لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلي . ويوافقون على نبوة موسى وهرون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، إلا أن لم توراة تخصهم تخالف توراة القرائين والرايين المتقدمة الذكر ، وأنه أنزل عليه أيضا الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات المتقدمة الذكر ، ويقولون أن الله تعالى هو الذي أهدى بني إسرائيل من فرعون ونجاهم من الفرق ، ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للتبديد .

ويستعظمون الكفر بالتوراة التي هم يترفون بها ، والتبدي من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل ، ويعظمون طورهم طور نابلس المقدم ذكره ، ويستعظمون دكه وقلع آثار البيت الذي عُمر به ، ويستعظمون استباحة السنت كثيرهم من اليهود ، ويوافقون القرائين في الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة ، ويمتنعون القول بالتأويل الداهي إليه الرايين من اليهود ؛ وينكرون صحة توراة القرائين والرايين ، ويعملون الاعتماد على توراتهم ؛ ويقولون : لا أساس : بمعنى أنه لا يمس أحدا ولا يمس . قال في «الكشاف» : كان إنا مس أحدا أو مسه أحد حصلت الحمى للباس والمسوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للسامري (**أَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ**)

وَيُحَرِّمُونَ مِنَ الدِّبَاحِ ^(١) ، وَيَحَرِّمُونَ أَكْلَ الْلَحْمِ مَخْطَأَ بِلَيْنٍ ، زَاعِمِينَ أَنْ
فِي تَوَارِيثِهِمُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَيْنِ أُمِّهِ ؛ وَيَسْتَظِلُّونَ السَّعْيَ إِلَى الْخُرُوجِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ سُكُوتُهَا وَهِيَ مَدِينَةُ أَرِيحَا .

وَمِنْ أَكْبَرِ الْكَفَّارَاتِ عِنْدَهُمْ وَطَهُ الْمَرْأَةُ الْخَائِضُ ، وَالنَّوْمُ مَعَهَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ،
لَا سِوَا إِذَا قَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَيْبِعًا لَهُ . وَمِنْ أَكْثَرِ الْعَظَائِمِ عِنْدَهُمْ إِنْكَارُ خِلَافَةِ هَرُونَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَفْئَةُ مِنْ كَوْنِهَا .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التَّعْرِيفِ" : يَمِينُهُمْ عَلَى مَقْتَضَى ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ يَمِينَهُمْ :

إِنِّي وَاقِعٌ وَاقِعَهُ الْعَظِيمُ ، الْبَارِيُّ ، الْقَادِرُ ، الْقَاهِرُ ، الْقَدِيمُ ، الْأَزَلِيُّ ، رَبُّ
مُوسَى وَهَرُونَ ، مُنْزِلُ التَّوْرَةِ وَالْأَلْوَابِ الْخَوْصَرِ ، مُتَقِذُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَنَاصِبِ الطُّورِ
قَبْلَةَ الْعَبْدَيْنِ . وَالْأَكْفَرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَرِئْتُ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ
الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ بَنِي هَرُونَ ، وَدَكَيْتُ الطُّورَ ، وَقُلْتُ يَبْدَى أَثَرُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ،
وَأَسْتَبَحْتُ حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وَقُلْتُ بِالنَّوِيلِ فِي النَّيْنِ ، وَأَفَرَزْتُ بِصَبْحَةِ تَوْرَةِ الْيَهُودِ ،
وَأَنْكَرْتُ الْقَوْلَ بِأَنْ لَا مَسَاسَ ، وَلَمْ أَتَجَنَّبْ شَيْئًا مِنَ الدِّبَاحِ ، وَأَكَلْتُ الْجَدْيَ بِلَيْنِ
أُمِّهِ ، وَسَمِعْتُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَحْظُورِ عَلَى سَكْنَتِهَا ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ الْحَيْضَ
زَمَانَ الطُّغْمِ مُسْتَيْبِعًا لَهُنَّ ، وَبِثُّ مَهْنٌ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ كَافِرٍ بِخِلَافَةِ
هَرُونَ ، وَأَفْئْتُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ .

الفِرقة الثالثة

(مَنْ تَدْعُو الضَّرُورَةَ إِلَى تَحْلِيلِهِ - النَّصْرَانِيَّةُ)

وقد اختلف في اشتقاقها، ف قيل : أَخَذْنَا مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ لِلْحَوَارِيِّينَ : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) وَقَوْلِ الْحَوَارِيِّينَ : (تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) . وقيل : مَنْ نُزُولُهُ هُوَ وَائْتَهُ - بَعْدَ عَوْبِهَا بِهِ مِنْ مِصْرَ - بِالنَّاصِرَةِ : وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ بِلَادِ فَلَسْطِينَ مِنَ الشَّامِ : وَقِيلَ خَيْرُ ذَلِكَ .

وَالنَّصَارَى - هُمُ أَتَّةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَتَابُهُمُ الْإِنْجِيلُ . وَقَدْ اختلف في اشتقاقه عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ حَكَاهَا أَبُو جَعْفَرٍ النَّعَّاسُ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتُبِ" :

أَحَدُهَا - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَجَلْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَنْزَعْتَهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ نَزَجَ بِهِ دَارِسٌ مِنَ الْحَقِّ .

وَالثَّانِي - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَنَاجَلَ الْقَوْمُ إِذَا تَنَازَعُوا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي كِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمَثَلَةُ [مَثَلُ] التَّنَازُعِ الْوَاقِعِ فِيهِ . قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ .

وَالثَّلَاثُ - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ النَّجْلِ بِمَعْنَى الْأَصْلِ : لِأَنَّهُ أَصْلُ الْعِلْمِ الَّذِي أَطْلَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ خَلْقَتَهُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْوَالِدِ يَجْلُ : لِأَنَّهُ أَصْلُ لَوْلَاهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَشْتِقَاقَاتِ جُنُوحٌ مِنْ قَائِلِهَا إِلَى أَنْ لَقِظَ الْإِنْجِيلَ عَرَبِيٌّ هُوَ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ عِرَانِيٌّ : لِأَنَّ لَفْظَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ الْعِبْرَانِيَّةُ ، وَقَدْ قَالَ صَاحِبُ "إِرْشَادِ الْقَائِدِ" : إِنَّ مَعْنَى الْإِنْجِيلِ عَنْهُمْ الْبَشَارَةُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى يُجَبِّلُهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ مَرِيَمَ حَمَلَتْ بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَلَدَتْهُ بَيْتَ حَتْمٍ مِنْ بِلَادِ الْقُسْنَسِ مِنَ الشَّامِ ، وَتَكَلَّمَ فِي الْمَثَدِ ، وَأَنَّ الْيَهُودَ حِينَ

أنكروا على مَرِّيمَ طليها السلام ذلك قَرَّتْ بالمسيح عليه السلام إلى مصر، ثم عادت به إلى الشام، وعمره اثنا عشرة سنة، فنزلت به القرية المسمّاة ناصرة المقدم ذكرها، وأنه في آخر أمره قبض عليه اليهود وسعّوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام، فقتله وصلّبه يوم الجمعة، وأقام على الخشبة ثلاث ساعات، ثم أستوبه رجل من أقارب مَرِّيمَ اسمه يوسف النجار من عامل قيصر، ودفنه في قبر كان أعدّه لنفسه في مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقائمة بالقدس، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد، ثم قام من صبيحة يوم الأحد، ثم رآه بطرس الحواري وأوصى إليه، وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رُسلًا إلى الأفطار للديانة إلى دينه، وهم في الأصل اثنا عشر حواريًا: بطرس ويقال له : سمان، ويثيون السفا أيضا . وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا الإنجيلي، وهو أخو أندراوس، وفيلبس، وبرتلوماوس، وتوما : ويسرف بتوما الرسول، ومثي ويعرف بمثي العشار، ويعقوب بن حلفا، وسمعان القناني ويقال له شمعون أيضا، وبولس ويقال له تداس، وكلاب اسمه في اليهودية شاول، ويهوذا الاسخريوطي (وهو الذي دلّ يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) وقام مقامه بليامين، ويقولون : إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء . وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدّوا لكتابة الإنجيل : وهم بطرس، ومثي، ولوقا، ويوحنا^(١) . فكتبوا فيه سيرة المسيح من حين ولادته إلى حين رقيده، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغة من اللغات .

(١) سيأتي قريبًا كافي "العبر" (ج ٢ ص ١٤٧) أن يوحنا الإنجيلي أخو يعقوب بن زبدي وكذلك في "القرزي" ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٢) كما في "الثل والنل" أيضا ولكن لم يرد في الحواريين المذكورين قبل هذا الاسم .

فكتب بطرس إنجيله باللغة الرومية في مدينة رومية قاعدة بلاد الروم، ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، ولذلك يعرف مرقس الإنجيل، وقيل : إن الذي كتبه مرقس نفسه . وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ، وقله بعد ذلك يوحنا بن زبدي إلى اللغة الرومية . وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعت به إلى بعض أكابر الروم، وقيل : بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية . وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس، وقيل مدينة رومية .

قال الشهير ستاتي : وخاتمة إنجيل متى : « إني أُرسلُكم إلى الأمم كما أُرسلني أبي إليكم فاذهبوا وأدعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس » ثم أجمع رومية من توجه إليها من الحواريين ودونوا قوانين دين النصرانية على يد أغليمش تلميذ بطرس الحواري ، وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها ، وهي حدة كتب : منها الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر ، والتوراة التي بأيديهم ، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبل المسيح عليه السلام ، كيوشع بن نون ، وأيوب ، ودانود ، وسليمان عليهم السلام ، وغيرهم .

ثم لما مات الحواريون أقام النصاري لهم خلافة ، صبر عنهم بالبطاركة جمع بطرك، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين، أحدهما بطر ومعناه ، والثانية برتك ومعناه (٢) ، ورأيت في ترسل العلاء بن موصلاً : كاتب القائم بأمر الله العباسي «فطرِكَ» ببدال الباء فاء، والعامية يقولون : «فترك» ببدال الطاء تاء، وهو عندهم خليفة المسيح، والقائم بالدين فيهم .

(١) في القرطبي ص ٤٨٣ ج ٢ «فطيوس» وفي البرج ص ١٤٨ «أغليمش» .

(٢) بياض بالأصول، وكذلك بياض له فيما تخلف من الكلام على القاب وظائف النصارى انظر (ج) ص ٤٧٣ من هذا المطبوع .

وقد كان بطاركتهم في القديم خمسة كرامى^(١)، لكل كرمى^٢ منها بطرك. الأول منها بمدينة رومية، والقائم به خليفة بطرس الحواري المتوجه إليها بالبيشارة. والثاني بمدينة الإسكندرية. والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره وخليفته بها. والثالث بمدينة زنبطة: وهي القسطنطينية. والرابع بمدينة أنطاكية من العواصم التي هي في مقابلة حلب الآن. والخامس بالقدس. وكان أكبر هذه الكرامى الخمسة كرمى رومية لكونه محل خلافة بطرس الحواري، ثم كرمى الإسكندرية، لكونه كرمى مرقس خليفة.

ثم اصطالحوا بعد ذلك على أسماء وضعوها على أرباب وظائف دياناتهم، فعبروا عن صاحب المنصب بالطريق، وعن نائب البطريرك بالأسقف، وقيل الأسقف عندهم بمنزلة المفتي، وعن القاضي بالطران، وعن القاري بالقسيس، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالخالق، وعن قيم الكنيسة بالشماس، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب.

وكانت الأساقفة يسمون البطريرك أبا، والقسوس يسمون الأسقف أبا، فوقع الاشتراك عندهم في اسم الأب، فوقع اللبس عليهم، فاحتدوا لبطرك الإسكندرية اسم الباب، وقال فيه البابا زيادة ألف، والبابا بإبدال الألف هاء، ومعناه عندهم أبو الآباء: تمييز البطريرك عن الأسقف، فاشتهر بهذا الاسم، ثم قل اسم الباب إلى بطرك رومية لكونه خليفة بطرس الحواري، وبقى اسم البطريرك على بطرك الإسكندرية وغيره من أصحاب الكرامى.

(١) حتم في (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبع أنها أربعة ولم يذكر كرمى زنبطة.

وأعلم أن النصارى مجمعون على أن الله تعالى واحد بالجوهر ثلاثة بالاقنومية؛
 ويُفسرون الجوهر بالذات والاقنومية بالصفات : كالوجود والعلم والحياة ؛
 ويعبرون عن الذات مع الوجود بالآب ، وعن الذات مع العلم بالابن ؛ ويعبرون
 عن الذات مع الحياة بروح القدس ؛ ويعبرون عن الإله باللاهوت ، وعن الإنسان
 بالناسوت ؛ ويطلقون العلم على الكلمة التي أُلقيت إلى مريم طيها السلام فحملت
 منها بالمسيح عليه السلام ، ومُخصّوة بالاتحاد دون غيره من الأقانيم .

وأجتمع منهم ثمانية وعشرون ، وقيل وسبعة عشر أسقفًا من أساقفتهم بمدينة
 نيقية من بلاد الروم بحضرة قسطنطين ملك الروم عند ظهور أريوس الأسقف
 وقوله : إن المسيح مخلوق ، وإن القديم هو الله تعالى ، وألقوا عقيدة استخرجوها
 من أناجيلهم لقبوها بالأمانة ، من خرج عنها خرج عن دين النصارية ؛ ونصّها على
 ما ذكره الشهيرستانى في "التعليل والميل" وابن العيميد مؤرخ النصارى في تاريخه
 ما صورته .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْآبَ ، مَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَصَانِعِ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى ، وَبِالْإِبْنِ
 الْوَاحِدِ إِيشوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ ، يَكْرِىءُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا ، وَلَيْسَ بِمَصْنُوعٍ ؛ إِلَهُ حَقٌّ مِنْ
 [إِلَهٍ حَقٍّ مِنْ] جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِى يَسِيدهُ أَتَمَّتِ الْعَالَمُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، الَّذِى مِنْ أَجْلِنَا
 وَ[مِنْ] أَجْلِ خَلَاصَتِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَجَسَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ
 الْبَتُولِ ، وَصَلِبَ أَيَّامَ فِيلَاطُوسَ ، وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ،
 وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْجِيءِ تَارَةً أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ

(١) الذى فى "الميل والنمل" للشهرستانى (ص ١٢٢) وثلاثة وثلاثة عشر رجلاً . وفى "العبر"

ج ٢ ص ١٥٠ أنهم كانوا اثنين وأربعين أسقفًا وافقوا منهم على ثمانية وعشرون .

(٢) الزيادة من العبر (ج ٢ ص ١٥٠) .

والأحياء . وتؤمنُ بروح القدس الواحدِ الحقِّ الذي يخرجُ من أبيه ، وبعمودية واحدة لتفتران الخطايا ، وبجامعة [فلسفة مسيحية جاثليقية ، وقيام أبنائنا ، وبالحياة الدائمة أبد الأبدین .

ووضعوا معها قوانين لشرائعهم سموها الميانون^(١) . ثم أجمعَ منهم جمعٌ بفسطاطينية عند دعوى مقدونيوس المعروف بدوروج القدس، وقوله : إن روح القدس مخلوقٌ، وزادوا في الأمانة المتقدمة الذكر مانصه : "وتؤمنُ بروح القدس الحي المتيقن من الأب" ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلام الأمانة أو ينقص منها . وأتفرقت النصارى بعد ذلك إلى فرق كثيرة، المشهور منها ثلاث فرق :

الفِرقة الأولى (الملكانية)

قال الشهرستاني : وهم أتباع ملكان الذي ظهر ببلاد الروم؛ ومقتضى ذلك أنهم منسوبون إلى ملكان صاحب ملتهم . ورأيت في بعض المصنفات أنهم منسوبون إلى مركان قبصر أحد قياصرة الروم، من حيث إنه كان يقوم بضرة منيهم، ف قيل لهم مركةية، ثم عُرِبَ ملكانية؛ ومعتقدهم أن جزءاً من اللاهوت حل في الناسوت، ذاهبين إلى أن الكلمة وهي أقنوم العلم عندهم اتخذت بجمد المسيح وتدرعت بناسوته ومازجته تمازجة انجر [اللبن] أو الماء اللبن؛ ولا يسمون العلم قبل تدرعه آبناً، بل المسيح وما تدرع به هو الابن؛ ويقولون: إن الجوهر غير الأقاليم كما في الموصوف والصفة، مصرعين بالتثليث، قائلين بأن كلا من الأب والابن وروح القدس إله، واليهم وقعت الإشارة بقوله تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) .

(١) في "العبر" : الميانون .

وهم يقولون : إن المسيح قديم أزلي من قديم أزلي ، وإن مريم ولدت لها أزليا ، فيطلقون الأبوة والبُوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة ، متمسكين بظاهر ما يرمعون أنه وقع في الإنجيل من ذكر الأب والابن : (تكاد السموات يتفطرون منه وتتشق الأرض وتغير الجمال هذا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) .

ثم هم يقولون : إن المسيح ناسوت كل لا جزئي ، وإن القتل والصلب وقعا على الناسوت والألهوت معا كما قلته الشهرستاني في « النمل والممل » وإن كان الشيخ شمس الدين بن الأكفاني في كتابه « إرشاد القاصد » قد وهم فتقل عنهم القول بأن الصلب وقع على الناسوت دون الألهوت .

ومن معتقدهم أيضا أن الملعّد والحشر يكون بالأبدان والأرواح جميعا ، كما تضمنته الأمانة المتقدمة ، وأن في الآخرة التلذذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون .

ومن فروعهم أنهم لا يحتشنون ، وربما أكل بعضهم الميتة . ومن تلعب بمذهب الملكانية الروم والفرنجية ومن والأهم .

والملكانية يدينون بطاعة الباب : وهو بطرك رومية المقدسة ذكره ، قال في « الروض المطّار » : من قاعدة الباب أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك التصاري ينطع على بطنه بين يديه ، ولا يزال يقبل رجليه حتى يكون هو الذي يأمره بالقيام .

الفِرْقَةُ السَّانِيَةُ (الْيَعْقُوبِيَّةُ)

وهم أتباع ديسقرس بطريرك الإسكندرية في القديم : وهو الثامن من بطاركتها من حين بطريركية مرقس الإنجيلي نائب بطرس الخواري بها . فكل ابن العميد في تاريخه : وسمى أهل مذهبه يعقوبية : لأن اسمه كان في النلسانية يعقوب . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل : بل كان شاوورش بطريرك أنطاكية على رأى ديسقرس ، وكان له غلام اسمه يعقوب فكان يبعثه إلى أصحابه : أن أثبتوا على أمانة ديسقرس فنسبوا إليه . وقيل : بل نسبوا إلى يعقوب البردقاني تلميذ سويرس بطريرك أنطاكية ، وكان راهباً بالقسطنطينية فكان يطوف في البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس . قال ابن العميد : وليس كذلك فإن الباقية ينسبون إلى ديسقرس قبل ذلك بكثير ، ومعتقدهم أن الكلمة انقلبتم تماماً وصار الإله هو المسيح .

ثم منهم من قال إن المسيح هو الله تعالى . قال المؤيد صاحب حماة : ويقولون مع ذلك إنه قُتل وصُلب ومات وبقِيَ العالم ثلاثة أيام بلا مدبر . ومنهم من يقول : ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول . جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، وظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر الترياق عن جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ قَمِثَلْ لَمْ يَبْشَرَا سِوَايَا ﴾ .

وأكثرهم يقول : إن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين . جوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركباً تركب

النفس والبدن فصادا جوهراً واحداً أقنوماً واحداً وهو إنسان كله وإله كله، يقال : الإنسان صار إلهاً ولا ينعكس ، فلا يقال : الإله صار إنساناً ، كالفحمة تطرح في النار فيقال : صارت الفحمة ناراً ، ولا يقال : صارت النار فحمة ، وهي في الحقيقة لا نارٌ مطلقة ولا فحمةٌ مطلقة ، بل هي جمرة .

ويقولون : إن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئ لا الكل ، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والأندراج والحلول ، لحلول صورة الإنسان في المرأة .

ومنهم من يقول : إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيطاً لكنها مرّت بها كزور الماء بالمليزاب ، وإن ما ظهر من شخص المسيح عليه السلام في الأعيان هو كالخيال والصورة في المرأة ، وإن القتل والصلب إنما وقعا على الخيال .

وزعم آخرون منهم أن الكلمة كانت تتأخّل جسد المسيح أحياناً فنصدر عنه الآيات : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وفراقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع . ثم هم يقولون : إن المعاد إنما هو روحاني فيه لذة وراحة وسرور ، ولا أكل ولا شرب ولا نكاح .

ومن فروعهم أنهم يختننون ، ولا يأكلون الحيوان إلا بعد التذكية . وقد حكى ابن العميد مؤرخ النصارى أن ديسقرس صاحب مذهب العقوبية حين ذهب إلى ما ذهب : من مذهبه المقيم ذكره ، رفع أمره إلى مر كان قيصر ملك الروم يومئذ ، فطلبه إلى مدينة خاقنونية من بلاد الروم ، وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين أسقفًا ، وناظروه بمضرة الملك فسقط في المناظرة ، فكلته زوجته الملك فاساء الرد فطعته بيدها ، وتناوله الحاضرون بالضرب ، وأمر بإخراجه ؛ فسار إلى القدس ،

(١) كذا في "العبر" أيضا بإثبات مثانة تحية بعد اللون والذى في مصحح ياقوت بطلنها .

فأقام به وآتبعه أهل القدس وِلسطين ومصر والإسكندرية ، وقد آتبعه على ذلك أيضا التوبة والجبسة ، وهم على ذلك إلى الآن .

الفِرقة الثالثة (النسطورية)

ومقتضى كلام ابن العميد أنهم أتباع نسطوريوس بطريرك القسطنطينية . ويحكى عنه أن من ملّحه أن مرّ به عليها السلام لم تلد لها ، وإنما ولدت إنسانا ، وإنما أتحد في الميثية لا في الذات ، وأنه ليس لها حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون بجوهريين وأقنومين ، وإن كرّس بطريرك الإسكندرية وطريرك رومية خالفاه في ذلك ، فجمع لهم مائتي أسقف بمدينة أفسس وأبطلوا مقالة نسطوريوس وصرحوا بكفره ، ففنى إلى إصميم من صعيد مصر ومات بها ، فظهر ملّحه في نصارى المشرق : من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وقارس .

والذي ذكره الشهرستاني في "التلح والمثل" أنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرّف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحد ذو أرقام ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، وإن هذه الأرقام ليست بزايدة على الذات ولا هي هي ، وإن الكلمة اتحدت بجمد المسيح عليه السلام لا على طريق الامتزاج ، كما ذهب إليه الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالته البقوية ،

(١) حارة ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٥٢) وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كرّس بطريرك الإسكندرية ، فكتب إلى بطريرك رومية وهراكليس ، وإلى يوحنا وهو بطريرك أنطاكية ، وإلى يوحنا أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نسطوريوس لينصروه عن ذلك بالجة لم يرتجح ولم يفتخ إلى القول ، فاجتمعوا في مدينة أفسس في مائتين أسقفاً إلخ .

ولكن كاشراق الشمس في كوة ، أو كظهور نقش في الخاتم : قال الشهريستاني :
 ويعنى بقوله إنه واحد بالجوهر أنه ليس مركباً من جنس بل هو بسيط واحد .
 ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين أى أصلين مبداًين للعالم . قال : ومنهم من
 يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوهما .
 ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقسام الثلاثة حتى ناطق إله . ومنهم من
 يقول : إن الله واحد ، وإن المسيح ابتداء من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح
 مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه ابناً على التنبى لاعلى الولادة والاتحاد . ثم هم يخالفون
 في القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعاً ، فيقولون : القتل والصلب
 وقما على المسيح من جهة نأسوته لا من جهة لأهوته : لأن الإله لا تمثله الآلام .
 قال صاحب حمة : وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا .

ولمعلم أن للنصارى أشياء يعظمونها [أشياء] يستعظمون الوقوع فيها .

فأما التي يعظمونها فإنهم يعظمون المسيح عليه السلام حتى انتهوا فيه إلى ما انتهوا :
 من دعوى الألوهية والبنوة لله سبحانه ، تعالى الله عما يشركون ، وأسمه عندهم
 أيشوع فعرب عيسى . وإنما سمي المسيح لكونه مسوح القدمين لا أخص له .

ويعظمون مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها
 بالسيدة ، وبالبتول ، وبالعداء .

ويعظمون مريمنا المعمدان ، وهو عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى
 مريم السيد ، ويحننا معنى يحيى ، ويسمونه المعمدان لأنهم يزعمون أن مريم عليها
 السلام حين عودها من مصر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحيى عليه السلام
 فعلمه في نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى تحسه فيه ، ويعلمون ذلك أصلاً

للمعمودية : وهو الماء الذى يُعمسون فيه عند تنصرتهم ، ويقولون : إنه لا يصبغ تنصرتنا دون تعمّد . ولما المعمودية بذلك عندهم من التعظيم مالا فوقه . وبعضهم يقول : إن المراد بمرمختا المعمدان غير يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ويعظمون الخواريين : وهم أصحاب المسيح عليه السلام . وقد تقدم أن عنتهم أننا عشر حواريًا ، ومعنى الخواريّ الخاص ، ومنه قيل للدقيق الناصع البياض دقيق حواري ، ثموا بذلك لأن المسيح عليه السلام استخلصهم لنفسه .

ويعظمون البطارقة لأنهم خلفاء الذين عندهم ، ويرون لهم من الحرمة مالمدين النصرانية عندهم من الحرمة ، بل يعملون أمر التحليل والتحرير متوطأ بهم ، حتى لو حرم البطرک على أحدهم زوجته لم يقربها حتى يخلها له .^(١) وسيأتى بالبطرك اليعقوبية عند صاحب الحبشة من الحرمة عند ذكر المكتبة إليه فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

وكذلك يعظمون أرباب الوظائف الدينية عندهم : من البطرقي ، والأسقف ، والمطران ، والقسيس ، والشماس ، والراهب ؛ وقد تقدم تفسيرهم فيما مرّ .

ويعظمون يوسف النجار : وهو قريب لمريم عليها السلام ، يقال : إنه ابن عمها ، كان معها في خدمة بيت المقدس ، وهو الذى استوهب المسيح بعد الصلب بزعمهم حتى دفنه . واليهود يرون مريم عليها السلام معه بالفضور على ما تقدم .

ويعظمون مريم المجدلانية المقدم ذكرها ، ويعمون أنها^(٢) أخرج منها سبعة شياطين ، وأنها أول من رأى المسيح حين قام من قبره .

(١) سبق الكلام على المكتبة اليه في ج ٨ ص ٣٩ فهذا الورد هو عما سبق .

(٢) بياض بالأصول .

ومن عادتهم أنه إذا مات منهم أحدٌ ممن يستحقون صلاحه صوّروا صورته في حيطان كنائسهم ودياراتهم يتركون بها .

ويعظمون قُسطنطين بن قُسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه أول من أخذ بدين النصرانية من الملوك وحمل على الأخذ به . وقد اختلف في سبب ذلك قيل : لأنه كان يحارب أمة البرجان بجواره وقد أعجزه أمرهم ، فرأى في المنام كأن ملائكة نزلت من السماء ومعه أعلام عليها صليبان ، فعمل أعلاماً على مثله وحاربهم بها فظهر عليهم . وقيل : بل رأى صورة صليب في السماء . وقيل : بل حملته أمه هيلاني على ذلك .

ويعظمون هيلاني أم قُسطنطين المصلح ذكره ، ويقولون : إنها رحلت من قُسطنطينية إلى القدس ، وأتت إلى عمل الصليب برعهم ، فوقفت وبكت ، ثم سألت عن خشبة الصليب ، فأخبرت أن اليهود دفنوها وجعلوا فوقها القمامات والنجاسات ، فاستعظمت ذلك ، وأستخرجتها وغسلتها وطيبتها وغششتها بالذهب ، وألبستها الحرير ، وحملتها معها إلى القُسطنطينية للتبرك ، وبنت مكانها كنيسة ، وهي المسماة الآن بالقمامة ، أخذنا من أسم القمامة التي كانت موضوعة هناك .

ويعظمون من الأمكنة بنت لخم حيث مولد المسيح عليه السلام ، وكنيسة قمامة حيث قبره ، وموضع خشبة الصليب التي أستخرجتها هيلاني أم قُسطنطين برعهم . وكذلك يعظمون مائر الكائس : وهي أمكنة عبادتهم كالساجد للمسلمين . وأصلها في اللغة مأخوذٌ من قولهم : كائس الظبي : وهو المكان الذي يستتر فيه ، سميت بذلك لاستتارهم فيها حال عبادتهم عن أعين الناس . وكذلك يعظمون الديارات : وهي أمكنة التخلّي والاعتزال كلوايا المسلمين .

ويعظمون المذبح : وهو مكان يكون في الكنيسة يقربون عنده القرايين ويلبسون الذبايح، ويعتقدون أن كل ماذبح عليه من القربان صار لحمه ودمه هو لحم المسيح ودمه حقيقة .

ويعظمون من الأزمنة أعيادهم الآتى ذكرها عند ذكر أعياد الأمم : كعيد الفطاس من أعيادهم الجكار، وموقعه في الحادى عشر من طوبه من شهر القبط . وعيد السيدة من أعيادهم الصغار . وموقعه في الحادى والعشرين من بثونة منها . وعيد الصليب . وموقعه عندهم في السابع عشر من توت، إلى غير ذلك من الأعياد الآتى ذكرها مع أعياد الأمم ، في الكلام على الأزمنة من هذه المقالة ، إن شاء الله تعالى .

وأما الأشياء التى [يتعبون] بها ، فإنهم يصلون سبع صلوات فى اليوم واليلة ، وهى : الفجر، والشحى، والظهر، والمصر، والمغرب، والعشاء، ونصف الليل، ويقرون فى صلاتهم بزامير دلّود عليه السلام كما يفعل اليهود . والسجود فى صلاتهم غير محدود العدد ، بل قد يستجدون فى الركعة الواحدة تحسین بمئة . وهم لا يتوضئون للصلاة ، ولا ينتسلون من الجنابة ، ويكون الطهر للصلاة على المسلمين وعلى اليهود ، ويقولون : الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا بالناقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون . وهم يستقبلون فى صلاتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتهم . قال الزعزعى : ولعلّ ذهابهم إلى ذلك لأخذ صريم عليها السلام عنهم مكاناً شريعاً كما أخبر تعالى بقوله : (إِذِ انْتَبَذْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) .

(١) لم يذكر شيئا من الأعياد فى هذه المقالة وقد سبق ذكر ذلك فى الفصل الثالث من المقالة الأولى فها هنا سبور .

ولهم صيامات في أوقات مُتفرقة .

منها - صَوْمُهُم الْكَبِيرُ : وهو سِتُونَ يَوْماً أَوَّلُها يَوْمُ الْاَكْتِينِ . وموقع أوله في شباط أو آذار من شهور السريان ، بحسب ما يقتضيه حسابهم ، يَطْرُونَ في خلالها يَوْمَ الْأَحَدِ ، تبقى مدة صيامهم منها تسعة وأربعون يَوْماً .

ومنها - [صَوْمُهُم الصَّغِيرُ] : وهو سِتَّةُ وَأَرْبَعُونَ يَوْماً يَصُومُونَهَا بعد الفصح الكبير بخمسين يَوْماً ، أَوَّلُها يَوْمُ الْاَكْتِينِ أيضاً ، وعندهم فيه خِلافٌ .

ومنها - صَوْمُ النَّدَارَى : وهو ثلاثة أيام ، أَوَّلُها يَوْمُ الْاَكْتِينِ الْكَبِيرِ بعد كَانُونِ الثاني ، في صيامات أخرى يطول ذِكْرُها ، ولكثرة صيامهم قيل : إِذَا حَدَّثْتَ أَنَّ نَصْرَانِيًّا مات من الْجُوعِ فَصَدَّقْ .

وأما ما يحرمونه ، فإنهم يقولون بحريم لَحْمِ الْجَمَلِ وَلَبَنِهِ كما يقوله اليهود ، ويقولون : يَحْلَلُ لَحْمُ الْخِتْرِ خِلافاً لليهود ، وهو مما يُنْكِرُهُ اليهود طيبهم من مخالفة أحكام التوراة .

ويحرمون صَوْمَ يَوْمِ الْفِصْحِ الْاَكْبَرِ ، وهو يَوْمُ فِطْرِهِمْ من صَوْمِهِم الْاَكْبَرِ .

ويحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين في قَرْنٍ وَاحِدٍ .

ويحرمون طلاق الزوجة بل إذا تزوج أحدهم امرأة لا يكون له منها فراق إلا بالموت .

وأما الأشياء التي يستعظمون الوثوع فيها :

فمنها - مجود كون المسيح هو المَبْشَرُ به على لسان مومئ طيه السلام .

ومنها - إنكار قتل المسيح عليه السلام وصَلْبِهِ ، فإنهم يعتقدون أن ذلك كان سبباً لخلاص الألهوت من الناسوت ، فن أنكر عندهم وقوع القتل والصلب على المسيح

تخرج عن دين النصرانية، بل إنكار رؤيته مصلوياً عندهم ارتكابُ محذور. على أنهم يُنكرون على اليهود ارتكابهم ذلك، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك، فيألفها من عَقُولِ أَصْلَها بَارِئُها ! .

ومنها - كَسْرُ صَلِيبِ الصَّلْبُوتِ، وهو الخَشَبَةُ التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صُلب عليها . وقد تقدم أن هيلاني أم قُسْطَنْطِينَ استخرجتها من القمامة وغسلتها وطيبتها وغشتها بالذهب وألبسها الحرير وحمّلتها معها للتبرك .

ومنها - الرجوع عن متابعة الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام .

ومنها - الخروج عن دين النصرانية أو التبري منه ، والقول بدين التوحيد أو دين اليهودية .

ومنها - الوقوعُ في حقِّ قُسْطَنْطِينَ وأمه هيلاني : لقيامهما في إقامة دين النصرانية أولاً على ما تقدم ذكره . وكذلك الإستهانة بالبطارقة أو أحدٍ من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم ممن تقدم ذكره .

ومنها - القعودُ عن أهل الشعانين : وهم أهل التسييح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الجسار بالقدس ودخل صهيون بأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدمونه .

ومنها - صَوْمُ يَوْمِ الفِضْحِ الأكبر ، وصَرْفُ الْوَجْهِ في الصلاة عن الشرق ، واستقبالُ حَفْرَةِ بَيْتِ المقدس مواظمة لليهود .

ومنها - هَدْمُ كَنِيسَةِ قُسَامَةَ : لكونها عندهم في محلِّ القبر بزعمهم . وكذلك غيرها من الكنائس والدِّيرَةِ .

ومنها - تكذيبُ أحدٍ من هَلَّةِ الإنجيل الأربعة الذين كتبوه كتيّ وغيره ،
أو تكذيبُ أحدٍ من القسوس : وهم الذين يقرعون الإنجيل والمزامير ، وتكذيبُ مريم
المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِنَ فيه برغمهم ،
فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه .

ومنها - القولُ بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى ينغمسون فيه عند
تصريحهم .

ومنها - عدمُ اعتقاد أن القربان الذى يُذبح فى المذبح لا يصير لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه ، ولعمري إن هذه لعقول ذاهبة .

ومنها - استيحية دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قسَلِ الثباسة الذين هم
خُدّام الكنايس .

ومنها - خيانهُ المسيح فى وديّته . وذلك أنهم يزعمون أن كل ماخالفت فيه فرقة
من الفرق الثلاث الفرقة الأخرى كقول الملكانية بأن الماد جُسماني ، وقول
اليعقوبية : إن الماد رُوحاني ، فإن الفرقة الأخرى يستعظمون الوقوع فيما ذهب
إليه مخالفتها ، وكذلك كل ماجرى هذا المجرى .

وقد رتب الكُتّابُ إيمانَ النصارى على هذه المعتقدات . قال محمد بن عمر المدايني
فى كتاب "القلم والدواة" : وقد يذهب على كثير من الكُتّاب ما يُختلف به اليهود
والنصارى عند الحاجة إلى ذلك منهم ، فيستحقّون بإيمان الإسلام وهم مُستحلّون
للحرام ، ويحترّثون على الآثام ، ويتأمنون من إيمانهم ، والاستقسام بأديانهم .
ثم أشار إلى أن أول ما رُتبت الأيمان التى يُخلف بها النصارى على هذه الطريقة
فى زمن الفضل بن الرّبيع ، فحكى عن بعض كُتّاب العراق أنه قال : أراد الفضل

أَبْنُ الرِّبْعِ : بِمَعْنَى وَزِيرِ الرَّشِيدِ أَنْ يَسْتَحْلِفَ كَاتِبَهُ "عَوْنَا النَّصْرَانِيَّ" فَلَمْ يَبْدُرْ
 كَيْفَ يَسْتَحْلِفُهُ ، فَقُلْتُ : وَلَيْتَ أَسْجَعِلَافَهُ ، قَالَ : دُونَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : احْلِفْ
 بِالْهَلِكِ الَّذِي لَا تَعْبُدُ فِيهِ ، وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا خَلَعْتَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَبَرَّشْتَ مِنَ
 الْمُعْمُودِيَّةِ ، وَطَرَحْتَ عَلَى الْمَذْبُوحِ خِرْقَةً حَيْضَةً يَهُودِيَّةً ، وَقُلْتَ فِي الْمَسِيحِ مَا يَقُولُهُ
 الْمُسْلِمُونَ (إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى حَيْثُ اللَّهُ كَثَلُ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) . وَإِلَّا فَلَعَنَكَ
 الْبَطْرِيكَ الْأَكْبَرُ ، وَالْمُطَارَنَةُ ، وَالشَّيْمَاسَةُ ، وَالْقَمَّاسَةُ ، وَالذَّبْرَانِيُونُ ، وَأَصْحَابُ
 الصُّوَامِعِ عِنْدَ جَمْعِ الْخَنَازِيرِ وَتَقْرِيبِ الْقُرْبَانِ ؛ وَبِمَا اسْتَفْتَاكَ بِهِ النَّصْرَانِيُّ يُسُوعُ ،
 وَالْأَفْلَكِيكَ جُرْمٌ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَةٌ عَشَرَ أَسْفُفًا الَّذِينَ نَرَجُوا مِنْ نِيَقِيَّةَ حَتَّى أَقَامُوا عُمُودَ
 النَّصْرَانِيَّةِ ، وَإِلَّا فَشَقَقْتَ النَّاقُوسَ وَطَبَخْتَ بِهِ لَحْمَ جَمَلٍ وَأَكَلْتَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَدْحَلُ
 الصُّومِ وَأَحْمَمْتَ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ يَوْمًا (٩) وَرَمَيْتَ الشَّاهِدَ بِعَشْرِينَ سَجْرًا جَالِحًا بِهَا ،
 وَهَدَمْتَ كَنِيسَةً لَدُنَّ ، وَبَنَيْتَ بِهَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، وَخَرَقْتَ غِفَارَةَ مَرْيَمَ وَكَهْنُونَ دَاوُدَ ،
 وَأَنْتَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلِعَقِيكَ مِنْ بَعْدِكَ . قَالَ فَقَالَ عَوْنٌ :
 أَنَا لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذِهِ فَكَيْفَ أَقُولُهَا ! وَنَرَجُ مِنْ جَمِيعِ مَا طَالِبُهُ بِهِ الْفَضْلُ ،
 فَأَمْرًا بِهَا الْفَضْلُ فَكَيْفَ تُسَخِّمًا وَفُرْقَتَ عَلَى الشُّكَّابِ وَأَمْرَهُمْ بِحِفْظِهَا وَتَحْلِيفِ
 النَّصْرَانِيِّ [بِهَا] .

قُلْتُ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تَرْبِيبِ تُسَخِّمِ الْإِيمَانِ لِتَحْلِيفِ النَّصْرَانِيِّ ، فَمِنْ
 مُطَنِّبٍ وَمِنْ مُوَحِّزٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِلِهِمْ فَيَأْتِي بِهِ التَّحْلِيفُ وَيُؤَافِقُ آرَاءَهُمْ
 فِيهِ . وَقَدْ رَتَّبَ الْمُقَرُّ الشَّهَابِيُّ أَبْنَ فَضْلٍ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" لَمْ يُؤَيِّمْنَا عَلَى مُقْتَضَى
 آرَاءِ فِرْقَتِهِمُ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ : مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَالْعَقُوبِيَّةِ ، وَالنَّسَاطِرَةِ .

فاما الملكانيّة، فقال : إِنَّ يَمِينَهُمْ : واللهِ واللهِ العظيم، وحقّ المسيح عيسى
ابن مريم، وآمه السيّدة مريم، وما اعتقده من دين النصرانيّة، والملة المسيحية .
والأبرأ من المعمودية، وأقول : إن ماعنا نجس، وإن القرايين رجس، وبرئت
من مريحنا المعمدان والأناجيل الأربعة، وقلت : إن متى كذوب، وإن مريم
المجدلانيّة باطلة الدعوى في إخبارها عن السيّد يسوع المسيح، وقلت في السيّدة
مريم قول اليهود، ودينٌ يدينهم في المجدود، وأنكرت اتحاد اللاهوت بالأنسوت،
وبرئت من الأب والابن وروح القدس، وكذبت القسوس، وشاركت في ذبح
الثعالب، وهدمت الديارات والكنايس، وكنت ممن مال على قسطنطين بن
هيلاني، وتعمّد أمه بالعظام، وخالفت الجميع التي أجمعت الأساقفة بروميّة
والقسطنطينيّة، وواقفت البرذمانيّ باطلاكيّة، وجمدت منهب الملكانيّة،
وسفّهت رأى الرهبان، وأنكرت وقوع الصلب على السيّد يسوع، وكنت مع اليهود
حين صلبوه، وحنت عن الحوارين، وأسديحت دماء الدريّانيين، وجذبت رداء
الكبرياء عن البطريك، ونجست عن طاعة الباب، وسمّيت يوم الفصح الأكبر،
وقدّنت عن أهل الثعالب، وأيتت عيد الصليب والفطاس، ولم أحفل بعيد
السيّدة، وأكلت لحم الجمل، ودينّت يدين اليهود، وأبجحت حرمة الطلاق، وحنت
المسيح في وديّته، وتزوّجت في قرّين باسرايين، وهدمت بيّلى كنيسة قسامة،
وكسرت صليب الصليّوت، وقلت في البتوة مقال أسطورس، ووجهت إلى الصخرة
ونجّهي، وصديت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم، والأبرأ من
النورانيين والشعشعانيين، ودينّت غير دين الثعالب، وأنكرت أنّ السيّد يسوع أخيا
الموتى وأبرأ الآكّه والأبرص، وقلت بأنّه مريبوب، وأنّه ما رؤى وهو مقبول،
وأنكرت أنّ القربان المقدّس على المذبح ما صار لحم المسيح ودمه حقيقة، ونجّجت

في النصرانية عن لاجِبِ الطريقة ، وإلا قلتُ بدين التَّوحيد ، وتعبدتُ غيرَ الأرباب ، وقصَّنتُ بالمظانيب غيرَ طريقِ الإخلاص ، وقلتُ : إنَّ المَعَادَ غيرُ رُوحاني ، وإنَّ نبيَّ المعمودية لا تَسِيحُ في فَيْسِجِ السَّماء ، وأُثَبَّتُ وُجُودَ الحُورِ الْعِينِ في المَعَاد ، وأنَّ في الدارِ الآخرةِ التَّلَذُّذَاتِ الجُسمانيَّة ؛ ونرجعتُ نروجَ الشَّعْرة من السَّيِّين من دينِ النَّصرانيَّة ، وأكونُ من ديني محروماً ، وقلتُ إنَّ جرحس لم يُقتل مظلوماً .

وأما اليعاقبة ، فقال : إنه يُبدلُ قوله : اتِّحادُ اللَّاهُوتِ بالنَّاسُوتِ بقوله : مُمَّا سَةِ اللَّاهُوتِ للنَّاسُوتِ . ويُبطلُ قوله : وواقَّعتُ البرْدَعانيَّ بأنطاكية ، وجمدتُ منهب المُلْكانيَّةَ ويبدلُ بقوله : وكذَّبتُ يعقوبَ البرْدَعانيَّ ، وقلتُ : إنه غيرُ نصراني ، وجمدتُ اليعقوبية ، وقلتُ إنَّ الحقَّ مع المُلْكانيَّة . ويبطلُ قوله : ونرجعتُ عن طاعة البابِ ، ويبدلُ بقوله : وقاغتُ يَدَي عَمَلْشِيون ، ونحزْتُ كَنيسةَ قُمامة وكنتُ أوَّلُ مفتون .

وإنَّ كان من السُّباطرة أبدلَ القولين وأبقَى ما سواهما ، وقال عوضُ مماسة اللَّاهُوتِ للنَّاسُوتِ : إشرأق اللَّاهُوتِ على النَّاسُوتِ ، ويزادُ بعد ما يُحْتَف : وقلتُ بالبراءة من سُطُورس وما تَضَمَّنَهُ الإنجيلُ المَقْدَس .



وهذه مُسَمَّاة بِمَينَ حُلَّتْ عَلَيْهَا مَلِكُ التَّوْبَةِ لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ « قُلاوون » عندَ اسْتِقْرَارِهِ نَاجِياً عَنْهُ فِي بِلَادِ التَّوْبَةِ ، وَهِيَ :

وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَحَقَّ التَّالُوتِ الْمُقَدَّس ، وَالْإِنْجِيلِ الطَّاهِر ، وَالسَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ الْعُذْرَاءِ أُمُّ التَّوْر ، وَالْمَعْمُودِيَّة ، وَالْأَنْبِيَاء ، وَالرُّسُلِ ، وَالْحَوَارِيِّينَ ، وَالْقِدِّيسِينَ ،

والشهداء الأبرار، وإلا أبحد المسيح كما يحده يودس، وأقول فيه ما يقول اليهود،
وأعتقد ما يعتقدونه، وإلا أكون يودس الذي طعن المسيح بالحربة - إني أخلصت
يَدَيَّ وعلويَّ من وقته هذا وسأعني هذه للسلطان الملك فلان، وإني أبذل جهدي
وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني ما دمت ناثيه لا أقطع المقرر عليّ في كل سنة
تمضي: وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يحصل لمن هلك من ملوك
الثوبة، وأن يكون النصف من التحصيل للسلطان غلصاً من كل حق، والنصف
الأخر مرسداً لعمارة البلاد وحفظها من علو يطرقها، وأن يكون عليّ في كل سنة
كذا وكذا. وإني أقول على كل شهر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء
البالغين ديناراً عينا. وإني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً
من إخفائه. وبقى خرجت عن جميع ما قرره أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه
كله، كنت بريئاً من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين
النصرانية، وأوصل إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقد اليهود.
وإني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته،
ولا أفرد بشيء من الأشياء إن لم يكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان
وعدو من عاداه، والله على ما أقول وكيل.

قلت: وسأذكر أيمان القرع على الهدنة عند ذكر ما أمهله في "التعريف":

من نسخ الأيمان في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

الملة الثالثة

(المَجُوسِيَّةُ : وهى المِلَّةُ التى كان عليها الفُرسُ وَمِنْ دَانَ بدينهم).

وهم ثلاثُ فِرَقٍ :

الفرقة الأولى — الكُيُومَرِيَّةُ — نسبةٌ إلى كُيُومَرْت ، ويقال : جُيُومَرْت بالجيم بدل الكاف . وهو مبدأ النسلِ عندهم كآدم عليه السلام عند غيرهم ، وربما قيل : إن كُيُومَرْت هو آدم عليه السلام . وهؤلاء ائمتنا إلهًا قديمًا وسموه يزدان ، ومعناه النور ، يعنون به الله تعالى ، وإلهًا مخلوقًا سموه أهرمن ، ومعناه الظلمة ، يعنون به إبليس . ويرجعون أن سبب وجود أهرمن أن يزدان فكر في نفسه أنه لو كان له منازعٌ كيف يكون ، فحدث من هذه الفكرة الرديئة أهرمن ، مَطبُوعًا على الشرِّ والفتنة والفساد والضَّرر والإضرار ، فخرج على يزدان وخالف طبيعته ، فجرت بينهما محاربةٌ كان أثر الأمر فيها على أن اصططحا أن يكون العالم السفلي لأهرمن سبعة آلاف سنة ، ثم يخلق العالم ويسلمه ليزدان . ثم إنه أباد الذين كانوا في الدنيا قبل الصلح وأهلكهم ، وبدأ برجلٍ يقال له كُيُومَرْت ، وحيوانٍ يقال له النور ، فكان من كُيُومَرْت البشر ومن النور البقرُ وسمائرُ الحيوان .

وقاعدةٌ منْهُمْ تَعْلِمُ النور ، والتَّحَرُّزُ مِنَ الظلمة ، ومن هنا أُنْجِزُوا إلى النار فسيبدها : لما أشتملت عليه من النور . ولما كان النور هو أصلُ الحيوان عندهم المصايدُ لوجود كُيُومَرْت ، عَقَلُوا البقرَ حَتَّى تَعْبُدُوا بأبوابها .

الفرقة الثانية — التَّنَوِيَّةُ — وهم على رأي الكُيُومَرِيَّةِ في تفضيل النور والتحرز من الظلمة ، إلا أنهم يقولون : إن الاثنين الذين هما النور والظلمة قديمان .

الفِرقة الثالثة — الزرادشتية البائسون يدين المجوسية — وهم أنشأ زرادشت الذى ظهر فى زمن كيستاسف السابع من ملوك الكيانية، وهم الطبقة الثانية من ملوك الفرس، وأدعى النبوة وقال يوحنايئة الله تعالى، وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما، وأن الخير والشر والصالح والفساد إنما حصل من امتزاجهما، وأن الله تعالى هو الذى مزجهما لحكمة [راها] فى التركيب، وأنهما لو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، وأنه لا يزال الامتزاج حتى يطلب النور الظلمة، ثم يختص الخير فى عالمه ويحيط الشر إلى عالمه، وحينئذ تكون القيامة. وقال باستقبال المشرق حيث مطلع الأنوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأجتناب الخبائث. وأتى بكاتب قبل صفته، وقيل أنزل عليه. قال الشهرستاني: اسمه "زندوستا". وقال المسعودى فى "التنبيه والإشراف": وأسم هذا الكتاب "الإيسنا" وإذا عُرِبَ أثبت فيه قاف قليل: "الإيستاق" وعد سورة إحدى وعشرون سورة، تقع كل سورة فى مائتى ورفعة، وعدد حروفه ستون حرفاً، لكل حرف سورة مفردة، فيها حروف تتكرر وفيها حروف تسقط. قال: وزرادشت هو الذى أحدث هذا الخط والمجوس تسميه: دين بهه، أى كتاب الدين.

وذكر أنه كتبت باللغة الفارسية الأولى فى اثنتى عشر ألف جلد تور بقضبان الذهب حفرًا، وأن أحدًا اليوم لا يعرف معنى تلك اللغة، وإنما هل لم إلى هذه الفارسية شئ من السور فى أيديهم يقرئونها فى صلواتهم: فى بعضها الخبر عن مبتدئ العالم ومتهام، وفى بعضها مواعد. قال: وعمل زرادشت لكتاب "الإيسنا" شرحاً سماه "الزند" ومناه عندهم: ترجمة كلام الرب، ثم عمل لكتاب "الزند" شرحاً سماه "بادزند" وعملت مملوؤهم لذلك الشرح شرحاً سموه: "يازده".

ومن حيث اختلاف الناس في كتاب زرادشت المقدم ذكره هذا : نُزِلَ عليه
أو صَنَّفَهُ قال الفقهاء : إنَّ الْجُوسَ شُبُهَةٌ كَلْب : لأنه غير مقطوع بكونه
كتاباً مُزَوَّلاً .

وَأَتَى زِرَادَشْت كَيْسَتَاسَف الْمَلِك بِمُعْجِزَات .

منها - أنه أتى بدائرة صحيحة بغير آلة ، وهو ممتنع عند أهل الهندسة .

ومنها - أنه مرَّ على أعمى ، فأمرهم أن يأخذوا حَشِيشَةً ممَّاها ويَصْرُوهَا
في عَيْنِهِ ، فأبصر . قال الشَّهْرَمَتَانِيُّ : وليس ذلك من الْمُعْجِزَةِ في شيء ، إذ يحتمل
أنه كان يعرف خاصَّة الحَشِيشَةِ .

وهم يقولون : إن الله تعالى خلق في الأوَّلِ خَلْقاً رُوحَانِيّاً ، فلبا مَضَتْ ثلاثة
آلاف سَبْعَةٍ أَهْذ الله تعالى مشيئته في صورة من نور متلائي على [تركيب] صورة
الإنسان ، وخلق الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْأَرْضَ (وَبَنَى آدَمَ حَيْثُ ذِيغُرُ .
مَتَحَرِّكِينَ) في ثلاثة آلاف مَنَّة .

ثمَّ الْجُوسَ يَفْضَلُونَ الْفُرْسَ عَلَى الْعَرَبِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ ، وَيَفْضَلُونَ مَالِمَ : من مُدُن
وَأَبْنِيَةٍ عَلَى ضِيْعَا مِنَ الْأَبْنِيَةِ ، فَيَفْضَلُونَ إِقْلِيمَ بَابِلَ عَلَى ضِيْعِهِ مِنَ الْأَقَالِمِ ، وَمَدِينَتَهُ عَلَى
سَائِرِ الْمُدُنِ ، من حيثُ إِنَّ أَوْشَهَنَجَ أَوَّلَ طَبَقَةِ الْيَكَانِيَةِ من مُلُوكِ الْفُرْسِ هو الذي
بَنَاهَا ؛ ويقولون : إنه أَوَّلُ من جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَيْسَ النَّاجِ ، وَدَفَعَ الْأَعْمَالِ ،
وَرَتَّبَ الْخَرَاجَ ؛ وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَتِي سَنَةٍ ، وَقِيلَ : بل كان قبل
الطُّوفَانِ .

وَيَفْضَلُونَ الْكِتَابَةَ الْقَهْلَوِيَّةَ وَهِيَ الْفَارْسِيَّةُ الْأَوَّلَى عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْخُطُوطِ ، وَيَرْغُبُونَ
أَنْ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهَا طَهْمُورَث : وهو الذي مَلَكَ بَعْدَ أَوْشَهَنَجَ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ .

ويحشدون سيااسة بني ساسان، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس منسوبون إلى ساسان. ويسخطون [على] الروم، لغزوهم الفرس وتسلطهم عليهم ببلاد بابل. ويبئون النار، ويرون أن الأفلاك فاعلة بنفسها، ويستبدحون فروج المحارم من البنات والأمهات، ويرون جواز الجمع بين الأختين إلى غير ذلك من عقائهم.

ويسقطون التيرور: وهو أول يوم من سنتهم وعيشتهم الأكبر. وأول من رتبته جمشيد أخو طهمورث. ويسقطون أيضا المهرجان: وهو عيد مشهور من أعيادهم.

ويسخطون [على] يوراسب: وهو رابع ملوكهم: وهو الضحاك يقال له بالفارسية: الدهاش، ومعناه حشر آفات. وكان ظلوما غشوما، سار فيه بالجوهر والسيف، وبسط يده بالقتل، وسن السور والكوس واتخذ المغنين والملاهي، وكان على كَيْفِهِ سَلْتَانِ مستورتان بلباسه يحر كهما إذا شاء، فكان يدعى أنهما حيتان، تهويلا على ضعفاء العقول، ويزعم أن ما يأخذه من الرعية يطعمه لما ليكفهما عن الناس، وأنهما لا يشبعان إلا بأديمه بنى آدم، فكان يقتل في كل يوم عددا كثيرا من الخلق بهذه الحجة. ويقال: إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان في آخر أيامه.

وكان من شأنه أنه لما كثرت جوره وظلمه على الناس، ظهر بأصهار رجل اسمه كاي، ويقال: كايان من سِفلة الناس، قيل حداد، كان الضحاك قد قتل له ابنين فاخذ كاي المذكور دِرْقَسًا وهو الحرية وعلق بأعلاها قطعة نطع كان يتي بها النار،

ونادى في الناس بحاربة الضحّاك ، فاجابه خلقٌ كثيرٌ ، واستفحل أمرُهُ ، وقصدَ الضحّاكُ بنَ معه ، فهرب الضحّاكُ منه ، فسأله الناسُ أن يَمْلِكَ عليهم ، فامتنع لكونه من غير بيتِ الملِك ، وأشار بتولية إفريدون من عقب جمشيد المقتدَم ذكره ، فوَلَّوه ، فتبع الضحّاكُ قبضَ عليه وقتله ، وصار فِهم سيرة العدل ورد ما اغتصبه الضحّاكُ إلى أهله ، فصار لكاتبُ المذكور عندهم المقامُ الأعلى ، وعظموا دِرَفسَه الذي علق به تلك القطعة من النطع ، وكلّوه بالحواري ، ورصّعوه بالواقيت ، ولم يزل عند ملوكهم يستفتحون به في الحروب العظيمة حتّى كان مهم أيام يزديجرد آخر ملوكهم عند محاربة المسلمين لم يَزِن عِثان ، فغلبهم المسلمون وأقتلوه منهم .

وهم يعظمون إفريدون ملكهم المقتدَم ذكره ، لقيامه في هلاك الضحّاك وقتله .
وفى أول ملك إفريدون هذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقال : لأنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم .

وهم يعظمون أيضا من ملوكهم سابور الملقب بذي الأكتاف ، لأخذه بثار السّجَم من العرب . وذلك أنه كان يتبع العرب بالجزيرة الفُرائيّة وما جاورها ، وصار في طلبهم حتّى بلغ البحرين ، لئيلكهم قتلا ، لا يقبل من أحدٍ منهم فداءً ، ثم أخذ في حلق أكتافهم ، فلذلك سُمّي ذا الأكتاف .

ويعظمون ماني بن قاتن ^(١) : وهو رجل ظهر في زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام ، وأدعى النبوة وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول : بنو المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنو موسى عليه السلام ، وقال : إنّ العالم

(١) في "الملل" ابن قاتن بالكاف .

مَصْنُوعٌ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَزَلَا قَدِيمَيْنِ حَسَّاسَيْنِ تَمِيمَيْنِ بَصِيرَيْنِ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَعْرِفُونَ بِالْمَأْتِيَةِ .

وَيَتَبِعُونَ مِنْ مِزْدِكَ : وَهُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ مَلْسُوبٌ عَنْهُمْ إِلَى الزُّنْدَقَةِ أَيْضًا ، ظَهَرَ فِي زَمَنِ قُبَادُ أَحَدِ مُلُوكِ الْفُرسِ مِنَ الْأَكْسَرَةِ ، وَأَدْعَى النُّبُوَّةَ وَنَهَى عَنِ الْخَالَفَةِ وَالْمُبَاغِضَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ ، فَامَرَ بِالْإِسْتِرْكَاءِ وَالْمَسَاوَاةِ فِيهِمَا ، وَتَبِعَهُ قُبَادُ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَصَلَتْ سِفْلَةُ الرِّجَالِ إِلَى أَشْرَافِ النِّسَاءِ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ النُّورَ عَالِمُ حَسَّاسٌ ، وَالظُّلَامَ جَاهِلٌ أَعْمَى ، وَالنُّورُ يَفْعَلُ بِالْقَصْدِ وَالِاخْتِيَارِ ، وَالظُّلْمَةُ تَفْعَلُ عَلَى الْخَطِطِ وَالْإِفْهَاقِ ، وَإِنَّ أَمْتَرَاجَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ كَانَ بِالْإِفْهَاقِ وَالْخَطِطِ دُونَ الْقَصْدِ وَالِاخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ الْخِلَاصُ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يُقَالُ لَهُمُ الْمَزْدَكِيُّ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ شِرْوَانُ بْنُ قُبَادُ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُمُ الْمَأْتِيَةُ أَتْبَاعَ مَا نِيَ الْمُقَدِّمَ ذِكْرُهُ ، وَعَادَتِ الْفُرسُ إِلَى الْمُجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَقَدْ رُبَّ فِي "التَّعْرِيفِ" لِلْجُوسِ مِثْلًا عَلَى مُقْتَضَى مَا عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْجُوسِ أَتْبَاعِ زَرَادُشْتِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، وَهِيَ :

إِنِّي وَاقِعٌ الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ ، النُّورِ ، الْأَوَّلِ ، رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَإِلَهِ الْإِلَهَةِ ، مَا حَى آيَةُ الظُّلَمِ ، وَالْمُؤْجِدِ مِنَ الْعَدَمِ ، مُقَدِّرِ الْأَفْلاكِ وَمُسَبِّحِهَا ، وَمُنَوِّرِ الشَّهْبِ وَمُصَوِّرِهَا ، خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُنْبِتِ النُّجُومِ وَالشَّجَرِ ، وَالنَّارِ وَالنُّورِ ، وَالظُّلِّ وَالْحَرُورِ ، وَحَقِّ جُيُومَرْتِ وَمَا أَوْلَدَ مِنْ كَرَامَتِ النَّسْلِ ، وَزَرَادُشْتِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ الْقَصَلِ ، وَالزُّنْدِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَالْخَطِّ الْمُسْتَدِيرِ وَمَا بَيْنَ . وَإِلَّا أَنْكَرْتُ أَنَّ زَرَادُشْتِ لَمْ يَأْتِ بِالْدَائِرَةِ الصَّحِيحَةِ بِخَيْرِ آلِهِ ، وَأَنَّ مَمْلَكَةَ إِنْزِيدُونَ كَانَتْ ضَلَالَةً ، وَأَكُونُ

قد شاركت بيوراسب فيما سفك طعماً لحيتته، وقلت إن كايان لم يُسلط عليه ؛
وحرقْتُ يدي الدرفس ، وأنكرت ما عليه من الوضع الذي أشرقت عليه أجزام
الكواكب ، وتمازجت فيه القوى الأرضية بالقوى السماوية ، وكذبتُ ما نى وصدقتُ
مزدك ، وأسبختُ فضول الفروج والأموال ، وقلتُ بإنكار الترتيب في طبقات
العالم ، وأنه لا مرجع في الأوبة إلا إلى آدم ، وفضلتُ العرب على الجعم ، وجعلتُ
الفرس كسائر الأمم ، ومسحتُ يدي خطوط القهلوية ، وجمدتُ السياسة
السامانية ، وكنتُ ممن غزا الفرس مع الروم ، ومن خطأ سابور في خلق أكاف
العرب ، وجلبتُ البلاء إلى بابل ، ودنتُ بنيردين الأوائل ؛ وإلا أطفأتُ النار ،
وأنكرتُ فضل الفلك النوار ، ومألأتُ فاعل الليل على فاعل النهار ، وأبطلتُ حكم
التبوز والمهربان ، وأطفأتُ ليلة الصديق مصابيح النيران ؛ وإلا أكونُ ممن حرم
فروج الأمهات ، وقال بأنه لا يجوز الجمع بين الأخوات ، وأكونُ ممن أنكر صواب
فضل أردشير ، وكنتُ لقومي رئيس الموتى وبئس العشير .

المهمع الثالث

(في الإيمان التي يختلف بها الحكماء)

وهم المبعر عنهم بالفلاسفة ، جمعُ فيلسوف : ومعناه باليونانية محب الحكمة .
وأصله فيلاسوف ، فصيلاً معناه محب ، وسوف معناه الحكمة ، وهم أصحاب الحكم
القرينة والأحكام السماوية ، فمنهم من وقف عند هذا الحد ، ومنهم من عرف الله
تعالى وعبده بأدب النفس .

قال الشهرستاني : وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — البرامته ، وهم لا يُقرون بالنبوءات أصلاً ، ولا يقولون بها .

[الصِّنف الثاني — حكمة العرب^(١)، وهم شِذْمَةُ قَلِيلَةٍ، وأكثر حِكْمَتِهِمْ
فَلَتَاتُ الطَّبْعِ، وَخَطَرَاتُ الْفِكْرِ، وهؤلاء ربما قالوا بالنبؤات .

[الصِّنف الثالث — حكمة الروم^(٢)، وهم على ضربين :

الضرب الأول

(الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِينَ هُمْ أَسَاطِلِينَ الْحِكْمَةِ)

وهم سَبْعَةٌ حِكْمَاءُ : ثَالِيسُ الْمَلَطِي، وَانْكساغورس، وَانْكمانس، وَانباديقلس،
وَفِيثاغورس، وَسُقْرَاطُ، وَأَفْلَاطُون . وَمِنْهُمْ غَنَقَةُ، وَبَعْضُهُمْ حَاصِرُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ
عَلِيمِ السَّلَامِ، وَتَقَفَ مِنْهُ، كَنَادِيْقِلْسُ : كَانَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَضَى
إِلَيْهِ وَتَلَقَّى عَنْهُ، وَأَخْطَفَ إِلَى قَهْنٍ وَأَقْبَسَ مِنْهُ الْحِكْمَةَ . وَكَذَلِكَ فِيثاغورس : كَانَ
فِي زَمَنِ سُليْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخَذَ الْحِكْمَةَ مِنْ مَعْدِنِ النُّبُوَّةِ .

الضرب الثاني

(الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ أَرْسَاطَالِيْس، وَهُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ)

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُعْرَفُ بِالْمُشَافِينَ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَمْشُونَ فِي رِكَابِهِ يَقْرَعُونَ عَلَيْهِ
الْحِكْمَةَ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِبٌ . وَطَائِفَةٌ تُعْرَفُ بِالرُّوَاقِينَ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانَ يَحْلِسُ
لِتَعْلِيمِهِمُ بِالرُّوَاقِ . وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ فَلَا سِفَةَ الْإِسْلَامِ : وَهُمْ حِكْمَاءُ السَّجَمِ : أَمَا قَبِلَ
الْإِسْلَامَ فَإِنَّهُ لَمْ يُثَقِّلْ عَنِ السَّجَمِ مَقَالَةً فِي الْفَلَسَفَةِ، بَلْ حِكْمَتُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ مُسْتَفَادَةً

(١) الزيادة عن التبرستانى بالمعنى ليستم الكلام .

(٢) فِي الْمَلِّ وَالنَّحْلِ : انْبَقَطَسَ .

من النبوت : إما من الملة القديمة ، وإما من غيرها من الملل . ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته ، وأنه ليس بجهنم ولا عرض ، وأن ما سواه صادر عنه على ترتيب ، وأنه تعالى واحد قود ، ليس له شريك ولا نظير ، باق أبدي سرمدي ، وأنه الذي أوجد الأشياء وكونها ، ويموتون عنه بيلة الملل ، وأنه قادر ، يفعل إن شاء ولا يفعل إن لم يشأ ، فاعل بالذات ليس له صفة زائدة على ذاته ، مريد ، له إرادة وعناية لا تزيد على ذاته ، وأنه أول لا بداية له ، آخر لا نهاية له ، وأنه يستحيل أن يتغير ، متزه عن أن يكون حادثاً أو عارضاً للحوادث ، حتى منتصف بصفات البقاء السرمديّة ، وأنه حكيم بمعنى أنه جامع لكل كيل وجلال ، وأنه خالق الأفلاك بقدرته ، ومدبرها بحكمته ، ويقولون : إن الأرض ثابتة لا تتحرك ، والماء يحيط بها من سائر جهاتها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ، وكشف بعض أعلاها لسكنى الخلق فيه ، فهي كطبيعة ثقاة في بركة ماء ، ويحيط بالماء الهواء ، ويحيط بالهواء النار ، ويحيط بالنار فلک القمر وهو الأول ، ويحيط بفلک القمر فلک عطارد وهو الثاني ، ويحيط بفلک عطارد فلک الزهرة وهو الثالث ، ويحيط بفلک الزهرة فلک الشمس وهو الرابع ، ويحيط بفلک الشمس فلک المريخ وهو الخامس ، ويحيط بفلک المريخ فلک المشتري وهو السادس ، ويحيط بفلک المشتري فلک زحل وهو السابع ، ويحيط بفلک زحل فلک الكواكب وهو الثامن ، وهو الذي فيه الكواكب الثابتة بأسرها ، وهي ما عدا الكواكب السبعة التي في الأفلاك السبعة المقتمة ذكرها : من البروج الاثني عشر ومنازل القمر الثمانية والعشرين وغيرها . ويحيط بالكواكب فلک الأطلس وهو الفلك التاسع ، والأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب ، بحيث تقطع في اليوم واليلة دورة كاملة ، والكواكب السبعة

التي في الأفلاك السبعة الأولية ، وهي : زُحَل ، والمُشَرِّق ، والمُريخ ، والشمس ،
والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، متحركة بالسَّير إلى جهات مخصوصة : الشمس والقمر
يسيران بين المشرق والمغرب وبقية الكواكب يختلف سَيرها استقامةً ورجوعاً ،
والكواكب التي في الفلك الثامن ثابتة لا تتحرك ، والله تعالى هو الذي يُسير هذه
الأفلاك والكواكب ويهيض القوى عليها .

ويقولون : إن الشمس إذا تَحَنَّت الأرض بواسطة الضَّوء صعد من الرُّطب
منها بخارٌ ، ومن البارد اليأس دُخانٌ . ثم بعضه يخرج من مَسَام الأرض فيخرج
إلى الجو ، وبعضه يَحْتَسِيس في الأرض بوجود ما يمنعه من الخروج منها : من جبل
ونحوه .

فالما ما يخرج من مَسَام الأرض ، فإن كان من البُخار ، فما تصاعد منه في الهواء
يكون منه المطر والتَّلج والبرد وقوسٌ قُزَح والمالة ؛ ثم ما ارتفع من الطبقة الحارة من
الهواء إلى الباردة تكاثف بالبرد وأنعقد ضيماً ، وإن كان ضعيفاً أثرت فيه حرارة
الشمس فاستحال هَوَاءً ، وبهما انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وطاد وتهاطر وهو
المطر . فإن أدركها بردٌ شديدٌ قبل أن تجتمع ، جمدت ونزلت كالقُطُن المنتوف وهو
التَّلج ، وإن لم تدرُكها برودةٌ حتى أجمعت قطرات من الجوانب أنحبت برودتها ،
أنعقدت برداً ؛ وإذا صار الهواء رطباً بالمطر مع أدنى صَقَالَةٍ صار كالمرأة فيتوله من
ضَوء الشمس الواقع في قفاه قوسٌ قُزَح ، فإن كان قبل الزوال رُوي في المغرب ،
وإن كان بعد الزوال رُوي في المشرق ، وإن كانت الشمس في وسط السماء لم يُمكن
أن يرى إلا قوساً صغيراً إن اتفق . وفي معنى ذلك المالة المحيطة بالقمر ، إلا أن
المالة إنما تحصل من مجرد برودة الهواء وإن لم يكن مطر .

وإن كان ما يخرج من مَسَامِ الأرض دُخَانًا : فإن تصاعدَ وأرضع في وَسَطِ البُخَارِ وضربه الرِّيحُ في ارتفاعه ، تَهْلُ وأتسكس فخرَّكه الهواءُ فحصل الرِّيحُ . وإن لم يَضْرِبْهُ الرِّيحُ ، تصاعد إلى عُنْصُرِ النارِ واشتعلت النارُ فيه فصار منه نَارٌ شَاهِدٌ ، وربما استطلَّ بحسب طُولِ الدُّخَانِ فيسمى كوكبًا مُتَقَضًّا . وإن كان الدُّخَانُ كَثِيفًا واشتعل بالنار ولكنه لم يستعل على القُرْبِ ، بل بقي زمانًا ، رُئِيَ كأنه كوكبٌ ذو ذَنَبٍ . وإن بقي شيءٌ من الدُّخَانِ في تضاعيف النِّيمِ وبرد ، صار رِيحًا في وَسَطِ النِّيمِ فيحركُ فيه بشدة فيحصل منه صَوْتٌ وهو الرَّمْدُ ، فإن قُوِيَتْ حركته اشتعل من حرارة الحركة الهواءُ والدُّخَانُ فصار نَارًا مُضِيئَةً وهو البرقُ . وإن كان المُشْتَعِلُ كثيفًا تَقِيلاً مُحَرَّقًا ، أُلْغِيَ بمصادفة النِّيمِ إلى جِهَةِ الأرضِ وهي الصاعقة :
(صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَمَّنَ كُلَّ شَيْءٍ) .

وَيَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُكَوِّنُ الْأَكْوَانِ ، وَبَنَى الْمَعَادِنَ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ .

فأما المعادنُ — فهي التي تتكوَّنُ فيها جواهرُ الأرضِ : من الذهبِ والفضةِ وغيرهما . وذلك أَنَّ البُخَارَ والدُّخَانِ في الأرضِ فلانها [أن] تجتمعُ وتخرجُ ، فإن غلب الدُّخَانُ كان الحاصلُ منه مثلُ النُّوْشَادِرِ والكِبْرِيتِ ، وربما تغلبَ البخارُ في بعضه فصيرَ كلباء الصَّافِي المتعقِدِ المتحجِّرِ ، فيكون منه الباقوْتُ والبِلَّوْرُ ونحوهما مما لا يتطرَّقُ تحت المطَّارِقِ . وإن استحكمت أمتزاج الدُّخَانِ منه بالبُخَارِ وَقَلَّتِ الحرارةُ المحققة في جواهرها ، أُنْقَدَ منه الذهبُ والفضةُ والسَّماسُ والرَّصَاصُ ونحوها مما يتطرَّقُ بالمِطْرَقَةِ .

وأما النبات — فانهم يقولون : إن العناصر قد يقع بها أمتزاجٌ واختلاطٌ أتمُّ من أمتزاج البُخَارِ والدُّخَانِ المقتم ذكره ، وأحسنُ وأقربُ إلى الاعتدالِ ، فيحصل من ذلك النُّوْمُ الذي لا يكون في الجمادات .

وينشأ عن ذلك ثلاثة أمور :

أحدها — التغذية بقوة مُغذية : وهى قوة حيلة اللغذاء تتخلع عنها صورتها وتكسوها صورة المتغذى ، فتنتشر في أجزائه وتلتصق به وتسد مسد ما تحلل من أجزائه .

وثانيها — التئمة بقوة مُغذية ، بأن يزيد الجسم بالغذاء في أقطاره على التناسب اللائق بالنامى حتى ينتهى إلى منتهى ذلك الشئ .

وثالثها — التوليد بقوة مولدة : وهى التى تفصل جسماً من جسم شبيه به .

وأما الحيوان — فإنهم يقولون إن تكوُّنه من مزاج أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله ، من حيث إن فيه قوة النباتية وزيادة قوتين ، وهما المدركة والمتحركة ، ومهما حصل من الإدراك أنبعت الشهوة والتروع ، وهو إما لطلب ما يحتاج إليه فى طلب الملائم الذى به بقاء الشخص : كالغذاء ، أو بقاء النوع : كالجماع ، ويسمى قوة شهوانية . وإما للهرب ودفع المُناني ، وهى قوة غضبية ، فإن ضُعفت القوة الشهوانية فهو الكراهة ، وإن ضُعفت القوة الغضبية فهو الخوف .

والقوة المدركة تنقسم إلى باطنة : كالخيالية والمُوهمة والنَّاكرة والمُفكرة ، وإلى ظاهرة : كالسمع والبصر والذوق والشم واللس . فالقوة مُنبئة فى جميع البشرة ، تُدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والصلابة واللين والخشونة والملاسة والطفة والقتل . والشم فى رائدنى السماغ الشبهتين بحلقى التدى . والسمع فى عَصَبَة فى أقصى الصماخ . والذوق فى عَصَبَة مقروضة على ظاهر اللسان بواسطة الرطوبة العذبة التى لا طعم لها ، المنسطة على ظاهر اللسان . والإبصار يحصل عن أطباع مثل صورة المدرك فى الرطوبة البلبلية التى تُشبه البرد والجند فلها كالمراة ، فاذا قابها يكون أنطبع فيها مثل صورته فتحصل الرؤية .

وَيَرَوْنَ أَنَّ النَّفْسَ عَمَلُهَا الْمَوْتُ . وَيَقُولُونَ : إِنْ النَّفْسُ فِي أَوَّلِ الصَّبَا تَكُونُ مَالِمَةً
بِالْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَالْمَعَانِي الْكَلْبِيَّةِ بِالْقُوَّةِ ، ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ مَالِمَةً بِالْفِعْلِ .

ثُمَّ إِنْ مَيَّعَتْ بِالِاسْتِمْدَادِ لِلْقَبُولِ ، أَهْطَعَتْ حَاجَتَهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَدَنِ
وَمُقْتَضَى الْحَوَاسِّ ، إِلَّا أَنَّ الْبَدْنَ لَا يَزَالُ يَحَاضِرُهَا وَيَسْقِلُهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْ تَسَامِ الْإِتِّصَالِ
بِالْعُلُومَاتِ ، فَذَا آنَحَ عَنْهَا شُغْلُ الْبَدَنِ بِالْمَوْتِ أَرْضَعَ عَنْهَا الْحِجَابَ ، وَزَالَ الْمَانِعُ ،
وَدَامَ الْإِتِّصَالُ ، وَكُلَّ حَالًا بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وَآتَلَّتْ بِهِ لَذَّةٌ لَا يُدْرِكُ الْوَصْفُ
كُنْهَهَا . وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ مُحِبَّةً عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ فَقَدْ شَقِيَتْ .

وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا تُجْبِبُ بِتَبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَصْرِ الْمَهْمَةِ عَلَى مُقْتَضَى الطَّبْعِ ،
وَبَقَائَتِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْخَاسِيسِ الْفَانِي ، قَرَسَتْ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعَادَةُ وَيَتَأَكَّدُ شَوْفُهُ
إِلَيْهَا ، فَتَقْوَتْ بِالْمَوْتِ آلَةُ دَرَكِ ذَلِكَ الشَّوْقِ وَيَبْقَى التَّشَوُّقُ وَهُوَ الْأَلَمُ الْعَظِيمُ الَّذِي
لَا حُدَّ لَهُ ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنَ الْوَصَالِ وَالِإِتِّصَالِ . وَهَذِهِ النَّفْسُ نَاقِصَةٌ بِفَقْدِ الْعِلْمِ ،
مُلْطَحَةٌ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، بِخِلَافِ النَّفْسِ السَّابِقَةِ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْحَيَوَاتِي قَابِلَةٌ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَيُحَالِفُونَ أَهْلَ الطَّبِيعَةِ فِي قَوْلِهِمْ :
بِاتِّكَارِ الْمَعَادِ وَقَتَاءِ الْأَرْوَاحِ ، فَيَنْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ وَأَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّجَنُّبَ رَاجِعَانِ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الشَّرْعِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ
الْمُتَعَزِّلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْإِلَهِ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالذَّاتِ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ ، حَالِمٌ
بِذَاتِهِ وَبَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَجْنَاسِهَا ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ
الْمَحَالَّاتِ الْحَادِثَةَ .

ويقولون بأثبات النبوات لأن العالم لا يعظم إلا بقانون متبوع بين كافة [الناس] يحكمون به بالعدل ، وإلا تناهوا وهلك العالم ، إذ النبي هو خليفة الله في أرضه ، بواسطته تنتهي إلى الخلق الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة ، من حيث إنه يتلقى عن الملك والملك يتلقى عن الله تعالى ، إلا أنهم يقولون : إن النبوات غير متناهية وإنها مكتسبة ينالها السبد بالرياضات . وهاتان المقالتان من جملة ما كفروا به : بتجاوز النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبر تعالى أنه خاتم النبيين ، وقولهم إنها تنال بالكسب .

وقد حكى الصلاح الصفدي في "مشرح لامية العجم" أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة النبي الشاعر ، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد أقراضها ، على ما هتمم ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية ، مستنفا في ذلك إلى بيت نسب إليه من قصيدة ، وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الأمم

فجعل النبوة مكتسبة ^(١) على أن الله تعالى ليس يحسم ولا جُمهاني ، وأنه ليس في جهة ولا يدخل تحت الحد والمساهية .



وهذه نسخة بين رتبها لم في "التعريف" وهي :

إني والله وأقرب الله [المعظم] ^(٢) ، الذي لا إله إلا هو ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأبدى ، السرمدي ، الأزلي ، الذي لم يزل حلة الليل ، رب الأرباب ،

(١) يخاض في الأصل ، وله « دم بمرور على أن » الخ .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٦٢ .

وَمُدِيرُ الْكُلِّ [الْقَدِيرُ] الْقَدِيمُ ؛ الْأَوَّلُ بِلَا بَدَايَةٍ ، وَالْآخِرُ بِلَا نِهَايَةٍ ، الْمَتَزُّ عَنْ
 أَنْ يَكُونَ حَدَاثًا أَوْ عَرَضًا لِلْحَوَادِثِ ، الْحَيُّ الَّذِي أَتَّصَفُ بِصِفَاتِ الْبَقَاءِ وَالسَّمَدِيَّةِ
 وَالْكَمَالِ ، وَالْمُتَرَدِّى بِرَدَاءِ الْكِبَرِيَاءِ وَالْجَلَالِ ؛ مُدِيرُ الْأَفْلَاقِ وَمُسِيرُ الشُّهُبِ ، مُفِيضُ
 الْقُوَى عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَبَاطِنُ الْأَرْوَاحِ فِي الصُّوَرِ ، مَكُونُ الْكَائِنَاتِ ، وَمُمَيِّ
 الْحَيَوَانَ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ . وَأَلَّا فَلَا رَقِيتُ رُوحِي إِلَى مَكَانِهَا ، وَلَا أَتَّصَلْتُ نَفْسِي
 بِمَالِهَا ، وَبَقِيتُ فِي ظِلِّ الْجَهْلَالَةِ وَجُحْبِ الضَّلَالَةِ ، وَفَارَقْتُ نَفْسِي غَيْرَ مُرْتَسِمَةٍ
 بِالْمَعَارِفِ وَلَا مُكَلِّمَةٍ بِالْعِلْمِ ، وَبَقِيتُ فِي عَوَزِ النِّقْصِ وَتَحْتَ إِمْرَةِ النَّفْسِ ، وَأَخَذْتُ
 بِتَصَيُّبٍ مِنَ الشُّرْكِ ، وَأُنْكَرْتُ الْمَعَادَ ، وَقَلْتُ بِفَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، وَرَضِيتُ فِي هَذَا بِمَقَالَةٍ
 أَهْلَ الطَّبِيعَةِ ، وَدُمْتُ فِي قَيْدِ الْمَرْبُكَةِ وَشَوَاطِلِ الْحَسَنِ ، وَلَمْ أُدْرِكْ الْحَقَائِقَ عَلَى
 مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا فَقُلْتُ : إِنْ الْهَيَوَانِيُّ لَا يُرْكَبُ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَأُنْكَرْتُ الْمَادَّةَ
 وَالصُّوَرَةَ ، وَتَرَفَّتُ النَّوَامِيسَ ، وَقُلْتُ : إِنْ التَّحْسِينِ وَالتَّقْضِيقِ إِلَى غَيْرِ الْعَقْلِ ،
 وَخُلِدْتُ مَعَ النَّفُوسِ الشُّرَّيَّةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَى النَّجَاةِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْإِلَهِ لَا يَسُ
 فَاعِلًا بِالذَّاتِ ، وَلَا عَالِمًا بِالْكُلِّيَّاتِ ، وَدُنْتُ بِأَنَّ النَّبَوَاتِ مُتَنَاهِيَةٌ وَأَنَّهَا غَيْرُ كَسْبِيَّةٌ ،
 وَحَدَّثْتُ عَنْ طَرَائِقِ الْحِكْمَاءِ ، وَتَقَضَّيْتُ تَهَرِيرَ الْقَدَمَاءِ ، وَخَالَفْتُ الْفَلَّاسِفَةَ ،
 وَوَأَقَعْتُ عَلَى إِفْسَادِ الصُّوَرِ لِلْعَبَثِ ، وَسَيَّرْتُ الرَّبَّ فِي جِهَةٍ ، وَأَثْبَتُ أَنَّهُ جِسْمٌ ،
 وَجَعَلْتُهُ فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَدِّ وَالْمَاهِيَةِ [وَرَضِيتُ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْأَوَّلِيَّةِ ^(١)] .

المهيع الرابع

(في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على الصوم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته)

اعلم أن المحلوف عليه في الإيمان الملوكة تارة يشترك فيه جميع من يحلف من أهل الدولة ، وتارة يختلف باختلاف ما يمتاز به بعضهم عن بعض مما لا تقع الشركة بينهم فيه .

فأما ما يقع فيه الاشتراك ، كطاعة السلطان وما في معناها : من إخلاص النية وإصفاء الطوية ، وما يجري مجرى ذلك ، فذلك مما يشترك فيه كل حليف يحلف للسلطان على اختلاف عقائدهم : من مسلم : سُنيٍّ أو بدعيٍّ ، وكافر : يهوديٍّ أو نصرانيٍّ ، أو غيرهما . فكلُّ أحدٍ يحلف بما تقتضيه عقيدته في التعظيم ، على ما تقدم بيانه في إيمان الطوائف كلها .

فاذا انتهى إلى المحلوف عليه ، قال : أتني من وقي هذا ومن ساعتي هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نبيي ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيت طويعي ولا أزال مجتهداً في إصفائها ، في طاعة مولانا السلطان المالك الملك الفلاني فلان الدنيا والدين فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك فلان الدنيا والدين فلان خلد الله تعالى ملكه ، وفي خدمته وعييته ونصحه ، وأكون ولياً لمن وآله ، عدوًّا لمن عاداه ، سلباً لمن سALLE ، حرباً لمن ساربه من سائر الناس أجمعين ، لا أخفئه سوماً ولا مكرهاً ولا خديعة ولا خيانة ، في نفس ولا مال ولا ملك ولا سلطنة ولا عساکر ولا جنود ولا عربان ولا تركمان ولا أكزاد ولا غير ذلك ، ولا أسمى في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة . وأتني والله العظيم أبذل جهدي

وطاقتي في طاعة مولانا السلطان الملك فلان الدنيا والدين المشار إليه، وإن كنتي
أحد من سائر الناس أجمعين بما فيه مضرّة على ملكه لا أوافق على ذلك بقول
ولا فعل ولا عمل ولا نيّة، وإن قدرت على إمساك الذي جاءني بالكتاب أمسكته
وأحضرت مولانا السلطان الملك فلان المشار إليه أو نائبه القريب مني .

وأما ما يقع فيه الاختلاف فما يقابن الحال فيه باختصاص ربّ كلّ وظيفة
بما لا يشاركه فيه الآخر. وقد أشار في "التعريف" إلى نبذة من ذلك فقال :
وقد يزداد ثواب القلاع وثبائرها والوزراء وأرباب التصرف في الأموال والموادارية
وتكليب الممرزيادات ، يعني على ما همّهم .

فما ثواب القلاع وثبائرها فيزاد في تخفيفهم : وإني أجمع رجال هذه القلعة على
طاعة مولانا السلطان فلان وخدمته في حفظ هذه القلعة وجماعتها وتخصيصها، والذب
عنها، والجهاد دونها، والمداينة عنها بكلّ طريق . وإني أحفظ حواصلها وذخايرها
وسلاح خاناتها على اختلاف ما فيها من الأقوات والأسلحة . وإني لا أخرج
شيئا منها إلا في أوقات الحاجة والضرورة الداعية المتعين فيها تفريق الأقوات
والسلاح، على قدر ما تلحق الحاجة إليه . وإني أكون في ذلك كواحد من رجال
هذه القلعة، وكلّ واحد من يتبعني كواحد من يتبع أتباع رجال هذه القلعة،
لا أخصّص ولا أمكن من التخصيص . وإني والله والله والله لا أفتح أبواب هذه
القلعة إلا في الأوقات الجارية بها عادة تفتح أبواب الحصون ، وأغلقها في الوقت
الجاري به العادة، ولا أفتحها إلا بسمي، ولا أغلقها إلا بسمي . وإني أطالب
الحراس والدراجة وأرباب الثوب في هذه القلعة بما جرت به العوائد اللازمة لكلّ
منهم مما في ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان فلان . وإني لأسلم هذه القلعة إلا

مولانا السلطان فلان، أو بموسمه الشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة .
 وإني لا أستخيم في هذه القلعة إلا من فيه نعمها وأهليته الخلية، لا أعمل في ذلك
 بغرض نفسي ، [ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض نفسه له ^(١)] ، وإني أبذل
 في ذلك كله الجهد، وأثمر فيه عن ساعد الجهد، قال : ويسى القلعة التي هو فيها .
 وأما الوزراء وأرباب التصرف [في الأموال] فما يزداد في تخلفهم : وإني أحفظ
 أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير والضياع ، والخنوة
 وتقرير أهل العجز ، ولا أستخيم في ذلك ولا في شيء منه إلا أهل الكفاية
 والأمانة ، ولا أضمن جهة من الجهات الديوانية إلا من الأمانة الإخياء القادرين ،
 أو من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات ، ولا أؤتمر مطالبة أحد بما يتعين
 عليه بوجه حتى من حقوق الديوان المعمور والموجبات السلطانية على اختلافها .
 وإني والله العظيم لا أرخص في تسجيل ولا قياس ، ولا أسمح أحدا بموجب
 يجب عليه ، ولا أنرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ولولته ،
 ولا أخلي كل ديوان يرجع إلى أمره ، ويصدق في أمر مباشرته من تصفح
 لأحواله ، واجتهاد في تجميع أمواله ، وكف أيدي الخنوة عنه ، وظل أيديهم أن تصل
 إلى شيء منه ، ولا أدع حاضرا ولا غائبا من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه ،
 وأبذل الجهد الكلي في إجراء أموره على السداد وحسن الاعتقاد . وإني لا أستعبد
 على المستقر إطلاقه ما لم يرسم لي به إلا ما كان فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة
 القاهرة ، ونفع بين هذه الأيام الشريفة . وإني والله أودى الأمانة في كل ما صدق بي
 ووئيت : من القبض والصرف ، والولاية والمزل ، والتأخير والتقديم ، والتقليل
 والتكثير ، وفي كل جليل وحقيق ، وقليل وكثير .

وأما الدَّوَانِيَّةُ وَكُتُبُ السَّرْفِزَادِ فِيهَا : وَأَتَيْتُ مَهْمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَايْنٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَتَصَانِيحِهِ ، وَأَمْرِي دَانِي مُلْكِهِ وَتَارِيحِهِ ، أَوْصَلُهُ
إِلَيْهِ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَخْفِيهِ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ ، وَلَا أَكْتُمُهُ وَلَوْ خِفْتُ
وَصَوْلَ ضَرَرَهُ إِلَيَّ .

ويفرد الدَّوَادَارُ : بِأَنِّي لَا أُؤَدِّي عَنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ رِسَالَةً فِي إِطْلَاقِ مَالٍ ، وَلَا
أَسْتَخْدِمُ مُسْتَعْتَمًا ، وَلَا إِقْطَاعَ إِقْطَاعٍ ، وَلَا تَرْتِيبَ مُرَتَّبٍ ، وَلَا تَجْدِيدَ مُسْتَجِدٍّ ،
وَلَا شَادَ شَاغِرٍ ، وَلَا قَصْبِلَ مُنَازَعَةٍ ، وَلَا كِتَابَةَ تَوْقِيعٍ وَلَا مَرْسُومٍ ، وَلَا كِتَابٍ
صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَيَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَايْنٍ وَمُشَاوَرَتِهِ ، وَمَعَاوِدَةِ
أَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَمُرَاجَعَتِهِ .

ويفرد كاتب السر : بِأَنَّهُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ قِرَائَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَيَّ مَوْلَانَا
السُّلْطَانِ فَلَايْنٍ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، يَسَاوِدُهُ فِيهِ فِي وَقْتِ آخَرٍ ، فَإِنْ لَمْ يُعَاوِدْهُ فِيهِ يَجْمَعُ
لَفْظُهُ ، لَطَوْلُهُ الطُّوْلَ الْفَيْلَ ، عَاوِدَ فِيهِ بِعَيْنِهِ فِي الْمُلَخَّصَاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجَاوِبُهُ بَشِيْرٌ لَمْ
يُنْصَ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِيهِ بَنْصَ خَاصٍّ ، وَمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِالنَّصِّ فِيهِ لَا يُجَاوِبُ
فِيهِ إِلَّا بِأَكْمَلِ مَا يَرَى أَنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَايْنٍ وَمَصْلَحَةُ دَوْلَتِهِ بِأَسَدٍ
جَوَابٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَصِلُ أَجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا أُمْنَكَنَهُ الْمُرَاجَعَةُ فِيهِ لِمَوْلَانَا
السُّلْطَانِ فَلَايْنٍ رَاجَعَهُ فِيهِ وَعَمِلَ بَنْصَ مَا يَرِيسُ لَهُ بِهِ فِيهِ . هَذَا مَا أَتَيْتُ إِلَيْهِ كَلَامَهُ .

قال في "التصنيف" : وَيزَادُ النَّوَابُ مِثْلَ قَوْلِهِ : وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةِ أَحَدٍ
مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلَى أَنْ أَبْذُلَ جُهِدِي وَطَاقَتِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي حِفْظِ
الْمُلْكَةِ الَّتِي أَسْتَأْجِزُ فِيهَا ، وَصِيَانَتِهَا وَحِمَايَتِهَا ، وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالْمُتَوَرِّثِ وَالسَّوَاوِلِ .
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ : وَإِنْ كَاتَبَنِي أَحَدٌ أَخْلُ .

قلت : والمراد أنه يؤتى باليمين العامة التي يحلف عليها كل أحد، ثم يزداد لكل واحد من أرباب الوظائف ما يناسبه مما هتتم، ثم يؤتى على يمينه من عند قوله : وإتني أفي لمولانا السلطان بهذه اليمين ، إلى آخرها أو ما في معنى ذلك من أيمن أهل اليدع وأصحاب الملل على ما هتتم ذكره .

ثم قال في "التصيف" : وقد تتجدد وقائع وأمر تحتاج إلى التحليف، بسببها تتغير صيغة المحلوف عليه بالنسبة إلى ما رسم به فيها . ثم أشار إلى أنه لم يرمدة مباشرة بديوان الإنشاء أحداً من ذكره في "الترغيف" : من أرباب الوظائف حلف ، وإنما ذكرها لاحتمال أن تكون الحاجة إليها في وقت من الأوقات ، أو أنها كانت مستعملة في المتقدم، فيكون في تركها إهمال لبعض المصطلح .

قلت : وقد أهملنا في "الترغيف" و "التصيف" : ذكر يمينين مما رتبته الكتّاب وحلفوا به في الزمن المتقدم مما لا غنى بالكتب عنه .

الأولى — اليمين على الهدنة التي تتقيد بين ملكين أو نائبيهما ، أو ملك ونائب ملك آخر، على ما سيأتي ذكره في المقالة التاسعة ، إن شاء الله تعالى .

وتقع اليمين فيها على ما فيه تأكيد عقيد الهدنة والالتزام شروطها والبقاء عليها وعدم الخروج عنها أو عن شيء من ملتزماتها، وغير ذلك مما يدخل به التطرق إلى النقض والتوصل إلى الفسخ .



وهذه نسخة يمين حلف عليها السلطان الملك المنصور «قلاوون» على الهدنة الواقعة بينه وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعسكيت وبلادها، من الترخيم الاستبارية ،

في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة، في مباشرة القاضي قُتُب الدِّين بن عبد الظاهر كُتَّابَ السَّرِّ، على ما أورده ابن مَكْرَمٍ في تَذَكُّرِهِ، وهى :

أقول وأنا فلانُ : واللهِ واللهِ واللهِ ، وباللهِ وباللهِ وباللهِ ، وثانقه وثانقه وثانقه ، واللهِ العظيم، الطَّالِبِ، النَّالِبِ، الضَّارِّ، النَّافِعِ، المُدْرِكِ، المُهْلِكِ، عالم ما بدأ وما خفى، عالم السَّرِّ والعَلَانِيَةِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَقُّ الْقُرْآنِ وَمَنْ أَنزَلَهُ وَمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يقال فيه من سُورَةِ سُورَةٍ، وَآيَةٍ آيَةٍ، وَحَقُّ شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنِّي أَنِّي بِحِفْظِ هَذِهِ الْمُهِدَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَمْلَكَةِ عَمَّا وَالْمُقَلَّمِينَ بِهَا عَلَى عَمَّا وَحَثَلَيْتِ وَصَيْنَا وَبِلَادِهَا، الَّتِي تَصَمَّنَتْ هَذِهِ الْمُهِدَةِ، الَّتِي مُكْتَبَتَا عَشْرَ سِنِينَ كَوَامِلٍ، وَعَشْرَةُ أَشْهُرٍ، وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ، وَعَشْرُ سَاعَاتٍ، أَوَّلًا يَوْمَ الْخَمِيسِ خَامِسُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةِ لِلْهِجْرَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَأَحْفَظُهَا وَأَلْتَمُ بِجَمِيعِ شُرُوطِهَا الْمَشْرُوعَةِ فِيهَا، وَأُبْرِئُ الْأُمُورَ عَلَى أَحْكَامِهَا إِلَى أَقْضَاءِ مُلْكِيهَا وَلَا أَتَاوَلُ فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا أَسْتَعْتِي فِيهَا مُطْلَبًا لِنَقْضِهَا مَا دَامَ الْحَاكِمُونَ بِمَدِينَةِ عَمَّا وَصَيْنَا وَحَثَلَيْتِ... وَهُمْ كَافِلُ الْمَمْلَكَةِ بِعَمَّا، وَمَقْدَمُ بَيْتِ الرُّومِ، وَمَقْدَمُ بَيْتِ الْأَسْتَبَارِ، وَثَابِتُ مَقْدَمِ بَيْتِ الْأَسْتَبَارِ إِلَى الْآنَ، وَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَهُمْ فِي كِفَالَةِ مَمْلَكَةِ، أَوْ مَقْدَمِ بَيْتِ بِهِذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْمَذْكُورَةِ - وَافِينَ بِالْيَمِينِ الَّتِي يُحْلِفُونَ عَلَيْهَا (فِي وَلَدِي الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَلَوْلَا وَدَّهِ، عَلَى اسْتِقْرَارِ هَذِهِ الْمُهِدَةِ الْمَحْرُورَةِ الْآنَ) عَامِلِينَ بِهَا وَبَشُرُوطِهَا الْمَشْرُوعَةِ فِيهَا إِلَى أَقْضَاءِ مُلْكِيهَا، مُلتَمِّينَ أَحْكَامَهَا، وَإِنْ نَكَشْتُ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ فَيَلْزَمُنِي الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ حَافِيًا حَاسِرًا ثَلَاثِينَ حِجَّةً، وَيَلْزَمُنِي صَوْمُ النَّهَرِ كُلِّهِ إِلَّا الْأَيَّامَ الْمُنَى عَنْهَا .

ويذكر بقية اليمين إلى آخرها، ثم يقول : واللهُ على ما أقولُ ويكيل .



وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ ، وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ ، وَتَاهُ وَتَاهُ وَتَاهُ ، وَحَقَّ الْمَسِيحُ وَحَقَّ الْمَسِيحُ ، وَحَقَّ الصَّلِيبُ وَحَقَّ الصَّلِيبُ ، وَحَقَّ الْأَقَانِيمُ الثَّلَاثَةِ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ الْمَكْنِيِّ بِهَا عَنِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ وَاحِدٍ ، وَحَقَّ الصَّلِيبُ الْمَكْرَمُ الْحَالِ فِي النَّاسُوتِ ، وَحَقَّ الْإِنْجِيلُ الْمَطْهَرُ وَمَا فِيهِ ، وَحَقَّ الْأَنْجِيلُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي قَلَّهَا مَتَّى وَبَرْتُولُومَا وَيُوحَنَّا ، وَحَقَّ صَلَوَاتُهُمْ وَتَهْدِيسَاتُهُمْ ، وَحَقَّ الثَّلَاثَةُ الْاِثْنِي عَشَرَ ، وَالْاِثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَالثَّلَاثَةُ وَخَمْسِينَ عَشَرَ الْمُجْتَمِعِينَ لِلْبَيْعَةِ ، وَحَقَّ الصَّوْتُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ فَرَجَهُ ، وَحَقَّ اللَّهُ مُزِيلُ الْإِنْجِيلِ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَحَقَّ السَّيِّدَةُ مَارِيَّةُ أُمُّ النَّوَرِ (وَمَارِيَّةُ مَرْيَمَ) وَيُوحَنَّا الْمَعْمُودِي وَمَرْثَانُ وَمَرْثَانِي ، وَحَقَّ الصَّوْمُ الْكَبِيرُ ، وَحَقَّ دِينِي وَمَعْبُودِي وَمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَمَا تَقَبَّيْتُهُ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَقْسِيَاءِ الْمَعْمُودِيَّةِ - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا وَسَاعَتِي هَذِهِ ، قَدْ أَخْلَصْتُ نَفْسِي ، وَأَصْفَيْتُ طَوْفِي فِي الْوَفَاءِ لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَلَوْلَانِهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ وَالْأَوْلَادُهُمَا ، يَجْمَعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْهُدْنَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي أَمَقَدَ الصَّلُحُ طُلُمَا ، عَلَى مَمْلَكَةِ عَمَّا وَصَيْدَا وَعَثْلِيثَ وَبِلَادِهَا الْبَاخِلَةَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ ، السَّمَاءَ فِيهَا ، الَّتِي مَدَّتْهَا عَشْرَتَيْنِ كَوَايِلَ ، وَعَشْرَةُ أَشْهُرَ ، وَعَشْرَةُ أَيَّامَ ، وَعَشْرُ سَاعَاتٍ ، أُولَاهَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثَالِثُ حَزْرِيَّانَ سَنَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ لِلْإِسْكَنْدَرِيِّ بْنِ فِيلِبُسَ الْيُونَانِي ، وَأَعْمَلُ بِجَمِيعِ شُرُوطِهَا شَرْطًا مُشْرَطًا ، وَأَلْتَمِ الْوَقَّةَ بِكُلِّ فَضْلٍ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى أَهْضَاءِ مَمْتَنَّا ، وَإِنِّي وَاللهُ وَاللهُ وَحَقَّ الْمَسِيحُ ، وَحَقَّ الصَّلِيبُ ،

وحتى ديني لا أتمرّض إلى بلاد السلطان وولده، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين، ولا إلى من يتردّد منهم إلى البلاد الداخلة في هذه الهدنة بأذية ولا ضرر في نفس ولا في مال . وإتني والله وحتى ديني ومعبودي أسلك في المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفظ الرعية الإسلامية، المترددين في البلاد السلطانية، والصادرين منها وإليها - طريق المعاهدين المتصادقين المتقين ككف الأثنية والمعدّون عن النفوس والأموال، وألزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى أفضائها، مادام الملك المنصور وأبا اليمن التي حلف بها على الهدنة، ولا أقصّ هذه اليمن ولا شيئاً منها، ولا أستغني فيها ولا في شيء منها طلباً لنقضها، ومضى خالفها ونقضها فأكون بريئاً من ديني واعتقادي ومعبودي، وأكون مخالفاً للكنيسة، ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة حاسراً، ويكون على فك ألف أسير مسلم من أسر الفرنج وإطلاقهم، وأكون بريئاً من اللاهوت الحال في الناسوت، واليمن يميني وأنا فلاّن، والنية فيها بأسرها نية الملك المنصور، ونية ولده الملك الصالح، ونية مستحلفي لها بها على الإنجيل الكريم، لانيّة لي غيرها، والله والمسيح على ما قول ويكل .

وكذلك كتبت الجيئان، من جهة السلطان الملك الظاهر بيبرس، ويمين صاحب بيروت وحصن الأكراد والمرقب من القرنج الاستبارية في شهر رمضان سنة خمس وستين وستمائة .

قلت : ومقتضى ما ذكره ابن المكرم في إيراد هذه الأيمان أن نسخة اليمن تكون منفصلة عن نسخة الهدنة كما في غيرها من الأيمان التي يستحلف عليها، إلا أن مقتضى كلام "مواد البيان" : أن اليمن تكون متصلة بالهدنة . والذي يتجه أنه

وأعلم أنه قد يكفى باليمين عن الهدنة [باليمين] في عقد الصلح .

وَاللهُ وَاللهُ الْعَظِيمُ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ ، مَالِكُ الْحُكْلِ ، خَالِقُ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ،
صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ وَتُفَتِّهَهُ ، الرَّبُّ الَّذِي لَا يُعْبَدُ سِوَاهُ ، وَحَقُّ الْمَسِيحِ ، وَحَقُّ الْمَسِيحِ ،
وَحَقُّ الْمَسِيحِ ، وَأُمُّهُ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ ، وَحَقُّ الصَّلِيبِ ، وَحَقُّ الصَّلِيبِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ،
وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ ،
إِلَهُ وَاحِدٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ ، وَحَقُّ الْأَلُوهَةِ الْمُكْرَمَةِ ، الْحَالِ فِي النَّاسُوتِ الْمُعْظَمِ ، وَحَقُّ
الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَهْلَا مَتَّى وَمَرْقُسَ وَلُوقَا وَيُوحَنَّا ، وَحَقُّ الْأَلُوهَةِ وَالنَّاسُوتِ
وَصَلِيبِ الصَّلِيبِ ، وَحَقُّ التَّلَامِيذِ الْاَثْنَيْ عَشَرَ ، وَالْاَكْثَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَالثَّلَاثَةِ وَثَمَانِيَةِ
عَشَرَ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى الْبَيْتَةِ ، وَحَقُّ الصُّورَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ فَرَجَهُ ، وَحَقُّ
السَّيِّدَةِ مَارِيَةَ أُمِّ النَّوْرِ ، وَحَقُّ بَيْعَةِ يَحْيَى وَطُورِ الْوُثُوقِ ، وَمَا يَقُولُهُ فِي صَلَاتِهِ كُلِّ مَعْمَدَانِيٍّ ،
وَحَقُّ مَا نَعْتَقُهُ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَالْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ - إِلَهِي أَفْهَلُ كَلِمَا وَكَلِمَا ، وَهَيْ

خالقت هذه اليمين التي في عنقي ، أو نقضتها أو نكثتها ، أو سعت في إبطالها بوجه
من الوجوه ، أو طريق من الطرق - برئت من المعمودية ، وقلت : إن ماءها نجس ،
وإن القرايين رجس ، وبرئت من مريم المجدلانية ، والأنجيل الأرمية ، وقلت :
إن متي كذوب ، وإن مريم المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد يسوع
المسيح ، وقلت في السيدة مريم قول اليهود ، ودنت يديهم في الجحود ، وبرئت من
الثاوث ، وحمدت الأب ، وكذبت الابن ، وكفرت بروح القدس ، وخطت دين
النصرانية ، وأرمت دين الحنيفية ، ولطخت الهيكل بمحضة يهودية ، ورفضت
مريم ، وقلت : إنها قرنت مع الأسخريوطي في جهنم ، وأنكرت آحاد اللاهوت
والتأسوت ، وكذبت القسوس ، وشاركت في ذبح الشمامس ، وهدمت الديارات
والكنائس ، وكنت من مال علي قسطنطين بن هيلاني ، وتعدت أمه بالعظام ،
وخالفت المجامع التي اجتمعت عليها الأساقف برومية والقسطنطينية ، وحمدت
مذهب الملكانية ، وسفّهت رأي الرهبان ، وأنكرت وقوع الصلب على السيد
يسوع ، وكنت مع اليهود حين صلبوه ، وحدثت عن الحوارين ، وأسبخت دماء
الدياريسين ، وجذبت رداء الكهنة عن البطريرك ، ونجست عن طاعة الباب ،
وصمت يوم الفصح الأكبر ، وقعدت عن أهل الشعانين ، وأبيت عيد الصلب
والنطاس ، ولم أخجل بييد السيئة ، وأكلت لحم الحمل ، ودنت يدي اليهود ،
وأبحت حرمة الغلاقي ، وهدمت بيدي كنيسة قمامة ، وخنت المسيح في ديبته ،
وزوجت في قرن بامرائين ، وقلت : إن المسيح كادم خلقه الله من تراب ، وكفرت
بأخياء العبازرة ، وبجيء الفارقليط الآخر ، وبرئت من التلامذة الاثني عشر ، وحرمت
على التلاميذ ثمانية عشر ، وكسرت الثلبان ، ودست برجل القربان ، وبصقت
في وجوه الرهبان عند قولهم : كثير البصون ، واعتصمت أن مسه كفر الجون (٩)

وَأَنَّ يُوسُفَ النَّبَارَ زَنَى بِأَمِّ الْيَسُوعَ وَعَقَلْتُ النَّاقُوسَ ، وَمِلْتُ إِلَى مِلَّةِ
 الْيَهُوسَ ، وَكَسَرْتُ صَلِيبَ الصَّبُوتِ ، وَطَبَخْتُ بِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَأَكَلْتُهُ فِي أَوَّلِ يَوْمِ
 مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، تَحْتَ الْمَيْكَلِي بِحَضْرَةِ الْآبَاءِ ، وَقُلْتُ فِي الْبَنُوَّةِ مَقَالَ تُسْطُورَسَ ،
 وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجْهِي ، وَصَدَّيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَظْهَرُ
 الْكَرِيمُ . وَالْأَبَرَشْتُ مِنَ الثُّورَانِيِّينَ وَالْبَشْعَانِيِّينَ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ
 أَحِبًّا لِلْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ مَرْيُوبٌ ، وَإِنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ
 مَصْلُوبٌ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَا صَارَ لَحْمَ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَهُ ،
 وَنَجَحْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ عَنِ لَاحِبِ الطَّرِيقَةِ . وَالْأَقَلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وَتَعَبَّدْتُ
 غَيْرَ الْأَرْبَابِ ، وَقَصَصْتُ بِالْمَظَانِياتِ ضَرْ طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنَّ الْمَعَادَ غَيْرُ
 رُوحَانِيٍّ ، وَإِنَّ نَبِيَّ الْمَعْمُودِيَّةِ لَا تُسَبِّحُ فِي قَيْسِجِ الْمَاءِ ، وَأَثْبِتُ وَجُودَ الْحَوَارِ الْعَيْنِ
 فِي الْمَعَادِ ، وَأَنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ التَّلَذُّاتِ الْجَسْمَانِيَّةِ ، وَنَجَحْتُ خُرُوجَ الشَّعْرَةِ مِنْ
 الْعَيْنِ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مَحْرُومًا ، وَأَقُولُ : إِنْ جَرِيسٌ لَمْ يُقْتَلْ
 مَظْلُومًا ، وَنَحَرَتْ غَفَارَةُ الرَّبِّ ، وَشَارَكَتُ الشَّرَّ [بِرَّ] فِي سَلْبِ ثِيَابِهِ ، وَأَحْدَثْتُ تَحْتَ
 صَلِيبِهِ ، وَتَجَرَّتْ بِحَشَنَتِهِ ، وَصَفَعْتُ الْجَانَلِيَّيْنِ . وَهَذِهِ أَيْمِينُ يَمِينِي وَأَنَا فَلَانُ ، وَالتَّيَّةُ
 [فِيهَا] بِأَمْرِهَا نِيَّةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ «شُعْبَانَ» وَنِيَّةُ
 مُسْتَحْلِفِي ، وَالْإِلَهِ وَالْمَسِيحِ عَلَى مَا أَقُولُ وَرِكَلُ .

قُلْتُ : خَلَطْتُ فِي هَذِهِ الْبَيْنِ بَعْضَ يَمِينِ الْبَاقِيَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ مُتَقَدِّمِ الْفَرَجِ الَّذِي
 حَلَفْتُمْ مِنْ مَذْهَبِ الْمَلَكِيَّةِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا تَهْتَمُّ مِنْ مُتَقَدِّمَاتِ
 النَّصْرَانِيَّةِ قَبْلَ تَرْتِيبِ أَيْمَانِهِمْ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ آتَى فِيهَا بِأَكْثَرِ مَارْتَبَةِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَادَةِ بْنِ
 فَضْلِ اللَّهِ فِي تَحْلِفِهِمْ عَلَى صِدْقَتِهِ ، وَزَادَ مَا زَادَ مِنَ الْيَمِينِ الْمُرْتَبَةِ فِي التَّحْلِيفِ عَلَى
 الْمُدَّةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا .

اليمن الثانية — مما أهمله في "التعريف" يمين أمير مكة .

والقاعدة فيها أن يحلف على طاعة السلطان، والقيام في خدمة أمير الركب،
والوصية بالتحج، والأحفاظ بهم .

وهذه نسخة يمين حلف بها الأمير نجم الدين أبو يمين أمير مكة المشرفة، في الدولة
المنصورية قلاوون الصالح، في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ونسختها على ما ذكره ابن المكرم في تذكرته بعد استيفاء الأقسام :

إني أخلصت يميني، وأصقيت طويتي، وسأويت بين باطني وظاهري في طاعة
مولانا السلطان الملك المنصور، وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما
وأبني ملكهما، لأأمنهم سوءاً ولا غدرًا في فئس ولا ملك ولا سلطنة . وإني
عدو لمن عاداهم، صديق لمن صادقهم، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سلمهم . وإني
لا يخرجني عن طاعتهما طاعة أحد غيرهما، ولا أتلفت في ذلك إلى جهة غير
جهتهما، ولا أفعل أمرًا مخالفًا لما استقر من هذا الأمر، ولا أثيرك في تحكما
على ولا على مكة وحرمها وموقف جبلها زيدًا ولا عمرًا . وإني ألتزم ما أشرتته
لمولانا السلطان ولولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر
المحروسة وتعليقها على الكعبة الشريفة في كل موسم، وأن لا يعلوها كسوة غيرها،
وأن أقدم ملكه المنصور على كل حليم في كل موسم، وأن لا يتسكنه علم غيره .
وإني أسهل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين
والعاكفين، والآمين لحرمه والحاسين والواقفين . وإني أجتهد في جراسهم من
كل ما يفعله وقوله، ومختطف للناس من حويله . وإني أؤمنهم في سريهم،
وأعذب لهم مناهل شربهم، وإني والله أستر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف

المنصورى، وأُفعلُ في الحِلْسةِ فَعَلَ المَخْلِصَ الوَلَى . ولِئْنى وَأَفْهَ وَأَفْهَ أُمْتُلُ مراسيمه
أَمْتَالُ النَّائِبِ السَّتِيبِ ، وأَكُونُ لِنَادَى أَمْرِهِ أَوَّلُ سَامِعٍ مُجِيبِ . ولِئْنى أَلْتَرَمِ
بشروط هذه اليمين من أَوَّلها إلى آخِرها لا أَقْضُها .

المهيمع الختامس

(في صُورةِ كُتابةِ نُسخِ الأيمانِ التى يحلفُ بها)

وقد جرت العادةُ أنه إذا أَسْتَقَرَّ مَلِكٌ فى المُلْكِ يُحَلِّفُ له جَمِيعُ الأُمراءِ والنَوّابِ
فى المملكةِ ، وإذا أَسْتَقَرَّ نائِبٌ من النَوّابِ فى نِيايَةِ حُلْفٍ ذلكِ النَّائِبِ عندَ أَسْتِقْرارهِ ،
وربّما أَقْتَضَتْ الحَالُ الصَّحِيفَ فى غيرِ هذه الأوقاتِ .

ثم الأيمانُ التى يُحَلِّفُ بها على ضَرِيْن :

الضرب الأول

(الأيمانُ التى يحلفُ بها الأُمراءُ بالديارِ المصريةِ)

وقد جرت العادةُ أن كُتّابَ دِيوانِ الإنشاءِ يَجْتَمِعُ من يَجْتَمِعُ منهم بالقَلْعَةِ ،
ويَصْطَلُّونَ كُلُّ واحدٍ منهم تَحْلِيفَ جماعةٍ من الأُمراءِ والِمَلكِ السُّلْطانيةِ وَضَبرِهِم ،
ويَنْصَبُ المَصْصَفُ الشَّرِيفُ على كُرْسِيِّ أَمَامَ الحالِفينِ ، ويَحْلِفُ كُلُّ كاتبٍ من
كُتّابِ الإنشاءِ من يُحَلِّفُهُ نِجَاهَ المَصْصَفِ بِالْفَاطِى أَيْمِينِ المَتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ على الوَجْهِ الذى
يُرْسِمُ تَحْلِيفُهُمْ عَلَيْهِ ، ويَكْتُبُ كُلُّ واحدٍ من أولئك الكُتّابِ أَسْمَاءَ الذين حَلَفَهُم
فى وَرَقَةٍ وَيُؤَرِّخُها ويَحْمِلُها إلى دِيوانِ الإنشاءِ فتَحْلَدُ فيه .

الضرب الثاني

(الأيمن التي يحلف بها تواب السلطنة والأمراء بالمالك الشامية وما أنضم إليها)
وقد جرت العادة أنه إذا أريد تحليف نائب من تواب الممالك الخارجية عن الحضرة
بالديار المصرية أو أمير من أمرائها أن تكتب نسخة يمين من ديوان الإنشاء
بالأبواب السلطانية ، ويجهز إلى النائب أو الأمير الذي يقصد تحليفه فيحلف على
حكمها متلفظا بالفاظها جميعها . قال في "التتيف" : وصفة ما يكتب في النسخة بعد
البسملة من يمين الورق «أقول وأنا» ثم يخل بياضا قليلا قدر أصبعين
لموضع كتابة الحالف اسمه ، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جدا «والله
والله والله» وتكمل تيممة النسخة على ما تقدم ذكره . وتكون سطورها متلاصقة
سطرا إلى سطر إلى عند قوله «وهذه اليمين يميني وأنا» فيخل بعد ذلك
بياضا قليلا لموضع كتابة اسم الحالف أيضا ، ثم يكتب من يمين الورق : «والنية
في هذه اليمين بأسرها» إلى آخر النسخة .

قلت : وكذلك تُسخ الأيمان التي تكتب ليحلف بها في الهدن التي تُفرد لأيمان
فيها عن الهدن ، يخل فيها بياض لكتابة الاسم بعد قوله «أقول وأنا»
وبعد قوله «وهذه اليمين يميني وأنا» سواء في ذلك اليمين التي يحلف بها
السلطان أو الملك الذي تقع معه المهادنة : من ملوك الإسلام أو ملوك الكفر .
وقد جرت العادة أن يكون الورق الذي تكتب فيه تُسخ الأيمان التي يحلف بها
التواب وغيرهم من الأمراء الخارجيين عن الحضرة في قطع العادة . أما ما يحلف به
على الهدن فلم أقف فيه على مقدار قطع الورق ، والذي يظهر أن كل يمين تكون
في قطع الورق الذي يكتب بها ذلك الملك الذي يحلف .

المقالة التاسعة

في عقود الصلح والقسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب^(١)

الباب الأول

في الأمانات، وفيه فصلان

الفصل الأول

في عقد الأمان لأهل الكفر

قال في "التعريف" : وهو أقوى أمور الصلح دلالة على اشتداد السلطان ،
إذ كان يؤمن الخائف أننا لا موصى عنه في عاجل ولا أجل ، وفيه طرفان :

الطرف الأول

(في ذكر أصوله وشروطه وحكمه)

علم أن الأمان هو الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي يرفع بها القتل عن الكفار .
قال العلماء : وهو من مكاييد القتال ومصالحه . وإن كان فيه ترك القتال : لأن الحاجة
[دالية] إليه . والأصل فيه من الكذب قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَاجْرِهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) . ومن السنة قوله صلى الله
عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدْعُونَ عَلَى مَنْ
سِوَاهُمْ » .

(١) كما وقع أيضا في فهرست المؤلف ج ١ ص ٢٩ من هذا المطبع ولكن سيذكر آخر المقالة بابا
سادسا في القسوخ .

وقد ذكر الفقهاء له أركانا وشرائط وأحكاما .

فأما أركانه ، فثلاثة :

الأول — العاقد للأمان من المسلمين . وَلْيُعْلَمَ أَنَّ الْأَمَانَ عَلَى ضَرِيَيْنِ : عامٍّ وخاصٍّ . فالعامُّ هو عَقْدُهُ لِلْعَدَدِ الَّذِي لَا يُحْصَرُ كَأَهْلِ نَاحِيَةٍ ؛ وَلَا يَصِحُّ عَقْدُ الْأَمَانِ فِيهِ إِلَّا مِنَ الْإِمَامِ أَوْ نَائِيهِ كَمَا فِي الْمُدَنَةِ . والخاصُّ هو عَقْدُهُ لِوَاحِدٍ أَوْ الْعَدَدِ الْمَحْصُورِ ؛ وَيَصِحُّ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ [وإن لم تكن] له أَهْلِيَةُ الْقِتَالِ ، فيصح من العبد والمرأة والشيخ المريم والسفيه والمفلس ، بخلاف أمان الصبي والمجنون .

الثاني — المقود له ، ويصح عَقْدُهُ لِلوَاحِدِ وَالْعَدَدِ مِنْ ذِكْرِ الْكُفَّارِ وَإِنَانِهِمْ . نَمَّ فِي تَأْيِيدِ الْمَرْأَةِ عَنِ الْاِسْتِغْنَاءِ خِلَافَ .

الثالث — صيغة العقد . وهي كُلُّ لَفْظٍ يُفْهِمُ الْأَمَانَ كَيَاةً كَانَ أَوْ صَرِيحًا ، وفي معنى ذلك الإشارةُ الْمُفْهِمَةُ . وَيُتَبَرِّئُ فِيهِ قَبُولُ الْكَافِرِ ، فَلَا بَدَّ مِنْهُ حَتَّى لَوْ رَدَّ الْأَمَانَ لَمْ يَنْعَقِدْ ، وفيما إذا سَكَتَ خِلَافٌ . نَمَّ لَوْ دَخَلَ لِلسَّفَارَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةٍ وَمَحْوَاهَا ، أَوْ لِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُتَبَرِّئْ فِيهِ عَقْدُ الْأَمَانِ ، بَلْ يَكُونُ أَمَانًا بِمَعْنَى ذَلِكَ ، أَمَا لَوْ دَخَلَ لِقَصْدِ التَّجَارَةِ بِغَيْرِ أَمَانٍ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَمَانًا ؛ إِلَّا أَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ أَوْ نَائِيهِ : مَنْ دَخَلَ تَاجِرًا فَهُوَ آمِنٌ .

وأما شرطه ، فأن لا يكونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ضَرَرٌ فِي الْمُسْتَأْمِنِ : بِأَنْ يَكُونَ طَلِيعَةً أَوْ جَاسُوسًا ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُ وَلَا يُبَالَى بِأَمَانِهِ ، وَيُتَبَرِّئُ أَنْ لَا تَزِيدَ مَدَّةُ الْأَمَانِ ^(١)

(١) عبارة "المهاج" ويجب أن لا تزيد مدته على أربعة أشهر "وفي قول يجوز ما لم تبلغ سنة" قال صاحب التمهيد : فإن بلغها امتنع قطعا .

على مَسِيَّةٍ بخلاف المَسَدَةِ، فقد تَعَدَّم أنها تجوزُ عند ضَعْفِ المسلمين إلى عَشْرٍ مِثْلِينَ .

وأما حكمه، فإذا عُدَّ الأمانُ لزم المُشْرُوطُ، فلو قُتِلَ مسلمٌ وجبت الدِّيةُ .
ثم هو جائزٌ من جهة الكُفَّارِ، فيجوزُ للكافر نَبَذُهُ متى شاء، ولازِمٌ من جهة المسلمين، فلا يجوزُ النَّبَذُ إلا أن يُتَوَقَّعَ من المُسْتَأْمِنِ الشرُّ، فإذا تَوَقَّعَ منه ذلك جاز نَبَذُ العَهْدِ إليه ويلحقُ بِأَمْنِهِ، وَبِقِيَّةِ فَقهِ الفَصْلِ مُستَوًى في كُتُبِ الفِقه .

الطرف الثاني

(في صورة ما يكتب فيه)

والأصلُ ما رواه ابنُ إِصْحَقَ أنَّ رِفاعَةَ بنَ زَيْدٍ الخِزَاعِيَّ قَدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَّةِ، فأهدى لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلَما، وأسلم وحَسَنَ إسلامَهُ، وكتبَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا إلى قومه فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ : إِنِّي بَعَثْتُ إِلَى قَوْمِهِ
« عَامَةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ؛ فَمَنْ أَقْبَلَ
« مِنْهُمْ فَقِيَ حِزْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .
فلما قَدِمَ رِفاعَةُ على قومه أَجابوا وأسلموا .

(١) في الأصل الجذائى والتصحيح من السيرة النبوية ص ٢٢٣ ج ٣ وقد ضبطها بالبارة .

ثم للكاتب فيه منجانب :

المذهب الأول - أن يُفتح الأمان بلفظ : « هذا كتاب أمان » أو « هذا أمان » وما أشبه ذلك ، كما أفتح النبي صلى الله عليه وسلم ما كتب به لرافعة بن زيد على ما تقتضيه .

وعلى ذلك كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمان الذي كتب به لأهل مصر عند فتحها ، ونصه بعد البسملة :

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومالهم وأموالهم وكنائسهم وصبلهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ، ولا يسألكم التوبة . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم - خمسين ألف ألف . وعليه ممن جئنا نصرتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يُجيب رفع عنهم من الجزية بقدر [هم ودمت ما من أبي بريه ، وإن نقص نهرهم عن غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر] ذلك ؛ ومن دخل في صلحهم : من الروم والتوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم ؛ ومن أبى وأختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله [ودمته] ودمته رسوله ودمته الخليفة أمير المؤمنين [ودمه المؤمنين] . وعلى التوبة الذين استجابوا أن يسبوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا قرصاً ، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناء ، وكتب وردان وحضر .

(١) في البرس ١١٥ بقية الجزء الثاني « ودمهم » وفيه بعض التغير من زيادة ونقص .

(٢) الزيادة من البرس ١١٥ بقية ج ٢ .

وعلى ذلك كتب الحافظ لدين الله أحد خُلفاء الفاطميين الأمان لِهَرَامِ الأَرَمَنِي، حين صُرف من وزارته وهرب عنه إلى بلاد الأَرَمَنِي، وكتب إلى الحافظ يُظهر الطاعة ويسأل تسييراً فأقاربه، فكتب له بالأمان له ولأقاربه .

فأما ما كتبه له هو فنصّه بعد البسملة .

هذا أمانٌ أَمَرَ بكتبه عبدُ الله وولَّيه عبدُ الحميد أبو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، للأمير المُقدَّم، المؤيد، المنصور، عزَّ الخلافة وتَمِيمها، وتاج المملكة ونظامها، نَحْرُ الأمراء، شيخ الدولة وعمادها، ذِي المجدِّين، مُصْطَفَى أمير المؤمنين بهَرَامِ الحافظي : فإنك أين أمان الله تعالى، وأمان جَدِّنا محمدٍ رسولِهِ، وأبينَا أمير المؤمنين صلَّى بن أبي طالب صلى الله عليهما، وأمان أمير المؤمنين، على نَفْسِكَ ومَالِكَ، وأهلك وجميع حالك، لا ينالك سوءٌ، ولا يصل إليك مكروه، ولا تُقصد باغتيال، ولا يُخرج بك عن عادة الإحسان والإتمام، والتميز والإكرام، وحراسة النفس، والصون لحرَم والأهل، والرعاية في القرب والبعد، ما دمت متعزِّلاً إلى طاعة الدولة العلوية، ومتصرفاً على أحكام مُشايستها، موالياً لمواليها، ومُعادياً لمُعاديها، ومُستمرّاً على مَرْضاة إخلاصك . فبقى بهذا الأمان وأُسْكِن إليه، وأطمئن إلى مضمونه، والله بما أودعه كَفِيلٌ وعليه شهيد، وما توفَّق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكَّل وإليه يُنيب .

وأما الأمان الذي كتبه لأقاربه فنصّه :

هذا أمانٌ تقدَّم بكتبه عبدُ الله وولَّيه، لِمَسِيل وزرقا، وِهَرَامِ ابن أخيهما، ومن يَتَقِي إليهم ويتعلَّق بهم، ويلتمون أمرَهُ من دُونِهِمْ، ومن يَتَمَسَّكُ بِسَبِيهِمْ .

مضمونه : إنكم معشر الجماعة بأمركم لما قصدتم الدولة ووقدتم عليها، وتهيأتم ظلها
 وهاجرتم إليها، شملكم المصنع الجليل، وعمركم الإنعام السابغ والإحسان الجزيل،
 وكفتم بالرعاية التامة، والعناية الخاصة لا العناية العامة، ووفر حظكم من الواجبات
 المقررة لكم، والإقطاعات الموسومة بكم، وكنتم مع ذلك تذكرون رغبتكم في السوء
 إلى دياركم، والرجوع إلى أوطانكم، وإلفاناً إلى من تركتموه من ورائكم. وقد سريتم
 من الباب على قضية الخافة، وقد أمنكم أمير المؤمنين، فأتى آمنون بأمان الله تعالى
 وأمان جدنا محمد رسول الله وأمين أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب، صلى الله عليهما،
 وأمين أمير المؤمنين، على نفوسكم وأهلكم وأموالكم وما تحويه أيديكم ويحوزه
 ملككم، ويشتمل عليه احتياطكم، لا ينالكم في شيء من ذلك مكروه، ولا سبب
 خوف، ولا يمسكم سوء، ولا تحشون من ضم، ولا تحصدون بأذية، ولا يغير لكم
 رسم، ولا تنقص لكم عادة، وأتم مستمرون في واجباتكم وإقطاعاتكم على ما عهدتموه،
 ولا تنقصون منها، ولا تجحسون فيها. هذا إذا رغبت في الإقامة في ظلال الدولة،
 فإن آثرتم ما كنتم تذكرون الرغبة فيه من السوء إلى دياركم عند افتتاح البحر، فهذا
 الأمان لكم إلى أن تتوجهوا مشمولين بالرعاية، ملحوظين بالعناية، ولكم الوفاء بجميع
 ذلك، والله لكم به وكيل وكفيل، وكفى به شهيدا .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان المكتتب لأهل الكفر بالتعميد،
 ثم يقال : « ولما كان كذا وكذا أفضى حسن الرأي الشريف كذا وكذا »
 ثم يقال : « فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يكون كذا وكذا » على نحو ما يكتب
 في الولايات .

وعلى ذلك كُتِبَ عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » أماناً لقرا كس صاحب السرب، من ملوك النصارى بالشمال ووُجِّهَ ومن معهما من الاتباع، عند طلبهم التَّحَكُّينَ من زيارة القدس الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، واستصحاب العناية بهم، إلى حين عودهم آمينين على أنفسهم وأموالهم، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء.

ونصفه بعد البسملة :

أما بعد حمد الله الذى آمنَ بمهابتنا المتناجِ والمسالِك، ومكَّنَ لِكَلِمَتِنَا الطَّاعَةَ فى الإقطارِ والآفاقِ والممالك، وأعان على لساننا بدعوة الحقِّ التى تنبئ كلَّ كَرِبٍ حالٍ وتُخَفِّى كلَّ كَرِبٍ حالٍ، والشَّهادةَ له بالوحدانية التى تنفى المشابهةَ والمُشَارِكَةَ، وتُثَبِّتُ بالميعادِ من الإحصاءِ على الأرائِكِ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنجده يبعوثُ الملأ الأعلَى من الملائِكِ، وأيده بالصُّونِ الملازمِ والوَنِّ المُتَدَارِكِ، ووَعَدَهُ أَنْ سَيُلْقِىَ مُلْكُ أَمْنِهِ ما بين المشرقِ والمغربِ وأنجزَ له ذلك، وعلى آله وصحبه الذين زَحَّزَحُوا عن الكهالكِ، ونَصَّحُوا اللهَ وَرَسُولَهُ بأولئك !!! - فإن كَرَمَنَا يَرْتَعَى الوُفُودُ، وَشَيْمَانَا تُدْعَى فَتُجُودُ، وَذِمَّتَانَا لِحَقِّ الحقوقِ وَحِفْظِ الشُّهُودِ، فَيُخَدَّمَانَا بِتَبَيُّحِ كُلِّ مقصودٍ، وَبِنِعْمَتَانَا تُنْمَحُ الأمانُ والمُنَى وهما أعظمُ نعمتين فى الوجودِ، فليس آسألُ عن أبوابِ سماحتنا بِمَرَدُّودٍ، ولا مُتَوَسِّلُ إلينا بِضِرَاعَةٍ إلا ويرجع بالمرامِ ويعود.

ولما كانت حَضْرَةُ الملكِ الجليلِ، المُكْرَّمِ، المَبِجَّلِ، العَزِيزِ، المُوقَّرِ، «إسحق بن مانوس» : كَبِيرِ الطَّاعَةِ النُّصْرَانِيَّةِ، جَمَالِ الأُمَّةِ الصَّليْبِيَّةِ، عِمَادِ بَنِي المَعْمُودِيَّةِ،

صديق الملوك والسلاطين، صاحب السرب - أطل الله بقاءه - قد شمله إقبالنا
 المتهود، ووصله إفضالنا الذي يَجْزُ عن ميامينه السوء ويُخِز الوعود - أقتضى
 حُسن الرأي الشريف أن يُسَرَّ سَيْلَه، ونُوَفَّر له من الإكرام جسيمه كما وفَّنا لغيره
 من الملوك مسوَّله؛ وأنف يُمكن من الحضور هو وزوجه ومن معهما من
 أتباعهما إلى زيارة القدس الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، وإكرامهم ورحلتهم،
 واستصحاب العناية بهم، إلى أن يعودوا إلى بلادهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم،
 ويعاملوا بالوصية التامة، ويواصلوا بالكرامة والراية إلى أن يعودوا في كنف الأمن
 وحريم السلامة، وصبل كل واقف عليه أن يسمع كلامه، ويتبع إرأامه، ولا يمنع
 عنهم الخير في سائر ولا إقامه، ويلقح عنهم الأذى حيث وردوا أو صدروا فلا يحسدوا
 إلمامه، والله تعالى يوفِّر لكل مُستعين من أبوابنا أقطار الأمن وأقسامه، ويُظفر
 عز من المهدى بالنصر السريدي حتى يُلَوِّق الطامع والعاصي حُسامه. والعلامة
 الشريفة أعلاه حُجَّة فيه، والخير يكون إن شاء الله تعالى :

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة التاسعة

(في كتابة الأمانات لأهل الإسلام وما يُكتب فيها، ومناهي الكُتُب في ذلك
في القديم والحديث، وأصله؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في أصله)

إعلم أنَّ هذا النوع فرُعُ الحقِّ الكُتُب بالنوع السابق، وإلا فالنُسخة آتية بقضية
الشرع يجرّد إسلامه، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ
حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَعْضُهَا». وإنما
جرت عادةُ الملوك بكتابة الأمان لكل من خاف سطوتهم، لا سيما من خرج عن
الطاعة، ويخيف استشرأه الفساد باستمرار خروجه عن الطاعة خوفاً؛ حتى صار ذلك
هو أغلب ما يكتب من دواوين الإنشاء.

وقد ورد في السنة ما يدلُّ لذلك، وهو ما رواه أبو عبيد في «كتاب الأموال» عن
أبي العلاء بن عبد الله بن الشَّخِير أنه قال: كانا بالمربد ومعنا مطرّف، إذ أتانا أعرابيٌّ
ومعه قطعةٌ أديم، فقال: أَيْكُمْ مَنْ يقرأ؟ قلنا: نعم، فأعطانا الأديم فإذا فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

«من محمد رسول الله لِنَبِيِّ زُهَيْرِ بْنِ أَقْبَيْشٍ مِنْ عُكْلٍ. إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ
«أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ،»

«وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الْخُمْسَ، وَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّيْقَ»؛
 «أَوْ قَالَ : وَصَفِيَّ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» .

الطرف الثاني

(فيما يُكتب في الأمانات)

والكتاب في ذلك منبهان :

المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ : « هَذَا كِتَابُ أَمَانٍ » أو « هَذَا أَمَانٌ » وبحو ذلك ، على ما تقدم في الفصل السابق .

قال في «مواد البيان» : والرسم فيه : « هَذَا كِتَابُ أَمَانٍ ، كَتَبَهُ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ الْفُلَانِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ وَزِيرَهُ ، فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ الْفُلَانِيُّ الَّذِي كَانَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّهُ قَدْ أَمَّنَهُ بِأَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانِهِ » .
 فإن كان عن الوزير قال : « وَأَمَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ وَأَمَانُهُ ، عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَشَعْرِهِ ، وَبَنَاتِهِ ، وَأَهْلِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَحُرِّهِ ، وَأَشْيَاعِهِ ، وَأَتْبَاعِهِ ، وَأَحْصَانِهِ ، وَحَالِهِ ، وَذَاتِ يَدِهِ ، وَأَمْلَاكِهِ ، وَرِبَاعِهِ ، وَضَبَائِعِهِ ، وَبِجَمِيعِ مَا يَخْصُهُ وَيَخْصُمُ — أَمَانًا صَحِيحًا ، نَافِذًا وَاجِبًا لَازِمًا ، لَا يُنْقَضُ وَلَا يُفْسَخُ وَلَا يُبَدَّلُ ، وَلَا يُتَقَبَّ بِخِطَاةٍ ، وَلَا دِيحَانٍ وَلَا مُوَارَبَةٍ ، وَلَا حِيلَةٍ وَلَا غِيَلَةٍ . وَأَعْطَاهُ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَصَفْقَةً يَمِينَةً ، بَيِّنَةً خَالِصَةً لَهُ وَبِجَمِيعِ مَنْ ذَكَرَ مَعَهُ ، وَصَفَا لَهُ عَنْ كُلِّ حَرِيرَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، وَخَطِيئَةٍ مَالِفَةٍ ، إِلَى يَوْمِ تَارِيخِ هَذَا الْأَمَانِ ، وَأَحْلَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَسْتَقْبَلَهُ بِسَلَامَةِ النَّفْسِ وَقَيَّامِ السَّرِيرَةِ ، وَأَوْجِبَ لَهُ مِنَ الرِّقَابَةِ مَا أَوْجِبَهُ لَأَمْثَالِهِ ،

من شمله ظله، وكففته رعايته، حاضرًا وغائبًا، وملّكه من اختياره قريبًا وبعيدًا، وأن لا يُكرِهه على ما لا يريد، ولا يُزِمه بما لا يختاره.

قلت: هذا ما أصله صاحب "مواد البيان": في كتابة الأمانات. ومقتضاه اقتراح جميع الأمانات المكتوبة من الخليفة أو الوزير أو غيرها بلفظ «هذا». وسيأتي أن الأمانات قد تُفتح بغير هذا الاقتراح: من الحمد وقهره، على ما سيأتي بيانه، ولعل هذا كان مُصطلح زمانه فوقفت عنده.

وبالجملة فالأمانات المكتوبة لأهل الإسلام على قوصين:

النوع الأول

(ما يُكتب عن الخلفاء، وفيه منهجان)

المذهب الأول — طريقة صاحب "مواد البيان" المتقدمة الذكر، وهي أن يُفتح الأمان بلفظ «هذا» ويجئ فيقال: «هذا كتاب أمان كتبته عبد الله فلان أبو فلان أمير المؤمنين الفلاني، أعز الله تعالى به الدين، وأدام له التمكن، لفلان الفلاني، فإنه قد أتمه بأمان الله تعالى، وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمانه، على نفسه، وماله، وشعره، وبقرة، وأهله، وولده، وحرمة، وأشيائه، وأتباعه، وأصحابه، وحاله، وذات يده، وأملأه، ورباه، وضياعه، وجميع ما يخصه ويخصهم — أمانًا صحيحًا، نافذًا واجبًا لازمًا، لا ينقض ولا يفسخ، ولا يبدل، ولا يتعقب بخاتلة، ولا دهان ولا مؤاربة، ولا حيلة ولا غيلة، وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه وصفة يمينه، بنية خالصة له وجميع من ذكر معه، وعفا له عن كل جريرة متقدمة، وخليفة سالفه، إلى يوم تاريخ هذا الأمان،

وأحلّه من ذلك كلّهُ ، واستقبله بسلامة النَّفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرّأية ما أوجب له لأمثاله : مَن شَمِلَهُ ظِلُّهُ ، وَكَفَّتْهُ رِيعَتُهُ ، حَاضِرًا وَغَائِبًا ، وَمَلِكُهُ من اختياره قَرِيبًا وَبَعِيدًا ، وَأَن لا يُكْرِهَهُ عَلَى مَا لا يَرْضَاهُ ، وَلا يُلْزِمُهُ بِمَا لا يَخْتَارُهُ .
وفير ذلك مما يقتضيه الحال ويدعو إليه المقام .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان بحُطبة مفتوحة بالحمد . والرسم فيه أن يُسْتَفْتَحَ الأمانُ بِحُطْبَةٍ يَكْرُرُ فِيهَا الْحَمْدُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَأَكْثَرُ ، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ النِّعْمَةِ عَلَى مَنْ يُصَدَّرُ عَنْهُ الأمانُ فِي الاستظهار عَلَى مَنْ يُؤْمَنُ . يحمّد الله في المَرَّةِ الأولى عَلَى آلائِهِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ عَلَى إِعْزَازِ دِينِهِ ، وَفِي الثَّالِثَةِ عَلَى إِثْمَةِ نَبِيِّهِ ، وَفِي الرَّابِعَةِ عَلَى إِقَامَةِ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَيْتِ النَّبَوَةِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ . وَيَأْتِي مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِمَا يَنْلَسِبُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَذْكُرُ الأمانَ فِي الْآخِرَةِ .



وهذه نسخة أمان من هنا التَّحْقِيطِ ، كُتِبَ بِهِ عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْهَقْدَادَ ، أَوْ رَدَّهَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ فِي «كُتَابِ الْبَلَاغَةِ» الَّذِي جُمِعَ فِي التَّرْغِيلِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَرْجُو قُضْلُهُ ، الْمُخَوِّفُ عَذْلُهُ ، بَارِي النَّسَمِ ، وَوَلِيُّ الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ ، السَّابِقُ فِي الْأُمُورِ حِلْمُهُ ، النَّافِذُ فِيهَا حُكْمُهُ ، بِمَا أَحَاطَ بِهِ مِنْ مُلْكٍ قُدْرَتِهِ ، وَأَهْزَمَ مِنْ عِزَائِهِمْ مَشِيئَتِهِ ، كُلِّ مَا سِوَاهُ مُدَبَّرٌ مَخْلُوقٌ وَهُوَ أَنْشَأَهُ وَأَبْتَدَاهُ ، وَقَدَّرَ غَايَتَهُ وَمُنْتَهَاهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعِزِّ لِبَيْتِهِ ، الْحَافِظِ مِنْ حُرْمَاتِهِ مَا تَرَضَّى الْمُتَرَبِّصُونَ عَنْ حِيَاظِهِ ، الْمُدْكِي مِنْ نُورِهِ مَا دَابَّ الْمَلْحُومُونَ لِإِظْفَائِهِ حَتَّى أَغْلَاهُ وَأَظْهَرَهُ كَمَا وَعَدَ فِي مُتَرَلِّ

(١) فِي السَّانِ « رَجُلٌ رُضِيَ وَتَرَبَّصَ طَبْعُهُ » وَلَعَلَّ مَا هُنَا مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَمَلِ بِالْمَادِ الْمَهْمَةِ .

فَرَفَانِهِ يَقُولُهُ جَلَّ شَأْؤُهُ : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

والحمد لله الذي بعث محمداً رحمةً للعالمين ، وَحُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِينَ ، نَفَخَ بِهِ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَصَلَهُ الدَّاعِيَ إِلَى دِينِ الْحَقِّ ، وَالشَّهِيدَ
عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَأَدَّى إِلَيْهِمْ مَا اسْتَوْدِعَ مِنَ الْأَمَانَةِ ، وَبَيَّنَّهُمْ مَا حُمِّلَ مِنَ الرِّسَالَةِ ؛
فَلَمَّا أَتَقَدَّ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي الضَّلَالَةِ ، وَالتَّهَوُّرِ فِي الْعَمَى وَالْجَهَالَةِ ، وَأَوْضَعَ بِهِ الْمَنَامَ
وَالْآثَارَ ، وَنَهَجَ بِهِ السَّدْلَ وَالْمَنَارَ ، أَخْبَارَ لَهُ مَا لَدَيْهِ ، وَقَهْلَهُ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ فِي دَارِ
الْخُلُودِ : مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَنْقُطُ وَلَا يَبِيدُ . ثُمَّ جَعَلَهُ فِي لَحْمَتِهِ وَأَهْلَهُ وَرِثَتِهِ بِمَا قَدَّمَ
مِنْ خِلَافَتِهِ فِي أَقْبَتِهِ ، وَقَدَّمَ لَهُمْ شَوَاهِدَ مَا اخْتَصَمُوا بِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ ، وَزَلْفَةَ الْوَسِيلَةِ ،
فِي كِتَابِهِ النَّاطِقِ ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْهَا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ
تَطْهِيرِهِ لِأَيَّامِهِمْ : لِيَجْعَلَهُمْ لِمَا اخْتَارَهُ مَعْدَنًا وَمَحَلًّا ، إِذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ : (لِنُكَلِّبَهُمْ
اللَّهُ لِيُنْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ النَّيْتِ وَيُطَهَّرَ كَمَا تَطْهِرُونَ) . وَمِنْهَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسَائِلِهِ أَقْبَتَهُ الْمَوْدَّةَ ، فَقَدْ أَوْضَحَ لِقُدْوَى الْأَبَابِ أَنَّهُمْ
مَوْضِعُ خَيْرَتِهِ ، بِتَطْهِيرِهِ لِأَيَّامِهِمْ ، وَأَهْلَ صَفْوَتِهِ ، بِمَا اقْتَرَضَ مِنْ مَوَدَّتِهِمْ ، وَوَلَاةِ الْأَمْرِ
الَّذِينَ قَرَنَ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ بِعَظِيمِ مَنَّةٍ وَإِعَانِهِ يُنْعِمُ أَرْكَانَ دِينِهِ ، وَيُسَيِّدُ أَعْلَامَ هُدَاهُ ؛ بِاعْتِزَازِ
الْسلطان الذي هو ظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ ، وَقِيَامُ صَدْلِهِ وَقِسْطِهِ ، وَالْجِجَارُ الدَّائِدُ لَهُمْ عَنِ الظَّلَامِ
وَالْتَفَانِمْ ، وَالْخِصْنُ الْحَرِيرُ عِنْدَ خَوْفِ الْبَوَائِقِ وَمُلِمَّ النَّوَابِغِ ؛ فَلَيْسَ يَكِيدُ وَلَا تَمَّةُ
الْمُسْتَقْبَلِينَ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهِ كَائِدٌ ، وَلَا يَحْصِدُ مَا يَحِبُّ لَهُمْ مِنْ حَقِّ الطَّاعَةِ جَاوِدٌ ،
إِلَّا مَنْ أَطَاعُوا عَلَى غَيْرِ الْأَمَّةِ ، وَمَحَاوَلَةِ التَّشْتِيتِ لِلْكَلْبَةِ .

والجُدَّةِ عَلَى مَا تَوَلَّى بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْبَدَةِ وَالْعَاقِبَةِ : مِنَ الْإِدْلَاءِ بِالْحُجَّةِ ،
وَالْتَأْيِيدِ بِالْقَلْبَةِ ، عِنْدَ تَسْوِهِ مِنْ حِزْوَ طَاةِ الْخَفَضِ (٩) ، مَتَّبِعًا لَكَلَابِ اللَّهِ حَيْثُ
سَلَكَ بِهِ حُكْمَهُ ، مُتَقَبِّيًا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَنْشَأَتْ أَمَامَهُ ،
بِإِذْنِ اللَّهِ قَسَمَهُ ، لَا يَصُدُّهُ وَعِيدٌ مِنْ تَكَبُّرِ وَعْثَا ، وَلَا يُوحِشُهُ خُدْلَانٌ مِنْ أَذْبَرِ وَتَوَلَّى ،
مُنْتَظِرًا لِمَنْ نَكَتَ عَهْدَهُ وَغَدَرَ بَيْعَتِهِ وَأَتَمَسَ الْمَكْرَ بِهِ فِي حَقِّهِ الْآيَاتِ الْمَوْجِبَةِ
فِي قَوْلِهِ : (ثُمَّ بَيَّنِّي عَلَيْهِ لِيُبَصِّرَهُ اللَّهُ) . (فَمَنْ نَكَتَ فَأَنَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .
مُكْتَفِيًا بِاللَّهِ مِنْ خُدَلِهِ ، مُسْتَعِينًا بِهِ عَلَى مَنْ نَصَبَ ، لَا يَسْتَفِزُّهُ مَا أَجْلَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ
مِنْ خَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ، وَهُوَ فِي أَنْصَارِهِ الْمُتَعَصِّمِينَ ، لَا تَسْتَوِجُهُمُ الشُّبَّةُ فِي بَصَائِرِهِمْ ،
وَلَا تَغْتَوِيهِمْ قَوَاعِدُ عِزِّائِهِمْ فِي سَاعَةِ السُّرْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَتْ تَرِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِنْهُمْ ، فَكَبَّهَتْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْهَضَتْ لَعْدُوهُ ، يَنْظُرُونَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : مِنْ
الْفَلَجِ الْمَيِّينِ ، وَالْقَوْرِ بِالشَّهَادَةِ وَالسَّعَادَةِ ، فَلَيْسَ يُلْفِتُهُمْ عَنْ حَقِّهِمْ مَا يَسْتَقُونَ بِهِ مِنْ
الترغيب والترهيب ، وَلَا يَزْدَادُونَ عَلَى عَظِيمِ التَّهَوُّلِ وَالْأَخْطَارِ إِلَّا تَهَمًُّا وَإِقْدَامًا ،
مُتَمَثِّلِينَ لِسَيِّدِ إِخْوَانِهِمْ قَبْلَهُمْ فَمَا أَقْصَى عَلَيْهِمْ مِنْ شَأْنِهِمْ ، إِذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ :
(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) .

وَكَانَ بَدَايَةَ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَرْبِهِمُ التَّقَرُّمُ بِالْإِمْنَارِ وَالْإِنْتَارِ ، وَالتَّخْوِيفِ
بِاللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَأَوَّامِهِ ، وَمَاهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُ فِي مَقَامِهِ : مِنْ عَهْدِهِ الْمَوْكَدَةِ عَلَيْهِمْ
فِي حَرَمِهِ ، وَبَيْنَ رُكْنَيْ كَعْبَتِهِ وَمَقَامِ خَلِيلِهِ ، الْمَلَقَةِ فِي بَيْتِهِ ، الشَّاهِدِ عَلَيْهَا وَوُودِهِ .
فَكَانَ أَوَّلَ مَا بَصَّرَهُمُ اللَّهُ بِهِ حُجَّتُهُ الَّتِي لَا يَقْطَعُهَا قَاطِعٌ ، وَلَا يَدْنُهَا دَافِعٌ ،
ثُمَّ مَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنَاصُرِ وَالتَّوَاظُرِ الَّذِي فَتَّ فِي أَعْضَادِهِمْ ، وَرَمَاهُمْ بِهِ مِنْ

التَّخَالُفُ وَالتَّوَاكُلُ ؛ فَكُلَّمَا تَجَمَّتْ لَهُمْ قُرُونٌ أَجَنَّهُ اللَّهُ بِحَدِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَكَلَّمَا مَرَّقَ مِنْهُمْ مَارِقٌ أَسَأَلَ اللَّهُ مَهْجَتَهُ ، وَأَوْرَثَهُمُ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ .

وَعَلَوْعُهُمُ الْمُبْتَدِئُ بِمَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ نِقْمَتُهُ وَنَكَالُهُ قَدْ أَعْلَقَ بِالرَّدَّةِ ، وَصَرَّحَتْ شَيَاطِينُهُ بِالْفِتْرِ وَالنَّكَثِ ، يَرَى بِذَلِكَ الذَّلَّ فِي نَفْسِهِ وَجَزْبَهُ ، وَتَقْتَصُّ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَيُؤَيِّنُ بَنِيَانَهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ ، وَيَرُدُّ اللَّهُ جُيُوشَهُمْ مَفْلُولَةً ، وَجُنُودَهُمْ مَحْلَاةً عَنْ مَرَاكِزِهَا ، مَقْمُوعًا بِاطْلَافِهَا . وَلَيْسَ مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ مَخْطِطِ اللَّهِ جَلٌّ وَهْزٌ نَازِعًا عَنْ أَتَهَاكِ حَمَارِهِ وَمَآئِمِهِ ، وَلَا مُخْدَتًا عَنْ جَائِعَةٍ يَحْلُهَا بِهِ إِحْجَامًا عَنْ التَّقَنُّمِ فِي مَلَاحِهِ الْمَلْبَسَةِ لَهُ فِي حَاجِلِ مَا يُرِيدُهُ وَيُوقِعُهُ ، وَآجِلِ مَا يُرْصُدُ اللَّهُ بِهِ الْمُعَانِدِينَ مِنْ سَبِيلِهِ ، النَّاكِيْنَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مُتَبَايِنَ الْأَلْفَةِ ، وَضَمَّ لَهُ مُتَشَتِّرَ الْفُرْقَةِ ، عَلَى مَعْرِفَةِ بَحْرِهِ وَجَزْبِهِ ، وَعَدُوَّهُ وَوَلِيَّهُ ، وَمَنْ سَعَى لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ، أَوْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ فِيهِ : مِنْ أَوَافٍ بَيْعَةٍ ، أَوْ خَازِنٍ بِإِلٍّ وَزِمَةٍ [جَدِيرٌ] أَنْ يَمَّ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ كَافَّةً رِعِيَّتِهِ ، وَبِشَعْفَتِ طَلَبِهِمْ بِحُسْنِ طَائِدَتِهِ ، وَيَسْمَلَهُمْ بِمَسْوَطِ مَدْلِهِ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ ، وَتَقْدِيمِ أَهْلِ الْأَفْكَارِ الْمَحْمُودَةِ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُودَةِ ، بِمَا لَمْ تَزَلْ أَنْفُسُهُمْ تَشْرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْيُنُهُمْ تَرَوُّ نَحْوَهُ ، لَتُحْمَدَ عَنْهُمْ طَاقِيَةُ الطَّاعَةِ ، وَيُسَجَّلَ لَهُمْ الْوَفَاءُ بِمَا وَصَلَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ ، إِلَى مَا ذَاخَرَهُ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الثَّوْبَةِ وَمَزِيدِ الشُّكْرِانِ . وَأَمْرٌ لِقَلَابٍ بَكْنَا ، وَلِنَ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ بَكْنَا ، وَأَمْنُ الْأَسْوَدِ وَالْأَخْضَرِ ، مَا خَلَا الْمُلْحَدَ ابْنَ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ سَعَى فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ سَعَى الْمَفْسِدِينَ ، وَأَتَمَّ قَضَى وَثَائِقِ الدِّينِ .

بَخِجْ مِنْ حُلِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ آيَتُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ ، غَيْرِ مُتَبَعِينَ بَقَرَةٍ ، وَلَا مَطْلُوبِينَ بِإِحْنَةٍ ، فَلَا تَكُنْ أَحَدًا وَحْشَةً مِنْهُمْ لَضَبِيغَةٍ يَظُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَطْوَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَا

يُجْلِيهِ مَاعِظًا لَهُ عَنْهُ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى [خلاف] مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ مِنْ ثَوَابِ طَاعَتِهِ أَوْ نِكَالٍ مَعِصِيَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ: ﴿وَلْيَقْضُوا وَلِصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .
 فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهِمَ خَلْقَكُمْ ، مِنْ إِتَابَةِ أَهْلِ السَّوَابِقِ مِنْكُمْ بِأَوْفَى سَعْيِهِمْ ،
 وَالتَّطَوُّلِ عَلَى طَائِفَةِ جُنْدِهِ بِمَا شَمِلَهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَحَسَنَتْ عَلَيْهِمْ عَائِدَتُهُ ، وَمَا تَعَطَّفَ بِهِ
 عَلَى أَهْلِ الْتَفْرِيطِ : مِنْ إِقَالَةِ هَفَوَاتِهِمْ وَعَقَرَاتِهِمْ ، حَتَّى صِرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ إِخْوَانًا
 مُقَرَّبِينَ ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَضْغَانَكُمْ وَزَرَعَ حَسَائِكَ صُدُورِكُمْ ، وَدَدَّ أَلْفَتْكُمْ إِلَى أَحْسَنِ
 مَا يَكُونُ ، وَصِرْتُمْ مِنْ مُتَقَدِّمِ بَنَاءٍ ، وَمُقَمَّعٍ بِإِحْسَانٍ . فَحَافِظُوا عَلَى مَا يُرَبِّطُ بِهِ رَاهُنَ
 النِّعْمَةِ ، وَيُسْتَدْعَى بِهِ حُسْنُ الْمَزِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الأمانات التي تُكْتَبُ لأهل الإسلام ، مَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْمُلُوكِ ،

وهو عَلَى ضَرِيْنِ)

الضرب الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فِي الزَّمَنِ السَّابِقِ ، مِمَّا كَانَ يُصَدَّرُ عَنْ وَزَرَاءِ

الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى الْأَمْرِ مَعَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَسْلُوبَانِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُصَدَّرَ بِاتِّسَابٍ الْمُسْتَأْمِنُ الْأَمَانُ)

وهذه نُسخة أَمَانٍ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، كَتَبَ بِهَا أَبُو [إِسْحَاقَ بْنِ] هَلَالِ الصَّابِي ،
 عَنْ صَهْبَامِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ عَصْبِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ لِبَعْضِ
 مَنْ كَانَ مُتَخَوِّفًا مِنْهُ ، وَهُوَ :

هذا كتاب من صمصام الدولة وثمس الملة أبي كالجار ، بن عصيد الدولة وتاج
 الملة أبي مجناح ، بن رشي الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين - ثقلان بن ثقلان .

إِنَّكَ ذَكَرْتَ رَغْبَتَكَ فِي الْأَحْيَارِ إِلَى جَمْعِنَا ، وَالْمَصِيرَ إِلَى حَضْرَتِنَا ، وَالسُّكُونَ إِلَى
 ظِلِّنَا ، وَالسُّكْنَى فِي كَفِّنَا ، وَأَتَمَسْتَ التَّوَقُّعَ مِنَّا بِمَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسَكَ ، وَيَطْمَئِنُّ
 إِلَيْهِ قَلْبُكَ ، فَتَقْبَلُنَا ذَلِكَ مِنْكَ ، وَأَوْجِبْنَا بِهِ الْحَقَّ وَالنَّامَ لَكَ ، وَأَمَّا لَكَ بِأَمَانِ اللَّهِ جَلَّ
 شَأْنُهُ ، وَأَمَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [وَأَمَانِ] أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ،
 وَأَمَانَتِنَا - عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَوَارِحِكَ ، وَشَعْرِكَ ، وَبَشِيرِكَ ، وَأَهْلِكَ ، وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ ،
 وَذَاتِ يَدِكَ : أَمَّا نَحْنُ صَحِيحًا مَاضِيًا تَائِدًا ، وَاجِبًا لَازِمًا ، وَلَكَ طِينًا بِالْوَفَاءِ بِهِ إِذَا صِرْتَ
 إِلَيْنَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ، مِنْ غَيْرِ قَيْضٍ لَهُ وَلَا تَفْسِيخٍ لِنَحْنُ مِنْهُ ، وَلَا تَأْوِيلٍ عَلَيْكَ فِيهِ
 عَلَى [كُلِّ] وَجْهِ وَسَبَبٍ .

ثم إِنَّا تَنَبَّأُوكَ إِذَا حَضَرْتَ بِالْإِحْمَانِ وَالْإِجْمَالِ ، وَالْأَصْطِنَاعِ وَالْإِفْضَالِ ، مُؤَيِّنَ
 بِكَ عَلَى أَمَلِكَ ، وَتَجَاوِزِينَ حَدَّ ظَنِّكَ وَتَهْدِيرِكَ . فَأَسْكُنْ إِلَى ذَلِكَ وَقْتُ بِهِ ،
 وَتَبَيَّنْ أَنَّكَ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، وَمُقَضِّى إِلَيْهِ . وَمَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِنَا هَذَا : مِنْ عُمَّالِ
 الْخَرَاجِ وَالْمَعَاوِينِ وَمَا سَائِرِ طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِنَا ، فَلْيَعْمَلْ بِمَا فِيهِ ،
 وَلْيَحْذَرْ مَنْ تَجَاوَزَهُ أَوْ تَمَدَّيَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى نحو من ذلك كتب أبو إسحق الصابى ، من صمصام الدولة المتقدم ذكره ،
 الأمان للجماعة من عرب المستنق ، بواسطة محمد بن المسيب ، وهو :

(١) الزيادة من رسائل الصابى الخطية .

هذا كتاب منشور من مخصص الدولة، ويسمى الملة، أبي كاليبجار، بن عضد الدولة .
وتاج الملة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي ، مولى أمير المؤمنين لجسامة من
العرب من المتفق، الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة .

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم ، وذكر رغبكم في الخلفه ، والالتجياز إلى
النجسه ؛ وأتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم ، وأهلكم وعشيرتكم ؛ على أن تزموا
الاستقامه ، وتسلكوا سبيل السلامه ؛ ولا تخيفوا سبيلا ، ولا تسعوا في الأرض
قسادا ، ولا تخالفوا السلطان وولاه أعماله أسرا ، ولا تؤوا له عدوا ، ولا تهادوا
له وليا ، ولا تغيروا أحدا نخرج عن طاعته ، ولا تقيموا لأحد طلبه ، ولا تحونوه
في سر ولا جهرا ، ولا قول ولا عمل . فإينا قبول ذلك منكم ، وإجابة محمد إلى
ما رغب فيه عنكم ، وتضمنته المهدية فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه
الماخوذة عليكم : في الكف عن الرجعة والسألة ، وأهل السواد والحاضرة ؛ وترك
التمرض للال والدم ، أو الاتهالك للنسبة أو محرم ، أو الارتكاب لمنكر أو مأم .

فكونوا على هذه الحدود قائمين ، وللصحة والاستقامة متقدين ، ولأحدائكم
ضابطين ، وعلى أيدي سفهائكم آخذين ؛ وأتم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله ،
وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمان مولانا أمير المؤمنين ، وأماننا : على نفوسكم
وأموالكم وأحوالكم ، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم : من أهلكم
وعشيرتكم وأتباعكم ، ومن ضمنته حوزتكم .

ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون ، والمتصرفين في الحماة والسيارة
وغيرهم من جميع الأسباب ، فليعمل بتضمنته ، وليحمل جماعة هؤلاء القوم على
موجبه ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن لا يتعرض في الأمان لاحتباس المستأمن الأمان)

وهذه نسخة أمان على هذا الأسلوب، أورده أبو الحسين بن الصابي في كتابه "غرر البلاغة" ونصه بعد التسملة :

هذا كتاب من فلان مولى أمير المؤمنين لفلان .

إِنَّا أَمَّاكَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَلَدَيْكَ وَحَرَمِكَ ، وَسَائِرِ مَا تَحْوِيهِ يَدُكَ ، وَشَمْلِ
عَلَيْهِ مِلْكِكَ ؛ بِأَمَانٍ أَفْهَ جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَعَظُمَتْ كِبَرِيَّاتُهُ ، وَأَمَانٍ عِندَ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانًا - أَمَانًا صَحِيحًا غَيْرَ مَعْلُولٍ ، وَسَلِيمًا غَيْرَ مَدْحُولٍ ، وَصَادِقًا
غَيْرَ مَكْذُوبٍ ، وَخَالصًا غَيْرَ مَشُوبٍ ؛ لَا يَتَدَاخَلُهُ تَأْوِيلٌ ، وَلَا يَتَعَقَّبُهُ تَبْدِيلٌ ، قَدْ كَفَّلَهُ
الْقَلْبُ الْمَحْفُوظُ ، وَقَامَ بِهِ الْمَهْدُ الْمَحْفُوظُ - عَلَى أَنْ تَسْمَلَكَ الصَّبَاطَةُ فَلَا يُلْحَقُكَ
أَعْرَاضٌ مُعْتَرِضٌ ، وَتَكْتَفِكَ الْحِرَاسَةُ فَلَا يَطْرُقُكَ أَعْتَاضٌ مُقْتَضٍ ، وَتُتْرَكَ النُّصْرَةُ
فَلَا يَنَالُكَ كُفٌّ مُتَخَفِّفٌ ، وَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْكَ يَدٌ مُتَطَرِّفٌ ؛ بَلْ تَكُونُ فِي ظِلِّ السَّلَامَةِ
رَاطِمًا ، وَفِي حُمَاةِ الْأَمَانَةِ وَادِمًا ؛ وَبَيْنَ الْمَرَامَةِ مَلْحُوظًا ، وَمِنْ كُلِّ تَعْقِبٍ وَتَلْبِيعٍ
مَحْفُوظًا ؛ لَكَ بِذَلِكَ هَهَذَا اللَّهُ الَّذِي لَا يُخْفَرُ ، وَمَوَاتِيئُهُ الَّتِي لَا تُسْكَتُ ؛ وَذِمَامُهُ الَّذِي
لَا يُرْفَضُ ، وَعَهْدُهُ الَّذِي لَا يُنْقَضُ :

المذهب الثاني

(بما يُكْتَسَبُ بِهِ فِي الْأَمَانَاتِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ - أَنْ يُفْتَحَ الْأَمَانُ بِلَفْظِ : «رِيم»)

كَمَا تُفْتَحُ صِفَارُ التَّوَاتُجِ وَالْمَرَامِ ، وَهِيَ طَرِيقَةُ غَرِيبَةٍ)

وهذه نسخة أمان على هذا النمط ، أوردها محمد بن المكرم أحد كتّاب ديوان
الإشياء في النقلة المنصورية «قلاوون» في تذكرة التي سماها : «تذكرة الألب»

كتب بها عن المنصور قلاوون المقسم ذكره ، للتجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، من إنشاء المولى قنص الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهى :

رسم - أعلى الله الأمر العالى - لا زال عدله يحل الرأيا من الأمن في حصن حصين ، ويستخلص الدماء لدولته الزاهرة [من] أهل المشرق والمغرب فلا أحد إلا وهو من المخلصين ، ويحيى برحائها للعتيق جنة عدن من أى أبوابها شاء الناس دخولاً : من العراق من العجم من الروم من الجحاز من الهند من الصين - أنه من أراد من الصدور الأجلاء الأكابر التجار وأرباب التكسب ، وأهل التسبب ، من أهل هذه الأقاليم التى عُدت وإلى لم تُعد ، ومن يؤثر الورود إلى ممالكها إن أقام أو تردد - الثقلة إلى بلادنا القسيحة أرجاؤها ، الظليلة أباؤها وأفناؤها ، فليعزم عزيم من قدر الله له في ذلك الخير والخير ، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا إلى ذخيرة : لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلة لمن تغرب عن الوطن ؛ وزمة لا يملأها بصر ، ولا تهجر للإفراط في الخصر ؛ والمقيم بها في ربيع دائم ، وخير ملازم ؛ ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه ، وأن بركة الله حاصلة في رحل من جعل الإحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ؛ ومنها ما إذا أهرط إليها أمل كان له ما سأل ، إذ أصبحت دار إسلام يمنود تسيق سيوفهم العدل ؛ وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكانها ؛ وأسمعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن ، وأبسر المعسر فيها فلا يمتحن سورة المدائن ؛ إذ المطالب بها

غير مُتَعَمَّره ، والنظرة فيها إلى مؤسره ؛ وسائر الناس وجميع التجار ، لا يمشون فيها من يحور فإن العذل قد أجار .

فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند ، والصين والسند ، وغيرهم ، فليأخذ الأهبة في الأرجال إليها ، والقُدوم عليها ؛ ليجد الفعّال من المقال أكبر ، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه المهود بالأكثر ؛ ويحل منها في بلدة طيبة ورب غفور ، وفي نعمة جزاؤها الشكر وهل يُجَازَى إلا الشكور ؛ وفي سلامة في النفس والمال ، وسعادة تحلّي الأحوال وتحوّل الآمال ؛ ولم تنا كل ما يؤثرونه : من معلقة يُجيب دأعيا ، ويحمد عيشهم دواعيا ، وثقى أموالهم على تخلفهم ، وتستخلصهم لأن يكونوا متقين في ظلالها وتضطفيهم ؛ ومن أحضره بضائع من بهار وأصناف تحضرها تجار الكرام فلا يخاف عليه في حق ، ولا يكلف أمراً يشق ، فقد أتى لهم العذل ما شاق ورفع عنهم ما شق ؛ ومن أحضره معهم مائلك وجواري فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمساعدة بما يتعوضه بئهم على المتباد في أمر من يطلبهم من البلد القريب فكيف من البعيد : لأن رغبنا مصروفة إلى تكثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقاً على اليهود ؛ فليستكثر من يقدّر على جلبهم ، ويسلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحالت على طلبهم : لأن الإسلام بهم اليوم في عزّ لوائه المنشور ، وسلطانه المنصور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور ؛ وذم بالكفر أسسه وحمّد بالإيمان يومه ، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه .

هذا مرسومنا إلى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب في الأرض :
(يَتَّقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . ليقرأوا منه ما ييسر لهم

من حُكِّه، ويتنلون بَحْمِه، ويتننون بِسْمِه، ويمتنطون كاهِلَ الأَمَلِ الذي يَمْلُهُم على المِجْرَه، ويسطون أَيْسَهُم بالدُّعَاءِ لِمَنْ يَسْتَدْنِي إِلَى بِلَادِهِ الْخِلَافِي لِيَقُورُوا مِنْ إِحْسَانِهِ بِكُلِّ نَفَّارَةٍ وَبِكُلِّ نَفْثَةٍ، ويمتننون أوقات الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَدْ أَذْنَتْ قِطَافَهَا، وبِئْسَتْ بِهِذِهِ الْوَعْدِ الصَّادِقَةِ اليَهُمْ تُحَقِّقُ لِمَنْ حُسْنَ التَّأْمِيلِ، وَتُثَبِّتُ عِنْدَهُمْ أَنْ انْخَطَ الشَّرِيفَ حَاكِمُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا قَالَهُ الْأَهْلَامُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلتُ : هذا المكتوبُ وإن لم يكن صريحَ أَمَانٍ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَمَانِ، كما أشار إليه ابنُ المَكْرَمِ . وفيه غرابتان : إحداهما - الإفتتاح « بِرُيُوسِ » ، والثانية - الكتابةُ به إلى الآفاق البعيدة والأقطار النائية ، إشارةً إلى أمتداد لسان قَلَمِ هذه المملكة إليهم .

الضرب الثاني

(من الأمانات التي تُكتب لأهل الإسلام ماعليه مصطلح زماننا، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ما يُكتب من الأبواب السلطانية)

والنظر فيه من جهة قَطْعِ الْوَرَقِ، ومن جهة الطُّرَّة، ومن جهة ما يُكتب في اللَّيْنِ .

فأما قَطْعُ الْوَرَقِ فقد قال في «التنقيف» : إِنَّ الْأَمَانَ لَا يُكْتَبُ إِلَّا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .

قلتُ : والذي يَحْتَجُّهُ أَنْ تَكُونَ كِتَابَةُ أَمَانٍ كُلِّ أَحَدٍ فِي تَطْيِيرِ قَطْعِ وَرَقِ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ . فَإِنْ كَانَ مِنْ تَكْتِبِ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ، كُتِبَ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . وَإِنْ كَانَ فِي قَطْعِ فَوْقَ ذَلِكَ، كُتِبَ فِيهِ .

وأما الطَّرَّة فقد قال في "التتيف": إنه يُكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط الأَمِّم الشَّرِيف، كما في المكتبات وغيرها، ثم يكتب من أول عَرْض الورق إلى آخره كما في سائر الطَّرَر ما صُوِّرَتْهُ :

« أمانٌ شَرِيفٌ لفلان بن فلان الفُلانيّ بأن يحضُر إلى الأبواب الشريفة ، أو إلى بَلَدِهِ أو مكانه ، أو نحو ذلك آمِنًا على نَفْسِهِ وأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، لا يُصِيبُهُ سُوءٌ، ولا يَنَالُهُ ضَمٌّ، ولا يَمَسُّهُ أَذًى، على ما تُشِرح فيه .

قلتُ : والعلامة في الأمان الأَمِّم ، والياضُ بعد الطَّرَّة على ما في المكتبات إما وَصْلانٍ أو ثلاثة ، بحسب ما تقتضيه رُتْبَةُ صاحِبِ الأمان ، وبحسب ما يقتضيه الحال : من مُداراة مَنْ يُكتب له الأمان : تلَوِّف استِثراء شَرِّهِ وما يُخَالِفُ ذلك .

وأما مَثَنُ الأمان : فإنه يُكتبُ البَسْمَلَةُ في أولِ الوَصْلِ الثالثِ أو الرابع ، بهامِش من الجانب الأيمن كما في المكتبات ، ثم يكتب سَطْرٌ من الأمان تحت البَسْمَلَةِ على سَمتِها ، ويَحْتَلِي موضعُ العلامة بياضًا كما في المكتبات ، ثم يكتب السَطْر الثاني وما يليه على نَسَقِ المكتبات .

قال في "التعرف" : ويجمعُ المقاصدُ في ذلك أن يُكتب بعد البَسْمَلَةِ : « هذا أمانٌ الله تعالى وأمانٌ نبيِّه عَبدُ [نبيِّ الرحمة] ^(١) صلى الله عليه وسلم وأمانًا الشَّرِيفُ ، لفلان بن فلان الفُلانيّ [ويذكرُ أشهرَ أسمائِهِ وتَعرِيفَهُ] ^(١) ، على نَفْسِهِ وأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وجميعِ أَصْحابِهِ وأَتْباعِهِ وكلِّ ما يَتَمَلَقُ به : من قليلٍ وكثيرٍ ، وجليلٍ وحَظِيرٍ - أمانًا لا يَتَيَقَّنُ معه خَوْفٌ ولا جَزَعٌ في أولِ أمرِهِ ولا آخرِهِ ، ولا عاجِلُهُ ولا آجِلُهُ ، يَخْصُ وَيُعِمْ ، ويُصَبِّأُ به النَّفْسُ والأَهْلُ والوَلَدُ والمَالُ وكلُّ ذاتِ اليَدِ . فليَحْضُرْ هو

(١) من "التعرف" ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

وَبَنُوهُ، وَأَهْلُهُ وَذُرِّيَّتُهُ وَأَقْرَبُوهُ، وَغُلَامَانَهُ وَكُلَّ حَاشِيَتِهِ، وَجَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ كُنْهَيْتِهِ وَقَاصِيَتِهِ؛ وَلْيَصِلْ بِهِمُ الْإِنْسَاءُ، وَهَذَا عَلَى حَضَرَتِنَا فِي ذِمَامِ اللَّهِ وَكَلَامَتِهِ وَصَحَابَتِهِ هَذَا الْأَمَانِ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ مِنَّا، وَلَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ قِبَلِنَا، وَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَيْهِ بِسُوءٍ وَلَا أَذًى، وَلَا يُرْتَقَى لَهُ مَوْرِدٌ بِقُدْرَتِهِ؛ وَلَهُ مِنَّا الْإِحْسَانُ، وَالصِّقَاءُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ؛ وَالرَّوَايَةُ الَّتِي تُؤْمِنُ مِنْهُ بِه [وَبِهِ شَرِيحُهُ] وَيَطْمَئِنُّ^(١) [بِهَا] خَاطِرُهُ، وَتُرْفَعُ عَلَيْهِ كَالسَّحَابِ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَاطَرُهُ.

فَلْيَحْضُرْ وَاتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ، وَقَدْ تَلَقَّضْنَا لَهُ بِهِ لِيَزْدَادَ وَثُوقًا، وَلَا يَجِدَ بَعْدَهُ سُوءَ الظَّنِّ إِلَى قَلْبِهِ طَرِيقًا. وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ إِكْرَامُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ، وَإِبْرَازُهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا عُمِدَ مِنْ أُمُورِهِ؛ وَلِيَكُنْ لَهُ وَلِكُلِّ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَيَبْلُغُ قُصَارَى الْقَصْدِ وَنَهَايَةَ الْمَرَامِ؛ وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَهْلُهُ.

وَذِكْرُ «التَّحْقِيقِ»: بِصِيغَةٍ أُخْرَى أَخْصَرَ مِنْ هَذِهِ، وَهِيَ:

«هَذَا أَمَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَانُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَانُ الشَّرِيفِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيَّ، بَأَن يَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ أَمَّنًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ، وَلَا يَنَالُهُ ضَمِيمٌ، وَلَا يَمَسُّهُ أَذًى. فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَيَحْضُرْ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ، أَمَّنًا مُطْمَئِنًّا، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ، وَلَا يَنَالُهُ أَذًى فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدٍ. وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَهْلُهُ، وَاللَّهُ الْمَوْقِفُ بَيْنَهُ وَكَرَمُهُ».

وَزَادَ فَقَالَ: ثُمَّ التَّارِخُ وَالْمُسْتَدُّ وَالْحَسْبَةُ. وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» لِأَنَّهُا تَقْتَضِي الْإِسْتِثْنَاءَ فَيَا وَقَعَ مِنَ الْأَمَانِ الْمَذْكُورِ.

ثم قال : هذا هو الأمر المستقر من ابتداء الحال وإلى آخر وقت ، لم يكتب خلاف ذلك . غير أن القاضي شهاب الدين ذكر النسخة المذكورة بزيادات حسنة لا بأس بها ، لكنني لم أر أنه كتب بها في وقت من الأوقات . ثم قال : وهي في غاية الحسن ، وكان الأولى أن لا يكتب إلا هي .

قلت : وقد رأيت عدة نسخ أمانت فيها زيادات ونقص عما ذكره في "التعريف" و"التتيف" . والتحقق ما ذكره صاحب "مواد اليان" : وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال ، والذي يضبط إنما هو صورة الأمان ، أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال .

وهذه نسخة أمان ، كتب بها الأسد الدين ربيعة أمير مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، للجلس العالي الأسدي ربيعة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نعيم : بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المجهز حجة الجتاب السني يتمش الناصري ، أمنا على نفسه وماله وأهله وولده وما يتعلق به ، لا يمتحن حلول سلطنة قاصمه ، ولا يخاف مؤاخذه حاسمه ، ولا يتوقع خديسة ولا مكرا ، ولا يجد سوءا ولا ضرا ، ولا يستشعر مهابة ولا وجلا ، ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من أحسن عملا ؟ بل يحضر إلى خدمة السنجق أمنا على نفسه وماله وآله ، مطمئنا وأيقنا بالله وبرسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، الميسر الوجوه الكريمة الأحساب ، وكل ما يحيط به أنا وإخوانه به فهو مفقود ، وقه عاقبة الأمور ؛

وله من الإقبال والتأخير والتقديم ، وقد صفحتنا الصفيح الجميل : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) .

فلتتق بهذا الأمان الشريف ولا تلحّب به الظنون ، ولا يصغ إلى الذين لا يملكون ؛ ولا يستشرف في هذا الأمر غير نفسه ، ولا يظن إلا خيراً فيومّه عندنا ناسخٌ لأمنيه ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم [فيما يرويه عن ربه] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي خَيْرًا » .

فمسك بروية هذا الأمان فإنها وثقى ، وأعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ؛ ونحن قد أمانك فلا تحف ، ورعينا لك الطاعة والشرف ؛ عفا الله عما سلف ؛ ومن أمانه فقد فاز ، فطوب نفساً وقر عيناً فانت أمير المجاز .

قلت : هذا الأمان إنشاء مبتكر مطابق للواقع ، وهكنا يجب أن يكون كل أمان يكتب .



وهذه نسخة أمان كتبت بها عن السلطان الملك الظاهر « برقوق » عند محاصرته لدمشق بعد خروجه من الكرك بعد خلع من السلطنة : أمن فيها أهل دمشق خلا الشيخ شهاب الدين بن القرشي وجرى الطاربي ، كتبت في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة ، وشفيح الأمة ، وكاشف الغمة ، صلى الله عليه وسلم ، وأماننا لكل واقف عليه من أهل مدينة دمشق المحروسة : من القضاة ، والمفتين ، والفقهاء ، وطلبي العلم الشريف ، والفقراء والمساكين ، والأمراء ، والأجناد ، والتجار ، والمتسولين ، والشيوخ ، والكهول

وَالشُّبَّانَ ، وَالْبَكَارَ وَالصَّبَّارَ ، وَالذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ ، وَالنَّاصِ وَالْعَامَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
و[أهل] النِّمَّةِ ، إِلَّا جَرْدَ الطَّارِي ، وَاحِدَ بَنِ الْقُرَيْشِ - عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ،
وَأَوْلَادِهِمْ ، وَأَهْلِهِمْ ، وَجُرَيْهِمْ ، وَأَصْحَابِهِمْ ، وَأَتْبَاعِهِمْ ، وَغُلَامَانِهِمْ ، وَقَبَائِلَهُمْ ،
وَعَشَائِرَهُمْ ، وَدَوَائِبَهُمْ ، وَمَا يَلْكُونَهُ مِنْ نَاطِقٍ وَصَائِتٍ ، وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ : مِنْ كَثِيرٍ
وَقَلِيلٍ ، وَجَلِيلٍ وَخَفِيرٍ . أَمَّا أَنْ لَا يَبْقَى مَعَهُ خَوْفٌ وَلَا جَرَجٌ ، فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَلَا فِي آخِرِهِ ،
وَلَا فِي طَاجِلِهِ وَلَا فِي آجِلِهِ ، وَلَا ضَرْ ، وَلَا مَكْرٌ ، وَلَا غَدْرٌ ، وَلَا خَدِيسَةٌ ، يُحْصَى
وَيُسَمَّى ، وَتُصَانُ بِهِ النَّفْسُ وَالْمَالُ ، وَالْوَلَدُ وَالْأَهْلُ ، وَكُلُّ ذَاتٍ يَدُ .

فَلْيَحْضُرُوا بَنِيهِمْ ، وَأَهْلَهُمْ وَذَوِيهِمْ ، وَأَقْرَبِيَّهُمْ ، وَغُلَامَانِهِمْ ، وَحَاشِيَتِهِمْ ، وَجَمِيعَ
مَا يَلْكُونَهُ مِنْ نَاطِقٍ وَصَائِتٍ ، وَذَنٍّ وَقَاصٍ ، وَلِيَصِلُوا بِهِمْ إِلَيْنَا ، وَلِيَقْدُوا بِهِمْ عَلَى
حَضْرَتِنَا الشَّرِيفَةِ فِي ذِمَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ ، وَضَمَانِ هَذَا الْأَمَانِ . لَمْ نِمَّةً اللَّهُ تَعَالَى
وَذِمَّةً رَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ لَا يَنَالَهُمْ مَكْرُوهٌ مَتَى ،
وَلَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ قِبَلِنَا ، وَلَا يَتَعَرَّضَ إِلَيْهِمْ بُسُوءٌ وَلَا أَدَى ، وَلَا يُرَقَّ لَهُمْ مَوَدٌّ بَقْدَى ؛
وَلَمْ مَتَى الْإِحْصَانُ ، وَالصَّفَاءُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَالرَّيَايَةُ الَّتِي تُؤْمَنُ بِهَا سِرِّيهِمْ ، وَنَجْوَى
بِهَا سِرِّيهِمْ ، وَيُطْمَئِنُّ بِهَا خَاطِرُهُمْ ، وَتُزْفَرَفَ عَلَيْهِمْ كَالسَّحَابِ لَا يَنَالُهُمْ إِلَّا مَا طَرَهُمْ .

فَلْيَحْضُرُوا وَاتَّقِينَ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا الْأَمَانُ .
الشَّرَفُ . وَقَدْ تَطَلَّفْنَا بِهِمْ لِنَبْذُلُوا وَتَوْفَاءً ، وَلَا يَجِدَ سُوءُ الظَّنِّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى قُلُوبِهِمْ
طَرِيقًا . وَسَيَلُّ كُلُّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ إِكْرَامُهُمْ فِي حَالِ حَضْرَتِهِمْ ، وَإِحْرَاقُهُمْ عَلَى أَكْلِ
مَا عَيْشُوهُ مِنْ أُمُورِهِمْ ؛ وَلَيْكُنْ لَهُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُمْ ، وَمَا يَحْضُرُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ
مِنَ الْإِكْرَامِ ، وَالْقَبُولِ وَالْإِحْتِرَامِ ، وَتَبْلُغُ قُصَارَى الْقَصْدِ وَنَهَايَةَ الْمَرَامِ ، وَالصَّفْحِ
وَالرِّضَا ، وَالْعَفْوِ عَمَّا مَضَى ؛ وَلْيَتَسَكَّنُوا بِمُرُوءَةِ هَذَا الْأَمَانِ الْمَوْكَدِ الْأَسْبَابِ ، الْفَالِاحِ

إلى الخيرات كل باب؛ وليتقوا بروية الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشقى؛
وليشرحوا بالصفتح عما مضى صدرا، ولا يحشوا ضميرا ولا يعرض كل
منهم على نفسه شيئا مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف .

ونحن نعرفهم أن هذا أماننا بعد صبرنا عليهم نيقا وأربعين يوما مع قدرتنا على
دوس ديارهم وتجرعها، واستفصال شأقتهم، ولكنا منعتنا من ذلك الكآب العزير
والسنة الشريفة، فلنا مستمسكون بهما، وخوفنا من الله تعالى ومن نبيه سيدنا
عبد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله
يقلب سليم) وهم يظنون أنهم يظنون أن تأخيرنا عنهم عن مجزئنا .

فلتقوا هذا الأمان الشريف بقلوبهم وقالهم، وليرجعوا إلى الله تعالى، وليصونوا
ديارهم وأموالهم وأولادهم، وحرمهم وديارهم، فقد رأوا ما حل بهم من نكبتهم
وبشيم . قال الله عز وجل : (فَنَنْكَتْ فِيمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْقَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَنَسِيَتْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) . وقال عز من قائل : (وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا) في معرض المذبح لمن وقى بعهد : وقال جل وعلا : (ثُمَّ بَيَّنَّا عَلَيْهِ
لِنَصْرَتِهِ اللَّهُ) . وقال تبارك وتعالى : (يُنَاقِشُ النَّاسَ إِيمَانًا بَيْنَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) .
وقال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) . وقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه كن عليه : المكرب والبنى والندبة » . وقال عليه
السلام : « المرء مجزئ بعمله » . وقال عليه السلام : « الجزاء من جنس العمل » .
وقال أهل التصوف : (الطريق تأخذ حقاها) . وقال أهل الحكمة : (الطبيعة كافية) .
وقال الشاعر :

قضى الله أن البنى يصرع أهله * وأن على الباغي تدور الدوائر !

ثم لَمَّهم يُملِّونَ آمالهم بَعَى وَلَعْلَ ، ويقولون : السَّكْرُ الْمَصْرِيُّ واصل إليهم بجملة لهم ، وهذا واقع من أكبر حَسَرَاتِنَا أن تكون هذه الإشاعة صحيحة ، وبهذا طمعت آمالنا ، وصبرنا هذه المدة الطويلة ، ونميتنا حُضُورَهُ وَرَجَوَاهُ ، فإنه بأجمعه ممالِكُ أربابنا الشريفة ، وقد صارت الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة في حوزة الشريفة ، ودخل أهلها تحت طاعتنا المفترضة على كل مسلم يؤمن بالله تعالى وبنيته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر : من حاضر وبأيدٍ ، وعُربانٍ وأكرادٍ وتُرْكِيانٍ ، وقاصٍ ودانٍ ، وهم يتحققون ذلك ويكاثرون في التحسوس ويتعللون بَعَى وَلَعْلَ ، ويقولون : يالَيْتَ ، فيقال لهم : هَيَّات .

فليستندركوا الفارط قبل أن يعضوا ألبسهم تَلَمَّا ، وتجري أعينهم بدل الشموخ دَمًا ، وهذا مِنَّا واقع أمانٌ ونصيحةٌ في الدنيا والآخرة ، والله تعالى ربُّ النيات ، وطالم التكيفات ، يعلمون ذلك ويستمدونه ، والله تعالى يوقِّعهم فيما يُبدونونه ويُعيدونه ، والخط الشريף شرَّقه الله تعالى وأعلاه ، وصرفه في الآفاق وأمضاء - أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وهذا الأمانُ أولُه مُلَفَّقٌ من كلام "التعريف" وغيره ، وآخرُه كلامٌ سوقيٌّ .
مُبْتَدَأٌ نَازِلٌ ، ليس فيه شيءٌ من صناعة الكلام .

(تنبيه) من غرائب الأمانات ماحكاه محمد بن المكرم في كتابه : "تذكرة اللبيب"
أن رُسُلَ صاحبِ اليَمِينِ وَفَدَتْ على الأبواب السلطانية ، في الدولة المنصورية «فلاوون» في شهر رمضان ، سنة ثمانين وستمائة ، وسألوا السلطان في كتب أمان لمصاحب اليَمِينِ ، وأن يكتب على صدره صورة أمان له ولأولاده ، فكتب له ذلك وتيمنته علامة السلطان ، وعلامة وليه وليَّ عهده «الملك الصالح علي» وأعلمهم

أَنَّ هَذَا مِمَّا لَمْ يَجْرِبْ بِهِ عِدَّةٌ ، وَأَمَّا أَجْلُهُمْ إِلَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لِمُخْدُومِهِمْ ، وَمُوَاقِفَةً
لِعَرَضِهِ وَأَقْرَبَاحِهِ .

الصنف الثاني

(من الأمانات الجارية عليها مُصْطَلَحُ كُتُبِ الزَّمان ، ما يُكْتَبُ
عن قِوَابِ المَالِكِ الشَّامِيَةِ)

وهو على نَحْوِ ما تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِمَّا يُكْتَبُ عَنِ الأبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَزَادُ فِيهِ :
« وَأَمَّا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ » وَيُذَكَّرُ الْقَابُ الْمَعْرُوفَةُ ، ثُمَّ يُؤَنَّى عَلَى بَقِيَّةِ الْأَمَانِ ، عَلَى
الطَّرِيقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَيَقَالُ فِي طَرَفِهِ : « أَمَانٌ كَرِيمٌ » . وَيَقَالُ فِي آخِرِهِ : « وَالْعَلَامَةُ
الْكَرِيمَةُ » كَمَا تَهْتَمُّ فِي التَّوَاقِعِ .

وهذه نُسخَةُ أَمَانٍ كُتِبَ بِهِ عَنْ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِحَلَبٍ فِي نِيَابَةِ الْأَمِيرِ قَشْتَمِرِ
الْمَنْصُورِيِّ ، فِي الْعَوْلَةِ الْأَشْرَفِيَةِ « شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ » لِبَعْضٍ مِنْ أَرَادَ تَأْمِينَتِهِ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانٌ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَّا نَبِيَّتُهُ سَيِّدَتُنَا عَجِدِ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا
مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ، الْعَالِمُ ، الْعَادِلُ ، الْمُجَاهِدُ ، الْمُرَاطُ ، الْمُتَأَخَّرُ ، الْمُؤَيَّدُ ،
الْمَالِكُ ، الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ ، نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُجَبِّي
الْعَمَلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفُ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعُ الْكُفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرُ
الطُّغَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، مُؤَمِّنُ قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالْثَائِلِينَ ، مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبُ الْقِبْلَتَيْنِ
خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَارِثُ الْمُلْكِ ، سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْحَنِينِ وَالْأَرْكَ ، مَلِكُ
الْأَرْضِ ، الْحَاكِمُ فِي طُغُولِهَا وَالرَّضْ ، سَيِّدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، قَسِيمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
« شُعْبَانُ » ابْنِ الْمَلِكِ الْأَعْجَدِ جَمَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ « حُسَيْنُ » ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ

المَلِكِ الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين «محمد» ابن مولانا
السلطان الشهيد المَلِك المنصور «قلاوون» - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ، وجعل الأرض بأسرها
مُلْكَهُ - إلى فلان بالحضور إلى الطاعة الشريفة : طَيَّبَ الْقَلْبَ ، مُنِيسَطَ الْأَمَلِ ؛
أَمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وجماعته وأصحابه ودوابه ؛ لَا يَخَافُ ضَرَرًا وَلَا مَكْرًا ،
وَلَا خَدِيعَةً وَلَا غَدْرًا ؛ وَلَهُ مَزِيدُ الْإِكْرَامِ وَالْأَحْقَامِ ، وَالرَّعَايَةِ الْوَافِرَةِ الْأَقْسَامِ ،
وَالْعَفْوِ وَالرِّضَا ، وَالصَّبْرِ عَمَّا مَضَى .

فَلْيَتَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ هَذَا الْأَمَانِ الْمُؤَكَّدِ الْأَسْبَابِ ، الْعَالِجِ إِلَى الْخَيْرَاتِ كُلِّ بَابٍ ،
وَلْيَتَّقِ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى ، فَإِنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ؛ وَلْيُشْرَحْ بِالصَّبْرِ عَمَّا
مَضَى صَدْرًا ، وَلَا يَخْشَ شَيْئًا وَلَا ضَرًّا ؛ وَلَا يَعْزِضْ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا جَنَى وَأَقْرَفَ ،
فَقَدْ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ؛ وَالْخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

قُلْتُ : وَنَمَا يُبْنَى التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي الْأَمَانَاتِ ، أَنَّهُ إِنْ أَحْتَاجَ الْأَمْرُ فِي الْأَمَانِ إِلَى
الْأَيْمَانِ ، أَتَى بِهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَضِرُهُ حَالُ الْحَالِفِ وَالْمُخْلُوفِ لَهُ ، عَلَى مَا تَهْتَمُّ ذِكْرُهُ
فِي الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ .

الباب الثاني

من المقالة التاسعة

(في الدفن)

والمراد به دفن ذنوب من يُكْتَب له حتى لم تُرْمَد، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب

والأصل فيه ما ذكره في "التعريف" أن العرب إذا جئ أحدٌ منهم جنايةً، وأراد المجني عليه السَّوْجاء وقع، فالتَّعْوِيلُ في الصَّفْح فيها على الدفن. قال في "التعريف" :
وطريقةُهم فيه أن يجتمع أكارُ قَبِيلَةِ الذي يَدْفِن بحضور رجالٍ يَتَّقِي بهم المدفونُ له، ويقومُ منهم رجلٌ، فيقول للمجني عليه : تُريدُ منك الدفنَ لفلانٍ، وهو مُقرٌّ بما أهاجَكَ عليه، ويُعَدُّ ذنوبَه التي أخذَ بها ولا يَتَّقِي منها بَقِيَّةً، ويُقَرُّ الذي يَدْفِنُ ذلك القاتِلَ على أن هذا جُمْلَةُ ما قَمَّه على المدفون له، ثم يحفرُ بيده حَفِيَّةً في الأرض، ويقولُ : قد أَقْبَيْتُ في هذه الحَفِيَّةِ ذُنُوبَ فلانٍ التي قَمَّتها عليه، ودَفَنْتها له دَفْنِي لهذه الحَفِيَّةِ، ثم يردُّ ترابَ الحَفِيَّةِ إليها حتى يَدْفِنَهَا بيده . قال : وهو كِبَرٌ مُتَدَاوِلٌ بين العرب ، ولا يَطْمِئِنُّ خَاطِرُ الْمُذْنِبِ منهم إلَّا به ، إلَّا أنه لم يَجِرْ للعَرَبِ فيه عادةٌ بكتابة ، بل يُكْتَبِي بِذلك الفِعْلُ بِمَحْضَرِ كِبَارِ الفَرَقَيْنِ ؛ ثم لو كانت دِمَاءٌ أَوْ قَتْلٌ حَقِيقٌ وَصَفَتْ بها آثارُ الطلائِبِ .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة التاسعة

(فيما يكتب في الدفن عن الملوك)

قال في " التعريف " : وصورته أن يكتب بعد البسملة : « هذا دفنُ لذنوب فلان ، من الآن لا تُذكر ولا يطالب بها ، ولا يؤخذ بسببها ، أخصته المرامُ الشريفةُ السلطانية الملكة الفلانية ، ضاعف الله تعالى حسناتها وإحسانها : وهي ما بدأ من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبتها ، والعظائم التي آخضتها ، وحصل العفو الشريف عن زللها ، وقابل الإحسانُ العَميمُ بالتعمد سوء عملها ، وهي : كذا وكذا (وتذكر) : دفنًا لم يبق معه مؤاخذهٌ بسبب من الأسباب ، ومات به الحقدُ وهزل عليه التراب ؛ ولم يبق معه لمطالبُ بشيء منه مطمع ، ولا في إحيائه رجاءٌ وفي غير ما وارت الأرضُ فاطمعت ؛ تصلّق بها سيدنا ومولانا السلطانُ الأعظم (ويذكر ألقابه وأسمه) - تقبل الله صدقته - وعفا عنها ، وقطع الرجاء باليس منها ؛ وأبطلَ منها كلَّ حقٍّ يُطلب ، وصَفَحَ منها عن كلِّ ذنبٍ كان [به] ^(١) يُستدب ؛ ودفنها تحت قنبرته ، ونسيها في علم كرمه ، وخلاها نسيًا منسيًا لا تُذكر في خفارة ذمّه ، وجعله بها مُقيًا في أمان الله تعالى إلى أن يبعث الله تعالى خلقه ، ويتفاضل كما يشاء خلقه ؛ لا يتعقب في هذا الأمان مُتَعَقِب ، ولا يتنهي إلى أمد له نظر مُرَقَّب ؛ لا يُنْهَشُ هذا الدفين ، ولا يُوقَف له على أثر في اليوم ولا بعد حين ؛ ولا يُحْتَشَى فيه صبر مُصَابِر ، ولا يُقال فيه :

(١) الزيادة عن " التعريف " ص ١٦٦ -

إِلَّا وَهَبَهَا كَثْفَةً لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِجَ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ خَبَيْتُهُ الْمَقَارِيرُ . وَرُئِمْ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي الْفُلَانِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَفَهُ ، وَغَضَبَهُ لِكُلِّ مُثْنٍ مَا أَسْلَفَهُ - أَنْ يُكْتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابُ بِمَا عُنِيَ لَهُ عَنْهُ وَحُفِرَ لَهُ وَدُفِنَ ، وَأَصْبَحَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ مَرْتَبَيْنِ ؛ وَدُفِنَ لَهُ فِيهِ دَفْنُ الْعَرَبِ ، وَقُطِعَ فِي التَّذْكَرِ لَهُ أَرْبُ كُلِّ [ذِي] أَرْبٍ ، وَدُرِيسَ فِي الْقُبُورِ النَّوَارِسَ ، وَغُيِّبَ مَكَانَهُ فِيمَا طُمِعَ فِي الْيَالِي اللَّوَامِسَ .

وسبيلُ كُلِّ واقِفٍ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ الْجَمْعَةُ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، أَوْ بَلَنَّهُ حَبْرُهُ ، أَوْ سَمِعَهُ أَوْ وَصَحَّ لَهُ أَثَرُهُ - أَنْ يَتَنَاسَى هَذِهِ الْوَقَائِعَ ، وَيَتَخَيَّلَهَا فِيمَا تَضَمَّتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْوَدَائِعِ ، وَلَا يَذْكُرُ مِنْهَا إِلَّا مَا اقْتَضَاهُ حِلْمُهُ الَّذِي يُؤْمِنُ مَعَهُ التَّلَفَ ، وَعَقُورُنَا الَّذِي قَبِلَ وَعَقَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ .

قال في "التتقيف" : ولم أكن رأيت شيئاً من هذا ولا وجدته مسطوراً إلا في كتابة "التعريف" . قال : والذي اعتقده أنه لم يُكْتَبَ بِهِ قَطُّ ، وإنما الرجل بِسَعَةِ فَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَرْتَبَ هَذِهِ النُّسخةَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يُؤْمَرَ بِكُتَابَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، فَلَا يَهْتَدِي الْكَاتِبُ إِلَى مَا يَكْتُبُهُ . ثم قال : على أنه كَرَّرَ فِيهَا ذِكْرَ السُّلْطَانِ مَرَّتَيْنِ ، وَالثَّلاثَةَ قَالَ : رُئِمْ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، فَهِيَ عَلَى غَيْرِ تَحْوِيلٍ مِنَ النِّظَامِ الْمَعْرُودِ وَالْمُصْطَلَحِ الْمَعْرُوفِ ، بِحُكْمِ أَنْ فِيهَا أَيْضاً تَوْسَعاً كَثِيراً فِي الْعِبَارَةِ وَالْإِنْفَاطِاقِ الَّتِي تُؤَدِّي كُلُّهَا مَعْنَى وَاحِدًا . قال : وكان الأولى بنا اختصار ذلك وَعَدَمَ كِتَابَتِهِ ، لَكِنَّا أَرَدْنَا التَّنْبِيهَ عَلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، لِيَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ مُسْتَوْعِباً لِجَمِيعِ مَا ذَكَرَ ، بِمَا يُسْتَعْمَلُ وَبِمَا لَا يُسْتَعْمَلُ .

قلت : ما قاله في "التعريف" كلامٌ ساقطٌ صادرٌ عن غير تحقيق ، فإنه لا يلزم من عدم اطلاع على شيء كُتِبَ في هذا المعنى ولا سطر فيه أن لا يكون مسطوراً لأحد في الجملة . وماذا عسى يبلغ اطلاع المطلع فضلاً عن غيره ؟ وإن كان صاحب "التعريف" هو الذي ابتكر ذلك ، كما أشار إليه في "التعريف" فتعمت السجية الآتية بمثل ذلك مما لم يسبق إليه . وأما إنكاره تكرار ذكر السلطان فيها ، فلا وجه له بعد انتظام الكلام وحسن ما أتى به في "التعريف" سواء كان فيه مبتكراً أو متبوعاً أو منترماً له من الأصل السابق .

وأحسن ما يكتب في ذلك في تأيين العريان : لأنه إنما أخذَ عنهم ، فإذا صدر إليهم شيء يعرفونه ويخبرون على قواعدهم التي يلقونها ، تلقوه بالقبول ، وأطاعت إليه قلوبهم ، ووقع منهم أجل موقع ، وباقه المستعان .

الباب الثالث

من المقالة التاسعة

(فما يكتب في عقد التَّمة، وما يتفرع على ذلك؛ وفيه فصلان)

الفصل الأول

في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد، وفيه طرفان

الطرف الأول

(في بيان رتبة هذا العقد، ومعناه، وأصله من الكتاب والسنة،

وما يتخبط في سلك ذلك)

أما رتبته، فإنه دون الأمان بالنسبة إلى الإمام . وذلك أنه إنما يُقرره بعوض يأخذه منهم، بخلاف الأمان .

وأما معناه، فقد قال الغزالي في "الوسيط" : إنه عبارة عن التزام تقريرهم في ديارنا، وحجبتهم، واللَّبَّ عنهم ببذل الجزية أو الإسلام من جهتهم .

وأما الأصل فيه : فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . فجعل الجزية غاية ما يُطلب منهم، وهو دليل تقريرهم بها .

ومن السنة ما ورد « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إلى اليمن . قال : إنك ستدُّ على قومٍ مُعظمهم أهل كتاب فأعرض طيهم الإسلام ،

فَإِنْ آمَنُوا فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ وَخُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا ، فَإِنْ آمَنُوا فَأَقْتُلْهُمْ
بِفَعْلِ الْقَتْلِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ آدَاءِ الْجِزْيَةِ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِهَا أَيْضًا .

وقد قرّر أمير المؤمنين عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَصَارَى الشَّامِ بِإِيَاتِهِمْ عَلَى
شُرُوطِ اشْتَرَطُوهَا فِي كِتَابٍ كَتَبُوا بِهِ إِلَيْهِ ، مَعَ زِيَادَةِ زَادَهَا .

قال الإمامُ الحافظُ جمالُ الدِّينِ أبو صادقٍ محمد ، ابنُ الحافظِ رَشِيدُ الدِّينِ
أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى ، بنُ عَلِيٍّ ، بنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ "بِالزُّبْدِ الْمَجْمُوعِ" ،
فِي الْحِكَايَاتِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ الْمَسْمُوعَةِ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ
أَبْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بنُ إِسْمَاعِيلَ الزُّهْرِيُّ الْمَالِكِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا إِجَازَةً ،
قَالُوا : أَنْبَأَنَا أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ بنُ مَكِّيٍّ بنُ إِسْمَاعِيلَ الزُّهْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الْوَلِيدِ الْفِهْرِيُّ الطُّرُطُوشِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ
الدَّامِنِيُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنُ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ التَّجِيبِيُّ فِيمَا قَرَأْتُ
عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بنُ عُمَرَ بنُ زِيَادِ الْأَعْرَابِيُّ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ،
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِصْحَاقَ أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّفَّارُ ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بنُ تَغْلِبَ أَبُو الْفَضْلِ ، أَخْبَرَنَا
يَحْيَى بنُ حَقْبَةَ بنُ أَبِي الْمُبَارَازِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَالْوَلِيدِ بنِ رَوْحٍ ، وَالسَّرِيِّ بنِ
مَصْرُوفٍ ، يَذْكُرُونَ عَنْ طَلْحَةَ بنِ مَصْرُوفٍ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ غُنَمٍ ،
قَالَ : كَتَبْتُ لِعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى الشَّامِ .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

« هَذَا كِتَابُ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا »

« إِنَّا نَحْنُ لِمَا قَدَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذُرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا »

« وَأَهْلِي مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا تُنْجِدُوا فِي مَدِينَتِنَا »

«ولا فيها حَوْطًا قَلْبَةً^(١) ولا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، ولا تُجَلِّدَ مَا حَرَّبَ مِنْهَا: دَبْرًا»
«ولا كَنِيسَةً، ولا تُحْفَى مَا كَانَ مِنْهَا فِي خِطِّطِ الْمُسْلِمِينَ، ولا تَمْنَعُ كَانِسْنَا»
«أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نُطْعِمُهُمْ، ولا تُؤْوَى فِي مَنَازِلِنَا»
«ولا كَانِسِنَا جَاسُوسًا، ولا نَكْتُمُ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا نَعْلَمُ أَوْلَادِنَا الْقُرْآنَ»
«ولا نُظْهِرُ شِرْكَاءَ، ولا تَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا»
«الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُؤَقِّرَ الْمُسْلِمِينَ وَنَقُومَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِنَا»
«إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، ولا نَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ: فِي قَلَنْسُوءَةٍ»
«ولا عِمَامَةٍ ولا نَعْلَيْنِ ولا فَرْقِ شَعْرٍ، ولا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ، ولا تَتَكَلَّى»
«بِكَلَامِهِمْ، ولا تَرْكَبُ السُّرُوجَ، ولا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ، ولا نَتَخَذُ شَيْئًا مِنْ»
«السِّلَاحِ، ولا نَحْمِلُهُ مَعَنَا، ولا نَنْقُشُ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا نَبِيعُ الْخُمُورَ»
«وَأَنْ يَجُزَّ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزِمَ دِينَنَا حَيْثُ مَا كُنَّا، وَأَنْ نُسَدَّ زَنَايِرَنَا»
«عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَنْ لَا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَانِسِنَا، وَلَا كُتُبَنَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ، وَلَا نَضْرِبَ بَنَوَاقِسِنَا فِي كَانِسِنَا»
«إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَانِسِنَا وَلَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَخْرُجُ مَسْعَاتِينَ وَلَا بَاعُوثًا، وَلَا نَرْفَعُ»
«أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوَاتِنَا، ولا نُظْهِرَ التَّيْرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ»

(١) القلبة هي التي يقال لها القلابة . وهي من بيوت عباداتهم . والسماعين عيد لم قبل عدم الكبير
بأسبوع . والباحث عدم كالاستقاء . عذنا . انظر لسان العرب .

«ولا أسواقهم، ولا تجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من البرقي ما يتجرى عليه»
 «سبهم المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم» .
 قال عبد الرحمن : فلما أتيت عمر بالكذب زاد فيه :

«ولا نضرب أحدا من المسلمين . شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل»
 «مبلىنا، وقبلىنا عليه الأمان . فإن نحن خالفنا عن شيء مما شرطناه»
 «لكم وصمنا على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل لأهل»
 «المعاندَةِ والشقاق» .

وفي رواية له من طريق آخرى : «أن لا نتحدث في مدينتنا ولا فيها حولها»
 «ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب» .

وفيها : - «وأن لا تمنع كائنا أن يترها أحد في ليل ولا نهار، وأن»
 «نوسع أبوابها للسارية وابن السبيل» .

وفيها : - «وأن نترك من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمه» .
 وفيها : - «وأن لا نظهر صليبا أو نجسا في شيء من طرق المسلمين»
 «وأسواقهم» .

وفيها : - «وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم» .
 قال أبو صادق المقتم ذكره : ومما ذكره أهل التاريخ أن الحاكم الفاطمي
 أمر اليهود والنصارى إلا الجبارة بلبس العمام السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم

من الصُّلْبَانِ ما يَكُونُ طَوْلُهُ ذِرَاعًا وَوِزْنُهُ نَحْصَةُ أَرْطَالٍ ؛ وَأَنْ تَحْمَلَ الْيَهُودُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قِرَامِي الْخَشَبِ عَلَى وَزْنِ صُلْبَانِ النَّصَارَى ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا شَيْئًا مِنَ الْمَرَائِبِ الْمُحَلَّلَةِ ، وَأَنْ تَكُونَ رُكْبَتُهُمْ مِنَ الْخَشَبِ ، وَأَنْ لَا يَسْتَعْدِمُوا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَرْكَبُوا حِمَارًا لِمُكَارِمٍ مُسْلِمٍ ، وَلَا سَفِينَةً تُؤْتِيهَا مُسْلِمٌ ؛ وَأَنْ يَكُونَ فِي أَعْنَاقِ النَّصَارَى - إِذَا دَخَلُوا الْحِمَامَ - الصُّلْبَانُ ، وَفِي أَعْنَاقِ الْيَهُودِ الْجَلَاجِلُ : لِتُمَيِّزُوا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْفَرِدَ حِمَامَاتُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ حِمَامَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَنَهَوْا عَنِ الْاجْتِمَاعِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحِمَامَاتِ ، وَخُطَّ عَلَى حِمَامَاتِ النَّصَارَى صُورُ الصُّلْبَانِ ، وَطُيَّ حِمَامَاتُ الْيَهُودِ صُورُ الْقِرَامِيِّ .

قال : وذلك بعد الأربعمائة . ثم قال : ولقد أحسن فيما قلَّ بهم ، عفا الله عنا وعنهم ، ورزقنا من ينظر في أمورنا وأمورهم بالمصلحة .

الطرف الثاني

(في ذِكْرِ ما يحتاج الكَاتِبُ إِلَى معرفته في عَقْدِ الذِّمَّةِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ ما يحتاج الكَاتِبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أُمُورٍ :

الأمر الأول - فيمن يجوزُ أَنْ يَتَوَلَّى عَقْدَ الذِّمَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَيَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ فِي عَقْدِهَا ؛ وَفِي أَحَادِ النَّاسِ خِلَافٌ ، وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ الْأُمُورِ الْكَلْبِيَّةِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى تَطْهِيرٍ وَاجْتِهَادٍ .

الأمر الثاني - معرفة مَنْ تُعْقَدُ لَهُ الذِّمَّةُ . وَشَرَطُ فِي الْمَعْقُودِ لَهُ : التَّكْلِيفُ وَالذُّكُورَةُ وَالْحُرِّيَّةُ . فَلَا تُعْقَدُ لِنَسِيٍّ وَلَا بَجْتُونٍ وَلَا أَمْرَأَةٍ وَلَا عَبْدٍ ، بَلْ يَكُونُونَ تَبَعًا ، حَتَّى لَا يَجِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ الْحَزِيَّةُ ؛ وَفِيهِمْ لَيْسَ أَهْلًا لِلْقِتَالِ : كَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ

والزَّيْمَ خلافُ، والأصحُّ صحَّةُ عقيدتها له . ويعتبر في المعقود له أيضا أن يكون زاعِمَ التَّمَسُّكِ بكُتَابٍ : كاليهودى يزعمُ تَمَسُّكَهُ بِالتَّوْرَةِ، والنَّصْرَانِى يزعمُ تَمَسُّكَهُ بِالتَّوْرَةِ والإنجيل جميعا، وفي التَّمَسُّكِ بغير التَّوْرَةِ والإنجيل : كصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَذُبُورِ دَاوُدَ خلافُ والأصحُّ جَوَازُ عقيدتها له . وكذلك المجوسُ ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « سُنُّوْهُمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » . وَالسَّامِرَةُ إِنِ وَاثَقَتْ أَصُولُهُمْ أَصُولُ الْيَهُودِ ، عَقِدَ لَمْ وَالْأَفْلَا . وَكَذَلِكَ الصَّابِئَةُ إِنِ وَاثَقَتْ أَصُولُهُمْ أَصُولُ النَّصْرَانِى ، وَلَا يُعْقَدُ لِزَنْدِيقِى ، وَلَا عَائِدِى وَتَنِ ، وَلَا مَنْ يَبْدُو الْمَلَائِكَةَ وَالْكَوَاكِبَ . ثُمَّ إِذَا كُنْتَ فِيهِ شَرْوْطُ الْعَقْدِ فَلَا بُدَّ مِنْ قَبُولِهِ الْعَقْدَ . وَلَوْ قَالَ : قَرَّرْنِي بِكَذَا فَقَالَ : قَرَّرْتُكَ حَمَّ . وَلَوْ طَلَبَهَا طَالِبٌ مِنَ الْإِمَامِ وَجَبَّتْ لِجَابِتِهِ .

الأمر الثالث — معرفة صِيغَةِ الْعَقْدِ : وهى ما يدل على معنى التَّعَرُّفِ مِنَ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ ، بَأَن يَقُولَ : أَفَرَّرْتُمْ أَوْ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الْإِقَامَةِ فِي دَارِنَا عَلَى أَنْ تَبْذُلُوا كَذَا وَكَذَا وَتَقَادُّوا الْحُكْمَ الْإِسْلَامَ .

الأمر الرابع — الْمَلَّةُ الَّتِي يُعْقَدُ عَلَيْهَا . وَيُعْتَبَرُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مُطْلَقَةً بَأَن لَا يَقْبِلُهَا بِاتِّهَامٍ ، أَوْ بِمَا شَاءَ الْمَعْقُودُ لَهُ مِنَ الْمَلَّةِ . وَلَا تَجُوزُ إِضَافَةُ ذَلِكَ إِلَى مَشِيخَةِ الْإِمَامِ ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عَقْدِهَا الدَّوَامُ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَقْرَأْتُكُمْ مَا أَقْرَأْتُكُمْ اللَّهُ » إِنَّمَا وَرَدَ فِي الْمُهَادَنَةِ لَا فِي عَقْدِ النِّعَةِ .

الأمر الخامس — معرفة الْمَكَانِ الَّذِى يُقْرُونَ فِيهِ . وَهُوَ مَاعِدَا الْجِهَازِ ، فَلَا يَقْرُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ بِلَادِ الْجِهَازِ : وَهِيَ مَكَّةُ ، وَالْمَدِينَةُ ، وَالْيَمَامَةُ ، وَغَائِلُهَا يَعْنِي قُرَاهَا : كَالطَّائِفِ وَالنَّسَبَةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَغَيْرِ النَّسَبَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْقَرْيَ وَالطَّرِيقَ الْمُتَخَلِّلَةَ بَيْنَهَا . وَيُتِمُّونَ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَحْرِ الْجِهَازِ ، بِخِلَافِ رُكُوبِهِ لِلسَّفَرِ . وَلَيْسَ لَهُمْ دُخُولُ حَرَمِ مَكَّةَ لِإِقَامَةٍ وَلَا خِيَرَهَا ، إِذْ يَقُولُ تَالِي : (فَلَا يَقْرَؤُوا

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . فلو تَعَدَّى أَحَدُ مِنْهُمْ بِالْخُلُوعِ وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي الْحَرَمِ ، يُشَى وَأُخْرِجَ مِنْهُ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ ، فَإِنْ قَطَعَ تَرَكَ . وَقِيلَ : تُجْمَعُ عِظَامُهُ وَتُخْرَجُ . وَعَلَيْهِ يَدُلُّ نَصُّ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأُمِّ .

الأمر السادس — معرفة ما يلزم الإمام لهم بعد عقد النِّمَّة . إِذَا عَقَدَ لَهُمُ الْإِمَامُ النِّمَّةَ فَيَلْبِسُ أَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَهُمْ وَدِيْنَهُمْ وَسَلَامَهُمْ ، وَيَنْصِبَ عَلَى كُلِّ جَمْعٍ حَرِيْقًا : لِمَشْرُفَةٍ مِنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ، وَمِنْ مَاتَ وَمِنْ بَلَغَ مِنْ صِبْيَانِهِمْ ، وَمِنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَوْ سَافَرَ مِنْهُمْ ، وَإِحْضَارِهِمْ لِأَدَاءِ الْحَزِيَّةِ ، أَوْ شَكْوَى مَنْ تَعَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَسَامِينِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَهَذَا الْعَرِيفُ هُوَ الْمَعْبُورُ عَنْهُ فِي زَمَانِنَا بِالْدِيَارِ الْمَعْرِيَةِ بِالْحَاشِرِ . ثُمَّ يَجِبُ الْكُفُّ عَنْهُمْ بِأَنْ لَا يَتَرَضَّ مَشْرُضٌ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا أَمْوَالِهِمْ ، وَيَضْمَنُ مَا أَتْلَفَ مِنْهَا ، وَلَا تَرَأَى تُخَوَّرُهُمْ إِلَّا أَنْ يُظْهِرُوهَا ، وَلَا تُتْلَفُ خَنَازِيرُهُمْ إِذَا أَخْوَفَا ، وَلَا يُنْعَوْنَ التَّيْدُّ إِلَى كَائِنِهِمْ . وَلَا ضَمَانَ عَلَى مَنْ دَخَلَ دَارَ أَحَدِهِمْ فَأَرَاكَ نَحْرَهُ وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا بِالْخُلُوعِ ، وَأَوْجِبَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَيْهِ الضَّمَانُ . وَيَجِبُ ذَبُّ الْكُفَّارِ عَنْهُمْ مَا دَامُوا فِي دَارَتِهِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا دَخَلُوا دَارَ الْحَرْبِ .

الأمر السابع — معرفة ما يُطَلَّبُ مِنْهُمْ إِذَا عَقَدَ لَهُمُ النِّمَّةَ . ثُمَّ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ سِتَّةُ أَشْيَاءَ :

مِنْهَا - الْحَزِيَّةُ : وَهِيَ الْمَالُ الَّذِي يَتَلَوَّنُهُ فِي مُقَابَلَةِ تَقْرِيرِهِمْ بِدَارِ الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَوْرَدِيُّ فِي «الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ» : وَهِيَ مَا خُوْذَةُ مِنَ الْجَزَاءِ : إِمَّا بِمَعْنَى أَنَّهَا جَزَاءٌ لِتَقْرِيرِهِمْ فِي بِلَادِنَا ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ لَمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِي مِقْدَارِهَا : فَزَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْدَرَةُ الْأَقْلَى ، وَأَقْلَاهَا دِينَارٌ أَوْ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا تُقَرَّرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَا يَحُوزُ

الاقتصار على أقل من الدينار، وغير مقدرة الأثمن، فتجاوز الزيادة على الأقل برضا المعقوله . ويستحب للإمام المأكسة : بأن يزيد عليهم بحسب ما يراه . ونقل ابن الرقبة عن بعض أصحاب الشافعي أنه إذا قدر على السد غاية لم يجوز أن ينقص عنها . ويستحب أن يهاوت فيها : فيأخذ من الفقير ديناراً، ومن المتوسط دينارين، ومن الثني أربعة دنانير .

وزهد أبو حنيفة إلى تصليفتهم ثلاثة أصناف : أغنياء، يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً . وأوساط، يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً . وقراء، يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً . فجعلها مقدرة الأهل والأكثر، ومنع من آجتهاد الإمام ورأيه فيها .

وزهد مالك إلى أنه لا يتقدر أهلها ولا أكثرها، بل هي موكولة إلى الاجتهاد في الطريقين .

ومنها - الضيافة : فيجوز للإمام بل يستحب أن يشترط على غير الفقير منهم ضيافة من يربهم من المسلمين زيادة على الجزية ، ويستبرذ كرممة الإقامة ، وأن لا تزيد على ثلاثة أيام ، وكذلك يستبرذ كرممة الضيقات من فرسان ورجالة ، وقدر طعام كل واحد وأدنيه ، وقدر الطبق وجنس كل منهما، وجنس المنزل .

ومنها - الاقبياد لأحكامنا، فلورافوا إلينا أمضينا الحكم بينهم برضا خصم واحد منهم، ونحكم بينهم بأحكام الإسلام .

ومنها - أن لا يركبوا الخيل . ولم أن يركبوا الجيد بالأكيف عرساً : بأن يحصل الرأكب رجله من جانب واحد . وفي الغال النفوسة خلافاً : ذهب الغزالي وغيره إلى المنع منها والراجح الجواز، إلا أنهم لا يتخذون الجهم المحلة بالذهب والفضة .

ومنها - أن يُتْرَكُوا المسلمون صَدْرَ المَحْلِسِ وَصَدْرَ الطَّرِيقِ . وإن حصل في الطَّرِيقِ ضَيْقٌ [الْحُلُوفُ] إِلَى أَضْيَقِهِ . وَيُتَمَنُّونَ مِنْ حَمْلِ السِّلَاحِ .

ومنها - التَّمْيِيزُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَلْبَاسِ : بِأَنْ يَحْبِطُوا فِي ثِيَابِهِمُ الظَّاهِرَةَ مَا يَخَالَفُ لَوْنَهَا ، مَوْءًاءً فِي ذَلِكَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ . وَالْأَوَّلَى بِالْيَهُودِ الْأَصْفَرِ ، وَبِالنَّصَارَى الْأَزْرَقِ وَالْأَكْثَبُ (وَهُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَ الرَّمَادِيِّ) وَبِالْمَجُوسِيِّ الْأَسْوَدُ وَالْآخَرُ . وَيُسَدُّ الرِّجَالُ مِنْهُمْ الزُّنَارَ مِنْ خِيزَرِ الْحَرِيرِ فِي وَسْطِهِ ، وَقَسَدَةُ الْمَرْأَةِ تَحْتَ إِزَارِهَا ، وَقِيلَ فَوْقَهُ . وَيَمَيَّزُونَ مَلَابِسَهُمْ عَنِ مَلَابِسِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُفَارِقُ الْمَرْأَةُ لَوْنَ خُفِّهَا : بِأَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَيْصًى وَالْآخَرُ أَسْوَدَ ، وَيَحْوِ ذَلِكَ . وَيَحْمِلُ فِي عُنُقِهِ فِي الْحَتَمِ جُلُجُلًا أَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ . وَإِنْ كَانَ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ شَعْرٌ أَمْرٌ يَمْيُزُ نَاصِيَتِهِ . وَيَمَيَّزُونَ مِنْ إِزْسَالِ الضُّفَافِرِ كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْرَافُ . وَلَهُمْ لُبْسُ الْحَرِيرِ وَالْعِمَامَةِ وَالطَّلِيسَانِ . وَالَّذِي عَلَيْهِ عُرْفٌ زَمَانًا فِي التَّمْيِيزِ أَنَّ الْيَهُودَ مُطْلَقًا تَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الْصُّفْرَ ، وَالنَّصَارَى الْعِمَامَةَ الزُّرْقَ ، وَيَكُونُ الْحَمِيرُ عَلَى الْبَرَادِيعِ ، وَيَلْبَسُ أَحَدُهُمْ رِجْلَهُ قُدَامَهُ ، وَيَخْتَصُّ السَّامِرَةُ بِالشَّامِ لُبْسُ الْعِمَامَةِ الْحُمْرَاءِ ، وَلَا يُمَيَّزُ بِعَتَادُونِهِ الْآنَ سِوَى مَا قَدَّمْنَاهُ .

ومنها - أَنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ مَا يَمْتَنُّونَهُ عَلَى [بَنِيَانٍ] جِيرَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُسَاوُونَ بِهِ وَلَوْ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِكْتِفَاضِ ، وَيَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ رَضِيَ الْجَارُ الْمُسْلِمُ ، لِأَنَّ الْحَقَّ لِلدِّينِ دُونَ الْجَارِ ، وَلَهُ أَنْ يَرْفَعَ مَا بَنَاهُ بِحَلَّةٍ مُتَفَصِّلَةٍ عَنْ أَيْنَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَوْ اشْتَرَى بِنَاءً عَالِيًا بَقِيَ عَلَى حَالِهِ ، فَلَوْ أَنَّهُمْ فَاعَدَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ الرِّفْعُ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا الْمُسَاوَاةُ .

ومنها - أَنَّهُمْ لَا يُحْدِثُونَ كَنِيسَةً وَلَا بَيْعَةً فِيمَا أَحَدُهُمُ الْمُسَاهِمُونَ مِنَ الْبِلَادِ : كَالْبَيْصَرَةِ ، وَالْكُوفَةِ ، وَبَغْدَادَ ، وَالْقَاهِرَةَ ، وَلَا فِي بَلَدٍ أَسْلَمَ أَهْلُهَا عَلَيْهَا : كَالْمَدِينَةِ وَالْيَمَنِ . فَإِنْ أَحَدُهُمْ فِيهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قُبِضَ ، نَمَّ يُتْرَكُ مَا وَجَدَ مِنْهَا وَلَمْ يَعْلَمْ حَالَهُ :

لاحتِمال أنصبال الباراء به . وكذلك لا يجوز إحداثُ الكائس والبيع فبا فُصح عتوة ، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء . أما ما فُصح صلحا بخراج على أن تكون الرقبة لهم ، فيجوز فيها إحداثُ الكائس وإبقاء القديمة منها ، فإن الأرض لهم . وإن فُصح صلحا على أن تكون لنا : فإن شُرط إبقاء القديمة بقيت وكائسهم استثنوا . ويجوز لهم إعادة المتهمة منها ، وتطين خارجها دون توسيمها .

الأمر الثامن — معرفة ما يتقضى به عهدهم .

ويتقضى بأمر :

منها — قتال المسلمين بلا شبهة ، ومنع الجزية ، ومنع إجراء حُكنا عليهم ، وكذا الزنا بمسلمة أو إصابتها بأسم نكاح ، والأطلاع على عورات المسلمين وإنهاؤها لأهل الحرب ، وإيواء جاسوس لهم ، وقطع الطريق ، والقتل الموجب للقصاص ، وقذف مسلم ، وسب نبي جهورا ، وطعن في الإسلام أو الفرمان إن شُرط عليهم الانتقاض والإفلا . أما لو أظهر ببلد الإسلام الخمر أو الخنزير أو الناقوس أو مُعتقد في حُرير والمسيح عليهما السلام أو جنازة لهم أو سقى مسلما خمرا فإنه يعزر .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة التاسعة

(ما يُكْتَبُ فِي مُتَعَلِّقَاتِ أَهْلِ النِّمَّةِ [عند خُرُوجِهِمْ] عن لوازم عَقْدِ النِّمَّةِ)

وأعلم أنه ربما خرج أَهْلُ النِّمَّةِ عن لوازم عَقْدِ النِّمَّةِ ، وأظهروا التَّمييزَ والتَّكَبُّرَ وَطَلَوْا الْبِنَاءَ ، إلى غير ذلك مما فيه مخالفةُ الشروط ، فَيَأْخُذُ أَهْلُ الْعَلَلِ : من الْخُلُقَاءِ وَالْمُلُوكِ فِي قَمْعِهِمْ وَالْفَضَّ مِنْهُمْ وَحِطَّ مَقَادِيرُهُمْ ، وَيَكْتُبُونَ بِذَلِكَ كُتُبًا وَيَعْتَوُّنَ بِهَا إِلَى الْإِفَاقِ لِيُعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا ، غَضًا مِنْهُمْ وَحِطًّا لِقَدْرِهِمْ ، وَرِفْعَةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَتَشْرِيفًا لِقَدْرِهِ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهذه نُسخةُ كُتَابِ كُتِّبَ بِهِ عَنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ حِينَ سَجَّ ، يَمَعَ رَجُلًا يَدْعُو عَلَيْهِ ، فَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : وَاقِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ مَا قُلْتُ إِلَّا وَقَدْ أَهَنْتُ بِالْقَتْلِ ، فَاسْمَعْ مَقَالِي ثُمَّ مَرُّ بِقَتْلِي ، فَقَالَ : قُلْ ! - فَشَكَا إِلَيْهِ أَسْطِطَالَةَ كُتَابِ أَهْلِ النِّمَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كَلَامِ طَوِيلٍ ، فَخَرَجَ أَمْرُهُ بِأَنْ تَلْبَسَ النِّصَارَى وَالْيَهُودُ ثِيَابَ السَّلَاسِلِ ، وَأَنْ لَا يَمْكُتُوا مِنْ لُبْسِ الْبَيَاضِ كَيْ لَا يَنْتَشِبُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ تَكُونَ رُكْبَتُهُمْ حَشَبًا ، وَأَنْ تُهْلَمَ بِعُهُمِ الْمُسْتَحْتَمَةِ ، وَأَنْ تُطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْحَزْبِيَّةُ ، وَلَا يُقَسَّحَ لَهُمْ فِي دُخُولِ حِمَامَاتِ خَدَمِهَا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يُسْتَعْدِمُوا مُسْلِمًا فِي حَوَائِجِهِمْ لِنَفْسِهِمْ ، وَأَقْرَدَهُمْ بَيْنَ يَمْنَنِ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ " الْأَوَائِلَ " :

أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ أَوَّلُ مَنْ أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن الله أصطفى الإحلام ديناً فشرّفه وكرّمه، وأثاره ونصره وأظهره،
 وقضيه وأكمله، فهو الدين الذي لا يقبل غيره، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
 دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ). بعث به صفيّه وخيرته من
 خلقه: محمداً صلى الله عليه وسلم، بغضه خاتم النبيين، وإمام المؤمنين، وصيّد المرسلين:
 (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ). وأنزل كتاباً: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَقْرِئُ مِنْ حِكْمٍ حَمِيدٍ). أسعد به أمته، وجعلهم خير
 أمة أخرجت للناس يأثرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: (وَلَوْ آمَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ). وأهان الشرك
 وأهله، ووضعهم وصغرهم وقصّصهم وسخّطهم وتبرأ منهم، وضرب عليهم الذلّة والمسكنة،
 فقال: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
 وَهُمْ صَاغِرُونَ). وأطلع على قلوبهم، وخبث سمائرهم وضمائرهم، فنبه عن أطماعهم،
 والثقة بهم: لمدّآوتهم للساميين، وغشهم وفضائهم، فقال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا طَائِفَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَرًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَحْنِي صُلُوبُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ). وقال
 تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
 أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا). وقال تعالى: (لَا تَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ فَتَاءً).
 وقال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
 بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنَّ أُناساً لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل
 الذمة في أفعالهم ، ويخضعونهم ببطانة من دون المسلمين ، ويسلطونهم على الرعية ،
 فيسفونهم ويسيطون عليهم إلى طلبهم وغشهم والمُؤنُون عليهم . فأعظم
 أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحبَّ التقرب إلى الله بحسبه
 وانتهى عنه ؛ ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأصهار ، وولاية الثغور
 والأجناد ، في ترك استعالم أهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم ، والإشراك
 لهم في أماناتهم ، وما قلَّهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه ، إذ جمل في المسلمين
 الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرأية لما استقرطهم ،
 والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أُنحى عن الاستعانة [بأحد] من المشركين
 بالله ، المكذِّبين برؤسِهِ ، الجاحدين لآياته ، الجاهلين معه إلهاً آخر ، ولا إله إلا هو
 وحده لا شريك له ، وزجأ أمير المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك ، وقذف في قلبه -
 جزيل الثواب ، وكريم المآب ؛ والله يُعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام
 وأهله ، وإذلال الشرك وحزبه .

فقلَّعَ هذا من رأى أمير المؤمنين ، ولا تستعين بأحد من المشركين ؛ وأنزل أهل
 الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها . فأقرأ بكتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشيعة
 فيهم ، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد
 من أهل الذمة في عمل الإسلام .



وفي أيام المُقتدر بالله ، في سنة ثمان وتسعين ومائتين ، عزَّل مُجَّاب النصارى
 وعمَّالهم ، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة حتى أمر بقتل ابن ياسر النصراني
 حامل يونس الحاجب ، وكتب إلى عماله بما أُنسخته :

عَوَائِدِ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُوفَى عَلَى غَايَةِ رِضَا وَنَهَايَةِ أَمَانِيهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُظْهِرُ عِصْيَانَهُ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَّةً لِلْأَنَامِ، وَبَادَرَهُ بِمَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ : (وَأَنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) . فَمِنْ نَكْتٍ وَطَقَى وَبَنَى، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالَفَ مَعَا صِلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَعَى فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، حَاجَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَطْوَتِهِ وَطَهَّرَ مِنْ رَجِسِهِ دَوْلَتَهُ (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وَقَدْ أَسْرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَّكَ الْاِسْتَعَانَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الدِّمَةِ، فَاحْتَرِ الْعَمَلُ تَجَاوَزَ أَوَامِرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَوَاهِيهِ .



وَفِي أَيَّامِ الْآخِرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْفَاطِمِيَّ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، أَمْتَقَتْ أَيْدِي النُّصَرَاءِ، وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْحِيَانَةِ، وَتَفَنَّنُوا فِي أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَإِصَالِ الْمَضَرَّةِ إِلَيْهِمْ . وَاسْتَعْمِلَ مِنْهُمْ كَاتِبٌ يَمُرُقُ بِالرَّاهِبِ، وَلَقَّبَ بِالْأَبِ الْقُدِّيسِ، الرُّوحَانِي الْقُدِّيسِ، أَبِي الْآبَاءِ، وَسَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ، مَقْدَمُ دِينَ النُّصْرَانِيَّةِ، وَسَيِّدُ الْبَرَكَةِ، صَبَى الرَّبِّ وَمُخَارَهَ، وَثَلَاثَ عَشَرَ الْحَوَارِيِّينَ . فَصَادَرُ اللَّعِينُ عَامَّةً مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ : مِنْ كَاتِبٍ وَحَاكِمٍ وَجُنْدِيٍّ وَطَامِلٍ وَتَاجِرٍ، وَأَمْتَقَتْ يَدُهُ إِلَى النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ . نَخَفَوْهُ بَعْضُ مَسَاحِيخِ الْكُتَّابِ مِنْ خَالِقِهِ وَبَاعِيهِ وَمُحَاسِنِهِ، وَحَدَّرَهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ أَفْصَالِهِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِرَّكَ مَا يَكُونُ سَبَابًا لِحَلَاكِهِ . وَكَانَ حِمَامَةً مِنْ كُتَّابِ مِصْرٍ وَقِطْعًا فِي تَجْلِيلِهِ، فَقَالَ مُخَاطَبًا لَهُ وَمُسَمِّيًا لِحِجَابِهِ : نَحْنُ مَلَائِكَةُ هَذِهِ الدِّيَارِ حَرَمًا وَتَرَجَا، مَلِكُهَا الْمُسْلِمُونَ مَتًا، وَتَقَبَّلُوا عَلَيْهَا وَغَضَبُوهَا، وَأَسْتَلَكُوهَا مِنْ أَيْدِينَا، فَتَحْنُ مَعَهَا فَلَئِنْ بِالْمُسْلِمِينَ فَهِيَ قِبَالَةٌ مَا فَعَلُوا بِنَا، وَلَا يَكُونُ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ رُؤَسَائِنَا وَمُلُوكِنَا فِي أَيَّامِ الْفَتْوحِ، بِغَمِيجٍ مَا نَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِ

مُلْكِهِمْ وَخُلُقَاتِهِمْ حِلٌّ لَنَا ، وَهُوَ بَعْضُ مَا نَسْتَحِقُّ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا حَمَلْنَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنِ
الْمِثْلُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنْشُدُ :

يَنْتُ كَرِيمٌ يَمْحُوهَا أَمَّا * وَأَهْلُهَا فَعَدِيسَتٌ بِالْقَسَمِ
ثُمَّ عَادُوا حَكَّوْهَا بِنَهْمٍ * وَلَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مَظْلُومٍ حَكَمٌ

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمُتَافِقِينَ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ ، وَاسْتَمَادُوهُ ، وَعَضُّوْا
عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ الَّذِي أَحْتَاطَ عَلَيْهِ قَلَمُ اللَّعِينِ مِنْ أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ
مَا تَبَا أَلْفٌ وَأَتَانٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ، وَمَا تَبَا دَارٌ وَحَاتُوْتُ وَأَرْضٌ بِأَعْمَالِ النُّوَلَةِ ، إِلَى أَنْ
أَعَادَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا أَبُو حُلٍّ بْنُ الْأَفْضَلِ ، وَمِنْ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ أَنْتَبَهَ مِنْ رَقَدَتِهِ ، وَأَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْحَيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالغَيَرَةُ
الْمُحَمَّدِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ اللَّهُ غَضَبَةً نَاصِرٍ لِلدِّينِ ، وَنَازِلٍ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ فَالْبَسَ أَهْلَ النِّمَةِ الْغِيَارَ ،
وَأَنْزَلَهُم بِالْمُتَرَلَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُزَكَّوْا بِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالصَّبَاغِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئًا
مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُنْشَأَ فِي ذَلِكَ كَلْبٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخُلَاصُ وَالْعَامُّ .
وَهَذِهِ نُسَخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَالْمُجِيبِ دَعَاءَ مَنْ يَدْعُو بِأَسْمَائِهِ ؛ الْمُتَفَرِّدِ
بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، لِلْمُتَوَحِّدِ بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ ؛ هَدَى الْبِلَادَ بِالْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ ، وَوَقَّعَهُمْ فِي الطَّامَاتِ
لِمَا هُوَ أَتَقَعُ زَادٍ فِي الْمَعَادِ ؛ وَتَعَرَّدَ بِعِلْمِ النُّيُوبِ فَعَلِمَ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ إِضْمَارَهُ كَمَا عَلِمَ
تَضَرُّجَهُ (يَسْجَعُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ مَاقَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ) . الَّذِي شَرَّفَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَعَظَّمَهُ ، وَقَضَى بِالسَّعَادَةِ الْإِبْدِيَّةِ لِمَنْ أَتَمَّاهُ
وَتَمَّعَهُ ، وَقَضَى عَلَى كُلِّ شَرِّعٍ سَبْقَهُ وَعَلَى كُلِّ دِينٍ تَقَلَّمَهُ ؛ فَتَصَرَّه وَخَلَقَهَا ، وَأَشَادَهُ

وأنحلها ، ورفعها ووضعها ، وأطلد وضعها ؛ وأبى أن يقبل ديناً سواه من الأولين والآخرين ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وشهد به بنفسه ، وأشهد به ملائكته وأولى العلم الذين هم خلاصة الأنعام ، فقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

ولما أرتضاه لعباده وأتم به نعمته ، أكمله لهم وأظهره على الدين كله وأوضحه إيضاحاً مبيناً ، فقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وفرق به بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الهدى والضلال ، وأهل البقى والرشاد ، فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَحْيِي اللَّهُ وَمِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِينَ أَسْلَمْتُ لَكُمْ أَسْلَمُوا فَقَدِ احْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وأمر تعالى بالثبات عليه إلى الممات فقال وقوله يمتد إلى المهلتون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وهى وصية إمام الحنفية لبيده وإسرائيل : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَفَصَلَيْتُمْ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ .

وشهد على الحواريين عبد الله ورسوله وكتبته عيسى بن مريم وهو الشاهد الأمين ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكلب إليه، ويشهد من تولى منهم بأنه عليه؛ فقال تعالى وقوله الحق المبين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكَلْبِ تَمَالَوْا إِلَى كَلْبِي سِوَايَ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا آمَنَّا بِمَا مُسْلِمُونَ﴾.

وصلى الله على الذى رقه بأصطفائه إلى عمه المنيف، وبمته للناس كافة بالدين القيم الحنيف.

أما بعد، فإن الله سبحانه ببالغ حكمته، وتتابع نعمته، شرف دين الإسلام وظهره من الأدناس، وجعل أهله خير أمة أخرجت للناس؛ فالإسلام الدين القيم الذى اصطفاه الله من الأديان لنفسه، وجعله دين أنبيائه ورسله وملائكته قدسه؛ فارتضاه وآخراه، وجعل خير عبادته وخاصتهم هم أوليائه وأنصاره؛ يحافظون على حدوده ويثابرون، ويدعون إليه ويدكرون، ويحافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم بآيات ربهم يؤمنون، وإلى مرضاته يسارعون؛ ولئن خرج عن دينه مجاهدون، ولعباده يجهلهم ينصحون، وعلى طاعته مثابرون، وعلى صلاتهم يحافظون، وعلى ربهم يتوكلون، وبالأخرة هم يوقنون: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

هذا وإن أمة الله هداهما إلى دينه القيم، وجعلها - دون الأمم الجاحدة - على صراط مستقيم، توفى من الأمم سبعين، هم خيرها وأكرمها على رب العالمين - حقيقة بأن لا نوالى من الأمم سواها، ولا نستعين بمن حاد الله خالفه ورآقه وعبد من دونه إلها، وكذب رسله، وعصى أمره وأتبع غير سبيله، واتخذ الشيطان ولياً من دونه الله؛ ومعلوم أن اليهود والنصارى مؤسسون بقضب الله ولسته، والشرك به واتخذ

لَوْحَدَانِيَّتِهِ ؛ وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هِدَايَةَ سَبِيلِ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيُجَنَّبَهُمْ سَبِيلَ
الَّذِينَ أُجْلِمُوا مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَطَرَدَهُمْ عَنْ جَنَّتِهِ ؛ فَبَايَعُوا بِنَفْسِهِ وَلَعَنَتِهِ : مِنَ الْخَفُوبِ
عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ .

فَالْأَمَةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ بَنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأَمَةُ الضَّلَالِ هُمُ النَّصَارَى الْمُتَلَتِّةُ عِبَادُ
الصُّلْبَانِ ؛ وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ بِاللَّغَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالنَّفْسِ مَوْسُومُونَ ،
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْمَانُ فُتُوًا إِلَّا جَحِيلَ مِنْ اللَّهِ وَجَحِيلَ مِنَ النَّاسِ
وَبَايَعُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ بَايَعُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُفْقِرِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَنْتَسِ
مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ يُقَرَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ
يَسَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَايَعُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَعَنَهُمْ وَلَا أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ، قَالَ : ﴿ يَسَاءَ الَّذِينَ أُوْتُوا
الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

وَحَكَّمَ سُبْحَانَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمًا تَرْغِيبِيهِ الْعُقُولُ ، وَيَقْتَضِيهِ كُلُّ مُتَصِفٍ
بِالْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، قَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ
اللَّهِ وَغَضَبٍ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأخبر عما أحلَّ بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين، فقال تعالى :
 ﴿ قُلْ مَا تَسُوا مَاذُكُرُوا بِهِ أَجْمَعِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
 بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا خَسَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

ثم حكَّم عليهم حكماً مُستميماً عليهم في الذراري والأعقاب ، على تمر السنين
 والأعقاب ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُعَذِّبَنَّ الَّذِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
 يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ . فكان هذا العذاب في الدنيا
 بعض الاستحقاق : ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ . وأنهم انجس
 الأثم قلوباً وأغضبهم طويّة ، وأزدامهم صبيّة ، وأولاهم بالعذاب الأليم ، فقال :
 ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ وَلَمْ يَكُنِ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴾ . وأنهم أئمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين ، فقال :
 ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأخبر عن سوء ما يسمعون ويقبلون ، وخُبث ما يأكلون ويحكون ، فقال تعالى :
 ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
 وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه لعنهم على ألسنة أنبيائه ورُسُلِهِ بما كانوا يكسبون ، فقال :
 ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى
 كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِطِّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حُكِّه المين، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأخبر عن حال متولِّهم بما في قلبه من المرض المؤدى إلى فساد العقل والدين، فقال: ﴿قَرَأَ آيِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ نَصِيبَنا دَارَةُ نَعْمَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَائِدِينَ﴾ .

ثم أخبر عن حُبوب أعمال متولِّهم ليكون المؤمن لتلك من الحذرين، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَائِرِينَ﴾ .

ونهى المؤمنين عن اتِّخاذ أعدائهم أولياء، وقد كفروا بالحق الذي جامعهم من ربهم، وإنهم لا يمتنعون من سوء بئالوهم به بألسنتهم وألسنتهم إذا قدروا عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ قُلُوبُهُمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَآيِضًا مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ الْمَوْتِ . إِنْ يَتَقَفُوا بِكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطَرُّوا إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ بِاللَّهِ بِالْعِلْمِ وَوَدَّ أَنْ تَكْفُرُوا﴾ .

ويجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحُفَّةِ ومن معه من المؤمنين، إذ تبرا ممن ليس على دينهم امتثالاً لأمر الله، وإيناراً لمرضاة وما عنده،

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . وَبَرَاءً سُبْحَانَهُ عَنِ اتِّخَاذِ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُخَذَ مِنْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

لَمِنْ ضُرُوبِ الطَّاعَاتِ إِهَانَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ الَّتِي هُمْ إِلَيْهَا صَائِرُونَ ، وَمِنْ حُقُوقِ اللَّهِ الْوَاجِبَةِ اخْتِزَافُ رِوَايَتِهِمْ الَّتِي يُعْطُونَهَا عَنْ يَدِهِمْ صَاحِرُونَ ؛ وَمِنْ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَةِ أَنْ يَمُتَ جَمِيعُ الْأُمَّةِ إِلَّا مَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ بَاسْتِخْرَاجُهَا ، وَأَنْ يُسْتَمَدَّ فِي ذَلِكَ سَلُوكُ سَبِيلِ السُّنَّةِ الْمَحْمُودَةِ وَمِنْهَا جُهَا ؛ وَأَنْ لَا يُسَاحَ بِهَا أَحَدُهُمْ وَلَوْ كَانَ فِي قَوْمِهِ عَظِيمًا ، وَأَنْ لَا يُقْبَلَ إِرسَالُهُ بِهَا وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ زَعِيمًا ؛ وَأَنْ لَا يُجِيلَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُؤَكَّلَ فِي إِخْرَاجِهَا عَنْهُ أَحَدًا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ؛ بَلْ تُؤْخَذُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ ، إِعْزَازًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَإِذْلَالًا لَطَائِفَةِ الْكُفَّارِ ؛ وَأَنْ تُسْتَوْفَى مِنْ جَمِيعِهِمْ حَقُّ الْأَمْتِيَّةِ ، وَأَهْلُ خَيْرٍ وَضَرِيرُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّوَاءِ .

وَأَمَّا مَا أَدَّاهُ الْجَبَّارَةُ مِنْ وَضْعِ الْحِزْبِ عَنْهُمْ بِمَهْدٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ ذَلِكَ زُورٌ وَهَيْئَانٌ ، وَكَذِيبٌ ظَاهِرٌ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ؛ لَفَقَهُ الْقَوْمُ الْبُهْتُ وَزُورُهُ ، وَوَضَعُوهُ مِنْ تَقْلَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَمَقْهُوهٍ ؛ وَقَالُوا أَنْ ذَلِكَ يَنْخُضُ عَلَى النَّاقِذِينَ ، أَوْ يَرْجُحُ عَلَى عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكْشِفَ حُجَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَلِإِنَّ الْمُتَّقِرِينَ ؛ وَقَدْ تَظَاهَرَتِ السُّنَنُ وَجَّعَ الْخَبَرِ بَانَ خَيْرٌ فَحَتَّ عَنُوهَ ، وَأَوْجَفَ عَلَيْهِا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى إِجْلَالِهِمْ عَنْهَا كَمَا أَجَلَّ لِإِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكَلْبِ ، فَلَمَّا ذَكَرُوا أَنَّهُمْ أَعْرَفُ بِسُغِيِّ تَقْلِيلِهَا وَمَصَالِحِ أَزْجِهَا ، أَقْرَمَ فِيهَا

كالأجزاء وجعل لهم نصف الأرض، وكان ذلك شرطاً مينا، وقال : « يُقرُّكم فيها ما شئنا »؛ فأقر بذلك الجارية صاعرين، وأقاموا على هذا الشرط في الأرض طاملين؛ ولم يكن للقوم من الثمام والحرمه، ما يوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذمه؛ وكيف؟ وفي الكتاب المشحون بالكذب واللين، شهادة سعد ابن معاذ وكان قد توفى قبل ذلك بأكثر من ستين؛ وشهادة معاوية بن أبي سفيان، وإنما أسلم عام الفتح بعد خير سنة ثمان؛ وفي الكتاب المكتوب أنه أسقط عنهم الكلف والسخر، ولم تكن على زمان خلفائه الذين ساروا في الناس أحسن السير.

ولما أتممت رقة الإسلام، ودخل فيه الخلفاء والعلماء، وكان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقى النخل، أجلي عمر بن الخطاب اليهود من خيبر إلى من جزيرة العرب حتى [قال]: لا أدع فيها إلا مسلماً.



وفي شهر رجب سنة سبعمائة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير صاحب المغرب حاجاً، فاجتمع بالملك الناصر «عبد بن قلاوون» ونائبه يومئذ الأمير سلا، فحصلت الوزر معه ومع الأمير بيترس الجاشنكير في أمر اليهود والنصارى، وأنهم عندهم في غاية الثقة والموافاة، وأنهم لا يمكن أحد منهم من ركوب الخيل ولا الاستخدام في الجهات الديوانية، وأنكر حال نصارى الديار المصرية ويهودها بسبب لبسهم أنكر الملايس، وركوبهم الخيل والبغال، وأستخدامهم في أجل المناصب، وتحكيمهم في رقاب المسلمين؛ وذكر أن عهد ذمتهم أقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية، فأقر كلامه عند أهل الدولة، لاسيما الأمير بيترس الجاشنكير، فأمر بجمع النصارى واليهود، ورسم أن لا يُستخدم أحد منهم في الجهات السلطانية، ولا عند

الأمراء ، وأن تُنْفِرَ عَمَلُهم : فليس النَّصَارَى العَالِمُ الزُّرْق ، وَتُسَدُّ في أوساطهم الزَّنَانِيرُ ، وَيُلَاسُ اليهودُ العَالِمُ الصَّفَرُ ويدقوا ^(١) في البيع في إبطال ذلك فلم يُقْبَل منهم ، وَغُلِقَتِ الكَنَائِسُ بِمِصْرَ والقاهرة ، وَثَمَرَتْ أبوابُها ، ففعل بهم ذلك ، وَأُزْمِوا بأن لا يركبوا إلا الحمير ، وأن يُلَفَّ أحدهم إحدى رجليه إذا ركب ، وأن يقصر بنيانهم المجاور للمسلمين عن بناء المسلم . وَكُتِبَ بذلك إلى جميع الأعمال ليعمل بمقتضاه ، وأسلم بسبب ذلك كثير منهم ؛ وأليس أهل الذمة بالشام : النَّصَارَى الأزرق ، واليهودُ الأصفر ، والسامرةُ الأحمر .

ثم عادوا إلى المباشرات بعد ذلك ، فانتدب السلطان الملك «الصالح صالح» ابن الملك الناصر في سنة خميس وخمسين وسبعمائة لمتيعة من ذلك ، وألزمهم بالشروط العُمريَّة ، وكتب بذلك مرسوماً شريعياً وبعث بنسخته إلى الأعمال ففُرِغَتْ على متاور الجوامع .

وهذه مُسَخَّطَةٌ - صورة ما في الطَّوْرَة :

«مرسومٌ شرفٌ بأن يعتمد جميع طوائف اليهود والنصارى والسامرة : بالديار المصرية ، والبلاد الإسلامية المحروسة وأعمالها ، حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمن مضى من أهل ملتهم : وهو أن لا يُحْدِثُوا في البلاد الإسلامية ديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب ، ولا يُحْدِثُوا ما تحرب منها ، ولا يؤوئلاً جاسوساً ولا من فيه رية لأهل الإسلام ، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلّموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمتنعوا دوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ؛ ويلبسون الثياب الأزرق والأصفر ، ويمتنع نسائهم

(١) يباح في الأصل في غير نسخة والكلام غير ملزم ولعل الأصل «العالم الصفر فالتوا في السعي في إبطال ذلك» الخ .

من التَّشْبِه بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَرْكَبُوا مَرْحَبًا ، وَلَا يَتَقَلَّدُوا سَيْفًا ، وَلَا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ وَلَا الْبِغَالَ ، وَيَرْكَبُونَ الْحَبِيرَ بِالْأُكُفِّ عَرَضًا ، وَلَا يَبْعَوْنَ الْجُمُورَ ، وَأَنْ يَلْزِمُوا زَيْبَهُمْ حَيْثُ كَانُوا ، وَيُسْتَدُّوا زَيْبَهُمْ فَيَرْحِرِ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، وَالْمَرْأَةُ الْبَارِزَةُ مِنَ النَّصَارَى تَلْبَسُ الْإِزَارَ الْكَثَانَ الْمَصْبُوغَ أَزْرَقَ ، وَالْيَهُودِيَّةُ الْإِزَارَ الْأَصْفَرَ ، وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْحَمَّامَ إِلَّا بِعَلَامَةٍ يُبَيِّنُهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عُنُقِهِ : مِنْ خَاتَمٍ حَدِيدٍ أَوْ صَاصٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَا يَسْلَوُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ وَلَا يُسَاوُوهُمْ ، بَلْ يَكُونُونَ أَدُونَهُمْ ، وَلَا يَضْرِبُونَ بِالنَّاقُوسِ إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا ، وَلَا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ فِي كَنَائِسِهِمْ ، وَلَا يَحْمِلُونَ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ - ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِلَهَا - وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَمْرَانِهَا - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَا يَلَوُّوا وَطِيفَةً يَمْلَأُ أَمْرُهُمْ فِيهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يُحْمَلَ الْأَمْرُ فِي مَوَارِيثَ مَوْتَاهُمْ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَتَوْفِيقِ طَلِيبِ الْحَوْطَةِ الدِّيَّانِيَّةِ أَسْوَدَ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ لَا يَدْخُلَ نِسْوَةُ أَهْلِ النِّعَةِ الْحَمَامَاتِ مَعَ الْمُسْلِمَاتِ ، وَيُحْمَلُ لَهَا حَمَامَاتٌ مُخَصَّنَةٌ يَلْبَسُنَّهَا ، عَمَلًا فِي ذَلِكَ بِمَا رَحِمَهُ عَلَيْهِ الشَّرِيعُ الشَّرِيفُ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .

ونصبه بعد التَّسْلِيمَةِ الشَّرِيفَةِ .

الْمَحْمُودُ الَّذِي بَصَّرَ سُلْطَانَنَا الصَّالِحَ ، بِاعْتِدَادِ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ، وَيَسَّرَ لَنَا الرَّاحَ ، تَوْفِيرَ التَّوْفِيقِ إِثْنَانًا وَفَنِيًا ، وَتَحْرِيرَ التَّحْقِيقِ أَمْرَانِيًا ، وَقَهْرَ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ ، مِنْ رَامَ نَكْتِ التَّهْدِ وَقَضَى الدَّهَامَ ، بَتَعَدَّى الْخُلُودِ عُذْوَانًا وَبَنِيًا ، وَجَسَرَ عَلَى أَقْصَامِ ذُنُوبِ عِظَامِ ، يُحِلُّ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ عَذَابًا وَنِزَا ، وَتَكْفُلُ لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى بِالسَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي وَلَا تَبْتَقِي ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّغْلَ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْمُلَا .

نحمده أَنْ أَحَبَّ فِكْرَنَا رَشَدًا وَأَنْهَبَ بِأَمْرِنَا غَيًّا ، وَشَكَرَهُ عَلَى أَنْ جَبَرَ بِأَحْكَامِ
 الْعَدْلِ لِلْإِيمَانِ وَهَنَا وَأَثَرِ لَدَوِي الْهَيْتَانِ بِالْإِسْتِقَامِ وَهَيَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ ، خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَنْشَأَ وَأَفْتَى وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ،
 وَتَهَدَّسَ وَتَجَمَّدَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَوْجَدَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَمَا أَوْجَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ
 شَيْئًا وَجَعَلَهُ عَبْدًا صَالِحًا نَبِيًّا زَيْكًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عِجْدًا عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ
 عَلَيْهِ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ قُرْآنًا وَوَحْيًا ، وَأَسْتَصَابِلُ بِهِ شَاقَّةَ الْكُفَّارِ وَأَنْزَلَ بِهِمْ مِنْ
 الْأَخْطَارِ الدَّاهِيَةِ النَّعْيَا ، وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَى الصَّدَقَ وَصَلَّى الرُّؤْيَا ،
 وَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ الشَّعَاتِ فَهَدَى قُلُوبًا خُلُقًا وَأَسْمَاعًا صَمًّا وَأَبْصَارًا عُمِيًّا ، وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ،
 وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأَمَّةَ فُبَشِّرَى لِمَنْ وَفَّقَ مِنْ أُمَّتِهِ فُرُوزَ الْحُكْمَةِ وَوَحْيًا ، وَرَفَعَ
 الضَّلَالَةَ ، وَرَدَّ الضَّلَالَةَ ، وَأَجَلَ لِلْعَهْدِ حَقًّا وَلِلنَّعْمِ رَحِيًّا ، وَنَسَخَتْ شَرِيعَتَهُ
 الشَّرَائِعَ ، وَسَلَّتِ الدَّرَائِعَ ، وَتَمَحَّضَتْ عَلَى التَّجْوِيعِ الطَّوَالِغَ ، نَهَى أَسْمَى مِنْهَا رِفْعَةَ
 وَأَتَمَّى عَدَدًا وَأَسْتَوَى هَدْيًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فُرُوجَ الزُّهْرَاءِ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى : (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) أَمْرَعُ سَفِيًّا ،
 خُصُوصًا صِدِّيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْحَيَا ، وَمَنْ أَسْتَخْلَفَهُ فِي الصَّلَاةِ عَنْهُ
 إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَقُّ لِرُبِّيَّةِ الْخِلَافَةِ بِالرَّقِيَّا ، وَمَنْ فَرَّقَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَوَأَفَّقَ الْفُرْقَانُ لَهُ
 رَأْيًا ، وَسَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ مَا لَا أَتَخَقُّ لِنَعْدِهِ وَلَا تَحْيَا ،
 وَذَا التُّوَدَيْنِ الَّذِي قَطَعَ اللَّيْلَ تَسْيِيمًا وَقُرْآنًا وَأَحْيَا ، وَأَسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
 لِمَنْ مَنَّ اللَّهُ أَنْتَحْيَا ، وَعَلَى الصَّهْرِ وَأَبْنِ الْعَمِّ الْمُجَاهِدِ الزَّاهِدِ الَّذِي طَلَّقَ ثَلَاثًا الْمَدَارَ
 الْغَانِيَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَقِيَا ، وَسَرَّهُ لِمَا قَضَى عَلَى الرِّضَا نَحْبَهُ ، فَوَجَدَ الْأَحْيَةَ : عِجْدًا
 وَجَزَبَهُ ، وَحَمَدَ الْحَقَّ وَالْقِيَا ، وَعَلَى تِمَّةَ بَقِيَّةِ الْعَشْرِ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ

والأنصار، رحمة تُديم لمضاجعهم صَوْبَهَا الدَّارُ السَّعْيَا ، صلاة وإفرة الأقسام سَافِرَةً
القَسَمَاتِ بَاهِرَةً الْحَيَا ؛ و سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أما بعدُ ، فأحكامُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ أُولَى بِوَجوبِ الْإِتِّبَاعِ ، وَدِعَامُ الدِّينِ الْحَنِيفِ
يُبِيرُ مَنْ عَصَى وَيُجِيرُ مَنْ أَطَاعَ ، وَحُرُمَاتُ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحَقُّ بِأَنْ تُحَفَظَ فَلَا تُنْصَاعَ ؛
وَمِنْ الْمِهْمَاتِ الَّتِي تُصَرَّفُ إِلَيْهَا الْهِمَّةُ ، وَيُرْعَفُ لَهَا حُدُّ الْعَزْمَةِ ، وَتُقَامُ عَلَيْهَا مُتَعَدِّ
حُدُودِهَا بِالْإِسْتِقَامِ الْحَزِينِ ، أَعْتَابُ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ مِنْ أَهْلِ الثَّمَةِ الَّذِينَ حَقَّ مِنْهُمْ
الْثَمَاءُ حُكْمُ الْإِسْلَامِ ، وَسَكَنَ عَنْهُمْ الدَّهْمُ مَا أَلْتَزَمُوهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، مَعَ الْقِيَامِ بِالْحَزِينَةِ
فِي كُلِّ عَامٍ ، وَسَلَّمُوا لِأَوَامِرِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي لَوْلَا الْإِقْتِيَادُ إِلَيْهَا وَالْإِسْتِسْلَامُ ،
لَأُتْمِدَ فِي نُجُومِهِمْ حُدُّ الْحَسَامِ . فَهَمَّ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الْإِيمَانِ صَائِرُونَ ، وَلَا مَرَدَّ دِينِ
الْحَقِّ الَّذِي تَسَخَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْأَدْيَانَ صَائِرُونَ ؛ وَهَمَّ الْمُعْتَبُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَبْتَغُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِكَاتِهِ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَفَعَ مِنَ الْبِلَادِ ،
وَأَسْتَرْجَعَ بِأَيْدِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ الْعَادِيَةِ كَثِيراً مِنَ الْأَمْصَارِ
وَأَسْتَعَادَ ، وَأَكْثَرَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَإِنَّمَا كَانَتْ لِلتَّنَجِّعِ مَوَاسِمُ ، وَبِالْمُنَجِّعِ بَوَاسِمُ ، وَتَنَظَّفَرَتْ فِيهَا السَّلَامِينَ غَرَائِرُ الزَّانِمِ ،
الَّتِي أُعَانَتْ هَزْأَهَا الْكُفَّارُ بِحُزُونِ ذُيُولِ الْهَزَانِمِ - عَقَدَ أَمْرَاهُ الْفَاتِحُونَ لَهَا
بَأْمِرِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُمْ - لِأَهْلِ الْكِتَابِ عَهْدًا ، وَحَثُّوا لَهُمْ مِنَ الْأَذَابِ حَتًّا
لَا يَحُوزُ أَنْ يَتَعَدَّى ؛ وَلَمْ تَزَلْ الْخُلَفَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمُلُوكُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ
يُحْلِفُونَهَا ، وَبِالْمَحَافِظَةِ وَالْمُلَاحِظَةِ يَتَمَهَّدُونَهَا ؛ وَآخِرُ مَنْ أَلْزَمَهُمْ أَحْكَامُهَا الْعَادِلَةُ ،

وَعَصَمَهُمْ بِنَسِيئَتِهَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ مَا أَسْتَقَامُوا بِالسَّلَامَةِ كَافِلُهُ ؛ وَالذُّنَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ
« الْمَلِكُ النَّاصِرُ » نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَهُ عَهْدَ الرَّحْمَةِ ، وَلَقِيَ نَفْسَهُ
الْخَيْرَ لِنُصْرِهِ الْأَمَّةَ ؛ فَإِنَّهُ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - جَدَّدَ لَهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِمِائَةِ لِبَاسَ الْغِيَارِ ،
وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بِأَسَاسِ النِّكَالِ وَالْإِنْكَارِ ؛ وَعَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ بَهَا الْأَخْيَارِ ، وَسَطَّرَ فِي الصِّحَافِ
مِنْهَا شُرُوطًا لَهُمْ بِالْإِثْرَةِ الْإِقْرَارِ ؛ وَبِأَحْكَامِهَا أَمَكْنَهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ الْأَسْتِقْرَارَ ؛
وَحَذَلَ الْفِتْنَتَيْنِ الْمُفْتَرِيتَيْنِ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

وَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ تَمَادَّوْا عَلَى الْإِفْتِرَارِ ، وَتَوَادَّوْا إِلَى الضَّرِّ وَالْإِضْرَارِ ؛
وَتَبَجَّرُوا بِالنَّكْبِ وَالْاِسْتِكْبَارِ ، إِلَى أَنْ أَظْهَرُوا التَّزْيُّنَ أَكْثَمَ لِمُظْهَارِهِمْ ، وَخَرَجُوا عَنْ
الْمَعْدُودِ فِي تَحْصِينِ الزُّنَارِ وَالشَّعَارِ ، وَعَتَّوْا فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْفَسَادِ
بِأُمُورٍ لَا تُطَاقُ بِكَارِ .

وَلَمَّا وَصَحَّ عِنْدَنَا مِنْهُمْ الْأَسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِضْرَارِ ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِمْ أَشَدَّ إِنْكَارًا ،
وَرَأَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ فِيهِمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، وَأَيْدِنَا [إِلَّا مَعَامَلَتِهِمْ]
بِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي كَمَّ لَهَا عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْيَسُوعِيَّةِ وَالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ مَنَّةٍ ، وَأَذْخَرَ اللَّهُ
تَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لَنَا فِي الدُّنْيَا
أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَفِي الْآخِرَةِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ؛ فَاسْتَفْتَيْنَا فِي أَمْرِهِمُ الْمَجَالِسَ الْعَالِيَةَ حُكَّامَ
الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَأَقْنَعْنَاهُمْ بِأَقْوَالٍ مِنْهَا بِهِمْ الْمُحَرَّرَةِ ، الَّتِي لَنَا بِهَيْئَتِهَا إِلَى إِبْصَارِ
الصُّوَابِ تَبَيُّهُرِهِ ، وَعَقَدْنَا لَهُمْ جَمْعًا بِدَارِ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ ، وَأَزْمَنَاهُمْ أَحْكَامَ أَهْلِ
الذِّمَّةِ الَّتِي بِالْإِثْرَةِ أَوْ أَمْرِهِمْ لَهَا جَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ هَذَا التَّكْلِيفِ ؛ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَهْدِ
الَّذِي أَسَّوْهُ ، وَالْهَيْئَتِهِمْ تَوَبَّ الْهَوَانِ الَّذِي لَيْسُوا [وَ] لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ زَعَمُوهُ
وَلَمْ يَلْبَسُوهُ ؛ وَأَجْرَيْنَاهُمْ عَلَيْهِمُ الْآنَ شُرُوطَهُ الْمُضْبُوطَةَ ، وَقَوَائِدَهُ الَّتِي هِيَ مِنَ التَّبْدِيلِ

والتغيير محوطه؛ فمن جاوزها، فقد شاقق الشرعة الشريفة وبارزها؛ ومن خالفها، فقد عاند الملة الإسلامية وواقفها؛ ومن صلف عن سبلها وتكبتها، فقد آتفر الكبار وأرتكبتها؛ وحظرنا عليهم أن يجعل أحد منهم له بالمسلمين شبا، وصيرنا عليهم القلة التي ضربها الله تعالى عليهم وأوجبها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف السالى، المولى، السلطان، الملكى، الصالحى، الصلاحى - لا زال أمره الممثل المطاع، وزجره به عن الماكن امتناع وأرتداع، ورأيه الصالح يريد الإصلاح ما استطاع - أن يستمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع بلاد الإسلام المحروسة وأعمالها : من سائر الأقطار والأقاي، ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أكيد العهد ووثيق الميثاق :

وهو أن لا يحدقوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها دبرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يحدقوا فيها ما تحرب منها، ولا يمتنعوا كائنهم التى عوهلوا عليها، وثبتت عنهم لسيما، أن يرقبا أحد من المسلمين ثلاث ليال يطلعونهم، ولا يؤوا جاسوسا ولا من فيه ريسة لأهل الإسلام، ولا يكتنوا غشا المسلمين، ولا يلبسوا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركا ولا يمتنعوا نوى قرابة من الإسلام إن أرادوه، وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا من مجالسهم إن أرادوا الجلوس، وأن لا يتشبهوا بشئ من المسلمين فى لباسهم قلنسوة ولا عمامة ولا ثيابين ولا فرق شعر، بل يلبس النصارى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع غير الشعرى (٤) فا دونها، واليهودى العمامة الصفراء كذلك؛ وشمع نساؤهم من النسبة بنساء المسلمين ولبس العائم، ولا يسموا بأسماء

المسلمين، ولا يَتَكَبَّرُوا بِكُفَّاهُمْ، ولا يَتَقَبَّحُوا بِأَلْقَابِهِمْ، ولا يَرْكَبُوا سَرَجًا، ولا يَتَقَلَّدُوا سَيْفًا، ولا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ ولا الْبِغَالَ، ولا يَرْكَبُونَ الْحِمِيرَ بِالْأُكُفِّ عَرْضًا من غير تَرْيُّنٍ ولا قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ لَهَا، ولا يَتَخَذُوا شَيْئًا من السِّلَاحِ، ولا يَنْقُشُوا خَوَاتِيمَهُم بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا يَدْعُوا النَّحُورَ، وأنَّ يَحْزُوا مَقَادِمَ رُءُوسِهِمْ، وأن يَلْزَمُوا زِيَّهِمْ حيثَ مَا كَانُوا، وَيَسْتَلُوا زَنَايَهُمْ غيرَ الْحَرِيرِ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، والمرأةُ الْبَارِزَةُ من النَّصَارَى تَلْبَسُ الْإِزَارَ الْكَنَّانَ الْمَصْبُوغَ أَزْرَقَ، واليهوديةُ الْإِزَارَ الْمَصْبُوغَ أَصْفَرَ، ولا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْحِسَامَ إِلَّا بِعَلَامَةٍ تُمَيِّزُهُ عن الْمُسْلِمِينَ في عُنُقِهِ : من خَاطَمَ نُحَاسَ أَوْ رِصَاصٍ أَوْ جَرَّسَ أَوْ غيرَ ذَلِكَ، ولا يَسْتَعْدِمُوا مَسْلِيًّا في أَعْمَالِهِمْ، وتَلْبَسُ الْمَرْأَةُ الْبَارِزَةُ مِنْهُمْ خُفَيْنَ : أَحَدُهُمَا أَسْوَدَ، وَالْآخَرُ أَبْيَضَ، ولا يُجَاوِرُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَوْتَاهُمْ، ولا يَرْفَعُوا بِنَاءَ قُبُورِهِمْ، ولا يَسْلُوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ في الْبِنَاءِ، ولا يُسَاوُوهُمْ، ولا يَتَحَيَّلُوا عَلَى ذَلِكَ بِحِيلَةٍ، بل يَكُونُونَ أَدْنَى من ذَلِكَ، ولا يَضْرِبُوا بِالنَّاقُوسِ إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، ولا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ في كَأْسِهِمْ، ولا يَخْرُجُوا شَعَانِينَ، ولا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ عَلَى مَوَاتِهِمْ، ولا يَظْهَرُوا التَّيَّانَ، ولا يَسْتَرَوْا مُسْلِمًا من الرِّقِيقِ ولا مُسْلِمَةً، ولا من بَحْرَتِ طَلِيهِ سِهَامِ الْمُسْلِمِينَ، ولا مَنْ مَنَشُوهُ مُسْلِمٌ، ولا يَهُودُوا ولا يُنَصِّرُوا رَقِيقًا، ولا يَحْتَبُونَ أَوْسَاطَ الطَّرِيقِ تَوْسِعَةً لِّلْمُسْلِمِينَ، ولا يَقْتَتِلُوا مُسْلِمًا عن دِينِهِ، ولا يَدُلُّوا عَلَى عَوْدَاتِ الْمُسْلِمِينَ . ومن زَنَى بِمُسْلِمَةٍ قُتِلَ، ولا يَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَرْضِ مَوَاتٍ لِّلْمُسْلِمِينَ ولا فِرَ مَوَاتٍ ولا مُزْدَرَجَ، ولا يَسْبُوهُ لَصُومَةٍ ولا كِنْسَةٍ ولا دَيْرٍ ولا غيرَ ذَلِكَ، ولا يَسْتَرَوْا شَيْئًا من الْجَلْبِ الرَّقِيقِ ولا يُوكَلُّوا قِيَهُ، ولا يَتَحَيَّلُوا عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ . ومتى خَالَقُوا ذَلِكَ فقد حَلَّ مِنْهُمْ مَا يَحِلُّ من أَهْلِ التَّفَاقُقِ وَالْمُعَانَةِ .

وكذلك رَسَمْنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ من الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالسَّامِرَةِ : الْأَكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنْهُمْ يَخْطَأُ عَلَيْهِمْ من دِيوانِ الْمَوَارِيثِ الْحَقْشَرِيَّةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَمَا تَر

البلاد الإسلامية المحروسة ، إلى أن تُثَبِّتَ ورثته ما يستحقونه من ميراثه بمقتضى
الشرع الشريف ، وإذا اجتبتوا ما يستحقونه يبطونه بمقتضاه ؛ ويُجَلَّ ما فُضِّلَ بهد
ذلك لَيْتَ المال المعمور ، ومن مات منهم ولا وَاِثَ له يَسْتَوْعِبُ ، جُلَّ مَوْجُودُهُ
لَيْتَ المال المعمور ، وَيُجْرَوْنَ في الحَوَاطِطِ على مَوَاتِهِمْ من دَوَاوِينِ المَوَارِيثِ وَوَكَلَاةِ
بَيْتِ المال المعمور مُجَرَّى من مَوْتٍ من المسلمين : لَيَقِينَ أَمْرَ مَوَارِيثِهِمْ ، ويُجَلَّ
الأمرُ فيها على حُكْمِ الشرع الشريف ، عملاً بالفتاوى الشرعية المنضمة لإجراء
مَوَارِيثِ مَوَاتِهِمْ على حُكْمِ الفرائض الشرعية بِحُكْمِ المِلَّةِ الإسلامية الحميدة : من
إعطاء كل ذى قَرْبَى وعَصَبَةٍ ما يستحقه شرعاً ، من غير مخالفة ولا امتناع ،
ولا موافقة ولا دِفَاعَ ، فَإِنَّ ذلك مما يَتَعَيَّنُ أن يكونَ له إلى بَيْتِ المال المعمور فيه
إرجاع ؛ ولتُعْلَمَ حقوقُ المؤمنين بذلك ، ولأنه يبعد حيث ذهبوا إلى المسلمين
ما يستحقه بيتُ المال من مال كلِّ هَالِكٍ ، ولأنَّ المطالبين بما يَشُوكُ إلى ميراثِ
المسلمين من ثَرَاتِ أولئِكَ ، لتَكُونَ هذه الحَسَنَةُ في صحابنا مُسْطَرَّةً ، وإن كانتِ
الأيامُ قد تَعَادَتْ عليها ومَعْرِفَتُهَا نَكَرَةً ، وتَعَادَتْ إليها أَيْدِيهِمُ العَادِيَةُ فَانْخَلَسَتْ من
النَّهْبِ وَالْفِطْيَةِ القَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ .

وَرَسَمْنَا أن لا يَخْدَمَ نَصْرَانِيٌّ وَلَا سَامِرِيٌّ وَلَا يَهُودِيٌّ في دَوْلَتِنَا الشريفة ثَبَّتَ اللهُ
قَوَاعِدَهَا ، ولا في دَوَاوِينِ المَالِكِ المحروسة والأعمال ، ولا حِنْدَ أَحَدٍ من أَمْرَانَا
أَعَزَّهُمُ اللهُ تَعَالَى ، ولا يُسَاسِرُ أَحَدُهمُ وَكَلَّةً وَلَا أَمَانَةً ، ولا ما فيه تَأَهُُّدٌ على
المسلمين ، بحيث لا يَكُونُ لهم كلمةٌ يَسْتَعْلَوْنَ بها على أَحَدٍ من المسلمين في أَمْرٍ من
الأُمُور ، قَدْ حَرَّمَ اللهُ ذلكَ نَصّاً وَتَأْوِيلاً ، وَهَمَّ حُكْمُهُ في الحلال والاستقبال قُرْآنًا
وَتَفْهِيماً ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . وَأَوْضَحَ
في أَجْتَابِهِمُ التَّيِّينَ علمَ اليقين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْشَوْا الَّذِينَ الَّذِينَ

أَتَمُّنُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

وقد نهى الله عن موالاتهم وأضاف بسخطه كل نخزي إليهم ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) .

وقد أظلم الله جل وعز لأقربائهم وأجرائهم من كتابه العزيز في مواضع عنه ،
فقال تعالى : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ) . فوجب
أن لا يكونوا على الأعمال أمته ، ولا للأموال نخزته : لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى خَوْنَةٌ » . وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه :
« لَا تَسْتَعْمِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَإِنَّهُمْ أَهْلُ رُشَا فِي دِينِهِمْ وَلَا تَيْلُ الرُّشَا » فباعترافهم
وأقرارهم يؤمن من مكرهم وخيائهم ما يُخَفِّتُ .

ولما قدم عليه أبو موسى الأشعري من البصرة وكان عاملاً بها ، دخل عليه
المسيح ، وأستأذن لكتبه وكان نصرانياً ، فقال له أمير المؤمنين عمر : - وَلَيْتَ ذَمِيًّا
عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ) هَلَا اتَّخَذْتَ حَنِيفًا ؟ - فقال يا أمير المؤمنين :
لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ ، فأنكر أمير المؤمنين طبع ذلك ، وقال : لَا أَكْرِهُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ،
وَلَا أَعِزُّهُمْ إِذْ أَظْلَمَ اللَّهُ ، وَلَا أَذِينُهُمْ إِذْ أَقْبَصَهُمُ اللَّهُ - . فاتبعنا في صرفهم الكتاب
والسنة والأثر ، ومنعنا عن المسلمين - يقل أيديهم عن المباشرة - الأدنى والضرر ،
ودفعنا عن أمير المؤمنين من سوء معاشرتهم ما أَلَمُوا لَهُ مِنَ الأدنى مع شرّ معشر .

فليعتمد حكم هذا المرسوم ، الذي هو بالعدل والإحصاء موسوم ، وليُخلد
في صحائف الوثائق ليستقر ويستمر ويدوم ، وليشع ذكره في المسالك ، وليُدع
أمره في المسالك ، وعلى حكام المسلمين - أيهم الله تعالى - وقضائهم ، ومتصرفيهم

وَوَلَّاهُمْ ؛ أَنْ يُوقِعُوا بَيْنَ تَقَدُّى هَذِهِ الْحُدُودِ ، مِنْ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ ، وَيَرُدُّعُوا
بِسَيْفِ الشَّرْعِ كُلَّ جَهُولٍ مِنْ أَهْلِ الْمُجُودِ ، وَيُحْلُوا الْعَذَابَ بَيْنَ حَمَلَةِ الْعُقُوقِ عَلَى
حَلِّ الْعُقُودِ ، وَيَذْلُوا رِقَابَ الْكَافِرِينَ بِالْإِذْنَانِ لِمُخْتَرَاكِ الْحَقُوقِ وَإِخْرَاجِ
الْأَضْيَافِ وَالْحُقُودِ .

وقد رُتِمَا أَنْ يُحَلَّ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْمُرْسُومِ الشَّرِيفِ عَلَى حُكْمِ مَا أَكْتَرَمَ فِي الْمُرْسُومِ
الشَّرِيفِ الشَّهِيدِ النَّاصِرِ الْمُتَقَدِّمِ ، الْمَكْتَتَبِ فِي رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ ، الْمُتَضَمِّنِ
الشَّهَادَةَ عَلَى بَطْرِكِي النَّصَارَى الْيَمَاقِبَةِ ، وَالْمَلِكَةِ ، وَرَبِّيسِ الْيَهُودِ بِالْحَرَمِ وَإِقَاعِ
الْكَلِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ هَذَا الشَّرْطَ الْمَشْرُوطَ وَالْحَدَّ الْمَحْدُودَ ، وَأَنْ لَا يَحْلُوا مَا أَكْتَرَمَ
مِنْ عُنْكَمُ الْعُقُودِ ، فَيَحْلُ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مُرَدُّدٍ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى يُعِينُ سُلْطَانَ الْحَقِّ عَلَى
مَا يَرْجِعُ بِنَفْعِ الْخَلْقِ وَيُؤَدُّ ، وَيَزِينُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْكَ الْإِسْلَامِ وَمَلَائِكَ الْوُجُودِ ،
وَيُعِينُ بِيَأْسِهِ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، الَّذِينَ لَمْ يَنْزِلُوا عَلَى السَّبِيلِ الْمُبِينِ ، صُدُوفٌ وَصُدُودٌ ، وَيَسْلُكُ بِهِ
شَرْمَةَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمِنْهَاجَهُ : مِنْ إِمَامَةِ الْبَيْتِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِدَامَةِ الصُّوْنِ
وِإِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَيَهْلِكُ بِسَطْوَتِهِ الْكَافِرِينَ كَمَا هَلَكَ بِدَهْوَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مُرُودٌ . وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

ثم الجزء الثالث عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع عشر

مائة الباب الرابع من المقالة التاسعة

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الطبعة الأولى ١٦٩٣هـ / ١٩١٨م / ٢٠٠٠ع)

Bibliotheca Alexandrina



0405286